الكتب الأكثر مبيعاً بقائمة نيويورك تايمز

كذبات صغيرة.. كبيرة

رواية

ليان موریاتي

دار الخيال

مكتبة

إهداء لـ ..

بيت من غزة

مكتبة | سُر مَن قرأ

كذبات صغيرة..
كبيرة

رواية

Big littel lies

By: Liane Moriarty

كذبات صغيرة كبيرة

ليـــان مـــوريـــاتـــي

ترجمة: محمود عيسى - نوار العبدالله - حسن جبور أسبر

Copyright © Liane Moriarty 2014

حقوق الترجمة العربية محفوظة للناشر

الطبعة الأولى 2022 ©

ISBN:978-9953-651-27-9

دار الخيال

DAR AL KHAYAL

مركز الأعمال - صندوق بريد 519251

مدينة الشارقة للنشر المنطقة الحرة

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

Email: alkhayal@inco.com.lb

www.daralkhayal.com

dar.alkhayal dar.alkhayal daralkhayal_

٢٠٢٢ ٧ ٢٨ مكتبة

t.me/t_pdf

لـيـان مـوريـاتـي

مكتبة | سُر مَن قرأ

كذبات صغيرة..
كبيـرة

روايـة

ترجمة: محمـود عيسى – نـوار العبدالله
حسن جبور أسبر

دار الخيال
DAR AL KHAYAL

مع الحب لمارغريت

أنت ضربتني، نعم ضربتني،

وعليك الآن أن تُقبّلني.

هتاف باحة المدرسة

مدرسة بيريوي العامة

... حيث نعيش ونتعلم قرب البحر!

مدرسة بيريوي العامة هي منطقة خالية من التنمُّر والبلطجة

نحن لا نتنمّر.

ولا نقبل التنمّر.

ولا نتكتّم على أي بلطجةٍ أو تنمّرٍ أبدًا.

لدينا كامل الشجاعة لفضح الأمر.

إذا ما لاحظنا أن أصدقاءنا يتنمّرون.

نقول لا للمتنمّرين!

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الأول

- «لا تبدو تلك حفلة مدرسية قالت السيدة بآتي بوندر للقطة ماري أنطوانيت «بل أعمال شغب».

لم يظهر على القطة أي رد فعلٍ. كانت تنام على الأريكة، وكأنها تعتبر الاحتفالات المدرسية أمرًا تافهًا.

- «لا يهمّني، إيه؟ دعيهم يأكلون الكعك! هل هذا ما تفكرين به؟ هم يأكلون الكثير من الكعك، أليس كذلك؟ كل علب الكعك تلك؟ بحقّ الله. رغم أنني لا أعتقد بأن أيًا من تلك الأمهات تأكلها أبدًا. لأنهن جميعًا نحيلات وضامرات، ألسن كذلك؟ مثلكِ تمامًا».

نخرت ماري أنطوانيت عند سماع المديح. إن عبارة «دعيهم يأكلون الكعك

هي عبارةٌ قديمةً قد عفا عليها الزمن، فقد سمعت مؤخرًا أحد أحفاد السيدة بوندر يقول إنه كان من المفترض أن يكون القول «دعيهم يأكلون خبز البريوش» وأن ماري أنطوانيت (ملكة فرنسا) لم تقل ذلك من الأساس.

التقطت السيدة بوندر جهاز التحكم الخاص بالتلفاز وخفضت مستوى الصوت حيث كان يُبث برنامج **الرقص مع النجوم**. كانت قد رفعته في وقتٍ سابق بسبب صوت المطر الغزير الذي هدأ الآن.

استطاعت سماع أصوات أناسٍ يصرخون. مزقت تلك الصرخات الغاضبة هدوء الليلة الباردة. كان سماعها مؤذيًا بطريقةٍ ما للسيدة بوندر، وكأنّ كل ذلك الصراخ كان موجهًا لها. (لقد نشأت السيدة بوندر عند أمٍّ دائمة الغضب).

- «يا إلهي. هل تعتقدين أنهم يتجادلون حول عاصمة غواتيمالا؟ هل تعرفين ما هي عاصمة غواتيمالا؟ لا؟ أنا لا أعرف أيضًا. علينا البحث عنها في غوغل. لا تسخرين مني».

تنشّقت ماري أنطوانيت من أنفها!

قالت السيدة بوندر بخفةٍ: «دعينا نذهب ونرى ما يجري هناك». كانت تشعر بالتوتر لِذلك كانت تتصرف بخفةٍ أمام القطة، بنفس الطريقة التي كانت تتصرف وفقها مع أطفالها عندما كان زوجها غائبًا وكانت تسمع أصواتًا غريبةً في الليل.

رفعت السيدة بوندر نفسها بمساعدة كرسي المشي الخاص بها. انسلّت ماري انطوانيت بجسدها الزلق بأريحيّة بين ساقي السيدة بوندر (لم تسقط بسبب هذا التحرك السريع) بينما كانت صاحبتها تدفع بالكرسي في الرواق إلى الجزء الخلفي من المنزل.

تُطِّل غرفة الخياطة الخاصة بها مباشرةً على باحة مدرسة بيريوي العامة.

عندما كانت السيدة بوندر تبحث لأول مرة موضوع شراء هذا المنزل، قالت لها ابنتها: «ماما، هل أنت مجنونة؟ لا يمكنك العيش بالقرب من هذه المدرسة الابتدائية».

لكنها أحبّت سماع أصوات الأطفال وثرثرتهم المجنونة في أوقات الاستراحة خلال النهار، وكونها لم تعد تقود سيارتها، لِذلك أصبحت لا تهتم كثيرًا باكتظاظ الشارع بتلك السيارات الفارهة الضخمة التي تشبه الشاحنات والتي تقودها هذه الأيام نساءٌ يضعن نظاراتٍ شمسيةٍ كبيرة وهنّ ينحنين على مقاود سياراتهن لطلب معلوماتٍ عاجلةٍ عن معهد هارييت لتعليم الباليه أو عيادة تشارلي لعلاج صعوبات النطق والكلام.

تأخذ أمهات الأطفال الآن مهمّة الأمومة (على محمل الجد) في غاية الجد. ترى وجوههنّ الصغيرة المحمومة، ومؤخراتهن المحشورة بملابس الرياضة الضيقة وهنّ يتدافعن إلى داخل المدرسة بنشاطٍ، وشعرهنّ المُسرّح كذيل حصانٍ يتأرجح يمنةً ويسرة، وتجد عيونهنّ مثبتةٌ على هواتفهنّ المحمولة في راحات أيديهن كالبوصلة. أثار هذا المشهد ضحك السيدة بوندر. لكن بنوعٍ من المودّة لا السخرية. كانت بناتها الثلاث، رغم أنّهن أكبر سنًا، يشبهن هؤلاء الأمهات تمامًا. لقد كنّ جميعًا جميلاتٍ جدًا.

اعتادت أن تنادي دائمًا: «كيف حالكنّ هذا الصباح؟» سواء أكانت على الشرفة الأمامية تحتسي الشاي، أو تسقي حديقة منزلها الأمامية أثناء مرور الأمهات.

كنّ يعاودن الرد عليها وهن يهرولن ويجرّن أذرع أطفالهن: «منشغلاتٍ كثيرًا سيدة بوندر، لدرجة جنونية!». كان يظهر عليهنّ الغبطة والودّ ومجرّد لمسة من التعالي لا يستطعن مقاومتها. لقد كانت هي كبيرة جدا في السن، وكنّ هنّ دائمات الانشغال!

في حين كان الآباء، وهناك الكثير منهم ممن يأخذون على عاتقهم أمور المدرسة هذه الأيام، مختلفين. نادرًا ما كانوا يحثّون الخطى، بل يمشون بلامبالاةٍ نوعًا ما. لا داعي للعجلة. كل شيء تحت السيطرة. تلك كانت الرسالة. وكانت تضحك السيدة بوندر لهم أيضا بإعجابٍ.

لكن يبدو أن أولياء الأمور في مدرسة بيريوي العامة يسيئون التصرف حاليًا. وصلت إلى النافذة وسحبت جانبًا ستارة الدانتيل. كانت المدرسة قد دفعت مؤخرًا ثمن شبك حماية للنافذة بعد أن حطمت كرة كريكت زجاجها وكادت توقع ماري انطوانيت أرضًا. (وقدّم مجموعة من تلاميذ السنة الثالثة بطاقة اعتذار مكتوبةً بخط اليد احتفظت بها على برادها).

كان هناك مبنى من الحجر الرملي من طابقين على الجانب الآخر من الملعب مع قاعةٍ للأنشطة والمناسبات في الطابق الثاني، وشرفةً كبيرةً تطل على المحيط. كانت السيدة بوندر تذهب هناك لعدة أغراض: حديث مؤرِّخٍ محلي

(مثلاً)، أو من أجل مأدبة غداءٍ يقيمها مجموعة أصدقاء المكتبة. كانت قاعةً جميلةَ جدًا. وكان يقيم بعض الطلاب القدامى في المدرسة حفلات زفافهم فيها. كذلك هو المكان الذي يقيمون فيه المسابقات والاحتفالات المدرسية. كانوا يجمعون التبرعات لأجل السبورات الذكية أيًا كانت. وبالنسبة لدعوة السيدة بوندر فهذا أمرٌ مفروغٌ منه. لقد منحها قربها من المدرسة نوعا مميزا من المكانةً فخريةً، رغم أنه لم يكن لديها ابنًا أو حفيدًا فيها. لقد رفضت الدعوة. كانت تعتقد أن المناسبات المدرسية لا معنىً لها دون حضور الأطفال.

كان للتلاميذ اجتماعهم المدرسي الأسبوعي في نفس الغرفة. في صباح كل يوم جمعةٍ كانت تجلس السيدة بوندر في غرفة الخياطة مع فنجانٍ من الشاي الإنكليزي وقطعة بسكويتٍ بالزنجبيل. كان صوت غناء الأطفال القادم من الطابق الثاني يجعلها تبكي دائمًا. لم تكن تؤمن بالله إلا عندما تسمع الأطفال يغنّون.

ما من غناءٍ الآن.

استطاعت السيدة بوندر أن تسمع الكثير من الألفاظ البذيئة. لم تكن تتصنع الحشمة تجاه تلك الألفاظ النابية، لأن ابنتها الكبرى كانت تطلق السباب والشتائم مثل شرطي، لكن كان من المزعج والمقلق سماع شخصٍ ما يصرخ بشكلٍ مهووس بتلك الكلمة المؤلفة من أربعة أحرفٍ في مكانٍ يعجّ عادةً بالضحك والصراخ الطفولي.

قالت مستهجنة: «هل أنتم جميعًا سكارى؟».

وقفت على نافذتها المبللة بقطرات المطر والتي تقع بنفس مستوى النظر مع أبواب الدخول للمبنى وفجأةً بدأ الناس بالتفرق. أنارت أضواء الأمن المنطقة المرصوفة حول مدخل المدرسة كالمسرح الذي يُعَدُّ لمسرحيّة. وأضافت سُحُبٌ من الضباب تأثيرها إلى المشهد.

لقد كان مشهدًا غريبًا.

كان لدى أولياء الأمور مدرسة بيريوي ولعٌ غريبٌ بالحفلات التنكّرية. لم يكن يكفيهم قضاء ليلة مسابقاتٍ عاديةٍ نوعًا ما. لقد عرفت من فحوى

الدعوة بأن واحدًا من ذوي العقول النيّرة والمتقدي الذكاء قرر أن يجعل منها كليلة «أودري وإلفيس»، وهذا يعني أنه سيتوجّب على جميع النساء أن يرتدين لباسًا مماثلاً لأودري هيبورن وعلى الرجال أن يرتدوا لباسًا مماثلاً لإلفيس بريسلي. (كان ذلك سببًا آخر لرفض السيدة بوندر الدعوة. لطالما كانت تمقت الثياب الفاخرة). يبدو أن الأداء الأشهر لأودري هيبورن كان في ظهورها في فيلم Breakfast at Tiffany بإطلالةٍ رائعة. كانت كل النسوة يرتدين فساتين سوداء طويلة وقفازاتٍ بيضاء وخواتم من اللؤلؤ. بينما اختار الرجال في الغالب تكريم إلفيس في سنواته الأخيرة. كانوا جميعًا يرتدون بِذّاتٍ بيضاء لامعة مرصعةٌ بالأحجار الكريمة ومطرزة بخطوطٍ حول الرقبة. بدت النسوة رائعاتٍ. لكن الرجال المساكين بدو مضحكين كثيرًا.

بينما كانت السيدة بوندر تتفرج على ما يجري، سدد أحد الرجالِ الذين يرتدون مثل إلفيس لكمةً لرجلٍ آخر على فكه. فترنّح الرجل إلى الوراء، واصطدم بإحدى النسوة اللواتي يرتدين ملابس أودري. فأمسك به رجلان بنفس الزي من الخلف وسحباه بعيدًا.

دفنت إحدى النسوة وجهها بيديها وتنحّت جانبًا، كما لو أنها لم تتحمل المشهد. صرخ أحدهم: «أوقفوا هذا!».

بالفعل. بماذا سيفكّر أطفالكم (الرائعون) الجميلون؟

تساءلت السيدة بوندر بصوتٍ عالٍ: «هل أتصل بالشرطة؟»، ثم سمعت صوت صفّارات الإنذار من بعيد، وفي الوقت نفسه بدأت امرأة على الشرفة بالصراخ والصياح.

غابرييل: لا يبدو أن الأمر كان بسبب الأمهات فحسب، كما تعلمين. لم يكن ليحدث ذلك دون تدخل الآباء. أعتقد أنها بدأت بالأمهات. لقد كنّا اللاعبين الأساسين، إذا جاز التعبير. الأمهات. لا أطيق لفظة (mum).

إنها كلمةٌ مزعجةٌ. تبدو كلمة (mom) أفضل، مع الـ (o) فهي أكثر نعومة. بالمناسبة، أعاني من مشاكل في تمييز شكل الجسم. ومن يخلو من المشكلات، أليس كذلك؟

بوني: كان الأمر برمّته مجرد سوء فهم فظيع. تتأذى مشاعر الناس ثم يخرج كل شيءٍ عن السيطرة. هكذا يحدث ذلك. يمكن إرجاع جميع النزاعات إلى جرح مشاعر شخص ما، ألا تعتقدين ذلك؟ الطلاق. الحروب العالمية. الإجراءات القانونية. حسنًا، ربما ليس كل إجراءٍ قانوني. هل تشربين كأسًا من شاي الأعشاب؟

ستو: سأخبركِ بالضبط لماذا حدث ذلك. لأن النساء لا تدع الأشياء تَمِرُّ مرور الكرام. لا أقول إن الرجال لا يتحملون جزءًا من اللوم. لكن لو لم تنفعل الفتيات لأسبابٍ تافهة، وقد يبدو ذلك تحيزا جنسيامع أنه ليس كذلك، إنها مجرد حقيقةٍ في الحياة، اسألي أي رجلٍ، ليس الجيّل الجديد، أو المتطفّلين على الفن، أو نوعًا ممّن يستخدمون المرطّبات على أجسامهم، أعني رجلاً حقيقيًا، اسألي رجلاً حقيقيًا، سيخبرك حينها أن النساء تبدو كبطلاتٍ أولمبيّات في الأحقاد. ينبغي أن تري زوجتي في المعركة أو أثناء الحدث. وهي ليست أسوأهنّ بالطبع.

الآنسة بارنز: آباء مفرطين في الاهتمام وحماية أطفالهم. قبل أن أبدأ العمل في مدرسة بيريوي العامة، اعتقدت أنه كان في الأمر مبالغةً، هذا الشيء المتعلق بانخراط الآباء بشكلٍ مفرط مع أطفالهم. أعني، أحبّني أمي وأبي، وكانا مهتمّان بي، عندما كنت أكبر في التسعينيات، لكنهما لم يكونا مهووسين بي.

السيدة ليبمان: إنها مأساة، أمرٌ مؤسفٌ للغاية، وكلنا نحاول المضي قدمًا نحو الأمام وتجاوز ما حدث. ليس لديّ تعليقٌ آخر.

كارول: أنا ألقي باللوم على نادي الكتاب المثير لكن هذا بالنسبة لي فقط.

جوناثان: لم يكن هناك أي شيءٍ مثير للشهوة الجنسية في نادي الكتاب المثير، أقول لكم ذلك بمنتهى الحرية.

جاكي: أتعلمون ماذا؟ أنا أعتبرها مشكلة نسوية لا أكثر ولا أقل.

هاربر: من قال إنها مشكلة نسويةٌ؟ ما هذه الرعونة؟ سأخبرك كيف بدأت.-يعود الأمر كله إلى الحادث في اليوم التوجيهي لرياض الأطفال.

غرايم: حسب ما فهمت أن كل ذلك يعود إلى الشجار بين الأمهات الملازمات للمنزل والأمهات العاملات. ماذا يطلقون عليها؟ حروب الأمهات. لم تكن زوجتي مشاركة بذلك. ليس لديها متّسعٌ من الوقت لمثل هذه الترّهات.

ثيا: أنتم الصحفيون تحبون فقط زاوية المربية الفرنسية. سمعت أحدهم يتحدث اليوم في المذياع عن «الخادمة الفرنسية»، وهي بالتأكيد ليست جولييت. كان لدى ريناتا مدبرة منزل أيضًا. بعضهنّ محظوظات. لدي أربعة أطفال، وليس لدي «أي موظّف» للمساعدة! بالطبع، ليس لدي مشكلة مع الأمهات العاملات بالذات، أنا فقط أتساءل لماذا يزعجن أنفسهن بإنجاب الأولاد في المقام الأول.

ميليسا: هل تعلمون ما هو برأيي السبب الذي جعل الجميع يشعرون بالقلق والانزعاج؟ قمل الرأس. يا إلهي، أرجوك لا تدعني أبدأ بالحديث عن قمل الرأس.

سامنثا: قمل الرأس. ما علاقة ذلك بما جرى؟ من قال لكَ ذلك؟ أراهن أنها ميليسا، أليس كذلك؟ عانت المسكينة من متلازمة إجهاد ما بعد الصدمة بعد أن أصيب أطفالها بالعدوى من جديد. آسفة. ليس الأمر مضحكًا. ليس مضحكًا على الإطلاق.

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: دعوني أكن واضحًا. هذا ليس سيرك. إنه تحقيق في جريمة قتل.

الفصل الثاني

ستة أشهر قبل احتفالية المدرسة

أربعون. بلغت مادلين مارثا ماكنزي اليوم أربعين عامًا.

قالت وهي تقود السيارة بصوتٍ عالٍ: «أنا الآن في الأربعين من عمري». خرجت الكلمة من فمها بحركةٍ بطيئةٍ كالمؤثرات الصوتية. «أربعووووون».

نظرت إلى ابنتها في مرآة الرؤية الخلفية. ابتسمت كلوي وقلّدت أمها قائلةً: «أنا في الخامسة من عمري. خمممممسة».

- «أربعون!»، دندنت مادلين مثل مغنية أوبرا، «ترا لا لا لا».

دندنت كلوي: «خمسة».

جرّبت مادلين غناءها على إيقاع الراب وهي تضرب الإيقاع على مقود السيارة: «أنا أربعون، نعم أربعون ...».

قالت كلوي بحزم: «هذا يكفي الآن يا أمي».

ردت مادلين: «آسفة».

كانت تقوم بإيصال كلوي إلى روضتها للاحتفال بيوم الطلبة الجدد الذي يحمل شعار «دعونا نستعد جيدًا لروضتنا». لا يعني ذلك أن كلوي تحتاج أي توجيه قبل بدأ الدراسة في كانون الثاني القادم. لقد كانت موجهةً بشكلٍ جيد

في مدرسة بيريوي العامة. لكن في توصيلة هذا الصباح كانت كلوي مشغولة بتولي مسؤولية أخاها فريد، الذي كان يكبرها بعامين، لكنه كان يبدو أصغر سنًّا. «فريد، لقد نسيت أن تضع حقيبة كتبك في السلة! هذه هي. هناك. ولدٌ جيد».

قام فريد بوضع حقيبة كتبه في السلة المناسبة عن طيب خاطر قبل أن يلوذ هاربًا يقيّد عنق جاكسون بذراعه. تظاهرت مادلين بعدم رؤية تلك الحركة. ربما استحق جاكسون ذلك. لم ترَ ريناتا، والدة جاكسون، تلك الحركة أيضًا لأنها كانت في خضمّ حديثٍ عميق مع هاربر، كانت كلاهما عابستين بسبب ضغط تعليم أطفالهما الموهوبين. حضرت كل من هاربر وريانتا نفس مجموعة الدعم الأسبوعية لأولياء أمور الأطفال الموهوبين. تخيّلتهم مادلين جميعًا وهم يجلسون في دائرةٍ يفركون أيديهم ببعضها بينما تشعّ أعينهم بفخرٍ خفي.

بينما كانت كلوي منهمكةً في الإشراف على الأطفال الآخرين الذين يحضرون يوم الطلبة الجدد (كانت سمتها المميّزة هي حب السلطة والسيطرة، ربما ستدير شركةً يومًا ما)، كانت مادلين ستتناول القهوة والكعك مع صديقتها سيليست.

كان ولدا سيليست التوأم سيبدآن المدرسة العام المقبل أيضًا، لِذلك قد يعيثان فسادًا في يوم الطلبة الجدد. (كانت سمتهما المميّزة هي الصراخ. وكانت مادلين تُصاب بالصداع بعد خمس دقائق من رفقتهما). اعتادت سيليست أن تشتري هدايا عيد ميلادٍ رائعةٍ وباهظة الثمن، فذلك سيكون لطيفا. بعد ذلك، كان على مادلين أن توصل كلوي إلى منزل حماتها، ثم تذهب لتناول الغداء مع بعض الأصدقاء قبل أن يندفعوا جميعًا لاجتماع المدرسة.

كانت الشمس ساطعةً ذلك اليوم. وكانت تنتعل حذاءها الجديد ذو الكعب العالي الرائع من ماركة دولتشي أند غابانا (الذي اشترته عبر الإنترنت، بخصم 30 %). سيكون يومًا رائعًا بامتياز.

قال زوجها إد هذا الصباح عندما أحضر لها قهوتها إلى السرير: «دعوا احتفال مادلين يبدأ!» كانت مادلين معروفةً بولعها بأعياد الميلاد والاحتفالات بجميع أنواعها. وأي حجّةٍ لاحتساء الشمبانيا ما زلتُ. في الأربعين.

بينما كانت تقود السيارة في الطريق المعتاد إلى المدرسة، أخذت تفكّر في عمرها الجديد المهيب. أربعون. لا تزال تشعر بسنّ «الأربعين» كما كانت تشعر عندما كانت في الخامسة عشرة. يا له من عمر بلا لون.

تتقطع بك السبل في منتصف حياتك. لا شيء يهم كثيرًا عندما تصبح في الأربعين. لن تمتلك مشاعر حقيقية عندما تكون في الأربعين، لأن سن الأربعين سيخفف من فورة شبابك ويحيطك بذلك الأمان المقيت.

«وُجدت امرأةٌ في الأربعين من عمرها ميتةً». يا للهول!

«وُجدت امرأةٌ في العشرين من عمرها ميتةً». إنها مأساة! أمرٌ محزن!

اعثروا على القاتل!

أجبرت مادلين مؤخرًا على إجراء تغييرٍ طفيف في طريقة تفكيرها عندما سمعت شيئًا في الأخبار عن وفاة امرأةٍ في الأربعينيات من عمرها. لكن، تمهل، يمكن أن تكون تلك المرأة أنا! هذا سيكون محزنًا! سيكون الناس حزينين إذا متُّ! حتى أن الأمر سيكون مُدمِّرًا للبعض الآخر. فإليك بهذا أيها العالم المهووس بالعمر. قد أكون في الأربعين لكنني محبوبة جدا من قبل الناس.

من ناحيةٍ أُخرى، ربما كان من الطبيعي تمامًا أن تحزن على وفاة شابٍ في العشرين من عمره أكثر من حزنكَ على وفاة آخر في الأربعين. لقد استمتع الذي بلغ الأربعين بعشرين عامٍ أكثر. لهذا السبب، إذا كان هناك مسلَّحٌ يحمل بندقيته بقصد القتل، ستشعر مادلين بأنها ملزمةٌ برمي نفسها كونها قد بلغت أواسط عمرها أمام الشاب ذو العشرين عامًا لتحول دون قتله. نعم، ستتلقى الرصاصة من أجل أن يستمرّ الشباب. هذا هو العدل بذاته.

حسنًا، ستفعل ذلك في حال كانت متأكدةٌ أنه شابٌ أو شابةٌ لطيفة. وليس واحدًا من أولئك الشبّان أو الشابات الذين لا يطاقون، مثل تلك

الصبيّة الصغيرة التي تقود سيارتها الميتسوبيشي الزرقاء أمام مادلين. حتى أنها لم تكن مهتمّةٌ بإخفاء استخدامها لهاتفها المحمول وهي تقود السيارة، ربما أنها كانت ترسل رسائل نصيّة أو تقوم بتحديث حالتها على الفيس بوك.

يا ترى! ربما لن تلاحظ هذه الفتاة حتى ذلك المسلّح الطليق! ربما ستواصل التحديق في هاتفها، بينما ستعرّض مادلين حياتها للخطر من أجلها! هذا مثيرٌ للغضب والاشمئزاز.

رأت أن السيارة الصغيرة التي تظهر بزاويةٍ ضيقةٍ في مرآة سيارتها الخلفية وتحمل اللوحة (P–plate) – ملصق بلاستيكي مربع يتكون من حرف P أحمر كبير على خلفية بيضاء يوضع على المركبة للإشارة إلى أن السائق لديه رخصة قيادة مؤقتة – مليئة بالشبان الصغار. على الأقل ثلاثة في المقعد الخلفي: كانت رؤوسهم تتمايل وأيديهم تلوّح. أكانت تلك قدم أحدهم هناك يلوح بها؟ مؤكّد أن هناك مأساةٌ على وشك الوقوع. كانوا جميعًا بحاجة إلى التركيز. الأسبوع الماضي فقط، كانت مادلين تحتسي فنجان قهوةٍ سريع بعد درس اللياقة البدنية «الخارق»، وتقرأ مقالةً في جريدةٍ يتحدث عن استمرار جميع الشباب بإرسال رسائل نصية خلال قيادتهم للسيارة ويتسببون بقتل أنفسهم. أنا في طريقي. كدت أصل! كانت تلك آخر كلماتهم الحمقاء (غالبًا ما تكون خاطئة إملائيًا). حينها أجهشت مادلين بالبكاء لدى رؤيتها صورة والدة مراهقة حزينة، وهي تحمل هاتف ابنتها المحمول وتوجهه إلى الكاميرا كما لو أنها تحذر القرّاء.

قالت بصوتٍ عالٍ: «صغارٌ حمقى معتوهين»، بينما دخلت السّيّارة بشكلٍ خطيرٍ في الحارة التّالية من الطّريق.

استغربت كلوي من المقعد الخلفي: «من هو الأحمق؟».

– «إنها الفتاة التي تقود السيارة أمامي هي الحمقاء لأنها تقود السيارة وتتحدث على هاتفها في نفس الوقت».

كلوي: «مثلما حدث معكِ عندما اضطُررتِ للاتصال بأبي عندما كنا متأخرين».

اعترضت مادلين على كلامها قائلةً: «فعلت ذلك مرةً واحدةً فقط! وكنت حذرةً جدًا حينها والمكالمة مختصرة جدًا! وأنا في الأربعين من عمري!».

قالت كلوي عن دراية: «اليوم، بلغتِ اليوم فقط الأربعين من عمرك».

- «نعم! وأنا أجريت مكالمةً سريعةً فقط، لم أرسل رسالةً نصيةً! لأنكِ تُضطرين إلى رفع عينيكِ عن الطريق عندما تريدين كتابة رسالةً نصيةً. إرسال الرسائل النصيّة أثناء القيادة أمرٌ مخالفٌ للقانون وهو سلوكٌ سيء وعليكِ أن تعدينني بأنكِ لن تفعلي ذلك أبدًا عندما تصبحين مراهقة». ارتجف صوتها من فكرة أن تكون كلوي مراهقةً وتقود السيارة.

عقّبت كلوي: «لكن يُسمح لك بإجراء مكالمةٍ هاتفيةٍ سريعةٍ».

- «لا! ذلك غير مسموحٍ أيضًا».

قالت كلوي عن قناعة: «هذا يعني أنكِ خالفتِ القانون، مثل اللص». كانت كلوي مغرمةً هذه الأيام بفكرة اللصوص. من المؤكّد أنها ستواعد أولادًا سيئين يومًا ما. أولادٌ سيّئون على الدراجات النارية.

قالت مادلين بعد لحظةٍ: «التزمي بصحبة الصبية اللطفاء يا كلوي! مثل أبيكِ. فالأولاد السيئون لا يجلبون لك القهوة إلى السرير، سأخبرك بذلك من دون مقابل».

تنهدت كلوي: «ما الذي تتحدثين عنه يا امرأة؟». لقد التقطت هذه العبارة من والدها، وقامت بتقليد لهجته المضجرة تمامًا. لقد ارتكبا خطًا عندما ضحكا أول مرةٍ فعلت فيها ذلك، لأنها استمرت بتكرارها في كثيرٍ من الأحيان، وفي التوقيت الصحيح، بحيث لا يمكنهما تجنّب الضحك.

تمكنت مادلين هذه المرة من إمساك نفسها عن الضحك. سارت كلوي في الآونة الأخيرة بحذرٍ على خطٍ رفيعٍ بين ما هو رائع وما هو بغيض. ربما سارت مادلين على نفس الخط سابقًا.

توقفت مادلين خلف سيارة الميتسوبيشي الزرقاء الصغيرة على الإشارة الحمراء. كانت السائقة الشابة ما تزال تنظر إلى هاتفها المحمول. ضغطت مادلين على زمور سيارتها بقوةٍ. رأت السائقة الشابة تنظر في مرآة الرؤية الخلفية، بينما رفع جميع الركاب رقابهم ليروا ما يحدث.

صرختْ مادلين: «ضَعِي هاتفكِ من يدك!». ثم قامت بمحاكاة إرسال رسائل نصيّة بالكتابة بإصبعها على راحة يدها: «هذا ممنوع! إنه خطير!».

رفعت الفتاة إصبعها الوسطى في الهواء في إشارةٍ تقليدية تطلب منها أن تكفّ عن التدخل بها والاهتمام بشؤونها.

- «حسنًا!». سحبت مادلين فرامل اليد وأشعلت أضواء الخطر.

كلوي: «ماذا تفعلين؟».

فكت مادلين حزام الأمان وفتحت باب السيارة بقوة.

صرخت كلوي مذعورةً: «لكن علينا الذهاب إلى يوم الطلبة الجدد! سنتأخر! يا للمصيبة!».

«يا للمصيبة» كان سطرًا مقتبسًا من كتابٍ للأطفال اعتادوا أن يقرؤوا منه لفريد عندما كان صغيرًا. يستخدم جميع أفراد العائلة هذا التعبير الآن. حتى أن والدي مادلين قد التقطاها وكذلك بعض الأصدقاء. لقد كانت عبارةً مُعديةً للغاية.

مادلين: «لا بأس، سيستغرق الأمر ثانيةً فقط. أنني أنقذ حياة من معها من فتية». مشت مسرعةً باتجاه سيارة الفتاة بحذائها الجديد ذو الكعب العالي وخبطت على نافذة السيارة بقوة.

فُتح زجاج النافذة وتحولت السائقة من صورةٍ مظللةٍ قاتمة إلى شابةٍ حقيقيةٍ ذات بشرةٍ بيضاء، وحلقة أنف لامعة، وتتوزع الماسكارا بشكلٍ سيء على رموشها.

نظرت إلى مادلين نظرةً مشبعةً بالعدوانية والخوف. «ما هي مشكلتك؟». كانت لاتزال تحمل هاتفها في يدها اليسرى بلامبالاة.

- «ضعِي الهاتف من يدك! قد تقتلين نفسك وأصدقاءك!»، استخدمت مادلين نفس النغمة التي اعتادت أن تستخدمها مع كلوي عندما تكون شقيّةً جدًا. أدخلت يدها في السيارة، وأمسكت بالهاتف وقذفت به إلى الفتاة الفاغرة فاهها في المقعد المجاور، «حسنًا، توقفي عن ذلك فقط!».

استطاعت سماع ضحكاتهم أثناء عودتها إلى السيارة. لكنها لم تهتم. شعرت بالإثارة نوعًا ما. توقفت سيارةٌ خلفها. رفعت مادلين يدها معتذرةً وأسرعت بالعودة إلى سيارتها قبل أن تتغير الإشارة المرورية.

فجأةً التوى كاحلها. منذ لحظة كان على ما يرام وفجأةً انقلب في زاويةٍ خاطئة. تهاوت على الأرض على أحد جانبيها. أوه، يا لها من مصيبة.

كانت تلك حسب اعتقادي اللحظة التي بدأت فيها القصة. بالتواء الكاحل الغليظ.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث

توقفت جين على إشارة المرور الحمراء خلف سيارة دفع رباعي لامعة وضخمة وقامت بتشغيل أضواء التحذير، فشاهدت امرأة ذات شعرٍ داكن تسرع على جانب الطريق عائدةً إلى سيارتها.

كانت ترتدي فستانًا صيفيًا أزرق وكعبًا عاليًا ولوحت معتذرةً بشكلٍ أخّاذٍ لجين. انعكست أشعة شمس الصباح على أحد أقراطها الذي لمع وكأن شيئًا سماويًا قد مسّها.

فتاةٌ متألقة. إنها تكبر جين سنًا لكنها بالتأكيد ما تزال في كامل أَلَقِها وإشراقتها. كانت جين طوال حياتها تراقب هذا النّوع من الفتيات باهتمام علميّ. كانت تنظر إليهن أحيانًا بقليلٍ من الرهبة، وأحيانًا أُخرى بقليلٍ من الحسد. لم يكنّ بالضرورة أجمل، لكنهن يزيّن أنفسهن بشكلٍ رائع، مثل أشجار عيد الميلاد، بأقراطٍ متدليةٍ، وأساور تخشخش، وأوشحةٍ رقيقةٍ ناعمة التطريز. يلمسن ذراعك كثيرًا عندما يتحدثن. كانت صديقة جين الأفضل في المدرسة فتاةٌ ذات أَلَقٍ خاص. وكان لدى جين نقطة ضعف تجاههنّ.

ثم وقعت المرأة، وكأن بِساطًا سُحب من تحتها. صرخت جين لاشعوريًا: «آخ». وأشاحت بوجهها بعيدًا بسرعةٍ، كي لا تُحرج المرأة.

سأل زيغي من المقعد الخلفي: «هل آذيت نفسك، يا أمي؟». كان دائم الخوف عليها من أن تؤذي نفسها.

ردّت جين: «لا، تلك السيدة هناك قد آذت نفسها. لقد تعثرت ووقعت».

انتظرت أن تنهض المرأة وأن تعود إلى سيارتها، لكنها كانت لا تزال على الأرض. ثم رفعت رأسها نحو السماء، وعلى وجهها علائم ألمٍ فظيع. تحولت إشارة المرور إلى اللون الأخضر واندفعت السيارة الصغيرة ذات لوحة (P–plated) التي كانت تقف أمام سيارة الدفع الرباعي بسرعةٍ وهي تصدر صريرًا من عجلاتها.

شغّلت جين مؤشر السيارة كي تكمل مشوارها. لقد كانا في طريقهما إلى يوم الطلبة الجدد في مدرسة زيغي الجديدة، ولم يكن لديها أدنى فكرةٍ إلى أين كانت ذاهبة. كانت هي وزيغي متوترين رغم أنهما يتظاهران عكس ذلك. كل ما أرادته هو الوصول إلى هناك قبل الوقت المحدد.

سأل زيغي: «هل السيدة بخير؟».

شعرت جين بذلك الترنّح الغريب الذي ينتابها أحيانًا عندما تكون في حيرةٍ من أمرها ثم يأتي شيءٌ (وغالبًا ما يكون زيغي) ويجعلها تتذكر في الوقت المناسب الطريقة الملائمة التي ينبغي على الشخص اللطيف والعادي والخلوق أن يتصرف وفقها.

لولا زيغي لكانت قد انطلقت. ولكانت ركزت على هدفها في إيصاله إلى يوم الطلبة الجدد في روضته ولكانت تركت المرأة على قارعة الطريق، يعتصرها الألم.

- «سأتفقّدها حالاً»، ردّت جين وكأن تلك نيّتها طوال الوقت. أشعلت أضواء التحذير وفتحت باب السيارة، وهي تشعر بينما كانت تفعل ذلك بشعورٍ أنانيٍّ من المقاومة كان يحثّها على عدم القيام بذلك. أنتِ سيدةٌ متألقة لكن مثيرة للإزعاج!

سألتها: «هل أنت على ما يُرام؟».

- «أنا بخير!»، حاولت المرأة أن تنهض باستقامةٍ أكثر، وتنهدت ثم وضعت يدها على كاحلها، «آهٍ. يا للقرف. لقد التوى كاحلي هذا كل ما

في الأمر. يا لي من مغفّلة. خرجت من سيارتي لأخبر الفتاة التي أمامي أن تتوقف عن إرسال الرسائل النصية. يبدو أنني أستحق ذلك لأنني تصرفت مثل موجّه المدرسة».

جثت جين بجانبها. كانت المرأة ذات شعرٍ داكنٍ ومصففٍ جيدًا يصل حتى كتفها، مع نمشٍ خفيفٍ على أنفها. بدا ذلك النمش رائعًا جدًا من الناحية الجمالية، مثل ذكريات طفولةٍ صيفية، واكتملت جماليتها بخطوطٍ دقيقةٍ حول عينيها وأقراطٍ متدليةٍ غريبة.

اختفت مقاومة جين وعنادها لذاتها وشعورها بالاستياء كليًّا. لقد أحبت هذه المرأة. وأرادت أن تساعدها (لكن، ماذا يعني ذلك؟ لو كانت هذه المرأة عجوزٌ شمطاء بلا أسنان وأنفٌ ثؤلول هل كان سيستمر شعورها بالاستياء أم سيزول مثلما حدث الآن؟ يا للإجحاف الذي ينطوي عليه الأمر. ويا لقسوة ذلك. ستكون ألطف مع هذه المرأة لأنها أحبّت نمشها).

كان فستان المرأة مطرّزًا بأزهار متداخلة على طول خط العنق. استطاعت جين أن ترى من خلال البتلات بشرتها السمراء المدبوغة نمشًا.

قالت جين: «من الضروري أن نضع بعض الثلج عليها فورًا»، كانت تعلم بعض الأشياء عن إصابات الكاحل من أيام لعبها كرة الشبكة واستطاعت أن ترى أن كاحل المرأة بدأ يتورّم بالفعل. وأردفت: «يجب إبقاءها مرفوعةً».

عضت على شفتها، وجالت بنظرها على أمل إيجاد شخصٍ آخر. لم يكن لديها أدنى فكرةٍ عن كيفية التعامل مع ما هو لوجستي لجعل هذا يحدث بالفعل.

قالت المرأة بحزنٍ: «إنه عيد ميلادي الأربعين».

جين: «عيد ميلاد سعيد». كان من اللطيف نوعًا ما أن تذكر امرأةٌ عيد ميلادها الأربعين دون أدنى انزعاج. نظرت إلى حذاء المرأة الجذّاب. كانت أظافر قدميها مطليةً باللون الفيروزي اللامع، وتنتعل حذاءً بكعبٍ رفيعٍ مثل أعواد الأسنان وعالٍ لدرجة خطيرةٍ جدًا.

قالت جين: «لا عجب أن كاحلك قد التوى. لا أحد يمكنه المشي بحذاءٍ كهذا!».

- «أعرف، لكن ألا يبدو رائعًا؟»، أدارت المرأة قدمها بزاويةٍ كي تتمكن جين من رؤيته جيدًا وتبدي الإعجاب به، «أي، آخ، اللعنة، إنه مؤلم. آسفة. أعتذر عن أسلوبي».

أخرجت فتاةٌ صغيرةٌ ذات شعرٍ داكنٍ مجعد وترتدي تاجًا متلألئ رأسها من نافذة السيارة ونادت: «أمي! ماذا تفعلين؟ هيا انهضي! سنتأخر!».

أمٌّ متألقةٌ وابنةٌ رائعةٌ. قالت المرأة: «شكرًا لتعاطفكِ معي يا عزيزتي!»، ابتسمت بخجلٍ لجين، «نحن في طريقنا لحضور يوم الطلبة الجدد في الروضة. وهي مسرورةٌ جدًا».

سألت جين بدهشةٍ: «في مدرسة بيريوي العامة؟ وأنا ذاهبةٌ إلى هناك. سيبدأ ابني زيغي المدرسة العام القادم. سننتقل إلى هنا في كانون الأول». لا يبدو أن هناك إمكانية لوجود شيءٍ مشترك يجمع بينها وبين هذه المرأة، أو احتمال أن تتقاطع حياتهما بأي شكلٍ من الأشكال.

قالت المرأة: «زيغي! مثل زيغي ستاردست؟ يا له من اسمٍ عظيم! وأنا اسمي مادلين بالمناسبة. مادلين مارثا ماكنزي. أذكر مارثا دائمًا لغايةٍ في نفسي. لا تسأليني لماذا؟». مدّت يدها.

جين: «وأنا اسمي جين. جين تشابهان دون اسمٍ أوسط».

غابرييل: لقد انقسمت المدرسة إلى قسمين. لقد كانت مثل، لا أعرف حقيقةً، مثل حربٍ أهليةٍ. إما أن تكون مع فريق مادلين أو فريق ريناتا.

بوني: «لا، لا، هذا أمرٌ فظيع. لم يحدث ذلك من قبل. لم يكن هناك أطرافًا متصارعة. لقد كنا مجتمعًا مترابطًا للغاية. لكن كان هناك الكثير من

المشروبات الكحولية، وكان القمر بدرًا أيضًا. يجنّ جنون الجميع عندما يكون القمر بدر. إنني جادةٌ. وهي ظاهرةٌ حقيقيةٌ يمكن التحقق منها».

سامانثا: هل كان القمر بدرًا؟ كان المطر يتساقط، أعرف ذلك. كان شعري كلّه رطبًا».

السيدة ليبهان: هذا مضحكٌ جدًا وفيه افتراءٌ كبير. ليس لدي أي تعليقٍ آخر.

كارول: أعلم أنني ما زلت أعزف على وتر نادي الكتاب المثير، لكنني متأكدةٌ بأن شيئًا ما قد حدث في أحد «اجتماعاتهم» القليلة، وأضع كلمة «اجتماعاتهم» بين هلالين.

هاربر: اسمع، بكيتُ عندما اكتشفنا أن إيميلي كانت موهوبة. فكرت، ها نحن مرةً أُخرى! لقد مررتُ بكل ذلك من قبل مع صوفيا، لِذلك عرفت ما كنت فيه! كانت ريناتا في نفس القارب. طفلين موهوبين. لا أحد يفهم التوتر الذي هي فيه. كانت ريناتا قلقةً بشأن كيفية استقرار أمابيلا في المدرسة، وفيما إذا كانت ستحصل على الحافز الكافي وما إلى ذلك. لِذلك عندما قام ذلك الطفل صاحب الاسم المضحك، زيغي، بما قام به، وكان ذلك صباح يوم الطلبة الجدد! حسنًا، كان يبدو عليها الحزن بشكلٍ واضح. وهذا ما كان سبب بداية كل ذلك.

الفصل الرابع

اصطحبت جين معها كتابًا لتقرأه في السيارة بينما كان زيغي يحضر احتفال الطلبة الجدد، لكنها بدلاً من ذلك رافقت مادلين مارثا ماكنزي (بدا وكأنه اسم فتاةٍ صغيرةٍ مشاكسةٍ في كتاب للأطفال) إلى مقهىً على شاطئ البحر اسمه بلو بلوز. كان المقهى عبارةٌ عن مبنىً صغير غريبٍ ومتهالكٍ، يشبه الكهف تقريبًا، ويقع على الرصيف البحري تمامًا بجوار شاطئ بيريوي.

كانت مادلين تعرج وهي تسير حافية القدمين، كانت تتكأ بشدةٍ ومن غير وعي على ذراع جين كما لو كانتا صديقتين قديمتين. لقد شعرت بالحميمية. كان بإمكانها أن تشم عطر مادلين، ذو الرائحة الحمضية واللذيذة نوعًا ما. لم تكن جين مأخوذةً كثيرًا بمن هم في سنّها أو أكبر في السنوات الخمس الأخيرة.

حالما فتحتا باب المقهى، خرج شابٌ من وراء الطاولة، ومدّ ذراعيه. كان يرتدي ملابسًا سوداء تمامًا، وشعره أشقر مجعد، ويضع قِرطًا على إحدى فتحتي أنفه. صرخ: «مادلين! ماذا حدث لك؟».

مادلين: «أنا متأذية كثيرًا يا توم، واليوم عيد ميلادي».

توم: «أوه، يا إلهي». وغمز جين.

أجلس توم مادلين على طاولةٍ في زاوية المقهى، وأحضر لها قطعٌ من الجليد ملفوفةً بمنشفة شاي، ثم أسند قدمها على كرسي ووضع وسادةً

تحتها، أجالت جين ببصرها في جميع أرجاء المقهى. لقد كان «أخّاذًا بالفعل» كما كانت تقول أمها.

كانت الجدران الزرقاء الفاتحة تعج بالرفوف المتهالكة المليئة بالكتب المستعملة. وكانت ألواح الأرض الخشبية تعطي بريقًا ذهبيًا في ضوء الصباح، ويزخر الهواء الداخل إلى رئتي جين برائحة القهوة الممزوجة برائحة الخبز النفّاذة ورائحة البحر والكتب القديمة. وكانت واجهة المقهى بالكامل من الزجاج وتطلّ على البحر، والمقاعد مرتبةً بعنايةٍ فأينما جلست تواجه الشاطئ، وكأنّك تجلس هناك لترى عرضًا يقدّمه البحر. عندما نظرت جين حولها، شعرت بعدم الارتياح وهو الشعور الذي كان ينتابها في أي مكانٍ جديد ورائع. لم تستطع التعبير عنه سوى بالكلمات التالية: ليتني كنت هنا. كان هذا المقهى الصغير والغريب والمطل على البحر رائعًا للغاية لدرجة أنها كانت تتوق لتتواجد فيه بالفعل، لكنها بالطبع، كانت موجودة، لِذلك لم يكن ما تتمناه منطقيًا.

سألتها مادلين: «جين، ماذا باستطاعتي أن أطلب لك؟ سأطلب لك القهوة والحلويات وعلى حسابي تعبيرًا عن شكري وامتناني لك على كل شيءٍ!»، التفتت إلى صانع القهوة المضطرب وقالت: «توم! هذه جين! إنها الفارسة ذات الدرع اللامع. فارستي».

اصطحبت جين بسيارتها مادلين وابنتها إلى المدرسة بعد أن ركنت مادلين بعصبيةٍ سيارتها الضخمة في شارع فرعي. وأخذت مقعدًا احتياطيًا مخصصًا للصغار من صندوق سيارة مادلَين من أجل كلوي، ووضعته في المقعد الخلفي من سيارتها الصغيرة، بجوار زيغي.

لقد كانت خطةً للتغلب على تلك الأزمة الصغيرة.

كان ذلك بمثابة صك اتهام محزن لحياة جين الرتيبة حيث وجدت الحادثة برمّتها مثيرةً بعض الشيء.

حتى أن زيغي نفسه كان مذهولاً وخجولاً من موضوع وجود طفل آخر بجواره في المقعد الخلفي، خصوصًا إذا كان هذا الطفل جذّابًا ومفعمًا

بالنشاط والحيوية مثل كلوي. لم تتوقف الطفلة الصغيرة عن الثرثرة طوال الطريق، لقد شرحت لزيغي كل شيءٍ يريد أن يعرفه عن المدرسة، ومن هم المعلمين، وكيف عليهم غسل أيديهم قبل الدخول إلى الصف بمنشفة ورقية واحدة فقط، وأين يجلسون لتناول الغداء، وكيف أنه من غير المسموح تناول زبدة الفول السوداني، لأن بعض الأولاد قد يتحسسون منها ويموتون، وأنّ لديها علبة طعامها الخاص وعليها صورة المستكشفة دورا، وسألته ماذا كان على علبة طعامه الخاص؟

أجاب زيغي على الفور بأدبٍ لكن بمواربة «Buzz يطير»، لأن جين لم تشترِ له صندوق طعامٍ بعد، حتى أنهما لم يتناقشا بمسألة الحاجة لصندوق الطعام. هو حاليًا في دارٍ الحضانة لثلاثة أيامٍ في الأسبوع، ويتم تقديم الوجبات له. لكن توضيب صندوق طعامٍ سيكونٌ أمرًا جديدًا بالنسبة لجين.

عندما وصلوا إلى المدرسة، بقيت مادلين في السيارة بينما اصطحبت جين الأولاد. في الحقيقة إن كلوي هي من اصطحبتهما إلى داخل المدرسة، كانت تسير أمامهما، وهي تضع تاجًا يلمع تحت أشعة الشمس. للحظةٍ تبادل زيغي وجين النظرات كما لو كانا يقولان: «من هاتين المخلوقتين العجيبتين؟».

كانت جين متوترةً بعض الشيء كونه اليوم الأول لزيغي في المدرسة لكنها تعرف أن عليها إخفاء قلقها عن زيغي، لأنه كان ميالاً للقلق أيضًا. شعرت وكأنها بدأت بعملٍ جديد؛ عملها كأم لطفل في المرحلة الابتدائية. سيكون هناك قواعد وأوراقٌ عملٍ وإجراءاتٍ للتعلم. بكل الأحوال، كان الدخول إلى المدرسة برفقة كلوي مثل الدخول بتذكرة ذهبيةٍ. دنت منهم على الفور والدتا طالبين من زملاء كلوي. ونادتا: «كلوي! أين أمك؟». ثم قدمتا نفسيهما لجين، فروت جين لهما قصة التواء كاحل مادلين، ثم أرادت معلمة الروضة، الآنسة بارنز، أن تسمع القصة أيضًا، فوجدت جين نفسها محطّ الاهتمام، كان ذلك في الحقيقة أمرًا في غاية السرور.

كانت المدرسة جميلةً بحد ذاتها، وتقع في نهاية الرأس الشاطئي، كانت زرقة المحيط البعيد تتلألأ باستمرارٍ على مد نظر جين. كانت

الصفوف الدراسية تقع في مبانٍ طويلةٍ من الحجارة الرملية المنخفضة، ويكتظّ الملعب المليء بالأشجار المورقة بمواضع سرّيةٍ ساحرةٍ لتحريض الخيال: ثقوبٌ صغيرة بين الأشجار، وممراتٍ محميةٍ، ومتاهاتٍ صغيرةٍ للأطفال.

عندما غادرت، كان زيغي على وشك الدخول إلى غرفة الصف جنبًا إلى جنب مع كلوي، كان وجهه الصغير سعيدًا ومتوردًا. عادت جين إلى سيارتها في الخارج، شعرت بالسعادة والغبطة هي ذاتها، وكانت مادلين تنتظرها في المقعد المجاور تلوح وتبتسم بسرورٍ، كما لو كانت جين أعزُّ صديقاتها، شعرت جين كأنها أزاحت عن كاهلها شيئًا، وحلّت عقدةً ما.

إنها تجلس الآن بجانب مادلين في مقهى بلو بلوز بانتظار وصول قهوتها، وهي تراقب المياه وتتحسس أشعة الشمس على وجهها. ربما كان الانتقال إلى هنا بدايةً لشيءٍ ما، أو نهايةً له، لكنه أفضل بكل الأحوال.

قالت مادلين: «ستكون صديقتي سيليست هنا بعد قليل، ربما رأيتها في المدرسة وهي تجرّ ولديها. ولدان أشقران شقيان. وهي طويلةٌ وشقراء وجميلةً ومضطربة بعض الشيء».

قالت جين: «لا أعتقد ذلك. ما الذي سيجعلها مضطربة إذا كانت طويلةً وشقراء وجميلة؟».

ردّت مادلين: «بالضبط»، وكأن ذلك كان جوابًا على سؤالها، «لديها زوجٌ رائعٌ وغنيٌ بالقدر نفسه. مازالا كالعشاق. إنه لطيفٌ جدًا. يشتري لي الهدايا. بصراحة، ليس لدي أي فكرةٍ لماذا بقيت صديقةً لها»، نظرت إلى ساعتها، «أوه، ميؤوس منها. تتأخر دومًا! على أي حال، سنتناقش معًا خلال انتظارنا»، انحنت نحو الأمام وأولت كل انتباهها لجين: «هل أنتِ جديدةٌ على شبه الجزيرة؟ فأنا لم أرى وجهك من قبل إطلاقًا. بما أن أطفالنا في نفس العمر ألا تعتقدين أنه يجب أن نكون التقينا في صالة الألعاب الرياضية أو في ساعة القراءة أو في أيّ مكانٍ آخر».

جين: «سننتقل إلى هنا في كانون أول، نسكن الآن في نيوتاون، لكنني قررت أنه سيكون من المناسب أن نعيش قرب الشاطئ لفترةٍ من الوقت. كان ذلك لمجرد نزوة حسب اعتقادي».

أتت عبارة «لمجرّد نزوة» من حيث لا تدري، وقد أحرجتها وأسعدتها تلك العبارة في آنٍ معًا.

حاولت أن تختلق قصةً غريبةً، كما لو كانت بالفعل فتاةً مزاجية. أخبرت مادلين بأنها في أحد الأيام قبل عدة أشهرٍ، كانت تصطحب زيغي في مشوارٍ إلى الشاطئ، ورأت إعلان إيجار أمام مجمّعٍ سكني، وقالت لنفسها: «لمَ لا نعيش قرب الشاطئ؟».

لم تبدو كذبةً على كل حال. ليست تمامًا.

قضاء يوم على الشاطئ، ظلت تقول لنفسها مرارًا وتكرارًا، وهي تقود سيارتها في ذلك الطريق الواسع والطويل، وكأنّ شخصًا ما يستمع لأفكارها، ويشكك في دوافعها.

كان شاطئ بيريوي أحد أفضل وأجمل عشر شواطئ في العالم! لقد رأت ذلك في مكانٍ ما. كان يستحق ابنها أن يرى أحد أفضل عشر شواطئ في العالم. ابنها الجميل والرائع جدًا. ظلت تنظر إليه في مرآة الرؤية الخلفية، وقلبها يعتصر ألمًا.

لم تُفضي لمادلين عندما كانتا تسيران يدًا بيدٍ وهما عائدتان إلى السيارة، وسط الرمل واللزوجة، بكلمة «النجدة» التي كانت تصرخ في رأسها بصمتٍ، كما لو كانت تتوسل شيئًا: حلاً أو علاجًا أو تأجيلاً. تأجيلاً من أجل ماذا؟ وعلاجًا من ماذا؟ وحلاً لماذا؟ أصبح نفسها لاهثًا وقصيرًا. وشعرت بحبات العرق تتصبب على جبينها.

ثم رأت اللافتة. كان إيجار شقتها في نيوتاون مرتفعًا. وكان الجناح المؤلف من غرفتي نوم ضمن مبنىً حجري أحمرًا بشع يفتقد أدنى المقومات، لكنه كان على بعد خمسة دقائق فقط عن الشاطئ سيرًا على الأقدام. كانت قد قالت لزيغي: «ماذا لو انتقلنا إلى هنا؟». لمعت عيناه، وبدا أن الشقة هي الحل

الأمثل لكل ما يعترضها من مشاكل. يطلق الناس على ذلك «تغييرًا جذريًا». لكن لماذا لا تقوم هي وزيغي بتغيير جذري؟

لم تخبر مادلين أنها كانت تستأجر شققًا مختلفة لمدة ستة أشهرٍ في جميع أنحاء سيدني منذ أن كان زيغي طفلاً، وهي تحاول أن تجد في كلّ مرّةٍ حياةً ناجحةً. لم تخبرها أنها ربما كانت تدور طوال الوقت محاولةً الاقتراب أكثر فأكثر من شاطئ بيريوي.

لم تخبر مادلين بأنها عندما خرجت من المكتب العقاري بعد توقيع عقد الإيجار، لاحظت لأول مرة نوع الأشخاص الذين يعيشون على شبه الجزيرة – بشرتهم الذهبية وشعرهم المموج الشاطئي -فكرت حينها بساقيها البيضاوين الرخوين تحت الجينز، ثم فكرت كيف سيشعر والديها بالتوتر وهما يقودان سيارتهما على طول طريق شبه الجزيرة المتعرج هذا، وكيف تبرز مفاصل أصابع يدي والدها وهو يمسك بعجلة القيادة، رغم أنهما ما زالا يقومان بذلك، دون تذمر، وفجأةً شعرت جين بأنها ارتكبت للتو خطأً شنيعًا تستحق عليه التوبيخ. لكن بعد فوات الأوان.

ثم أنهت كل هذا برفق: «لذا ها أنا ذا».

قالت مادلين بحماس: «ستحبين هذا المكان كثيرًا»، عدلت وضع الثلج على كاحلها ثم جفلت، «أوه. هل تركبين الأمواج؟ ماذا عن زوجك؟ أو شريكك، ماذا يجدر بي أن أقول. أو صديقك؟ أو صديقتك؟ أنا منفتحةٌ على جميع الاحتمالات».

ردّت جين: «لا زوج ولا شريك. أنا لوحدي فقط. أنا أمٌ عزباء وحيدة».

مادلين: «هل أنت لوحدك؟». كما لو أن جين قد أعلنت للتو عن شيءٍ غريب وجريء.

ابتسمت جين ببلاهة: «نعم أنا كذلك؟».

مادلين: «حسنًا، كما تعلمين، يحب الناس دائمًا نسيان ذلك لكنني كنت أمًا وحيدة». رفعت ذقنها، كما لو كانت تخاطب حشدًا من الناس الذين لا يوافقونها الرأي «تركني زوجي السابق عندما كانت ابنتي الكبرى طفلةً.

اسمها أبيغيل، وهي الآن في الرابعة عشرة. كنت شابةً في مقتبل العمر مثلك أيضًا، في السادسة والعشرون فقط. رغم أنني اعتقدت بأنني كنت كبيرة جدا. كان الوضع صعبًا. أن تكوني أمًا وحيدةً أمرٌ صعبٌ».

- «حسنًا، لدي أمي و ...».

- «أوه، بالتأكيد، بالتأكيد. لا أقول إنه لم يكن لدي دعمٌ. كان لدي والداي يساعداني أيضًا. لكن يا إلهي، كان هناك بعض الليالي، عندما كانت تمرض أبيغيل، أو كنت أمرض أنا، أو يحدث ما هو أسوأ ... عندما كنا نمرض كلانا، وعلى أي حال»، توقفت مادلين وهزت كتفيها، «زوجي السابق متزوجٌ الآن من امرأةٍ أُخرى. ورُزقا بطفلةٍ صغيرة بنفس عمر كلوي، وأصبح ناثان أبًا مثاليًا. يفعلها الرجال عادةً عندما يحصلون على فرصة زواج ثانيةٍ. تعتقد أبيغيل أن والدها رائعٌ. أنا الوحيدة التي بقيت تحمل الضغينةَ. يقولون إنه من الجيد أن تدع ضغائنك تمضي، لكنني لا أعرف، فأنا أؤثر ضغائني. أرعاها مثل حيوانٍ مدللٍ أليف».

جين: «وأنا لا أميل إلى التسامح أيضًا».

ابتسمت مادلين وأشارت بملعقة الشاي نحوها. «أحسنتِ. لا تسامحي أبدًا. لا تنسي أبدًا. هذا هو شعاري»، لم تستطع جين أن تعرف إلى أي مدى كانت تمزح بشأن هذا. أكملت مادلين: «وماذا عن والد زيغي؟ هل هو في صورة الموضوع بكل الأحوال؟».

لم تتراجع جين أو تُحجم عن الأمر. كان لديها خمس سنواتٍ لتتقن ذلك. وشعرت هي نفسها بأنها أصبحت هادئةً للغاية.

- «لا لم نكن في الواقع مع بعضنا»، قالت عبارتها هذه بثقة، «حتى أنني لم أكن أعرف اسمه. لقد كانت ...»، تتوقف. يسود الصمت. تنظر بعيدًا وكأنها غير قادرةٍ على النظر مباشرةً بعيني مادلين، «نوعٌ من ... لمرةٍ واحدةٍ».

سارعت مادلين لتقول لها وبتعاطف: «تعنين لقاء ليلةٍ واحدة وعابرة؟».

ضحكت جين بصوتٍ عالٍ من دهشتها. كان رد فعل معظم الأشخاص، خصوصًا من هم في عمر مادلين، ينطوي على تعبيرٍ لطيفٍ لكنه مثيرٌ للاشمئزاز

قليلاً مثل: لقد فهمت وليس لديّ مشكلةٌ بشأن ذلك لكنني أصنّفك الآن مع فئةٍ مختلفةٍ من الأشخاص.

لم تشعر جين بالإهانة أبدًا من نفورهم. لكنها وجدته كريهًا أيضًا. أرادت فقط أن تغلق هذا الموضوع بالذات إلى الأبد، وفي معظم الأحيان هذا ما كان يحدث بالضبط. زيغي هو زيغي. ليس هناك أب. ثم تتابع الحديث في الموضوع المطروح.

سألتها والدتها في الأيام الأولى لِذلك: «لماذا لا تقولين أنّكِ انفصلتِ عن الأب؟».

ردّت جين: «الأكاذيب تتعقد يا أمي»، لم تكن الأم خبيرة بالكذب، «بهذه الطريقة ننهي الحديث للأبد».

قالت مادلين بحزنٍ: «أتذكر علاقات الليلة الواحدة. الأشياء التي فعلتها في التسعينات. يا إلهي آمل ألا تعرفها كلوي أبدًا. يا للمصيبة. هل استمتعتِ حينها؟».

استغرق ذلك من جين لحظةً لفهم السؤال. كانت تسأل فيما إذا استمتعت بعلاقة الليلة الواحدة تلك.

للحظةٍ عادت جين بذاكرتها للحُجرة الزجاجية للمصعد وهو يرتفع بصمتٍ وسط الفندق. كانت يده تمسك بعنق زجاجة شمبانيا. ويده الأُخرى في أسفل ظهرها تشدها نحوه بقوةٍ. كانا يضحكان بشدةٍ. والتجاعيد العميقة حول عينيه. كانت تشعر بوهنٍ وتراخٍ نتيجة الضحك والشهوة والروائح النفّاذة. نظّفت جين حنجرتها. وقالت: «أعتقد أنها كانت ممتعةً».

مادلين: «آسفة، أبدو سخيفةً بسؤالي هذا لكن لأنني أفكر بشبابي الضائع. أو ربما لأنك صغيرةٌ بالسن كثيرًا وأنا كبيرة، وأنا أحاول أن أكون هادئةً. كم عمرك؟ هل يزعجك هذا السؤال؟».

جين: «أربعة وعشرون».

تنهدت مادلين: «أربعة وعشرون، أنا في الأربعين اليوم. لقد أخبرتك بذلك منذ قليل، أليس كذلك؟ ربما تعتقدين أنك لن تبلغي الأربعين أبدًا، أليس كذلك؟».

جين: «حسنًا، آمل أن أصل للأربعين».

لقد لاحظت جين من قبل كيف أنّ النساء في منتصف أعمارهنّ مهووساتٍ بموضوع العمر، ويثير ضحكاتهن وشجونهنّ دومًا، ولا يتوقفن عن الحديث عنه، وكأن موضوع التقدم في السن هو لغزٌ محيّر يحاولن حلّه. لماذا يسبب لهنّ هذا الموضوع الارتباك والحيرة؟ يبدو أن صديقات والدة جين لم يكن لديهن أي موضوع للحديث غيره، أو ليس لديهن ما يتحدثن عنه مع جين: «أوه، ما زلت صغيرةً وجميلةً، يا جين»، (في حين يبدو واضحًا أنها ليست كذلك؛ وكأنهنّ يعتقدن أن أحدهما يتبع الآخر، أي إذا كنتِ صغيرةً بالسن، فأنتِ جميلةً تلقائيًا). أو تجدهن يَقُلن: «أوه، أنت ما زلت شابةً يا جين، وستكونين قادرةً على إصلاح هاتفي/ حاسوبي/ الكاميرا الخاصة بي» (في حين أن الكثير من أصدقاء والدتها أكثر ذكاءً منها من الناحية التقنية). أو: «أوه! أنت صغيرةً جدًا يا جين، ولديك الكثير من الطاقة». (بينما تكون في الواقع في قمة تعبها وإرهاقها).

قالت مادلين بقلقٍ، بعد أن عدّلت جلستها، كما لو كانت تلك مشكلةً بحاجةٍ للحل في هذه اللحظة: «اسمعي، كيف تُعيلين نفسك؟ هل تعملين؟».

أومأت جين برأسها إيجابًا: «أعمل لحسابي كمحاسبةٍ مستقلة. لدي حاليًا قاعدة عملاء جيدة، الكثير من الشركات الصغيرة. إنني سريعة، لِذلك أنجز المطلوب بسرعةٍ، وأسدد به الإيجار».

– «فتاةٌ ذكيةٌ»، قالت مادلين باستحسانٍ، «وأنا كنت أعيل نفسي أيضًا عندما كانت أبيغيل صغيرةً. كان الجزء الأكبر على عاتقي بكل الأحوال. بين الحين والآخر كان ناثان يحثُّ نفسه ليرسل شيئًا. كان الأمر صعبًا، لكنه كان مرضيًا نوعًا ما وبطريقةٍ ما. تعرفين ما أقصد».

جين: «بالتأكيد». لم تكن لحياة جين كأم عزباء أهمية تذكر لأي شخصٍ، أو على الأقل ليس بالطريقة التي قصدتها مادلين.

قالت مادلين وهي مستغرقة بالتفكير: «ستكونين بالتأكيد من أصغر الأمهات في روضة الأطفال»، أخذت رشفةً من فنجان قهوتها وابتسمت بخبث، «حتى أنك تصغرين زوجة زوجي الجميلة الجديدة. عديني أنك لن تصادقيها، هل تَعديني؟ أنا من تعرّفت عليك أولاً».

ردّت جين بارتباك: «متأكدةٌ من أنني لن أقابلها حتى».

كشرت مادلين: «لا، ستقابلينها. ابنتها ستبدأ الروضة أيضًا وهي بنفس عمر كلوي. هل تتخيّلين ذلك؟».

لم تستطع جين أن تتخيل.

- «ستشرب جميع أمهات الأطفال في الروضة القهوة معًا وستكون زوجة زوجي السابق معهن على الطاولة تحتسي شايها العشبي. لا تقلقي لن يكون هناك لكماتٌ. لسوء الحظ، كل شيءٍ مملٌ وودي. لقد أصبحنا ناضجتين. حتى إن بوني تُقبّلني مرحبةً. وهي تحب اليوغا والشاكرات (الطقوس والممارسات الهندوسية) وكل تلك الأنواع من القرف. أنت تعرفين كم من المفترض أن تشعري بالبغض والكره تجاه زوجة أبيك الشريرة؟ لكن ابنتي تعشقها. بوني «هادئةٌ» جدًا كما سترين. إنها عكسي تمامًا. تتحدث بصوتٍ من تلك الأصوات الناعمة. والمنخفضة ... والرخيمة التي تجعلك تودّين لو تسددي لكمةً للجدار». ضحكت جين من تقليد مادلين لصوتٍ منخفضٍ ورخيم.

مادلين: «ربما ستصبحين أنت وبوني صديقتين. من المستحيل أن تكرهيها. أنا بارعةٌ في كره الناس ورغم ذلك أجد صعوبة في كرهها، أنا يجب حقا أن أبذل الكثير من الجهد لفعل ذلك». غيرت مكان قطعة الثلج على كاحلها من جديد.

- «عندما تسمع بوني أن كاحلي قد التوى ستجلب لي وجبةً. فهي تستغل أي سبب كي تحضر لي وجبةً منزلية. ربما لأن ناثان أبلغها أنني طاهيةٌ سيئةٌ لِذلك تريد أن تسجل نقطةً عليّ. رغم أن أسوأ ما في بوني هو أنها لا تسعى لتسجيل شيء. إنها لطيفةٌ للغاية. يروقني أن أرمي وجباتها مباشرةً في سلة القمامة، لكنها لذيذةٌ للغاية. قد يقتلني زوجي وأطفالي».

تغيرت ملامح مادلين. ابتسمت ثم لوحت بيدها: «ياه، إنها هنا أخيرًا! سيليست! إلى هنا! تعالي وانظري ماذا فعلت!».

نظرت جين نحو الأعلى وغاص قلبها.

لا يجب أن يكون الأمر مهمًا. هي تعرف أن ذلك لا يهم. لكن الحقيقة أن بعض الأشخاص يكونوا فاتنين لدرجةٍ غير مقبولة، مما يجعلك تشعر بالخجل أمامهم. تكون عقدة نقصك بادية للعيان هنا ليراها العالم بأسره. هذا ما يجب أن تبدو عليه المرأة. هذا بالضبط. لقد كانت هي على صواب، وجين هي المخطئة.

همس صوتٌ بإصرارٍ في أذنها بأنفاسٍ حارةٍ وكريهةٍ: «أنت فتاةٌ سمينةٌ وقبيحةٌ جدًا». شعرت بقشعريرة وحاولت أن تبتسم للمرأة الجميلة الرهيبة التي كانت تسير نحوهما.

ثيا: أفترض أنك علمتَ أن بوني متزوجة من زوج مادلين السابق، ناثان؟ لِذلك فالأمر معقدٌ نوعًا ما. قد ترغب في البحث بهذا الموضوع. أنا لا أعلّمك كيف تقوم بعملك بالطبع.

بوني: هذا لا علاقة له بأي شيءٍ على الإطلاق. كانت علاقتنا وديةً تمامًا. هذا الصباح فقط قد تركت طبقًا من اللازنيا الخاصة بالنباتيين على عتبة منزلهما من أجل زوجها المسكين.

غابرييل: كنت جديدةَ على المدرسة. لم أكن أعرف أحدًا فيها. قالت لي مديرة المدرسة: نحن مدرسة تتصف بالرعاية والاهتمام. وما إلى ذلك. دعني أخبرك شيئًا، أول شيءٍ تبادر إلى ذهني عندما دخلت إلى ذلك الملعب في يوم الطلبة الجدد لأطفال الروضة أنها كانت منغلقة. منغلقة ومنقسمة ومتحيّزة. لست متفاجئة من موت أحدهم. أوه، حسنًا، أعتقد أنني أبالغ قليلاً. تفاجأت قليلاً.

الفصل الخامس

دفعت سيليست الباب الزجاجي لمقهى بلو بلوز فوقع بصرها على مادلين على الفور. كانت تشارك طاولةً مع فتاةٍ صغيرةٍ نحيفةٍ ترتدي تنورة قطنية زرقاء من الدنيم وقميصًا أبيض عادي ذو ياقةٍ على شكل رقم 7. لم تتعرف سيليست على الفتاة. شعرت بالإحباط الشديد على الفور. كانت مادلين قد أخبرتها: «نحن الاثنتين فقط».

أعادت سيليست تعديل توقعاتها عن هذا الصباح. فأخذت نفسًا عميقًا. في الآونة الأخيرة، لاحظت شيئًا غريبًا يحدث معها عندما تتحدث مع أشخاصٍ مجتمعين. لم تستطع أن تتذكر تمامًا كيف تكون. تجد نفسها تفكر: هل ضحكتُ بصوتٍ عالٍ؟ هل نسيتُ أن أضحك؟ هل كررت الكلام نفسه أكثر من مرّة؟

لسببٍ ما كانت تشعر بأنها على ما يرام عندما تكون برفقة مادلين فقط. كانت تشعر بأن شخصيتها سليمةً عندما تكونان لوحدهما. والسبب أنها كانت تعرف مادلين منذ زمنٍ طويلٍ.

ربما كانت بحاجة لشرابٍ منشط. هذا ما كانت ستقوله جدتها. ما هو الشراب المنشط؟

دارت بين الطاولات وهي تتجه نحوهما. لم تكونا قد لاحظتاها بعد. كانتا في نقاشٍ عميق. استطاعت أن ترى الفتاة جانبيًا بوضوح. كانت

صغيرةً جدًا لتكون أمًا لطفلٍ في المدرسة. مؤكد أنها مربية أو جليسة أطفال. جليسة أجنبية. ربما إنها أوروبية؟ وكأنها لا تجيد الإنكليزية كثيرًا؟ هذا ما يفسر الطريقة المتوترة التي كانت تجلس فيها، وكأنها بحاجة للتركيز. وربما ليس لها أي علاقةٍ بالمدرسة إطلاقًا. تتنقّل مادلين بسهولةٍ بين عشرات الحلقات الاجتماعية المتداخلة، مخلّفةً العديد من الصدقات الدائمة وكذلك العداوات الدائمة في حياتها؛ وربما العداوات أكثر. تنتشي مادلين عند الخلافات وتكون في أسعد حالاتها عندما تكون مهتاجة.

رأت مادلين سيليست فتألّق وجهها. أحد أجمل الأشياء التي تتمتع بها مادلين هي طريقة تغيّر ملامح وجهها عندما تراك، وكأنه ما من أحدٍ في العالم تودّ رؤيته سواك.

نادت سيليست: «مرحبًا يا فتاة عيد الميلاد!».

التفتت رفيقة مادلين وهي في كرسيها. كان شعرها بنيٌ مشدود من جبينها بقوةٍ نحو الخلف، كما لو كانت في الجيش أو في الشرطة.

قالت سيليست عندما اقتربت بما يكفي ورأت رجل مادلين مسندةٌ على الكرسي: «ما الذي جرى لك مادلين؟». ابتسمت بأدبٍ للفتاة، فلاحظت أن الفتاة قد انكمشت، وكأنّ سيليست قد سخرت منها ولم تبتسم (يا إلهي، ابتسمتْ لها، أليس كذلك؟).

بادرت مادلين بالقول: «هذه جين. لقد أنقذتني من جانب الطريق بعد أن التوى كاحلي عندما كنت أحاول إنقاذ حياة بعض الشبّان الصغار. جين، هذه سيليست».

قالت جين: «مرحبا». بدت بشرة جين جافة ومتقشرة، وكأنه جرى تنظيفها بشدّة، وكانت تضع في فمها علكةً تمضغها بشكلٍ خفيف وكأنها تقوم بذلك سرًا.

قالت مادلين بينما كانت سيليست تجلس: «جين أمٌ جديدةٌ في الروضة، مثلك. لِذلك من مسؤوليتي أن أطلعكما على كل ما تحتاجان معرفته حول

سياسات مدرسة بيريوي العامة. إنها حقل ألغامٍ، أيتها الفتاتان. حقل ألغامٍ كما أقول لكما».

- «سياسات المدرسة؟»، عبست جين واستخدمت كلتا يديها لسحب شعرها الذي سرحته كذيل حصانٍ ليصبح مشدودًا أكثر: «لن أشارك في أية سياساتٍ للمدرسة».

وافقتها سيليست: «وأنا أيضًا».

ستتذكر جين دائمًا كيف عاندت القدر بتهورٍ في ذلك اليوم. عندما قالت: «لن أشارك في سياسات المدرسة»، فسمعها أحدهم هناك ولم يعجبه موقفها. واثقةٌ للغاية. قال: «سنرى ذلك». ثم عدّل جلسته وبدأ يقهقه ويسخر مما قالته.

كانت هدية عيد الميلاد التي قدمتها سيليست عبارة عن مجموعةٍ من أكواب الشمبانيا من ماركة ووتر فورد.

صرخت مادلين بفرح: «أوه يا إلهي، أحببتها. إنها رائعة جدًا»، أخرجت بحذرٍ أحد الأكواب من الصندوق ورفعته بيدها نحو الضوء، وهي تبدي إعجابها بتصميمه المعقد، المتمثّل بصفوفٍ من الأقمار الصغيرة، «لا بد أنها كلّفتك مبلغًا لا بأس به من المال».

كادت أن تقول، الحمد لله أنك غنيةً جدًا يا عزيزتي، لكنها أوقفت نفسها في الوقت المناسب. كانت ستقول ذلك لو كانتا لوحدهما فقط، لكن من المفترض أن جين، التي هي أم شابةٌ عزباء، لم تكن ميسورة الحال، وبالطبع كان من غير اللائق الحديث عن المال بوجودها. هي تعرف ذلك حقّ المعرفة

(دافعت عن نفسها بقول ذلك بعقلها لزوجها، لأنه هو الذي يذكرها دومًا بالمعايير الاجتماعية التي كانت تصرّ على الاستهزاء بها).

لماذا كان عليهم جميعًا أن يتعاملوا بحذرٍ شديد مع أموال سيليست؟ بدا وكأن الثروة وضعٌ صحي محرجٌ. وكذلك ما يخصّ سحر وجمال سيليست.

كان الغرباء يرمقون سيليست بنفس النظرات الماكرة التي يرمقونها لشخصٍ فقد أطرافه، وإذا حدث وذكرت مادلين مظهر سيليست، كانت ترد سيليست بشيءٍ وكأنه عارٌ أو مخزٍ.

كانت تقول: «ششش، اصمتي»، وتنظر حولها بخوف في حال سمعها أحدهم. يتمنى كل واحدٍ منّا أن يكون جميلاً وغنيًا لكن على الغني والجميل أن يتظاهر وكأنه مثله مثل أي شخصٍ آخر. أوه، يا له من عالمٍ غريبٍ ومضحك.

- «إذًا، بالنسبة لسياسات المدرسة يا فتيات»، قالت ذلك وهي تعيد وضع الكوب بحذرٍ في الصندوق، «سنبدأ من القمة مع ذوات الشعر الأشقر القصير».

- «ذوات الشعر الأشقر القصير؟». حدقت سيليست بها وكأن هذا سيكون اختبارًا فيما بعد.

- «ذوات الشعر الأشقر القصير يسيطرن على المدرسة. إن أردتِ أن تكوني من مجموعة التخطيط والإشراف في المدرسة يجب أن يكون لديكِ قصة شعرٍ قصيرة وشقراء»، بيّنت مادلين تسريحة الشعر المطلوبة بيدها، «إنه مثل نظام داخلي».

ضحكت جين ضحكةً صغيرةً ذابلةً، فوجدت مادلين نفسها يائسة من جعلها تضحك مرةً أُخرى.

- «إذًا، هل هؤلاء النسوة جميلات؟»، سألت سيليست، «أم هل علينا أن نبقى بعيدين وننأى بأنفسنا؟».

مادلين: «حسنًا، هم يقصدن فعل الخير ولوجودهن معنى طيب. إنهن مثل، هممم، ماذا يشبهون يا ترى؟ أنهن أمهات يتصرفن كالآلهة. إنهن

يشعرن بقوةٍ نحو دورهن كأمهاتٍ في المدرسة. وكأنه الدين الذي يعتنقنه دينهن. أنهن أمهاتٍ متزمتات».

سألت جين: «هل أيٍ من أمهات الأطفال في الروضة هن من الشقراوات ذوات الشعر القصير؟».

مادلين: «دعينا نرى الآن، أوه، نعم، هاربر. إنها الشقراء المثالية المتطورة. وهي من مجموعة الإشراف والتخطيط، ولديها طفلةً موهوبةً جدًا وتعاني من حساسية خفيفة من البندق. لذا فهي جزءٌ من روح العصر، إنها فتاةٌ محظوظةٌ».

سيليست: «بربك مادلين، أين الحظ بوجود طفلة لديها حساسية البندق.

مادلين: «أعرف»، كانت تعرف أنها تمعن في رغبتها لإضحاك جين، «أنا فقط أمزح. دعينا نرى. من أيضًا؟ هناك كارول كويغلي. وهي مهووسةٌ بالنظافة. تجدها تجري وهي تدخل وتخرج من غرفة الصف حاملةً زجاجةً رذاذ وقطعة للتنشيف».

سيليست: «لا ليست كذلك».

- «بلى إنها كذلك!».

- «ماذا عن الآباء؟». فتحت جين علبةً من العلكة ودفعت قطعةٌ أُخرى في فمها وكأنها من الممنوعات. يبدو أنها مهووسةٌ بالعلكة، رغم أنك لا تستطيع رؤيتها فعليًا وهي تمضغها. حاولت ألا تضع عينيها في عيني مادلين عندما طرحت السؤال. هل كانت تأمل يا ترى في لقاء أبٍ عازب ربما؟

ردّت مادلين: «سمعت من مصادر سرية بأنه لدينا على الأقل أبٌ واحدٌ ملازمٌ للبيت وابنه في الروضة هذا العام، وزوجته شخصية مهمة في عالم الشركات. تدعى جاكي سمبدي. إنها المدير التنفيذي لبنكٍ، كما أعتقد».

سيليست: «ليست جاكي مونتغمري!».

- «بل هي».

- «يا إلهي!». غمغمت سيليست.

- «ربما لن نراها أبدًا. هذا صعب على الأمهات اللواتي يعملن بدوام كامل. من غيرها يعمل دوام كامل؟ أوه. إنها ريناتا. إنها في إحدى وظائف التمويل تلك ... الأسهم أو، لا أعرف، حصص الأسهم ربما؟ هل هذا عمل؟ أو ربما أنها محللة اقتصادية. أعتقد أنها كذلك. أنها تحلل الأوضاع. في كل مرةٍ أسألها عن عملها أنسى الاستماع. أطفالها بالتأكيد عباقرةٌ أيضًا».

جين: «إذًا هل ريانتا من الشقراوات ذوات الشعر القصير».

- «لا. لا. إنها امرأةٌ عاملة. لديها مربية مقيمة. أعتقد أنها استوردت واحدة جديدة من فرنسا. فهي تحب الأشياء الأوروبية. ليس لدى ريناتا الوقت للإشراف والمساعدة بما يخص المدرسة. كلما تحدثتُ إليها تكون في اجتماع مع مجلس الإدارة، أو في طريق عودتها من اجتماع مجلس الإدارة، أو أنها تحضّر لاجتماع المجلس. أعني، كم مرة يجب أن تجتمع هذه المجالس؟».

- «حسنًا، هذا يعتمد على ...». بدأت سيليست.

قاطعتها مادلين: «لقد كان سؤالاً مجازيًا. أقصد أنها لا تستطيع أن تمضي خمس دقائق دون أن تذكر اجتماع مجلس الإدارة، مثل ثيا كانينغهام، لا يمكنها أن تمضي أكثر من خمس دقائق دون أن تذكر أن لديها أربعة أطفال. وبالمناسبة هي أم في الروضة أيضًا. لا يمكنها أن تتغلب على حقيقة أنّها أمٌّ لأربعة أطفال. هل أبدو حقيرة؟».

-«نعم». قالت سيليست.

مادلين: «آسفة»، شعرتْ بالذنب قليلاً، «كنت أحاول أن أكون مسليةً. ألقي اللوم على كاحلي. لكن الحق يُقال، إنها مدرسةٌ رائعة والجميع رائعون وسنحظى جميعًا بوقتٍ رائعٍ ونتعرف على أصدقاء جدد ورائعين».

ضحكت جين، وهي تمضغ العلكة سرًا. يبدو أنها كانت تشرب القهوة وتمضغ العلكة في نفس الوقت. كان شيئًا غريبًا نوعًا ما.

سألت جين: «إذًا، هؤلاء الأطفال «الموهوبون والأذكياء» هل يخضع

هؤلاء الأطفال لاختبار أو شيء من هذا القبيل؟».

مادلين: «هناك عملية استبانة كاملة، ويحصلون على برامج و«فرصًا» خاصة. يتواجدون في نفس الصف، لكن لديهم واجباتٍ ودروسًا أصعب، على ما أعتقد، وأحيانًا يخضعون لجلساتٍ منفصلة مع مدرِّسٍ خاص. حسنًا، على ما يبدو أنّكِ لا ترغبين أن يشعر طفلك بالملل في الصف، منتظرًا أن يلحق بالباقين، أتفهّم قصدك. حدث ذلك معي نوعًا ما ... حسنًا، على سبيل المثال، في العام الماضي كان لدي خلاف بسيط، إن صحّ التعبير، مع ريناتا».

قالت سيليست لجين: «مادلين تحب الخلافات».

- «بطريقةٍ ما، وجدت ريناتا فرصةً بين اجتماعات مجلس الإدارة لتطلب من المعلّمين تنظيم رحلةً صغيرةَ خاصةً بالتلاميذ الموهوبين فقط. ليحضروا مسرحيةً. بربّك، ليس من الضروري أن تكوني موهوبةً جدًا للاستمتاع بالمسرح. أنا مديرة التسويق في مسرح شبه جزيرة بيريوي، كما تعلمان، لِذلك اكتشفت الأمر».

كشَّرت سيليست: «وهي من فازت بالطبع».

قالت مادلين: «بالطبع أنا من فُزت، لقد حصلت على خصم خاص بالمجموعة وذهب جميع الأطفال وحصلت على الشمبانيا بنصف السعر في الاستراحة لجميع أولياء الأمور وقضينا وقتًا رائعًا».

سيليست: «أوه! بالمناسبة! كدت أنسى أن أعطيك زجاجة الشمبانيا التي أحضرتها لكِ! هل أعطيتكِ إياها! ... أوه، نعم، ها هي»، فتشت في سلة القش الضخمة الخاصة بها بطريقتها العجولة وأعطتها زجاجةً من نوع بولينغر قائلةً: «لا يمكنني أن أعطيك كؤوس الشمبانيا فارغةً بدون شمبانيا».

رفعت مادلين الزجاجة من عنقها، وقالت بحماسٍ فجأةً: «دعونا نشرب قليلاً منها الآن!».

سيليست: «لا. لا. هل أنت مجنونةٌ؟ من السابق لأوانه الشرب الآن. علينا أن نأخذ الأولاد خلال ساعتين. وهي ليست باردة».

مادلين: «فطور الشمبانيا. ذلك يتوقف على الطريقة التي نتناوله بها. سنأخذه مع عصير البرتقال نصف كوبٍ من كلٍ منهما! معنا أكثر من ساعتين. جين؟ هل أنت موافقة؟».

جين: «أعتقد أنه يمكنني أن آخذ رشفةَ. أنا أسكر بسرعة».

مادلين: «أراهن أنك كذلك، لأن وزنك حوالي عشر كيلو غرامات»، وأضافت، «سنتفاهم مع بعضنا. أنا أحب الذين يسكرون بسرعة. اسكبي لي المزيد».

سيليست: «مادلين، اتركيها لفرصةٍ أُخرى».

قالت مادلين بحزن: «لكن اليوم عيد ميلاد مادلين، وأنا مصابة».

قلبت سيليست عينيها وقالت: «أعطني كأسًا».

مكتبة
t.me/t_pdf

ثيا: كانت جين مخمورةً عندما أعادت زيغي من يوم الطلاب الجدد. لذا، كما تعلمون، هذا يعطيكم انطباعًا محددًا، أليس كذلك؟ أمٌ شابةٌ وعازبةٌ تشرب في الصباح الباكر. وتمضغ العلكة أيضًا. فأول انطباع لم يكن جيدًا. هذا كل ما أودّ قوله.

بوني: بحق السماء، لم يكن أحدًا في حالة سكر! تناولن وجبة فطور مع الشمبانيا في مقهى بلو بلوز في عيد ميلاد مادلين الأربعين. كنَّ يقهقهن قليلاً فقط. هذا ما سمعته على أي حال، لم نتمكن حقيقةً من حضور يوم الطلبة الجدد لأننا كنا في منتجعٍ صحّي عائلي في بايرون باي. لقد كانت تجربة روحيةً مذهلة. هل تريدون عنوان الموقع؟

هاربر: لقد عرفت منذ اليوم الأول أن مادلين وسيليست وجين يشكّلن ثلاثيًا متآلفًا. لقد وصلن هناك وأذرعهن ملتفةً حول بعضهما البعض كما لو

كنّ فتياتٍ في الثانية عشرة. أنا وريناتا لم نتلقَّ دعوةً إلى حفلتهنّ الصغيرة، مع أننا كنا نعرف مادلين منذ أن كنا أطفالاً في الروضة معًا، لكن كما قلتُ لريناتا تلك الليلة، عندما كنا نتناول ألذ طعام في مطعم ريمي (بالمناسبة كان ذلك قبل أن يكتشفها بقية أهالي سيدني)، ذلك لا يهمّني كثيرًا.

سامانثا: كنت أعمل. قام ستو باصطحاب ليلي إلى يوم الطلبة الجدد. وقد ذكر لي أن بعض الأمهات كنّ قد أتين للتو من عزيمة فطور وشربن فيه الشمبانيا. أجبت: «نعم. ما هي أسمائهن؟ يبدو أنهن من ذلك النوع الذي يشبهني».

جوناثان: لقد فاتني كل ذلك. كنت أنا وستو نتحدث عن الكريكيت.

ميليسا: لم تسمع مني هذا الأمر لكن على ما يبدو أن مادلين ماكنزي كانت في حالة سكر هذا الصباح ثم سقطت والتوى كاحلها.

غرايم: اعتقد أنكِ تنبحين على الشجرة الخطأ (تُستخدم هذه العبارة للإشارة إلى تقديراتٍ خاطئة في سياق محدد.). لا أعرف كيف يمكن أن يؤدي إفطار شمبانيا غير الحكيم هذا إلى القتل والفوضى، أليس كذلك؟

الشمبانيا ليست خطأً أبدًا. لطالما كان ذلك شعار مادلين.

لكن فيما بعد، تساءلت مادلين عما إذا كانت تلك هي المرة الوحيدة التي أخطأت فيها التقدير. ليس لأنهن كنّ سكارى. هنّ لم يكنّ كذلك. لكن لأن الثلاثة دخلن المدرسة وهنّ يضحكن سويةً (قررت مادلين أنها لا تريد البقاء في السيارة ويفوتها مشهد خروج كلوي، لذلك قفزت، متعلقةً بذراع كلٍ منهن) وجرجرن خلفهنّ رائحة الحفلة التي لا يمكن إخفاءها.

لا يحب الناس أبدًا أن يفوّتوا حفلةً.

الفصل السادس

لم تكن جين مخمورةً عندما وصلت المدرسة لاصطحاب زيغي. كانت قد تناولت ثلاث جرعاتٍ من الشمبانيا على الأكثر.

لكنها كانت تشعر بالنشوة. كان هناك شيءٌ مرتبطٌ بفرقعة سدادة الشمبانيا، وفظاظتها، وعدم توقع ما جرى هذا الصباح بأكمله، وتلك الكؤوس الطويلة الهشّة التي تجذب ضوء الشمس، وصانع القهوة ذو الشعر المتموج الذي أحضر ثلاث كعكاتٍ صغيرةٍ لذيذةٍ تزيّنها الشموع، ورائحة المحيط، والشعور بأنها ربما كانت تقيم علاقات صداقةٍ جديدةٍ مع أولئك النسوة اللواتي كنّ مختلفاتٍ بطريقةٍ ما عن أيٍ من صديقاتها الأخريات: الأكبر سنًا والأغنى والأكثر تعقيدًا.

- «ستكون لديكِ صداقاتٍ جديدةٍ عندما يبدأ زيغي المدرسة!».

ظلّت أمها تخبرها بذلك، بحماسةٍ وبشكلٍ يثير التوتر، وكان على جين أن تبذل جهدًا كبيرًا لضبط نفسها كي لا تشيح بعينيها بعيدًا عن أمّها وأن تتصرف كمراهقةٍ متوترةٍ وعصبيةٍ على وشك الانتساب لمدرسةٍ ثانويةٍ جديدةٍ. كان لوالدة جين ثلاثة صديقاتٍ مقرّباتٍ التقت بهنّ قبل خمسة وعشرين عامًا عندما كان شقيق جين الأكبر داني في روضة الأطفال.

لقد خرجن جميعهن لاحتساء فنجان قهوةٍ في ذلك الصباح الأول ولم ينفصلن عن بعضهن منذ ذلك الحين.

قالت جين لوالدتها: «لستُ بحاجةٍ لأصدقاء جدد».

- «لا بل تحتاجين. أنت بحاجةٌ لأن تكوني صديقةً لأمهات أخريات»، قالت الأم، «تدعمن بعضكن البعض! ويفهمن ما تمرّين به من ظروف». إلا أن جين كانت قد جرّبت ذلك سابقًا مع مجموعةٍ من الأمهات وفشلت. فهي عجزت حتى عن مجرد التواصل مع تلك النساء المتألقات الثرثارات وأحاديثهنّ السخيفة عن أزواجهن الذين لم «يرتقوا للمستوى المطلوب» والإصلاحات والتجديدات التي لا تنته قبل الولادة والأوقات المضحكة التي يكنّ فيها مشغولاتٍ أو متعباتٍ لدرجة أنهن يغادرن البيت دون تبرج! (جين، التي لم تكن تتبرّج حينها، ولم تتبرّج من قبل، كان وجهها طبيعيًا دون مساحيق، بينما كانت تصرخ من الداخل: ما هذا الهراء؟).

لكن من الغريب أنها ارتبطت بمادلين وسيليست، مع أنه لم يكن بينهنّ ما هو مشترك على أرض الواقع سوى أن أطفالهن قد بدأوا الروضة معًا، ورغم أن جين كانت متأكدةٌ تمامًا بأن مادلين لا تغادر البيت أبدًا دون تبرّج أيضًا، لكنها شعرت بالفعل بأنها هي وسيليست (التي لا تتبرّج أيضًا لحسن الحظ، لكن جمالها كان فتّانًا حتى دون أن تجري أي تحسينات على شكلها) يمكنهما أن تثيرا حفيظة مادلين ويغيظانها، لكنها كانت تضحك، وتعيد إغاظتهما ممازحةً، كما لو كنّ صديقاتٍ بالفعل.

لِذلك لم تكن جين مستعدة لما حدث.

لم تكن على أهبة الاستعداد. كانت منشغلةً للغاية بمعرفة أدقّ تفاصيل مدرسة بيريوي العامة (كل شيءٍ رائع ومنظّم؛ مما جعل الحياة هناك تبدو سهلة الإدارة)، وبالاستمتاع بأشعة الشمس ورائحة البحر التي لا تزال جديدةً عليها. شعرت جين بالسعادة لمجرد التفكير بأيام زيغي في المدرسة. لأول مرةٍ منذ ولادته، أرخت مسؤولية طفولة زيغي بثقلها عليها. كانت شقتها الجديدة على مسافة قريبة من المدرسة. كانا يمشيان كل يوم إلى المدرسة، يعبران الشاطئ ويصعدان التل المحاط بالأشجار.

في مدرستها الابتدائية في الضواحي، كانت تستمتع بإطلالات الطريق السريع المكون من ستة أزقّة فرعية ورائحة الدجاج المشوي التي تنبعث من المطعم المجاور. لم يكن هناك أماكن للعب مظللةٌ ومصممةٌ بذكاء وصور

فسيفسائية من البلاط الملون الجميل لدلافين وحيتان ضاحكة. بالتأكيد لم يكن هناك لوحاتٌ جدارية لمناظر تحت الماء أو منحوتاتٍ حجريةٍ لسلاحف وسط الحفر الرملية.

- «هذه المدرسة رائعةٌ للغاية»، خاطبت مادلين، بينما كانت هي وسيليست تساعدان مادلين في الجلوس على مقعدٍ، «إنها ساحرة».

مادلين: «أعلم. جمعت مسابقة المدرسة الترفيهية السنة الماضية مبالغ مالية لإعادة ترميم باحة المدرسة. ذوات الشعر الأشقر القصير يعرفن كيفية جمع التبرعات المالية. كان موضوعها «مشاهير راحلون». لقد كانت ممتعة جدًا. مهلاً، هل أنت جيدة في مسابقات التسالي يا جين؟».

جين: «أنا ممتازةٌ في التسالي، مسابقات التسالي وألعاب تركيب الصور هما مجال خبرتي».

- «ألعاب تركيب الصور؟»، استغربت مادلين وهي تهمّ بالجلوس ومدّ ساقها على مقعدِ خشبي مطليٌ باللون الأزرق أقيم حول جذع شجرةٍ تينٍ وارفة الظلال: «أفضّل أن أضع الدبابيس في عيني على ممارستها».

سرعان ما التف حولهنّ حشدٌ من الأمهات، وترأست مادلين الجلسة، قدمت فيها جين وسيليست إلى الأمهات اللائي لديهن أطفالاً أكبر سنًا وكانت تعرفهن من قبل وأخبرتهنّ جميعًا قصة التواء كاحلها في سبيل إنقاذ حياة الشبّان.

قالت امرأة تُدعى كارول لجين: «هذه هي مادلين وهذا هو سلوكها». كانت امرأةً ناعمة الشكل تريدي فستانًا خفيفًا ورديًا ذو أكمامٍ فضفاضة وقبعة شمس كبيرة من القش. بدت وكأنها كانت في طريقها إلى كنيسةٍ بيضاء في المسلسل الأمريكي Little House on the Prairie (كارول؟ أليست هي التي قالت عنها مادلين أنها تحب التنظيف؟ كارول المهووسة بالتنظيف).

قالت كارول: «مادلين تحب الشجار فقط. فهي مستعدة أن تواجه أي شخص. يلعب أولادنا عادةً كرة القدم مع بعضهم وفي السنة الماضية

تشاجرت مع هذا الأب العملاق. كان جميع الأزواج يختبئون بينما كانت هي تقف في وجهه، وتدسّ أصبعها في صدره على هذا النحو، ولم تتزحزح قيد أنملة. إنها لمعجزة أنها لم تعرّض نفسها للقتل».

- «أوه، إنه هو! منسق المناهج لما دون سن السابعة»، ألقت مادلين تلك الكلمات «منسق المناهج ما دون السابعة» وكأنها تتحدث عن «سفّاحٍ متسلسلٍ». وأكملت: «سأكره هذا الرجل حتى آخر يوم في حياتي!».

في تلك الأثناء تنحّت سيليست جانبًا قليلاً وهي تتبادل أطراف الحديث بطريقتها المتكدرة والمترددة، والتي بدأت جين بالتعرّف عليها باعتبارها سمةً من سمات شخصية سيليست.

سألت كارول جين: «هل لك أن تعيدي اسم ابنك مرة أُخرى؟».

جين: «زيغي».

رددت كارول كأنها غير متأكدة «زيغي!!! هل هو اسم له دلالات عرقية؟».

- «مرحبًا يا قوم. أنا ريناتا!». ظهرت أمام جين فجأةً امرأةٌ ذات تسريحة شعرٍ رمادي متناظر ومتموج وعينان بنيتان حادتان تلمعان خلف نظاراتٍ أنيقةٍ ذات إطارٍ أسود، وهي تمدّ يدها. بدا أسلوبها في التخاطب شبيهٌ بأسلوب من له باع طويل بالسياسة. قالت اسمها بتأكيدٍ غريب وكأن جين كانت تنتظر قدومها.

- «مرحبا! أنا جين. كيف حالك؟». حاولت جين مجاراتها في حماسها. وتساءلت في قرارة نفسها عما إذا كانت مديرة المدرسة.

جاءت مسرعةً امرأةٌ شقراء حسنة الهندام، والتي اعتقدت جين أنها قد تكون واحدةً من الشقراوات ذوات الشعر القصير التي تحدثت عنهنّ مادلين، وبيدها ظرفٌ أصفر. قالت متجاهلةَ وجود جين كليًّا: «ريناتا، لقد حصلت على ذلك التقرير عن التربية والتعليم الذي كنا نتحدث عنه عند العشاء ...».

ردّت ريناتا بشيءٍ من نفاذ الصبر: «أمهليني لحظةً يا هاربر»، وعادت إلى جين، «جين، سررت بلقائك! أنا أم أمابيلا، وعندي جاكسون في الصف الثاني. بالمناسبة هذه هي أمابيلا، وليس أنابيلا. إنه اسم فرنسي، ولم نختلقه نحن».

استمرت هاربر تحوم فوق كتف ريناتا، وتهز رأسها باحترام كلما تحدثت ريناتا، مثل أولئك الأشخاص الذين يقفون خلف السياسيين في المؤتمرات الصحفية.

- «حسنًا، أردتُ فقط أن أقدّمك إلى أمابيلا ومربية جاكسون، التي صادف أنها فرنسيةً أيضاَ! يا لها من مصادفة! هذه جولييت!». أشارت ريناتا إلى فتاةٍ صغيرةٍ ذات شعرٍ أحمر قصير ووجهٍ لافتٌ بشكلٍ غريب يهيمن عليه فمٌ ضخمٌ ذو شفاهٍ فاتنةٍ. بدت أجنبيةً فائقة الجمال.

- «سررت بلقائك». مدت المربية يدها الرخوة. كانت لكنتها الفرنسية واضحة وبدت ضجرةً وشاردة.

- «وأنا كذلك». قالت جين.

- «لطالما كنت أعتقد أنه من اللطيف أن تتعارف المربيات على بعضهن البعض»، نظرت ريناتا بابتهاجٍ بينهما، «هل يمكننا أن نقول بأنها مجموعة دعم صغيرة! ما هي جنسيتك؟».

- «أنها ليست مربية، يا ريناتا». قالت مادلين من مقعدها، وصوتها يتهدّج من الضحك.

ردّت ريناتا بضجرٍ: «طيب، جليسة إذًا».

مادلين: «ريناتا، اسمعيني، إنها أم. إنها صغيرةٌ بالسن فقط، كما تعلمين، كما كنا من قبل».

حدّقت ريناتا بجين بارتيابٍ وكأنها كانت تشك بأنّ ذلك مقلب، لكن قبل أن تتاح لجين الفرصة لقولِ أي شيءٍ (شعرت أنها يجب أن تعتذر) قال أحدهم: «ها قد أتوا!» واندفع جميع الآباء والأمهات إلى الأمام بينما كانت المعلمة الشقراء الجميلة، التي يبدو أنها اختيرت لوظيفة معلمةٍ في الروضة، تأذن لهم بالخروج من الصف.

اندفع صبيان صغيران أشقران أولاً وكأنه تم إطلاقهما من بندقية وتوجها مباشرةً إلى سيليست. صاحت سيليست «آخ» عندما اصطدم الرأسان الصغيران ببطنها.

- «لطالما كانت تروقني فكرة التوائم حتى قابلت شياطين سيليست الصغار». هذا ما قالته مادلين لجين عندما كانتا تتناولان الشمبانيا مع عصير البرتقال، بينما ابتسمت سيليست وهي مشتتة الانتباه، وبدت أنها غير مرتاحة.

خرجت كلوي من الصف وهي تمشي الهوينى وتشبك ذراعيها بذراعي فتاتين صغيرتين تشبهان الأميرات. بحثت جين بقلقٍ بين الأولاد عن زيغي. هل تركته كلوي؟

لقد كان هناك. كان آخر الخارجين من الصف لكنه بدا سعيدًا. أعطته جين إشارة «تمام؟» رافعةً إبهامها فرفع زيغي كلا إبهاميه وابتسم.

حدث لغطٌ مفاجئٌ في المكان. وتوقف الجميع للنظر. لقد كانت فتاةً صغيرةً ذات شعرٍ مجعد. وكانت آخر من خرج من الصف. كانت تبكي، كتفيها محنيّان، وتمسك برقبتها.

شهقت بعض الأمهات «أوووه»، لأنها بدت مثيرة للشفقة وشجاعةً وكان شعرها جميلاً جدًا.

شاهدت جين ريناتا وهي تسرع، وتتبعها بخطىً متمهلةً مربيتها ذات المظهر الغريب. ثم انحنت الأم والمربية والمعلمة الشقراء الجميلة إلى مستوى طول الفتاة ليسمعن ما تقوله.

نادى زيغي: «مامي». وركض نحو جين، فاحتضنته ورفعته للأعلى وكأنها لم تَره منذ سنين، وكأنهما كانا في رحلةٍ طويلةٍ إلى أرضٍ غريبةٍ ونائية. دفنت أنفها في شعره: «كيف وجدت الروضة؟ هل استمتعت؟».

قبل أن يتمكن من الإجابة، صرخت المعلمة: «هل يمكن لجميع الآباء والأطفال أن يستمعوا للحظةٍ؟ لقد قضينا صباحًا رائعًا لكننا بحاجة للحديث حول أمرٍ ما. وهو خطيرٌ بعض الشيء».

ارتعشت الغمازتان على وجنتي المعلمة، وكأنها تحاول إبعادهما لوقت أكثر ملاءمةً.

تركت جين زيغي ينزلق من بين يديها لينزل على الأرض.

قالت إحدى الأمهات: «ماذا يجري؟».

قالت أمٌ أُخرى: «شيءٌ ما حدث لأمابيلا على ما أظن».

قالت إحداهن أيضًا بهدوء: «يا إلهي. شاهدوا ريناتا وهي متحفّزة للشجار».

أعلنت المعلمة بصوتها التربوي: «أحدهم قد أذى أنابيلا، آسفة، أمابيلا وأنا أريد منه أيًا كان أن يأتي ويعتذر لأننا لا نؤذي أصدقاءنا في المدرسة، أليس كذلك؟ وفي حال فعلنا ذلك، فأننا سنعتذر له لأن ذلك ما يفعله أطفال الروضة الكبار الناضجين».

ساد الصمت. كان بعض الأطفال يحدقون بالمعلمة مشدوهين، وبعضهم الآخر يتأرجحون في مكانهم يمنةً ويسرة وهم ينظرون إلى أقدامهم. أما آخرون فقد دفنوا وجوههم في تنانير أمهاتهم.

سحب أحد الولدين التوأم لسيليست قميصها بقوةٍ ونادى: «أمي، أنا جائع!».

سارت مادلين وهي تعرج من مقعدها تحت الشجرة وتوقفت بجانب جين. نظرت حولها وقالت: «ما المشكلة؟ حتى أنني لا أعرف أين كلوي».

خاطبت ريناتا الفتاة الصغيرة: «من كان يا أمابيلا، من آذاك؟».

قالت الطفلة شيئًا غير مسموع.

- «هل حدث ذلك بشكلٍ عرضي، ربما، أمابيلا؟». قالت المعلمة يائسةً.

- «لم يكن ذلك عرضيًا بحق السماء»، ردت ريناتا بعنفٍ، وجهها ينفث غضبًا، «لا بد أن شخصًا ما حاول خنقها. أستطيع أن أرى العلامات على رقبتها. وأعتقد أنها مصابة بكدمات».

- «يا إلهي!». قالت مادلين.

راقبت جين المعلمة وهي تجلس القرفصاء على مستوى الفتاة الصغيرة، وذراعها تطوق كتفيها الصغيرين، وفمها قريبٌ من أذنها. سألت جين زيغي: «هل رأيتَ ما حدث؟». هزّ رأسه بقوة نافيًا.

وقفت المعلمة وهي تتحسس قرطها وتواجه أولياء الأمور: «يبدو أن أحد الصبية ... أمم، حسنًا. مشكلتي أن الأطفال لا يعرفون أسماء بعضهم البعض بعد، لِذلك لا تستطيع أمابيلا أن تخبرني أي ولدٍ فعل ذلك بالضبط ...».

قاطعت ريناتا: «لن ندع الأمر يمرّ هكذا!».

– «بالتأكيد لا!». وافقتها الصديقة الشقراء التي تحوم فوق كتفيها. كانت تحاول هاربر، بحسب اعتقاد جين، أن تحصل على كل الأسماء مباشرةً.

أخذت المعلمة نفسًا عميقًا: «لا. لن ندعه يمرّ. أتساءل فيما إذا كان بإمكاني أن أسأل كل الأطفال، حسنًا، في الواقع، هل بالإمكان أن يأتي الأطفال إلى هنا لدقيقةٍ».

دفع الآباء والأمهات أبنائهم برفقٍ بين أكتافهم نحو الأمام.

قالت جين لزيغي: «اذهب إلى هناك».

أمسك يدها بقوةٍ ونظر إليها ممتعضًا: «أنا جاهز للذهاب إلى البيت الآن».

جين: «لا بأس، سيستغرق الأمر منك دقيقةً فقط».

تجوّل في المكان ووقف قرب طفلٍ كان أطول منه قليلاً، ذو شعرٍ أسود مجعد وكتفين كبيرين قويين. لقد بدا وكأنه رجل عصابات صغير. شكّل الأولاد صفًّا متعرّجًا أمام المعلمة. كان هناك حوالي خمسة عشر طفلاً من جميع الأشكال والأحجام. وقف توأما سيليست الأشقرين في النهاية: كان أحدهما يحرك علبة كبريت على رأس أخيه وكأنها لعبة سيارة، بينما يقوم الآخر بضربها بعنف وكأنها ذبابة يحاول إبعادها.

قالت مادلين: «إنهم أشبه بصفٍّ من الشرطة».

سخر أحدهم: «بالله عليكِ توقفي عن ذلك يا مادلين».

واصلت مادلين حديثها: «يجب أن يتّجهوا جميعًا للأمام، ثم يستديروا جانبًا وأن يظهروا شكل وجههم الجانبي. إذا كان أحد أولادك، يا سيليست، فمن الصعب أن تكون قادرةً على التفريق بينهما. علينا أن نجري فحصًا للشيفرة الوراثية DNA. مهلاً - حتى التوأم المتطابق له نفس الـ DNA؟».

قالت أمٌّ أُخرى: «يمكنك أن تهللي يا مادلين، فطفلتكِ غير مشتبهٍ بها».

قالت سيليست: «لديهما نفس الحمض النووي لكن بصمات الأصابع مختلفة».

مادلين: «إذًا، علينا الآن أن نرفع بصمات الأصابع».

جين: «ششششش». محاولةً ألا تضحك. لقد شعرت بالأسف الشديد على أم الطفلة التي كانت على وشك أن تتعرض للإهانة علنًا.

كانت الفتاة الصغيرة التي تُدعى أمابيلا تمسك بيد أمها، بينما كانت المربيّة ذات الرأس الأحمر تطوي ذراعيها وقد تراجعت خطوةً للوراء. عاينت أمابيلا صف الصبية. قالت على الفور: «إنه هو»، وأشارت إلى طفل العصابات الصغير، «لقد حاول أن يخنقني».

«كنت أعتقد ذلك». فكرت جين بينها وبين نفسها.

ولكن لسببٍ ما كانت المعلمة تضع يدها على كتف زيغي، وكانت الفتاة الصغيرة تومئ برأسها إيجابًا، وكان زيغي يهز رأسه ويقول: «لم أكن أنا!».

قالت الفتاة الصغيرة: «بلى، إنه هو».

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: يتم الآن تشريح الجثة للتأكد من سبب الوفاة، ولكن في هذه المرحلة يمكنني أن أؤكد بأن الضحية أصيب بكسورٍ في الضلع الأيمن، وكسورٍ في الحوض، وكسور في قاعدة الجمجمة والقدم اليمنى والفقرات السفلية.

الفصل السابع

«أوه، يا للمصيبة»، فكرت مادلين.

مذهل. لقد أصبحتْ للتو صديقةً لأم ذلك الولد البلطجي الصغير. كان يبدو جذابًا وذكيًا جدًا في السيارة. الحمد لله أنه لم يحاول خنق كلوي لأن ذلك سيكون محرجًا جدًا. وربما كانت كلوي ستسدد له لكمةً خاطفةً تُفقده الوعي.

قالت جين بانفعال: «زيغي لا يفعلها أبدًا ...». أصبح وجهها شاحبًا تمامًا، وبدت مذعورة. رأت مادلين بعض أولياء التلاميذ يتراجعون خطواتٍ صغيرة إلى الوراء، مشكلّين دائرةً حول جين.

- «لا بأس عزيزتي»، وضعت مادلين يدها على ذراع جين وربتت بلطف: «إنهم مجرد أطفالٍ! وهم ليسوا منضبطين ولطفاء بالقدر الكافي بعد!».

- «المعذرة». قالتها جين وهي تتجاوز والدتي طفلين آخرين وتوقفت وسط الحشد القليل وكأنها تخطو على خشبة مسرح. وضعت يدها على كتف زيغي.

انكسر قلب مادلين عليها. بدت جين صغيرة السن بما يكفي لتكون ابنة مادلين نفسها. في الواقع ذكّرتها جين بابنتها أبيغيل الصغيرة: نفس القنوط والروح المرحة والخجولة.

- «أوه، يا إلهي»، صاحت سيليست المذعورة بجانب مادلين، «هذا فظيع».

- «أنا لم أفعل شيئًا». قال زيغي بصوتٍ واضح.

خاطبته الآنسة بارنز: «زيغي، نريد منك فقط أن تعتذر من أمابيلا، هذا كل شيء».

كانت بيك بارنز معلّمة فريد عندما كان الروضة. كان ذلك عامها الأول بعد تخرجها من كلية إعداد المعلمين. كانت جيدةً، لكنها كانت صغيرةً جدًا، وحريصةً أيضًا على إرضاء أولياء الطلاب، وهو ما كان جيدًا عندما يكون ولي الأمر مثل مادلين، لكنه لم يكن كذلك عندما يكون ولي الأمر مثل ريناتا كلاين التي تسعى للانتقام. لكن الحقُّ يُقال، يسعى أي ولي تلميذ للحصول على الاعتذار لو حاول أي تلميذٍ آخر خنق ابنه. (ربما زاد الطين بلّة ما بدر عن مادلين وأظهر ريناتا بمظهر السخيفة لاعتقادها أن جين كانت المربية. لا تحب ريناتا أن تبدو سخيفة. فأطفالها عباقرة، وتتصف بالسمعة الحسنة التي تدعمها أينما حلّت، كما كان لديها اجتماعات مجلس لإدارة لتحضرها).

نظرت جين إلى أمابيلا: «حبيبتي، هل أنتِ متأكدةٌ أن هذا الولد هو الذي آذاك؟».

وجّهت ريناتا كلامها لزيغي: «هل بإمكانك الاعتذار من أمابيلا؟ لقد آذيتها بشدة»، كانت تتحدث بلطفٍ لكن بحزمٍ، «حينها نستطيع جميعًا العودة إلى بيوتنا».

ردّ زيغي: «لست أنا». تحدث بوضوحٍ ودقّةٍ شديدة وحدّق بشكلٍ مباشر في عيني ريناتا.

خلعت مادلين نظاراتها الشمسية وبدأت تفكّر مليًا بكلماته. ربما لم يكن هو؟ هل يمكن أن تكون أمابيلا مخطئة؟ لكنها كانت موهوبةً! هي في الواقع فتاةٌ صغيرة وجميلةً أيضًا. كانت تلتقي بكلوي للعب، وكانت هادئة ومريحة للغاية. كانت تسمح لكلوي بأن تكون هي المسؤولة خلال اللعب وتولّي دور القيادة، بل وتمثّل الداعم لها في أية لعبةٍ كانتا تلعبانها.

- «لا تكذب»، ردت ريناتا بعنفٍ على زيغي. لقد تخلت عن أسلوبها اللبق، «أنا ما زلت لطيفةً مع أولاد الآخرين حتى عندما يسيئون التصرف

مع ابنتي. كل ما عليك فعله هو الاعتذار».

لاحظت مادلين ردّ فعل جسد جين الفوري والغريزي وكأنّه انتصاب أفعى مفاجئ أو انقضاض حيوانٍ سريع. استقام ظهرها ورفعت ذقنها وقالت بحدّة: «زيغي لا يكذب».

- «حسنًا، يمكنني أن أؤكد لكِ أن أمابيلا لا تكذب أيضًا».

عمّ الصمت بين الحضور القليل. حتى الأولاد الآخرين لاذوا بالصمت وباتوا هادئين تمامًا، باستثناء توأم سيليست، اللذان كانا يركضان خلف بعضهما البعض في الباحة ويصرخان بأشياء عن النينجا.

- «حسنًا، على ما يبدو أننا وصلنا إلى طريقٍ مسدود هنا». من الواضح أن الآنسة بارنز لا تعرف ما تفعله في هذا الموقف. بحقّ السماء، لقد كانت في الرابعة والعشرين من عمرها فقط.

عادت كلوي ووقفت بجانب مادلين وهي تتنفس بصعوبةٍ من الجهد الذي بذلته على سلالم التسلّق. صرخت: «أنا بحاجة للاستحمام».

- «اصمتي الآن». قالت مادلين.

تنهدت كلوي: «ألا يمكنني الاستحمام من فضلك ماما؟».

- «اصمتي فقط».

كان كاحل مادلين يؤلمها. لم يكن ذلك على ما يبدو فألٌ جيد لعيد ميلادها الأربعين، شكرًا جزيلاً على ذلك. هذا كثيرٌ جدًا على احتفال مادلين بعيد ميلادها. إنها بحاجة لمعاودة الجلوس بالفعل. لكن بدلاً من ذلك قفزت وهي تعرج إلى خضمّ الحدث.

قالت: «ريناتا، أنت تعرفين كيف يمكن أن يكون الأولاد ...».

أمالت ريناتا برأسها كي ترى مادلين: «مطلوبٌ من هذا الولد أن يتحمل مسؤولية أفعاله. وعليه أن يرى أن هناك عواقب لفعلته. لا يمكنه أن يخنق الأطفال الآخرين ويتظاهر بأنه لم يفعل شيئًا! على أي حال، ما علاقتك أنتِ بالأمر يا مادلين؟ اهتمّي بشؤونكِ الخاصة».

توقفت مادلين فجأةً. كانت تحاول تقديم المساعدة فقط! وكانت عبارة «اهتمي بشؤونك الخاصة» شيئًا غريبًا يُقال لها. منذ الخلاف الذي نشب بسبب تخصيصهم رحلةً إلى مسرح الأطفال للموهوبين والأذكياء فقط في العام الماضي، كانت هي وريناتا سريعتا الغضب من بعضهما البعض، رغم أنهما كانتا صديقتين ظاهريًا.

كانت مادلين تحب ريناتا بالفعل، ولكن منذ البداية كان من الواضح أن هناك تنافسًا في علاقتهما. - «اسمعيني، إنني من النوع الذي يصاب بالضجر سريعًا فأخرج عن طوري إذا طُلب مني أن أكون أمًّا طوال الوقت». كانت تقول ريناتا ذلك لمادلين سرًا، ولا يُفترض أن يكون ذلك مهينًا لأن مادلين لم تكن متفرغة لتربية ابنتها طوال الوقت، كانت تعمل بدوامٍ جزئي، ولكن كان هناك دلالاتٍ تشير إلى أن ريناتا هي الأذكى، وأنها بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التحفيز الذهني، لأن لديها مهنةً بينما كان لدى مادلين عملاً.

ولم تنفع معرفة أن ابن ريناتا الأكبر جاكسون كان مشهورًا في المدرسة بفوزه في بطولات الشطرنج، بينما اشتهر فريد ابن مادلين بكونه الطالب الوحيد في تاريخ مدرسة بيريوي العامة الذي يملك الشجاعة الكافية لتسلق شجرة التين العملاقة في مورتون باي ومن ثم يقفز لمسافةٍ لا تُصدق على سطح غرفة الموسيقى لاستعادة أربعٍ وثلاثين كرةً من كرات التنس. (كان من المفترض استدعاء فريق الإطفاء لإنقاذه. كان رصيد فريد في المدرسة مرتفعًا للغاية).

نظرت أمابيلا إلى أمها بعينين دامعتين وهي تقول: «لا يهم يا أمي». تمكنت مادلين من رؤية علامات الأصابع الحمراء على رقبة الطفلة المسكينة.

ردت ريناتا بحنقٍ: «بل الأمر في غاية الأهمية»، التفتت إلى جين قائلة: «أرجو منكِ أن تطلبي من ابنك الاعتذار».

- «ريناتا». قالت مادلين.

ردت ريناتا: «ابقِ بعيدةً عن الموضوع».

قالت هاربر التي كانت قريبةً جدًا من ريناتا والتي قضت حياتها متوافقةً معها: «نعم، لا أعتقد أنه علينا أن نتدخل يا مادلين».

جين: «آسفة لكنني لا أستطيع أن أجبر ابني على الاعتذار عن شيءٍ يقول إنه لم يفعله».

قالت ريناتا وعيناها تلمعان خلف نظارتها: «ابنك يكذب».

ردّت جين: «لا أعتقد أنه كذلك». ثم رفعت ذقنها.

بدأت أمابيلا تبكي بحرقةٍ وهي تقول: «أمي، أريد فقط العودة إلى المنزل الآن، من فضلك». التقطتها مربيتها الفرنسية الجديدة غريبة المظهر، التي بقيت صامتةً طوال الوقت، ورفعتها. لفّت أمابيلا ساقيها حول خصر الفتاة ودفنت وجهها في رقبتها. أخذ ينبض وريدٌ في جبهة ريناتا، كانت يداها مشدودتين ومتشنجتين.

- «هذا غير مقبول ... بالمطلق». وجّهت ريناتا كلامها للآنسة بارنز المسكينة المضطربة، التي ربما كانت تتساءل لماذا لم يُغطّوا مواقف مشابهةً في كلية إعداد المعلمين.

انحنت ريناتا للأمام بحيث أصبح وجهها على بعد إنشاتٍ من زيغي. وقالت: «إذا حاولت أن تَمَسَّ ابنتي مرةً أُخرى مثلما فعلت اليوم فستكون في ورطةٍ كبيرةٍ».

- «هيه على رسلك أنت». قالت جين بحدّة.

تجاهلتها ريناتا. وقفت ثم خاطبت المربية: «دعينا نذهب، جولييت». سارتا عبر الملعب، بينما تظاهر جميع أولياء الأمور بأنهم منشغلون برعاية أطفالهم. راقبهما زيغي وهما ترحلان. نظر إلى والدته، وحك أنفه قائلاً: «لا أعتقد أنني أريد الحضور إلى المدرسة بعد الآن».

سامانثا: على جميع أولياء الأمور الذهاب إلى مركز الشرطة للإدلاء بأقوالهم. لم يأتِ دوري بعد. أشعر بالغثيان حيال ذلك. ربما يعتقدون أنني مذنبة. بالفعل أشعر أنني مذنبةً عندما تقف سيارة الشرطة إلى جانبي على إشارة المرور.

الفصل الثامن

مكتبة
t.me/t_pdf

خمسة أشهر قبل ليلة المسابقة

- «حيوانات الرنّة أكلت الجزر!».

فتحت مادلين عينيها مع الخيوط الأولى للصباح لترى نصف جزرةٍ مأكولةٍ ومدفوعةٍ أمام عينيها. إد الذي كان يشخر بجانبها بلطفٍ، استغرق منه ذلك الكثير من الوقت والدقّة الليلة الماضية وهو يقضم الجزر مقلّدًا قضمات حيوان الرنة.

كانت تجلس كلوي مرتاحةً على بطن مادلين وهي ترتدي ملابس النوم: شعرها كالممسحة وابتسامةٍ عريضةٍ على محياها وعينين واسعتين يقظتين.

فركت مادلين عينيها ونظرت إلى الساعة. إنها السادسة صباحًا.

ربما كان ذلك أقصى ما يتمنوه.

- «هل تعتقدين أن بابا نويل قد ترك كيس بطاطا لفريد؟». قالت كلوي بأملٍ، «لأنه كان شقيًا جدًا هذا العام!».

كانت مادلين قد أخبرت أطفالها أنهم إذا كانوا أشقياء، فإن بابا نويل قد يترك لهم كيسًا من البطاطا المغلفة فقط، حينها ستظل في قلبهم حسرة تلك الهدية الرائعة التي لم يروها والتي استبدلها بابا نويل بالبطاطا. كانت أعز أمنيات كلوي في عيد الميلاد أن يحصل شقيقها فريد على البطاطا. ربما كان ذلك يسعدها أكثر من بيت الدمية تحت الشجرة. كانت تفكر مادلين جديًا

بتغليف كيسين من البطاطا لهما. سيكون ذلك بمثابة حافزٍ للسلوك الجيد خلال العام القادم. يمكن أن تقول لهما «تذكروا البطاطا». لكن إد لن يسمح لها بذلك. كان لطيفًا لدرجةٍ فظيعة.

خاطبت كلوي: «ألم يستيقظ أخوكِ بعد؟».

صرخت كلوي: «سأوقظه!». وقبل أن تتمكن مادلين من إيقافها انطلقت مسرعةً تخبط الأرض بقوة.

تحرك إد: «لم يحِن الصباح بعد، أليس كذلك؟ لا يمكن أن يكون قد حلّ الصباح».

– «Deck the halls with something and holly!»، غنت مادلين، «ترا لا لا لا لا لا لا!».

– «سأعطيكِ ألف دولار إن أوقفت هذا الصوت الآن». قال إد ممتعضًا ووضع الوسادة على وجهه. بالنسبة لرجلٍ لطيفٍ مثل إد، يعتبر ما صدر عنه فجأةً تجاه غنائها قاسيًا وفظًّا نوعًا ما.

مادلين: «ليس لديك ألف دولار»، وبدأ تنشد، «ليلةٌ هادئة».

رنّ هاتفها النقال برنة رسالةٍ نصية، فالتقطه عن الطاولة المجاورة وهي تواصل الغناء.

كانت رسالةً من أبيغيل. كانت تقضي عشية عيد الميلاد وصباحه هذا العام مع والدها وزوجته بوني، وأختها غير الشقيقة. كانت سكاي، التي ولدت بعد ثلاثة أشهرٍ من ولادة كلوي، فتاةً صغيرةً وخجولة ذات شعرٍ أشقر، تلحق بأبيغيل أينما ذهبت مثل جروٍ محبوب. كانت تشبه أبيغيل كثيرًا عندما كانت طفلةً، الأمر الذي أغاظ مادلين وجعلها تشعر بعدم الارتياح والبكاء أحيانًا، وكأن شيئًا ثمينًا قد سُرق منها. كان من الواضح أن أبيغيل تفضّل سكاي على كلوي وفريد، اللذين رفضا تقبّلها، وكثيرًا ما وجدت مادلين نفسها تفكر «لكن يا أبيغيل إن كلوي وفريد هما أخاكِ وأختك الحقيقيين، عليكِ أن تحبيهما أكثر!».

وهذا غير صحيح حقيقةً. لم تستطيع مادلين أن تصدّق أن الثلاثة (كلوي وفريد وسكاي) جميعهم متساوون في المعاملة كونهم أخوة أبيغيل غير الأشقاء.

قرأت نص الرسالة: عيد ميلاد سعيد ماما. أنا وبابا وبوني وسكاي هنا في الملجأ منذ الساعة 5.30 صباحًا! لقد انتهيت للتو من تقشير أربعين حبة بطاطا! تجربةٌ جميلةٌ أن تكون قادرًا على المساهمة بشيءٍ مثل هذا. أنا في قمة سعادتي. مع خالص حبّي. أبيغيل.

- «لم يسبق لها أن قشّرت البطاطا المقلية في حياتها أبدًا»، تمتمت مادلين وهي تعاود الردّ عليها برسالةٍ نصيةٍ: «هذا رائعٌ يا عزيزتي. عيد ميلاد مجيد لك أيضًا، أراك قريبًا جدًا. قُبُلاتي!».

رمَتْ بهاتفها على الطاولة المجاورة للسرير بانفعال، فشعرت بالإنهاك فجأةً، وحاولت بذل قصارى جهدها لكبح الاندفاع الخفيف للغضب عينيها.

أنا في قمة سعادتي ... إنها تجربةٌ جميلةٌ. هذا الكلام يصدر عن طفلةٍ في الرابعة عشرة من عمرها كانت تتذمر إذا طُلب منها إعداد الطاولة. كانت ابنتها على وشك أن تكون مثل بوني تمامًا.

- «يا للقرف»، قالت بصوتٍ عالٍ.

أخبرت بوني مادلين الأسبوع الماضي أنها كانت تقوم ببعض الترتيبات كي ينخرط جميع أفراد العائلة في عملٍ تطوّعي في ملجأٍ للمشردين صبيحة عيد الميلاد. وقالت لها كذلك عندما التقيا ببعضهما خلال التسوّق: «أكره كل ذلك الاستغلال التجاري البغيض لعيد الميلاد، ألا توافقينني الرأي يا مادلين؟».

كانت مادلين تقوم بالتسوق من أجل عيد الميلاد، وتعلّق في معصميها عشرات أكياس التسوق البلاستيكية. كان فريد وكلوي يأكلان المصاص؛ وقد اصطبغت شفاههما بالأحمر الفاقع. في تلك الأثناء كانت بوني تحمل

شجرة بونساي صغيرةً في وعاء، وكانت سكاي تسير إلى جانبها وهي تأكل إجاصة. (إجاصة لعينة، كانت مادلين قد أخبرت سيليست بذلك لاحقًا. ولسببٍ ما لم تستطع نسيان تلك الإجاصة).

بحق السماء كيف استطاعت بوني أن تجعل زوج مادلين السابق ينهض من فراشه في ذلك الوقت من الصباح ويذهب للعمل في مأوىً للمشردين؟ لم يكن ناثان يستيقظ قبل الثامنة صباحًا عندما كانا متزوجين. مؤكد أن بوني تقوم بمداعبة عضوه الذكري بفمها.

قالت مادلين لإد: «تعيش أبيغيل «تجربةً رائعةً» مع بوني في مأوى المشردين».

رفع إد وسادته عن وجهه. وقال: «هذا مقززٌ».

مادلين: «أعرف». لهذا السبب كانت تحبّه.

- «أتريدين قهوةَ»، قال متعاطفًا، «سأحضر لك قهوة».

صرخ كلوي وفريد من أسفل الرواق: «هدايا». لم يستطع فريد وكلوي التسوق وشراء ما يكفي لعيد الميلاد.

هاربر: هل بإمكانكم تخيّل كم هو غريب على مادلين أن يكون لزوجها السابق ابنة في نفس صف ابنتها في الروضة؟ أتذكر أنني تحدثت مع ريناتا على وجبة الغداء، وكنا قلقتين حول مدى تأثير ذلك على ديناميكيات الصف. بالطبع، تحبّ بوني التظاهر بأن كل شيءٍ كان لطيفًا وديًّا بينهما: «أوه، سنتناول جميعًا غداء عيد الميلاد معًا». بالله عليكم لا تستغبوني لقد رأيتهم عشية مسابقة المدرسة. رأيت بوني ترمي بشرابها على مادلين!

الفصل التاسع

كان الفجر على وشك أن ينبلج عندما استيقظت سيليست صباح عيد الميلاد. كان بيري يغطّ في نوم عميق ولم يكن هناك أي صوتٍ يصدر من الغرفة المجاورة حيث يرقد الصبيّين. كادا يفقدان عقلهما من البهجة لأن بابا نويل تمكن من العثور عليهما في كندا (لقد أرسلا رسائل إلى بابا نويل يبلغانه فيها بتغيير عنوان المنزل) ومع اضطراب الساعة البيولوجية لجسديهما بالكامل، واجهت هي وبيري صعوبةً كبيرةً في جعلهما ينامان.

كان الولدان يتشاركان سريرًا كبير الحجم، وظلا يتعاركان بتلك الطريقةِ الهستيرية التي اعتادا عليها أحيانًا، حيث تتحول الضحكات إلى دموع ثم يعاودان الضحك مرةً أُخرى، وقد صرخ بيري عليهما من الغرفة المجاورة: «هيا إلى النوم يا أولاد!». وفجأةً حلّ الصمت. عندما دخلت سيليست لتفقدّهما في غضون ثوانٍ قليلة، وجدتهما مستلقين على ظهريهما وأذرعهم وأرجلهم مفتوحةً، وكأن الإرهاق قد أخذ منهما مأخذه وأفقدهما الوعي تمامًا.

قالت سيليست حينها لبيري: «تعال وانظر إلى هذا المنظر»، فدخل ووقف إلى جوارها، وبقيا يحدّقان بهما وهما نائمين لعدة دقائق، قبل أن يبتسما لبعضهما ويخرجان خلسةً لتناول الخمر احتفالاً بليلة عيد الميلاد.

انسلّت سيليست في هذه اللحظة من تحت لحاف الريش ومشت إلى النافذة المطلة على البحيرة المتجمدة. وضعت راحة يدها على الزجاج. شعرت بالبرد

لكن الغرفة كانت دافئة. كانت تجثم هناك شجرة عيد ميلادٍ عملاقة وسط البحيرة تتوهج بأضواءٍ حمراء وخضراء، وندف الثلج تتساقط بهدوءٍ.

كان كل شيءٍ جميلاً لدرجة أنها شعرت أنها تستطيع تذوّقه. عندما تعاود التفكير بهذه العطلة، تستطيع أن تتذكر نكهتها: مشبعةٌ برائحة الفواكه المعتّقة، كالنبيذ الحار الذي تناولوه في وقتٍ سابق.

اليوم، بعد أن فتح الصبيّين هداياهما وتناولا طعام الإفطار الذي طلبوه من خدمة الغرف (الفطائر مع شراب القيقب!) أرادا الخروج للعب بالثلج. أرادا صنع رجل ثلجٍ. حجز بيري لهم رحلة بالزلاجة. أراد أن ينشر صورهما على الفيس بوك وهم يضحكان ويمرحان على الثلج. رغب بكتابة شيءٍ مثل: «يحتفل الأولاد بأول عيد ميلادٍ أبيض لهم!» كان يحب الفيس بوك. لكنه كان محطّ سخرية الجميع. مصرفيٌ كبيرٌ وناجح ينشر صوره على الفيس بوك، ويكتب تعليقاتٍ مرحة على وصفات الطعام التي ينشرنها صديقات زوجته.

نظرت سيليست إلى السرير حيث كان بيري نائمًا. كان ينام دومًا وهو عابسٌ قليلاً لكن عبوس الحائر لا الغاضب، وكأن أحلامه تثير حيرته. بمجرد أن يستيقظ سيعاجل إلى إعطاء سيليست الهدية التي أحضرها. لطالما أحب تقديم الهدايا. أول مرة أدركت فيها أنها ترغب بالزواج منه كانت عندما رأت الترقّب على وجهه وهو يشاهد أمه تفتح هدية عيد ميلادٍ قد أحضرها لها. عاجلها بقوله حالما مزّقت الورق الذي يغلّف الهدية: «هل أعجبتك؟»، فانفجر جميع أفراد العائلة بالضحك لأنه بدا كطفلٍ كبير.

لم تكن سيليست بحاجةٍ للتظاهر بالسرور. فكل ما يختاره يكون مثاليًا. لطالما افتخرت هي بقدرتها على اختيار هدايا مدروسة لكن بيري تفوّق عليها. في رحلته الأخيرة للخارج، وجد أكثر سدادة شمبانيا تبعث على الضحك لم يكن قد شاهد مثلها كانت من الكريستال ولونها وردي. قال لها: «بمجرد أن وقع بصري عليها فكرت بمادلين». لقد أحبّتها مادلين بالطبع.

اليوم سيكون مثاليًا بجميع المقاييس. لن تكذب صور الفيس بوك. سيستمتعون كثيرًا. كانت حياتها مليئةً بالفرح والمتعة. وهذه حقيقةٌ واقعة يمكن التحقق منها.

ما من داعٍ للانتظار حتى ينهي الصبيّان المدرسة الثانوية لتركه والانفصال عنه. سيكونُ حينها الوقت المناسب للانفصال قد حان. في اليوم الذي ينهي فيه الولدان امتحاناتهما الأخيرة. ويقول المشرفون عليهم: «ضعوا أقلامكم جانبًا». عندها سيكون قد حان الوقت كي تضع سيليست حدًا لزواجها.

فتح بيري عينيه. ابتسمت سيليست: «عيد ميلاد مجيد!».

غابرييل: تأخرت عن حفلة المدرسة السنوية لأن طليقي كان متأخرًا كعادته، لِذلك اضطررت لركن السيارة على بعد أميال تحت المطر الغزير. على أي حال، لاحظت صدفةً أن سيليست وبيري يجلسان في سيارتهما المتوقفة بالقرب من مدخل المدرسة. لقد كان الأمر غريبًا نوعًا ما لأنهما كانا يحدقان للأمام مباشرةً، ولا يتحدثان ولا ينظران إلى بعضهما البعض، كانا في أبهى حلّة. بدت سيليست رائعةً بالطبع. لقد شاهدتها بأمِّ عيني تأكل الكربوهيدرات وكأنه ليس هناك يوم غد، لِذلك لا تقولوا لي أن هناك عدالة في هذا العالم.

الفصل العاشر

استيقظت جين على صوت أشخاص يهتفون في الشارع تحت شباك غرفتها: «عيد ميلاد سعيد!». جلست في السرير تشد قميصها؛ كان مبللاً بالعرق. كانت تحلم أنها كانت مستلقيةً على ظهرها بينما كان زيغي يقف بجوارها، وهو يرتدي بيجامة عليها صورة Ben 10، كان يبتسم لها وإحدى قدميه تضغط على حنجرتها.

كانت تحاول أن تقول: «ابتعد يا زيغي، لا أستطيع التنفس!»، لكنه توقف عن الابتسام وبدأ يتفحصها باهتمامٍ، وكأنه يقوم بتجربةٍ علميةٍ.

وضعت يدها على رقبتها وأخذت نَفَسًا عميقًا. لقد كان مجرد حلمٍ. والأحلام لا تعني شيئًا.

كان زيغي معها في السرير. ويضغط بظهره الدافئ ظهرها. استدارت كي تقابله، ومررت طرف إصبعها بلطفٍ على بشرة وجنته الناعمة. كان يخلد إلى سريره كل ليلةٍ ويستيقظ في الصباح التالي في سريرها. لم يتذكر أيًا منهما كيف يحدث ذلك. ربما كان سحرٌ، هكذاً حسما الجدل أخيرًا. «ربما تحملني ساحرةٌ طيبةٌ إلى هنا كل ليلةٍ»، هكذا يفسّر زيغي الأمر وهو يفتح عينيه بدهشةٍ وابتسامةٌ صغيرة على ثغره، رغم أنه لا يؤمن كثيرًا بهذا النوع من الترّهات.

«سيتوقف عن ذلك يومًا ما»، هكذا كانت تقول لها والدتها كلما ذكرت لها جين أن زيغي ما زال يأتي إلى فراشها كل ليلةِ، «لن يستمر في فعل ذلك عندما يبلغ الخامسة عشرة من عمره».

بدأت بقعةٌ جديدة من النمش بالظهور على أنف زيغي لم تكن جين قد لاحظتها من قبل. أصبح لديه الآن ثلاث بقعٍ على أنفه تتوزع على شكل شراعٍ.

ذات يومٍ ستستلقي امرأةٌ في السرير إلى جانب زيغي تتأمل وجهه النائم. ستكون هناك نقاطًا سوداء صغيرة من شاربه الحليق فوق شفته العليا. وسيكون هناك صدرٌ عريض المنكبين عوضًا عن هذين الكتفين النحيلين.

أي نوعٍ من الرجال سيكون؟

- «سيكون رجلاً لطيفًا ورائعًا مثل جدّك بوبي». تقول أمها بإصرارٍ، وكأنها تعرف ذلك كحقيقةٍ مطلقة.

كانت والدة جين تعتقد أن زيغي يتقمص روح والدها العزيز. أو كانت تتظاهر بأنها تؤمن بذلك بكل الأحوال. لا أحد يستطيع أن يعرف بالفعل مدى جديتها. لقد توفّي بوبي قبل ستة أشهرٍ من ولادة زيغي، تمامًا عندما كانت والدة جين تقرأ كتابٍ يتناول قصة ولدٍ صغير يُفترض أنه تقمص روح طيارٍ من الحرب العالمية الثانية. علقت فكرة أن يكون حفيدها هو والدها في ذهنها. مما ساعدها على تحّمل حزنها.

وبالطبع، لم يكن هناك صهرٌ يشعر بالإهانة عند قول إن ابنه كان بالواقع جد زوجته.

لم تشجع جين الحديث عن التقمّص أو تناسخ الأرواح، لكنها لم تتجنبه أو تُثني عنه أيضًا. ربما كان زيغي هو الجد بوبي نفسه. أحيانًا كانت تجد ملامح بسيطة لبوبي على وجه زيغي، وخصوصًا عندما كان يحاول التركيز. كان له نفس الجبين المتغضن.

كان والدتها غاضبةَ عندما اتصلت لتخبرها بما حدث في يوم الطلاب الجدد.

- «هذا مشين! لن يحاول زيغي خنق أي طفلٍ أبدًا! فهو لم يؤذِ ولو ذبابةً في حياته. إنه يشبه بوبي. ألا تذكرين كيف أن بوبي لم يكن يجرؤ على ضرب ذبابةً؟ كانت جدّتكِ تتراقص حوله وهي تصرخ: اقتلها يا ستان! اقتل ذلك الشيء اللعين!».

ثم ساد الصمت فجأة، مما يعني بأن والدة جين قد دخلت في نوبة ضحك. لقد كانت تضحك بصمت.

انتظرت جين لحين عودة أمها إلى الهاتف أخيرًا، فقالت وهي تهتز من الضحك: «أوه، كان ذلك جيدًا لي! الضحك رائعٌ لعملية الهضم. الآن أين كنا؟ نعم، بالتأكيد! زيغي! تلك الفتاة الصغيرة الشقية! ليس زيغي بالطبع. تلك الفتاة الصغيرة. لماذا تقوم بتوجيه التهمة إلى زيغي!».

جين: «أعرف. ولكن ما يحّيرني أنها لا تبدو شقيّةً. تبدو الأم فظيعةً نوعًا ما لكن ابنتها على عكسها تبدو رائعةً جدًا. لا تبدو شقيةً مطلقًا».

استطاعت أن تسمع نوعًا من الشك والريبة في صوتها، وكذلك والدتها.

- «لكن، يا عزيزتي، لا يمكنك الجزم بأن زيغي حاول بالفعل خنق طفلٍ آخر؟».

جين: «بالطبع لا». ثم غيرت الموضوع.

أعادت تعديل وسادتها واستلقت بوضعيةٍ أكثر راحةً. ربما يمكنها العودة إلى النوم. قالت والدتها: «سيجعلك زيغي تستيقظين مع بزوغ الفجر». لكن لا يبدو أن زيغي متحمسًا كثيرًا لعيد الميلاد هذا العام، وتساءلت جين فيما إذا كانت قد خذلته بطريقةٍ ما. غالبًا ما كانت تشعر بعدم الارتياح كونها كانت تزيّف له الحياة بطريقةٍ ما، الأمر الذي يمنحه طفولةً مزعومةً.

لقد بذلت قصارى جهدها لخلق طقوسٍ صغيرةٍ وتقاليد عائلية لأعياد الميلاد والعطل. «دعنا نُخرج كيس زينة عيد الميلاد الآن!» لكن أين؟ غالبًا ما عملا كثيرًا ليكون المكان جميلاً ومتناسقًا. بدء من طرف سريره؟ فقبضة الباب؟ وما إلى ذلك كم تفاصيل لكنها لا تلبث وتتعثّر ويصبح صوتها عاليًا ومتوترًا. كانت تحاول المراوغة والاحتيال بشأن ذلك. لم تكن الطقوس حقيقيةً كما كانت في العائلات الأُخرى التي فيها أمٌ وأبٌ وأخٌ على الأقل. كانت تشعر أحيانًا بأن زيغي يسايرها على ذلك لأجل خاطرها، وأنه كان يعرف ما يدور في خلدها، ويعرف بأنها تحتال عليه.

راقبت صعود وهبوط صدره. كان جميلاً جدًا. من المستحيل أن يكون قد أذى تلك الفتاة الصغيرة وكذب بشأن ذلك. لكن جميع الأطفال يبدون رائعين وهم نيام. حتى الفظيعين منهم تجدهم جميلين وهم نيام. كيف يمكنها التأكّد بأنه لم يفعلها؟ ألا يعرف الإنسان طفله؟ قد يبدو طفلكِ غريبًا بعض الشيء، يتغير باستمرار، يختفي ثم يعاود تقديم نفسه لكِ من جديد. قد تظهر سمات شخصيةٍ جديدة بين عشيةٍ وضحاها. ثم كان هناك ...

لا تفكري في الأمر كثيرًا. لا تُفكري في ذلك الآن.

خفقت الذاكرة كفراشةٍ محاصرةٍ بألسنة النيران وبدأت تتذكر ما حدث معها. لقد كانت تحاول جاهدةً الهرب منذ أن أشارت الفتاة الصغيرة إلى زيغي، كان هناك شيءٌ يضغط على حنجرتها، وتصاعدٍ للرعب يغلّف عقلها ويشلّ تفكيرها. فاختنقت بصرخةٍ مكتومة.

لا، لا، لا. زيغي هو زيغي. يستحيل أن يفعلها. ولا يفعلها. فهي تعرف ابنها حقّ المعرفة.

تحرك. ارتعشت جفون عينيه الزرقاوين.

قالت جين: «احزر ما هو اليوم».

صاح زيغي: «عيد الميلاد!».

نهض بسرعةٍ فائقةٍ، ضرب رأسه بأنف أمه بشدةٍ ووقعت على الوسادة، والدموع تنهمر.

ثيا: لطالما كنت أعتقد أن هناك شيئًا غريبًا لدى ذلك الطفل. ذلك الزيغي. شيءٌ غريبٌ في عينيه. يحتاج الأطفال الذكور إلى نموذجٍ من الرجال يحتذون به. أنا آسفة لكنها الحقيقة.

ستو: اللعنة. كان هناك الكثير من البلبلة حول ذلك الطفل زيغي. لم أعرف ماذا أصدّق.

الفصل الحادي عشر

- «هل تستطيع أن تطير على ارتفاع هذه الطائرة يا أبي؟». سأل جوش.

كانوا في رحلتهم من فانكوفر عائدين إلى ديارهم إلى سيدني والتي استغرقت سبع ساعاتٍ. كانت تسير الأمور على ما يرام حتى الآن. بلا جدالٍ أو شجار.

بينما جلس كلٌّ من سيليست وبيري في مقعدين منفصلين متجاورين يفصل بينهما الممر، ووضع كلٌّ منهما ولدًا بجانبه في المقعد المجاور للنافذة.

قال بيري: «كلا. ألا تتذكّر ما أخبرتكَ به؟ عليّ أن أطير على مستوى منخفض لأتجنب اكتشاف الرادار».

- «أوه، نعم». أعاد جوش وجهه إلى النافذة.

سألت سيليست: «لماذا عليك أن تتجنب الرادار؟».

هز بيري رأسه وشارك ماكس، الذي كان يجلس بجانب سيليست وانحنى ليسترق السمع إلى الحديث، بابتسامة أنثوية متسامحة: «الأمر واضح، أليس كذلك يا ماكس؟».

- «الأمر سري للغاية، ماما»، أخبرها ماكس بلطفٍ. «لا أحد يعرف أن أبي يستطيع الطيران».

ردّت سيليست: «آسفة، هذا سخفٌ مني».

قال بيري: «اسمعوا، إذا انكشف أمري، فربما يرغبون بإجراء مجموعةٍ كاملةٍ من الاختبارات عليّ، ليعرفوا كيف طورت هذه القوى الخارقة، حينها قد يرغبون بتجنيدي في القوى الجوية، وهذا ما يضطرّني إلى الذهاب في مهامٍ سريةٍ».

سيليست: «نعم، ونحن لا نريد ذلك، لقد سافر بابا بما فيه الكفاية».

مدّ بيري ذراعه عبر الممر ووضع يده على يدها باعتذارٍ صامت.

ماكس: «أنت بالواقع لا تستطيع الطيران».

رفع بيري حاجبيه، وفتح عينيه وأبدى بعض الاستخفاف. «ألا يمكنني؟».

قال ماكس بريبةٍ: «لا أعتقد ذلك».

غمز بيري سيليست من فوق رأس ماكس. كان يخبر التوأم لسنواتٍ بأنه كان يمتلك قدرات طيرانٍ سريّة، ويخوض في تفاصيل سخيفةٍ حول كيفية اكتشافه لتلك القوى السرية عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، وربما هو العمر الذي يتعلمان فيه الطيران أيضًا، مفترضًا أنهما سيرثان قواه إذا تناولا الكثير من البروكلي. لم يتمكن الأطفال من معرفة فيما إذا كان جادًا أم لا.

قال ماكس: «كنت أطير عندما قفزت تلك القفزة الكبيرة البارحة». استخدم يده لتوضيح مساره. «ووش!».

قال بيري: «نعم، كنت تحلّق، وكنت على وشك أن تسبب أزمةً قلبيةً لبابا». قهقه ماكس

شبك بيري يديه أمامه وشدّ ظهره. «آه، ما زلت متيبسًا من محاولة مجاراتك. أنت سريع جدًا».

تفحصّته سيليست جيدًا. كان يبدو بخير: لقد اصطبغت بشرته لكنه يبدو مرتاحًا من الأيام الخمسة الماضية التي قضاها في التزحلق والتزلج على الجليد. وهنا تكمن المشكلة. كانت لا تزال منجذبةً إليه بلا حول ولا قوة.

- «ماذا؟». نظر إليها بيري.

- «لا شيء».

- «عطلة جيدة، أليس كذلك؟».

قالت سيليست بإحساسٍ مرهف: «كانت عطلةً رائعةً. كانت ساحرة».

ردّ بيري وهو يرمقها بعينيه: «أعتقد أنها ستكون سنةً جيدةً بالنسبة لنا. أليس كذلك؟»، وأردف: «مع بدء الأولاد بالمدرسة، آمل أن يكون لديكِ المزيد من الوقت للاهتمام بنفسك، وأنا كذلك ...». توقف، ثم مرر إبهامه على مسند المقعد وكأنه يقوم باختبار جودته. ثم نظر إليها: «وأنا سأفعل كل ما بوسعي لجعل هذه السنة جيدةً بالنسبة لنا». ثم ابتسم بثقة.

كان يفعل ذلك أحيانًا. كان يقول أو يفعل أشياء تجعلها تشعر بأنها مسلوبة العقل تجاهه كما كانت في أول سنةٍ تعارفا فيها في غداء عمل مُملٍّ، حيث أدركت للمرة الأولى عبارة: أُغرمت به من قمة رأسي حتى أَخمص قدمي.

شعرت سيليست بشعورٍ من السلام يحل عليها. كانت المضيفة تتقدم في الممر وهي تقدم رقائق كعك الشوكولا المخبوزة على متن الطائرة. كانت الرائحة لذيذةً.

ربما ستكون حقًا سنة جيدة بالنسبة لهم.

ربما تستطيع البقاء. كان ينتابها دومًا ذلك الشعور الرائع بالارتياح عندما تترك نفسها تعتقد بأنها تستطيع البقاء.

قال بيري: «دعونا نذهب إلى الشاطئ بعد أن نعود إلى البيت. سنبني قلعةً كبيرةً من الرمل، وقد نصنع رجل ثلج يومًا ما. ثم نعود ونبني قلعةً رملية وهكذا. يا إلهي استمتعا بحياتكما أيها الفتيان».

- «نعم»، تثاءب جوش وتمدد بتلذذٍ في مقعده في درجة رجال الأعمال، «هذا ممتاز».

ميليسا: أتذكر أنني رأيتُ سيليست وبيري والتأم على الشاطئ خلال العطلة المدرسية. قلت لزوجي: «أعتقد أنها إحدى الأمهات الجدد في الروضة». كادت عيناه تخرجان من محجريهما. كان يبدو على سيليست وبيري الحب والتفاهم. كانت السعادة باديةً عليهما وهما يساعدان طفليهما على صنع قلعةٍ رمليةٍ متقنة. بصراحة، كان شيئًا يثير امتعاضي. حتى قلاعهم الرملية كانت أفضل من قلاعنا.

الفصل الثاني عشر

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: نحن نبحث في القضية من كافة الزوايا وندقق بكل وجهات النظر والدوافع الممكنة.

سامانثا: إذًا سنستخدم مصطلح ... جريمة قتل بشكلٍ جدي؟

أربعة أشهرٍ قبل ليلة المسابقة

أعلنت كلوي في إحدى الليالي الصيفية الدافئة من بداية العام الجديد: «أريد موعدًا للعب مع زيغي».

ردّت مادلين: «حسنًا». وعيناها تراقبان ابنتها الكبرى. كانت أبيغيل قد استغرقت وقتًا طويلاً وهي تقطّع شريحة اللحم الخاصة بها إلى مربعاتٍ صغيرةٍ جدًا، وهي الآن تدفع هذه المربعات يمنةً ويسرة، كما لو كانت تقوم بترتيبها في لوحةٍ فسيفسائيةٍ معقدة. لم تضع قطعةٍ واحدةً في فمها.

- «من الأفضل أن يكون لديكِ موعدٌ للعب مع سكاي»، وضعت أبيغيل شوكتها ووجهت كلامها إلى كلوي. «إنها متحمسةٌ للغاية لتكون في نفس الصف معك».

- «هذا لطيف، أليس كذلك؟»، قالت مادلين بنبرةٍ حلوةٍ متكلفةٍ تعرف أنها تستخدمها كلما ذُكرت ابنة زوجها السابق في حديث، «أليس ذلك لطيفًا؟!».

بصق إد نبيذه، فرمقته مادلين بنظرةٍ عابسة.

أجابت كلوي: «سكاي هي مثل أختي نوعًا ما، أليس كذلك يا أمي؟». على عكس والدتها، شعرت بسعادةٍ غامرةٍ عندما علمت بأنها ستكون في نفس الروضة مع سكاي وفي نفس الصف أيضًا وقد سألت هذا السؤال أكثر من أربعين ألف مرةً.

قالت مادلين بصبرٍ كصبر قديس: «لا، سكاي هي الأخت غير الشقيقة لأبيغيل».

كلوي: «لكنني أخت أبيغيل أيضًا، وهذا يعني أنني وسكاي يجب أن نكون أختين! يمكن أن نكون توأم مثل جوش وماكس!».

سأل إد: «أوه بالمناسبة، هل رأيتِ سيليست منذ عودتهم من كندا؟ تلك الصور التي نشرها بيري على الفيس بوك كانت مذهلةً. يجب أن نقضي عيد الميلاد يومًا ما على الثلج. عندما نربح اليانصيب».

مادلين: «بررررر، منظر الثلج أصابني بالقشعريرة».

قال فريد حالمًا: «سأكون متزلجًا مذهلاً».

ارتعدت مادلين لدى سماعها ذلك. كان فريد جرعة الأدرينالين في حياتها. إن كان ثمة شيءٌ يمكن تسلقه، فقد تسلقه. لم تعد قادرةً على تحمّل مشاهدته على لوح التزلج. في سن السابعة فقط، طوى نفسه ثم دفع بجسده النحيل في الهواء مثل طفلٍ يبلغ ضعف عمره.

كلما شاهدتْ أولئك الرجال الشجعان رابطي الجأش وهم يجرون مقابلات على شاشة التلفاز حول أحدث مغامراتهم بالقفز من الباراشوت/ تسلق الصخور/ وكيف نوظّف كل جهدنا في مغامراتٍ تنتهي بقتل أنفسنا. تفكّر: إنه حال فريد. حتى أنه يبدو مثلهم بشعره الأشقر الطويل المبعثر.

خاطبته: «أنت بحاجةٍ لقص شعرك».

كشّر فريد مشمئزًا فتغضّن أنفه المنمش. «لا أريد!».

– «سأتصل بأم زيغي»، قالت مادلين لكلوي، «وسنقوم بترتيب موعدٍ للعب أنا وهي».

قال إد بهدوء: «مادلين، هل أنت متأكدةٌ أنها فكرةٌ صائبة؟ ربما عاملها بخشونة بعض الشيء. ألم يكن هو الذي ... تعرفين قصدي، صح؟».

مادلين: «حسنًا، لسنا متأكدين من ذلك بعد».

– «لكنكِ قُلت بأن أمابيلا كلين وجّهت إليه أصابع الاتهام».

– مادلين: «ياما في السجن مظاليم».

– «إذا مسَّ ذلك الطفل كلوي بأيّ ...».

– «أوه، بحق السماء يا إد»، قالت مادلين، «تستطيع كلوي الاعتناء بنفسها!». نظرت إلى طبق أبيغيل: «لماذا لا تأكلين؟».

إد: «نحن نحب ونحترم ريناتا وجيف. لِذلك، إذا قالت ابنتهما أن هذا الولد، هذا الزيغي، آذاها، ينبغي علينا أن ندعمها. أي نوعٍ من الأسماء يكون زيغي أصلاً؟».

– «نحن لا نُحب ريناتا وجيف كثيرًا»، قالت مادلين: «أبيغيل، كُلي طعامك!».

إد: «ماذا؟ لا نحبهم؟ خُيّل لي أنني أحب جيف».

مادلين: «أنت تسايره فقط، ما هو إلا مراقب طيورٍ، يا إد، وليس لاعب غولف».

– «هل هو؟؟»، نظر إد بخيبة أمل، «هل أنتِ متأكدة؟».

– «هل تظنّه غاريث هاجيك؟؟».

– «هل أنا؟». عبس إد.

مادلين: «أجل. كلوي، توقفي عن التلويح بشوكتك. كاد فريد أن يفقد عينه من تصرفك هذا. هل أنتِ مريضةً، أبيغيل؟ ألهذا لا تأكلين؟».

وضعت أبيغيل سكينها وشوكتها. قالت بابتهاج: «أعتقد أنني سأصبح نباتيةً». كانت بوني نباتيةً.

مادلين: «ستصبحين كذلك على جثتي».أو على جثة شخصٍ آخر بكل الأحوال.

ثيا: هل تعلمون أن لدى مادلين ابنة في الرابعة عشر من عمرها من زواجها السابق واسمها أبيغيل؟ أشعر بالأسى الشديد على الأطفال في الأسر المنفصلة، أليس كذلك؟ أنا سعيدةٌ للغاية لأنني أستطيع أن أقدم لأطفالي بيئةً مستقرةً. أنا متأكدة أن مادلين وبوني كانتا تتشاجران بسبب أبيغيل في ليلة المسابقة.

هاربر: نعم. لقد سمعت بالفعل مادلين تقول: «سأقتل أحدهم قبل انقضاء هذه الليلة». افترضت أنه شيءٌ يتعلق ببوني. أنا لا أشير لها بأصابع الاتهام بطبيعة الحال.

بوني: نعم، أبيغيل هي ابنة زوجي، وواضحٌ تمامًا أن أبيغيل تواجه بعض المشاكل، حسنًا هي مجرد مسائل تخصّ المراهقات على وجه التحديد، لكن أنا ومادلين كنا نعمل سويةٍ كفريقٍ لمساعدتها. هل يمكنكِ أن تشمي رائحة آس الليمون؟ إنني أجرب هذه الرائحة الجديدة لأول مرة. إنها جيدة لإبعاد التوتر. خذي نفسًا عميقًا. نعم هكذا. يبدو أنكِ بحاجةٍ للتخفيف من توتّرك إن كان لا يزعجكِ قولي هذا.

الفصل الثالث عشر

كان يومًا من تلك الأيام. لقد مرّ وقت طويل جدًّا، ولم يكن ذلك بفترة طويلة قبل عيد الميلاد. شعرت سيليست بجفافٍ في فمها، ونبضٍ خفيف في رأسها. لحقت ببيري والولدين عبر باحة المدرسة وجسدها مشدود للأعلى بعنايةٍ وشموخ، وكأنها كأسٌ طويلة هشة قد تنكسر في أي لحظة. كانت واعية تمامًا لكل شيءٍ حولها: الهواء الدافئ الذي يلامس ذراعيها العاريتين، وشريط صندلها بين أصابع قدميها، وحواف أوراق شجرة التين في خليج موريتون، كلها منتصبةٌ بحدّةٍ واستعلاء قبالة السماء الزرقاء. انتابها شعورٌ يشبه ما تشعرين به عندما تخوضين علاقة حبٍ جديدة، أو تكتشفين أنكِ حُبلى مرّة أُخرى، أو تقودين سيارتك الخاصة لأول مرّة. بدا كل شيءٍ أخّاذًا.

وجّهت سؤالاً لمادلين ذات مرة: «هل تتشاجرين أنتِ واد؟».

- «مثل القطط والكلاب». قالت مادلين بمرحٍ.

استطاعت سيليست أن توحي بطريقةٍ ما أنها كانت تتحدث عن شيءٍ مختلفٍ كليًا.

صرخ ماكس: «هل يمكننا أن نُري بابا قضبان التسلق أولاً؟».

ستبدأ المدرسة من جديد في غضون أسبوعين لكن متجر اللباس المدرسي سيفتح أبوابه لساعتين هذا الصباح حتى يتمكن الآباء من الحصول على ما يحتاجونه للعام الجديد. كان هذا اليوم هو يوم إجازة بيري، وبعد أن اشتروا

لباس الولدين الخاص بالمدرسة بدأوا يتجولون في الجوار لاصطحاب الأولاد للسباحة والغطس.

- «بالتأكيد». ردّت سيليست على ماكس.

ركض بعيدًا، وعندما رأته يذهب أدركت أنه لم يكن ماكس. لقد كان جوش. بدأت تفقد سيطرتها على الأمور. اعتقدت أنها كانت تركز بشدة في الوقت الذي لم تكن تركز فيه بالقدر الكافي.

مرر بيري طرف إصبعه على ذراعها فشعرت بالقشعريرة. سألها: «هل أنتِ بخير؟». رفع نظارته الشمسية فاستطاعت رؤية عينيه. كان بياضهما ناصعًا. لطالما كانت عيناه تبدوان حمراوين في صباح اليوم الذي يلي أي شجار بينهما، لكن بدت عيناه اليوم صافيتين برّاقتين.

- «أنا بخير». ابتسمت له.

بادلها الابتسامة وسحبها نحوه. همس في أذنها: «تبدين جميلةً في هذا الفستان».

تلك كانت الطريقة التي اعتادا أن يتصرفا بها مع بعضهما البعض في اليوم الذي يلي أي خلاف: برقةٍ وحنان، كما لو أنهما مرّا بشيءٍ رهيبٍ، كارثةٍ طبيعيةٍ مثلاً، وبالكاد نجيا منها بحياتهما.

صاح جوش: «أبي! تعال وشاهدنا!».

صرخ بيري: «أنا قادم!». ثم بدأ يضرب بقبضتي يديه على صدره مثل الغوريلا وهو يركض خلفهما، وقد احدودب ظهره وذراعاه تتأرجحان، وهو يقلّد صوت الغوريلا. فجُنّ جنون الولدين من الفرح وفرّا مرعوبين.

قالت لنفسها: لقد كان مجرد شجارٍ سيءٍ. لكن جميع الأزواج يتشاجرون. الليلة الماضية قضى الولدين ليلتهما في منزل والدة بيري.

قالت لهما: «تناولا عشاءً رومانسيًا هادئًا دون هذين الأحمقين المتوحشين».

بدأ الشجار بسبب جهاز الحاسوب.

كانت سيليست تتحقق مرةً أُخرى من أوقات افتتاح متجر الملابس الخاص بالزي المدرسي عندما أعطاها الحاسوب تنبيه بوجود «خطأٍ فادح». فنادت على بيري من غرفة المكتب قائلةً: «بيري تعال! هناك خللٌ ما في الحاسوب!». لكن شيئًا ما بداخلها حذّرها: لا، لا تخبريه. ماذا لو لم يستطع إصلاحه؟

غبية، غبية، يا لكِ من مخلوقٍ غبي. كان عليها أن تتصرف بشكلٍ أفضل. ولكن بعد فوات الأوان.

دخل المكتب مبتسمًا. قال: «تنحّي جانبًا يا امرأة».

كان جيدًا في الحاسوب ومشكلاته. كانت تروقه فكرة أن يكون قادرًا على حل المشاكل لها، وإذا استطاع إصلاحه، فسيكون كل شيءٍ على ما يُرام.

لكنه لم يستطع إصلاحه.

مرت الدقائق. استطاعت أن ترى من فوق كتفيه أن الأمور ليست على ما يُرام.

قالت: «لا تقلق بشأنه، اتركه».

أجابها: «بل يمكنني القيام بذلك»، حرك الفأرة جيئةً وذهابًا، «أعرف ما هي المشكلة ... أنا بحاجة إلى ... اللعنة».

ثم عاد وشتم مرةً أُخرى. بهدوء في البداية ثم بصوتٍ أعلى. أصبح صوته كالبوق. وكانت تجفل في كُلِّ مَرَةٍ. وعندما تصاعد غضبه، تصاعد داخلها غضبٌ مماثل، لأنها كانت تعرف بالفعل كيف ستمضي هذه الليلة بالتحديد. وكيف كان من الممكن أن تمضِ لو لم ترتكب هذا «الخطأ الكارثي».

سيبقى طبق المأكولات البحرية الذي أعدّته قابعًا هناك دون أن يؤكل. سوف تنزلق حلوى البافلوفا من الصينية إلى سلة المهملات. وسيذهب كل ذلك الجهد والوقت والمال سدىً. كانت تكره الهدر. جعلها ذلك تشعر بالإعياء.

لِذلك عندما قالت: «من فضلك بيري، اتركه»، كان هناك نوعٌ من الإحباط في صوتها. كان هذا خطأها. ربما لو أنها تحدثت بلطفٍ. وكانت أكثر صبرًا. لما قال شيئًا.

أدار الكرسي ليصبح بمواجهتها. كانت عيناه تتقدان غضبًا. لقد فات الأوان، وجُنّ جنونه. لقد قُضي الأمر، وحدث ما حدث.

ومع ذلك لم تتراجع. ورفضت أن تتراجع. وظلت تقاتل حتى النهاية بسبب عدم عدالة ما حدث، وسخافة ما حدث. لقد طلبت منه مساعدتها على إصلاح الحاسوب. لا ينبغي أن تسير الأمور بهذه الطريقة، واستمر شيءٌ بداخلها يستشيط غضبًا، حتى عندما علا الصراخ وبدأ قلبها يدق بقوةٍ وعضلاتها تتشنّج تأهبًا. هذا ليس عدلاً ولا إنصافًا.

كان الوضع أسوأ من المعتاد لأن الولدين لم يكونا في البيت. لم يكن عليهما أن يخفضا صوتيهما، وأن يهمسا مستهجنين بعضهما البعض خلف الأبواب المغلقة. كان المنزل أكبر من أن يستطيع الجيران سماعهما وهما يصرخان. بدا الأمر وكأن كلاهما يستمتعان بفرصة الشجار دون حدودٍ أو قيود.

سارت سيليست نحو سلالم التسلّق الحديدية. كانت في زاويةٍ باردةٍ مظلمةٍ من الملعب. وكان الولدين يحبان اللعب هنا عندما بدأت المدرسة.

كان بيري يمارس تمارين الرفع وجلس الولدان أمامه وهما يقومان بالعدّ. كان كتفاه يتحركان برشاقةٍ. كان عليه أن يرفع ساقيه عاليًا لأن سلالم التسلّق كانت منخفضةً جدًا على الأرض. كان يمارس ألعاب القوى باستمرار.

هل كان هناك جانبٌ مريضٌ ومحطّم من سيليست قد أحبّ بالفعل العيش بهذا الشكل ورغب بهذا الزواج المخزي والقذر؟ هكذا فكرت في الأمر. كما لو أنها وبيري قد تورطا في ممارساتٍ جنسيةٍ غريبةٍ ومقرفةٍ وشاذةٍ. وكان الجنس جزءًا منها.

كان هناك جنسٌ بعد كل ذلك. عندما ينتهي كل شيء. حوالي الساعة الخامسة صباحًا. الجنس العنيف والغاضب الممزوج بالدموع التي تنهمر على

وجهي بعضهما البعض مع الاعتذارات الرقيقة والكلمات التي يتمتمان بها مرارًا وتكرارًا: لن يحصل ذلك مرةً أُخرى أبدًا، أقسم، بحياتي، لن يحدث ثانيةً، هذا يجب أن يتوقف، علينا أن نوقف هذا الأمر، علينا أن نضع حدًا له، يجب أن نحصل على المساعدة، لن يحدث مرةً أُخرى.

قالت للصبيين: «هيا، دعونا نذهب إلى متجر اللباس المدرسي قبل أن يُغلق أبوابه».

نزل بيري بسهولةٍ على الأرض وأمسك بالتوأم كل واحدٍ تحت ذراع. «أمسكت بكما».

هل أحبّته بمقدار كرهها له؟ أم هل كرهته بمقدار حبّها له؟

قالت له في وقتٍ مبكّرٍ من هذا الصباح: «علينا أن نجرّب استشاريًا آخر».

أجاب: «أنت على حق»، وكأن هناك بالفعل إمكانية حقيقية للتغير، «عندما أعود. سنبحث في الموضوع».

كان مسافرًا في اليوم التالي إلى فيينا لأن هناك «قمةٌ» سترعاها شركته، وسيلقي الكلمة الرئيسية فيه حول أمورٍ عالمية معقدةٍ للغاية. سيكون هناك الكثير من الاختصارات والمصطلحات الغريبة وسيقف هناك ومعه مؤشر صغير يصدر نقطةً ضوئية حمراء تتحرك على شاشة العرض التقديمي Power-Point الذي أعدّه مساعده التنفيذي.

كان بيري بعيدًا أغلب الأوقات. لِذلك يشعر أحيانًا أنه دخيلٌ على حياتها، وكأنه زائر. كل ما يحدث في حياتها اليومية الحقيقية يكون في غيابه. فكل ما يحدث لم يكن بتلك الأهمية لأنه كان دومًا على وشك المغادرة إن لم يكن في اليوم التالي فسيكون الأسبوع التالي.

قبل عامين، ذهبا إلى إحدى الاستشاريات الاجتماعيات. كانت سيليست تفيض أملاً لكن ما إن رأت سرير الفينيل الرخيص، ووجه الاستشارية المتحمّسة والصارمة أدركت أنها ارتكبت خطأً. رأت كيف كان بيري يستعرض

كل مهاراته وذكائه الخارق ومكانته الاجتماعية أمام الاستشارية، فأدركت على الفور أنها زيارتهما الأولى والأخيرة.

لم يخبرا الاستشارية الحقيقة أبدًا. تحدثا فقط عن شعور بيري بالإحباط من عدم استيقاظ سيليست باكرًا وتأخره الدائم عن العمل. واشتكت سيليست بأن: «بيري يفقد أعصابه» أحيانًا.

كيف يمكن أن يعترفا لامرأةٍ غريبة بما يحدث في زواجهما؟ والأشياء المخزية التي تحدث فيه؟ وقبح سلوكهما؟ كانا يبدوان كزوجين رائعين. لطالما أخبرهما الناس بذلك لسنواتٍ. وكانا محط إعجاب وحسد الجميع. كانا يملكان جميع الامتيازات الرائعة في العالم. السفر وراء البحار. والبيت الفخم والجميل للغاية.

كان من الجحود والبغض أن يتصرفا مثلما يتصرفان الآن.

من المؤكد أن هذه المرأة الجميلة والمتحمسة (الاستشارية) ستقول بشعورٍ من القرف والاستياء: «أوقفا ذلك وحسب».

أرادت سيليست من الاستشارية أن تخمّن الوضع. أرادت أن تسألها السؤال المناسب. لكنها لم تفعل أبدًا.

بعد أن غادرا مكتب الاستشارية، كانا سعيدين للغاية لخروجهما منه، ولأن أدائهما قد انتهى، لدرجة أنهما توجّها إلى بارٍ في منتصف النهار وتناولا الشراب، بل وغازلا بعضهما البعض. لم يتمكنا من إبعاد أيديهما عن بعضهما البعض. وبينما هو سعيدٌ ويشرب، وقف بيري فجأةً، أخذ يدها وتوجّها إلى مكتب الاستعلامات، و «حجزا غرفةً». ها. ها. كم هو مضحكٌ ومثيرٌ بالفعل. يبدو وكأن الاستشارية قد أصلحت كل شيءٍ بالفعل. لأنه وبعد كل ما حدث، كم من الأزواج فعلوا ذلك؟ شعرت فيما بعد بأنها بائسةٌ ووضيعة ومليئة باليأس.

سأل بيري: «إذًا أين متجر اللباس المدرسي؟». بينما كانوا عائدين إلى باحة المدرسة الرئيسية.

سيليست: «لا أعرف». كيف يجدر بي أن أعرف؟ ولماذا عليّ أن أعرف؟

- «أوه، هل قلت متجر اللباس المدرسي؟ إنه هناك».

استدارت سيليست لترى. لقد كانت المرأة الصغيرة القوية ذات النظارات التي رأتها يوم الطلبة الجدد. تلك المرأة التي قالت ابنتها أن زيغي حاول خنقها. وكانت الفتاة الصغيرة ذات الشعر المجعد معها.

قالت المرأة: «أنا ريناتا، قابلتكِ في يوم الطلبة الجدد العام الماضي. أنت صديقةٌ لمادلين ماكنزي، أليس كذلك؟ أمابيلا، أوقفي ذلك. ماذا تفعلين؟». كانت الفتاة الصغيرة تمسك بقميص والدتها الأبيض وتلفُّ جسدها بخجلٍ خلف جسد أمها. وأردفت: «تعالي وقولي مرحبا. هؤلاء هم بعض الأطفال الذين سيكونون معك في نفس الصف. إنهما توأمان متطابقان. أليس هذا رائعًا!»، نظرت إلى بيري الذي أودع الصبيين عند قدميه، «كيف يمكنك التفريق بينهما بحق السماء؟».

مدّ بيري يده وقال: «أنا بيري. ونحن كذلك لا نستطيع التفريق بينهما. لا نعرف أحدهما من الآخر».

صافحت ريناتا بيري بحماسةٍ. لطالما كانت النساء تنجذب لبيري وكأنّهن تقابلن توم كروز بأسنانه البيضاء وابتسامته الأخّاذة والطريقة التي يمنحهن بها اهتمامه الكامل.

- «وأنا ريناتا، سعيدةٌ جدًا بلقائكَ. أنا هنا كي أشتري للأولاد لباسهم المدرسي، هل أنت كذلك؟ رائع! كانت أمابيلا ستأتي مع مربيتها، لكن انتهى اجتماع مجلس إدارتي مبكرًا لِذلك قررت أن آتي بنفسي».

أومأ بيري برأسه باستحسان وكأن الأمر كله أكثر من رائع.

أخفضت ريناتا صوتها: «أصبحت أمابيلا قلقةً بعض الشيء منذ الحادث الذي جرى في المدرسة. هل أخبرتكَ زوجتك بذلك؟ حاول طفل صغيرٌ خنقها في يوم الطلبة الجدد. كان لديها كدماتٍ على رقبتها. أنه طفلٌ صغيرٌ يدعى زيغي. لقد فكرنا جديًا بإبلاغ الشرطة».

بيري: «هذا فظيع، يا يسوع. ابنتك الصغيرة المسكينة».

قال ماكس وهو يسحب يد أبيه: «بابا، هيا أسرِع!».

ريناتا: «أنا آسفة حقًا»، ونظرت إلى سيليست مبتهجة، «ربما يكون تدخلاً مني! لكن ألم يكن لديك أنتِ ومادلين حفلة عيد ميلادٍ صغيرةٍ مع أم ذلك الولد؟ جين؟ أهكذا كان اسمها؟ إنها شابةٌ صغيرة جدًا. أخطأت بها وظننتها المربية. ربما أنتم الأفضل من بين كل من أعرفه! سمعتكم جميعًا تشربون الشمبانيا! في الصباح!».

قال بيري وهو يقطّب حاجبيه: «زيغي؟ لا نعرف أحدًا لديه طفل يدعى زيغي، أليس كذلك؟».

تنحنحت سيليست وقالت لريناتا: «أول مرة التقيت بها بجين كان ذلك اليوم. كانت قد اصطحبت مادلين معها في السيارة بعد أن وقعت وأذت كاحلها. لقد كانت ... حسنًا، بدت لطيفةً جدًا».

لم ترغب بأن تكون منحازة بشكلٍ خاص مع أم ولدٍ شرس، لكنها من جهةٍ أُخرى أحبّت جين، وقد بدا على الشابة المسكينة الشحوب عندما اتهمت ابنة ريناتا زيغي.

ريناتا: «إنها مخادعة، نعم هي كذلك. لقد رفضت رفضًا قاطعًا تقبّل فكرة أن يكون ولدها الحبيب قد فعل ما فعل. لقد قلت لأمابيلا أن تبقى بعيدة عن زيغي. لو كنتُ مكانكِ لقُلت للصبيّين أن يتجنباه أيضًا».

بيري: «ربما تكون فكرةً صائبة. لا نريدهما أن يختلطا برفاق السوء من اليوم الأول».

كانت نبرته خفيفة وفيها روحٌ من الدعابة، وكأنه لم يأخذ الموضوع على محمل الجد، لكن حسب معرفتها ببيري، ربما كانت روح الدعابة هذه هي غطاء. كان لديه جنون الارتياب وبشكل خاص بشأن موضوع التنمّر نتيجة تجربته الخاصة عندما كان طفلاً. كان يتصرف مثل رجل استخبارات عندما يتعلق الأمر بولديه، تلمع عيناه بالريبة والشك، ويبدأ بمراقبة

الحديقة أو الملعب أو المكان الذي يُحتمل أن يتواجد فيه أطفالاً قساة أو كلاب متوحشة أو أشخاصًا مولعين جنسيًا بالأطفال ويتظاهرون بأنهم أجداد.

فتحت سيليست فمها وقالت: «اممم». لكنهما لم يتجاوزا الخامسة. أليس هذا كثيرًا نوعًا ما؟

ولكن مرةً أُخرى، كان هناك شيءٌ غريب بشأن زيغي. لقد رأته لفترةٍ وجيزةٍ فقط في المدرسة، لكن ثمّة شيءٍ نحوه جعلها تشعر بعدم التوازن، شيءٌ ملأها بسوء الظن. (لكنه كان صبيًا جميلاً في الخامسة من عمره مثل أولادها تمامًا. كيف بإمكانها أن تشعر بهذا الشعور تجاه طفلٍ لم يتجاوز الخامسة؟).

- «ماما! تعالي!». شدّ جوش ذراع سيليست بعنف، فأمسكت بكتفها الرقيق الأيمن.

- «آخ». للحظةٍ كان الألم فظيعًا لدرجة أنها قاومت الغثيان.

- ريناتا: «هل أنت بخير؟».

بيري: «سيليست؟». استطاعت أن ترى اعترافًا مخزيًا في عينيه. فهو يعلم تمامًا لماذا تألّمت كثيرًا. سيكون هناك قطعة مجوهراتٍ رائعة في حقيبته عندما يعود من فيينا. قطعةٌ أُخرى تُضاف إلى مجموعتها. وبالطبع لن ترتديها أبدًا ولن يسألها عن السبب بتاتًا.

للحظة عجزت سيليست عن الكلام. ملأت كلماتٍ كبيرة وثقيلة فمها. تخيلت لو تركتها تخرج دون رادع.

زوجي يضربني يا ريناتا. ليس على الوجه بالطبع. فهو أرقى بكثير في هذا الصدد.

هل زوجك يضربك أيضًا؟

وإن فعل، فالسؤال الذي يثير حفيظتي بالفعل: هل تردّين له الضربة؟

ردّت: «أنا بخير».

الفصل الرابع عشر

- «لقد دعوت جين وزيغي إلى منزلي في الأسبوع المقبل كي يلعب الأولاد مع بعضهم»، كانت مادلين تتحدث على الهاتف مع سيليست حالما أنهت المكالمة مع جين، «أعتقد أنه من الأفضل أن تأتي أنتِ والولدين أيضًا. في حال لم يبقَ شيء نتحدث عنه».

سيليست: «حسنًا، شكرًا جزيلاً. حددتِ موعدًا للعب مع الطفل الصغير الذي ...».

- «نعم، نعم»، أجابت مادلين، «الخانق الصغير. لكن كما تعرفين، لا يرتعد أولادنا رعبًا إذا صحّ القول».

سيليست: «في الواقع التقيت البارحة بأم الضحية ريناتا عندما كنا نشتري لباس الأولاد المدرسي. وقد قالت لابنتها أن تتجنب التعامل مع زيغي بأي شكلٍ من الأشكال واقترحت أن أقول لولديَّ الشيء نفسه».

شدّت مادلين يدها على الهاتف: «لا يحقُّ لها قول ذلك لكِ!».

- «أعتقد أنها كانت قلقةً فقط».

- «لا يمكنك إدراج طفلٍ على القائمة السوداء وهو لم يبدأ المدرسة بعد!».

- «حسنًا، لا أعرف، يمكنك تفهُّم ذلك بشكلٍ أو بآخر، من وجهة نظرها، أعني إذا حدث ذلك لكلوي، أعني، أعتقد ...».

ضغطت مادلين الهاتف على أذنها عندما خفت صوت سيليست. غالبًا ما كانت سيليست تفعل ذلك؛ كانت تتحدث وتتبادل أطراف الحديث بشكلٍ طبيعي وفجأةً يخفت صوتها وكأنها تحوم مع الجنيّات.

هكذا التقيتا في البداية، لأن سيليست كانت تحلم. كان أطفالهما في نفس دورة السباحة عندما كانوا صغارًا. كانت تقف كلوي والتأم على منصةٍ صغيرةٍ على حافة المسبح بينما يعطي المدرب كل طفلٍ دورًا في تطبيق تمرين العوم والتجديف كالكلب. لاحظت مادلين أكثر من مرّة تلك الأم الجميلة المظهر التي تراقب التمرين، لكنها لم تكلف نفسها عناء التحدث إليها. عادةً ما تكون مادلين مشغولةً بمراقبة فريد، الذي كان حينها في الرابعة من عمره ونيّف. في ذلك اليوم بالتحديد، كان فريد منشغلاً بتناول الآيس كريم بسعادة، بينما كانت مادلين تراقب كلوي وهي تنفذ دورها بالعوم مثل نجم البحر، عندما لاحظت وجود صبيٍ واحد فقط من التوأم يقف على المنصة.

- «مهلاً!»، صاحت مادلين على المعلمة، «مهلاً!».

بحثت عن الأم الجميلة. كانت تقف جانبًا وتحدق في الأفق البعيد. «ولدك الصغير!» صرخت. التفت الناس الآخرون بحركةٍ بطيئةٍ. لم يكن المشرف على المسبح موجودًا في أي مكان.

هتفت مادلين: «بحق السماء». وقفزت مباشرةً إلى المسبح بملابسها الكاملة، بكعبها العالي وكل شيء، وسحبت ماكس من قاع المسبح، وهو يختنق ويبصق.

صرخت مادلين على الجمع أمامها، بينما احتضنت سيليست ولديها المبللين وبكت بجنون وهي توجه الشكر والامتنان. كان رد فعل إدارة مدرسة السباحة تبريري ومراوغ إلى درجة فظيعة. لم يكن الطفل في خطر لكنهم شعروا بالأسف لأنه ظهر بتلك الطريقة ومن المؤكد أنهم سيراجعون إجراءاتهم.

على إثر ذلك سحبت كل من مادلين وسيليست أولادهما من مدرسة السباحة، ووجهّت سيليست، التي كانت محامية سابقة، رسالةً إلى مدرسة

السباحة تطالب فيها بتعويض عن حذاء مادلين الذي تضرر، وفستانها الذي تبلل والذي لا يمكن تنظيفه إلا «بالتنظيف الجاف»، وبالطبع، استرداد جميع الرسوم.

وهكذا أصبحتا صديقتين، وأدركت مادلين عندما قدّمتها سيليست لبيري لأول مرّة، أنه كان من الواضح أنها لم تخبر زوجها إلا أنهما التقيا خلال دروس السباحة فقط. لم يكن من الضروري دائمًا إخبار زوجك بالقصة كاملة.

غيرت مادلين الموضوع على الفور.

سألت: «هل سافر بيري إلى أي مكان كعادته؟».

كان صوت سيليست نقيًا وواضحًا فجأةً: «إلى فيينا، نعم، وسيغيب لثلاثة أسابيع».

قالت مادلين ممازحةً: «ستفتقدينه أليس كذلك؟».

ساد الصمت فجأة.

سألت مادلين: «ألا زلتِ معي؟».

سيليست: «أحب تناول الخبز المحمص على العشاء».

مادلين: «أوه، نعم، أتناول بسكويت الزبادي والشوكولا على العشاء كلما غاب إد. أوه، يا إلهي، لماذا أبدو متعبة للغاية؟».

كانت تجري المكالمة وهي تجلس على السرير في الغرفة الملحقة بالمكتب حيث اعتادت أن تطوي الغسيل وقد لاحظت انعكاس صورتها على مرآة خزانة الملابس على أحد جوانب الجدار. نزلت من السرير وهرعت إلى المرآة، وكان لا يزال الهاتف ملتصقًا بأذنها.

- «ربما أنك متعبةٌ بالفعل». اقترحت سيليست.

ضغطت مادلين بأصبعها تحت عينيها. وقالت: «لقد نمت جيدًا البارحة!». كل يوم أفكّر، يا إلهي تبدين متعبةً اليوم، وقد تبيّن لي مؤخرًا بأنني لا أبدو كذلك لأنني مرهقة، بل هو ما آل إليه شكلي حاليًا ...».

- «الخيار؟ أليس هذا ما تستخدمينه لتخفيف الانتفاخ؟». قالت سيليست بهدوء.

كانت مادلين تعرف بأن سيليست لا تهتمّ بكثيرٍ من الأشياء والتفاصيل التي كانت تهتم بها مادلين في حياتها: كالثياب والعناية بالبشرة والمكياج والعطور والمجوهرات والإكسسوارات. كانت تنظر مادلين إلى سيليست بشعرها الذهبي الأحمر الطويل المشدود للخلف كيفما اتفق وكانت تتوق للإمساك بها واللعب معها وكأنها إحدى دمى باربي الخاصة بكلوي.

خاطبت سيليست: «أنا حزينةٌ على ضياع شبابي».

أصدرت سيليست صوت استهجان.

- «أعرف أنني لم أكن بذلك الجمال أصلاً».

- «أنتِ ما زلت جميلةً».

ألقت مادلين نظرةً على وجهها في المرآة ثم ابتعدت. لم ترغب أن تعترف، حتى لنفسها، إلى أي مدى تسببت شيخوخة وجهها في اكتئابها بالفعل. أرادت أن تكون فوق مثل هذه المخاوف السطحية. أرادت أن تشعر بالاكتئاب من وضع العالم ككل وليس من تغضن وجهها وتجعد بشرتها. في كل مرةٍ ترى فيها الدليل على الشيخوخة الطبيعية لجسدها، كانت تشعر بخجلٍ لا يوصف، وكأنها لم تكن تبذل جهدها الكافي لدرئها. في الوقت الذي كان يبدو فيه إد أكثر جاذبيةً مع انقضاء كل عامٍ، وكلّما تعمقت الخطوط حول عينيه وأصبح شعره رماديًا.

جلست على السرير وبدأت تطوي الملابس.

قالت لسيليست: «جاءت بوني لأخذ أبيغيل اليوم. عندما وصلت إلى الباب شعرتُ أنها تبدو، لا أعرف، مثل جامع الفواكه السويدي، بوشاحٍ أحمر وأبيض على رأسها، لقد خرجت أبيغيل مسرعةٌ من البيت. ركضتْ بسرعة وكأنها لا تستطيع الانتظار حتى تبتعد عن أمها العجوز الشمطاء».

سيليست: «آه، الآن فهمت».

- «أشعر أحيانًا بأنني أخسر أبيغيل. أشعر وكأنها تنجرف بعيدًا، وأريد أن أمسكها وأقول: (أبيغيل، لقد تركتكِ أنت أيضًا. لقد هجرنا كلانا). لكن عليّ أن أكون أكبر من هذا. والأفظع من هذا كله هو أنني أعتقد أنها أكثر سعادةً عندما تكون مع عائلتها الغبية تمارس التأمّل وتأكل الحمص والبازلاء».

- «بالتأكيد لا». قالت سيليست.

- «أنا أعرف ذلك، صحيح؟ أنني أكره الحمص».

- «حقًا؟ أنا أحب الحمص. إنه جيدٌ بالنسبة لك أيضًا».

- «اسكتي. إذًا هل ستجلبين الولدين معك ليلعبا مع زيغي؟ أشعر أن تلك المسكينة جين ستحتاج إلى بعض الأصدقاء هذا العام. لنكن صديقتيها ونهتم بها».

- سيليست: «بالطبع، سنأتي، وسأجلب الحمص معي».

السيدة ليبمان: لا. لم تشهد المدرسة مسابقةً أو احتفال انتهى بإراقة الدماء من قبل. أجد هذا السؤال مهينًا ومجحفًا.

الفصل الخامس عشر

قال زيغي أثناء سيرهما في الممر المؤدي إلى منزل مادلين: «أريد أن أعيش في بيتٍ من طابقين مثل هذا».

جين: «أحقًا تريد ذلك؟». ثم عدلت حقيبتها على ذراعها. كانت تحمل في ذراعها الأُخرى صندوقًا بلاستيكيًا يحتوي على كعك الموز الطازج.

هل تريد حياةً مثل هذه؟ أرغب بمثل هذه الحياة أيضًا.

- «أمسك هذا للحظةٍ، هل يمكنك ذلك؟». أعطت زيغي الكيس حتى تتمكن من إخراج قطعتين من العلكة من حقيبتها وهي تتفحص البيت. لقد كان منزلاً عاديًا للعائلة، مؤلفًا من طابقين من الطوب الكريمي اللون. كان يبدو متداعيًا بعض الشيء، وكان العشب بحاجةٍ للجز والتشذيب، كما عُلّقَ زورقان مزدوجان فوق السيارة في المرآب. كانت ألواح التزلج وركوب الأمواج مسندة على الجدران، ومناشف الشاطئ منشورة فوق حبال الشرفة، كما تُرِكتْ دراجة طفلٍ في الحديقة الأمامية.

لم يكن هناك أي شيء مميز في هذا المنزل. كان مشابهًا لمنزل عائلة جين، رغم أن منزل جين كان أصغر حجمًا وأكثر ترتيبًا، كان يبعد ساعةً بالسيارة عن الشاطئ، لِذلك لم يكن هناك أي دليلٍ على أنشطة الشاطئ، باستثناء أن له نفس ميزة المنزل العادي والبسيط في الضواحي.

لكن هذه هي الطفولة.

كان المنزل بسيطًا جدًا. لم يكن زيغي يطلب الكثير. كان يستحق حياةً كهذه.

لو لم تخرج جين تلك الليلة، لو لم تشرب ذلك الكأس الثالث من كوكتيل التيكيلا (مشروب كحولي شتوي مقابل للفودكا. وهو مشروب خالص «ليس مزيجًا» ويصنع من الصبّار وأصله مكسيكي)، لو أنها قالت: «لا شكرًا» عندما انزلق في المقعد المجاور لها، لو أنها بقيت في البيت وأنهت دراستها ونالت إجازة في قانون الفن وحصلت على عملٍ وزوجٍ ورهنٍ عقاري وفعلت ذلك كله بطريقةٍ مناسبة، لربما كانت ستعيش يومًا في منزلٍ عائلي ولكانت شخصًا لائقًا يعيش حياةً أسرية لائقة.

لكن حينها لن يكون زيغي هو زيغي نفسه.

وربما لن تُرزق حينها بأطفالٍ على الإطلاق. تذكرت الطبيب وعبوسه الحزين قبل عامٍ فقط من حملها. «جين، عليكِ أن تفهمي، سيكون صعبًا جدًا عليكِ أن تحملي، إن لم يكن مستحيلاً».

- «زيغي، زيغي، زيغي!»، انفتح الباب الأمامي فجأةً وخرجت كلوي راكضةً، بفستانٍ رقيق وحذاءٍ مطاطي، وسحبت زيغي من يده: «أنتَ هنا لتلعب معي، أليس كذلك؟ وليس مع أخي فريد».

ظهرت مادلين خلفها، وهي ترتدي فستانًا طويلاً مرقطًا باللون الأبيض والأحمر موديل الخمسينات. كان شعرها مصففًا للخلف ويتأرجح كذيل حصان.

- «جين! سنةٌ سعيدة! كيف حالك؟ من الرائع رؤيتك. انظري، لقد شفي كاحلي! رغم أنك ستكونين سعيدةً لرؤيتي أرتدي حذاءً مستويًا».

وقفت على قدمٍ واحدةٍ وأدارت كاحلها، لتريها حذاء باليه أحمر لامع. قالت لها جين وهي تعطيها الكعك: «إنه يشبه شبشب دورثي الياقوتي».

مادلين: «تمامًا، ألا يعجبكِ؟»، قامت بنزع غطاء الصندوق: «يا إلهي. لا تقولي أنّك أنت من خبزها؟»‌.

- «نعم أنا من خبزها». كان بإمكانها سماع ضحكات زيغي من مكانٍ ما في الطابق العلوي. غرّد قلبها لدى سماع صوته وأحسّت أن قلبها يطير إلى حيث هو.

قالت مادلين: «انظر إلى حالك، مع الفطائر المخبوزة حديثًا وأنا التي أرتدي مثل ربة منزلٍ في الخمسينات. أحب فكرة الخَبْزْ لكني لا أستطيع تطبيقها على أرض الواقع، لا يبدو أن لدي جميع المكونات. كيف يمكنكِ الحصول على كل هذا الطحين والسكر، لا أعرف، وعلى خلاصة الفانيلا أيضًا؟».

جين: «حسنًا، اشتريهم من المكان الذي يدعى السوبرماركت».

مادلين: «أفترض أنك تضعين قائمةً، ثم عليكِ أن تتذكري أخذ القائمة معك».

لاحظت جين أن مشاعر مادلين تجاه المعجنات التي تصنعها كانت مشابهةً لمشاعرها تجاه إكسسوارات مادلين: إعجابٌ يشوبه نوعٌ من الاستغراب.

- «ستأتي سيليست وولداها اليوم أيضًا. ستحوم فوق فطائرك. شاي أم قهوة؟ من الأفضل ألا نتناول الشمبانيا في كل مرةٍ نلتقي فيها، رغم أنني على قناعة به. هل تتناولين أي شيءٍ للاحتفال؟».

قادتها مادلين إلى مطبخٍ كبيرٍ بجانب غرفة الجلوس.

جين: «ليس هناك ما نحتفل به، سيكون الشاي العادي أمرًا رائعًا».

سألتها مادلين وهي تقوم بتشغيل الغلاية: «كيف سارت أمور الانتقال معكِ؟ كنا بعيدين عن الساحل عندما كنتِ تقومين بأعمال النقل وإلا كنت سأعرض على إد مساعدتك. فأنا أقدّمه دائمًا كمتخصصٍ في أعمال النقل. إنه يحب ذلك».

- «حقًا؟».

- «لا، لا. بالعكس هو يكره ذلك. في الواقع يغضب مني ويقول أنا لست جهازًا يمكنك إعارته لأيٍ كان»، قالت ذلك وهي تقلّد صوت زوجها

الخشن، «لكن كما تعلمين، إنه يدفع المال لرفع الأثقال في الصالة الرياضية، فلماذا لا يرفع بعض الصناديق مجانًا؟ تفضلي بالجلوس. آسفة على الفوضى».

جلست جين على طاولةٍ خشبيةٍ طويلةٍ تعجّ بمخلفات الحياة الأسرية: ملصقات راقصة باليه، روايةٍ مقلوبة للأسفل، واقي شمس، بعض المفاتيح، لعبة الكترونية، وطائرة من قطع الليغو.

قالت جين: «ساعدتني عائلتي على الانتقال، كان هناك الكثير من الأدراج التي علينا صعودها. وكان الجميع غاضبًا مني نوعًا ما، لكنهم لم يسمحوا لي بدفع أي مبلغ للعتالين». (نرجو ألاّ نضطر إلى إنزال هذه الثلاجة اللعينة مرةً أُخرى على هذه الأدراج في غضون ستة أشهر، قال أخوها).

سألت مادلين وهي تغمر أكياس الشاي: «حليب؟ سكّر؟».

- «لا شيء منهما، فقط شاي أسود. حسنًا، رأيت إحدى أمهات الأولاد في الروضة هذا الصباح»، أرادت جين طرح موضوع يوم التوجيه مستغلّةً غياب زيغي عن الغرفة. «في محطة البنزين. أعتقد أنها تظاهرت بعدم رؤيتي».

لم تكن تعتقد ذلك. بل كانت متأكدة منه. أدارت المرأة وجهها بسرعةٍ في الاتجاه الآخر كما لو أنها تلقت صفعة.

- «أوه، حقًا»، بدت مادلين مستمتعةً، ثم مدّت يدها للحصول على كعكةٍ، «من هي؟ هل تتذكرين اسمها؟».

أجابت جين: «هاربر، متأكدةٌ أنها كانت هاربر. أتذكر أنني أسميتها هاربر الحوّامة لأنها بدت وكأنها تحوم حول ريناتا طوال الوقت. وأعتقد أنها واحدةٌ من الشقراوات ذوات الشعر القصير التي كنت تتحدثين عنهن، صاحبة وجهٍ طويلٍ ومتدلي كوجه كلب الصيد».

ضحكت مادلين: «تلك هي هاربر بالضبط. نعم إنها صديقةٌ جيدةٌ لريناتا، ومن الغريب أنها فخورة بذلك، وكأن ريناتا إحدى المشاهير. فهي ترغب دائمًا بإخبارك أنها تلتقي ريناتا في المناسبات الاجتماعية. أوه، لقد قضينا جميعًا ليلةً رائعةً في مطعمٍ فاخر». وأخذت قضمه من كعكتها.

جين: «أعتقد أن هذا هو السبب في أن هاربر لم ترغب بمواجهتي حينها، بسبب ما حدث».

قاطعتها مادلين قائلةً: «جين. هذا الكعك رائعٌ».

ابتسمت جين عندما أثنت عليها مادلين ونظرت إلى وجهها المشدوه. كان هناك فتاتٌ على أنفها.

- «شكرًا يمكنني أن أقدم لك الوصفة إذا».

- «أوه، يا إلهي، لا أريد الوصفة، أريد الكعك فقط»، أخذت مادلين رشفةً كبيرةً من الشاي، «هل تعلمين ماذا؟ أين هاتفي؟ سأرسل الآن رسالةً نصيةً إلى هاربر لأعرف سبب تظاهرها اليوم بعدم رؤية صديقتي الجديدة التي تخبز كعكًا لذيذًا».

جين: «هيه بالله عليكِ لا تجرئين على ذلك!!». أدركت أن مادلين كانت واحدة من أولئك الأشخاص الخطرين بعض الشيء الذين يقفزون مباشرةً للدفاع عن أصدقائهم ويثيرون موجاتٍ أكبر بكثيرٍ من الموجة الصغيرة الأولى.

مادلين: «حسنًا، لن أسمح بذلك، إن تسببت لكِ تلك النسوة بمشاكل نتيجة ما حصل في يوم الطلبة الجدد فلن أسكت، بل سأغضب كثيرًا. من الممكن أن يحصل ذلك لأي شخص».

جين: «كنت سأجعل زيغي يعتذر»، كان عليها أن توضح لمادلين أنها من ذلك النوع من الأمهات التي تجعل طفلها يتأسف، «لقد صدقته عندما قال لي أنه لم يفعلها».

مادلين: «بالطبع تصدقينه، وأنا متأكدةٌ أنه لم يفعلها. يبدو طفلاً وديعًا».

جين: «أنا إيجابية مئة بالمئة. حسنًا أنا إيجابية تسعٌ وتسعون بالمئة. أنا ...».

توقفت وابتلعت ريقها لأنها شعرت فجأةً برغبةٍ عارمة بالإفصاح عن شكوكها لمادلين. لتخبرها بالضبط ما يعنيه لها ذلك الواحد بالمائة من الشك. فقط ... لتقول ذلك. كي تكون مدخلاً لقصةٍ لم تشارك بها أحدًا قط. ولوضعها في سياق حدثٍ له بداية وعرض ونهاية.

كانت ليلةً ربيعيةً دافئةً من ليالي أكتوبر الساحرة. وكان عبق الياسمين يملأ المكان. كنت أعاني من حمىّ القش الرهيبة. ألم في الحلق. وحكةٌ في العيون.

كان بإمكانها أن تسهب بالحديث دون تفكير، ومن دون أن تشعر بذلك، حتى تنتهي الحكاية.

ربما تقول مادلين حينها بأسلوبها المألوف والحاسم: «أوه، لا داعي للقلق بشأن ذلك يا جين. ذلك ليس له أية عواقب! زيغي هو نفسه زيغي وكما تظنيه أنتِ. فأنت أمّه، وأنت تعرفينه جيدًا».

لكن ماذا لو أنها فعلت العكس؟ ماذا لو أن الشك الذي ينتاب جين الآن قد انعكس على وجه مادلين ولو للحظةٍ، فماذا بعد؟ ستكون أسوأ خيانةٍ لزيغي.

- «أوه، أبيغيل! تعالي وتناولي معنا فطيرةً!»، نظرت مادلين إلى فتاةٍ مراهقة تدخل المطبخ، «جين، هذه ابنتي أبيغيل».

تسللت نغمةٌ مزيفة إلى صوت مادلين. وضعت فطيرتها وبدأت تلعب بأحد أقراطها. قالت مرةً أُخرى: «أبيغيل؟ هذه جين!».

استدارت جين وهي في كرسيها: «مرحبا أبيغيل». قالت موجهةً كلامها للفتاة المراهقة التي كانت تقف صامتةً ومستقيمةً، ويداها مشبوكتان أمامها وكأنها تشارك في طقسٍ ديني.

أبيغيل: «مرحبًا». وابتسمت لجين ابتسامةً خاطفة تحمل شيئًا من الودّ غير المتوقع. كانت تلك ابتسامة مادلين الرائعة ذاتها، ولولاها لما استطعت القول إن هذه أمٌ وابنتها. كانت بشرة أبيغيل أكثر قتامة وملامحها أكثر حدةً. ينسدل شعرها على ظهرها بشكلٍ عشوائي وكأنها خارجةٌ للتو من السرير، وترتدي ثوبًا بنيًّا يشبه الكيس فوقَ بنطلونٍ ضيقٍ أسود. وامتدت رسوم حناء معقدة من يديها حتى ذراعيها. كان كل ما تتزيّن به من حلي هو عبارة عن جمجمةٍ فضية معلقة برباط حذاءٍ أسود حول عنقها.

أبيغيل: «سيمرّ أبي ليأخذني».

مادلين: «ماذا؟ لا، لن يمرّ».

- «بلى، سأمكث هناك الليلة لأن لدي شيئًا أنجزه مع لويزا وعلينا أن نتواجد باكرًا، لذا فهو أقرب إلى منزل أبي».

- «هو أقرب بعشر دقائق على الأكثر». احتجت مادلين.

أبيغيل: «لكن التنقل من منزل أبي وبوني أسهل، نستطيع الخروج من المنزل بسرعةٍ أكبر. لن نُضطر إلى الجلوس في السيارة منتظرين بينما يبحث فريد عن حذائه أو تعود كلوي إلى الداخل لتأخذ دمية باربي مختلفة أو أي شيءٍ آخر».

مادلين: «وهل يعني ذلك أن سكاي لم تُضطر أبدًا للعودة إلى الداخل لتستبدل دمية باربي بأُخرى».

- «لا تسمح بوني أبدًا لسكاي باللعب بدمى باربي ولو بعد مليون عام»، قالت أبيغيل، وهي تلف عينيها، وكأن ذلك أمرٌ معروفٌ للجميع، «أعني أنه ينبغي ألا تسمحي لكلوي باللعب بهذه الدمى، ماما، فهي لا تعزز بتاتًا المساواة بين الجنسين، بل تقدم لها تصوّراتٍ غير واقعية عن شكل جسمها».

- «نعم، حسنًا، لقد فات الأوان إذا كان الأمر يتعلق بكلوي وباربي». قابلت مادلين جين بابتسامةٍ كئيبة.

كان هناك صوت زمورٍ في الخارج.

أبيغيل: «إنه هو».

مادلين: «هل اتصلت به حقًا؟»، احمرت وجنتاها، «لقد رتبتِ الأمر دون أن تسأليني حتى؟».

أبيغيل: «سألت أبي»، لفت حول الطاولة وطبعت قبلةً على خد مادلين، «باي ماما».

ثم وجّهت كلامها لجين وهي تبتسم: «سُعدت بلقائك». لا يمكنك إلا أن تحبها.

نهضت مادلين عن الطاولة وقالت: «أبيغيل ماري! هذا غير مقبول. لا يمكنك بكل بساطة اختيار المكان الذي ستقضين فيه ليلتك».

توقفت أبيغيل ثم استدارت وقالت: «لمَ لا؟ لماذا يحق لكِ أنت وأبي اختيار ما عليّ فعله واتخاذ القرارات عني؟»، استطاعت جين أن ترى مدى التشابه بين أبيغيل ومادلين من خلال الطريقة التي استشاطت بها أبيغيل غضبًا، «وكأنني شيءٌ تمتلكينه. وكأنني سيارتك ويمكنك محاصصتي».

- «ليس الأمر كذلك». بدأت مادلين.

- «بل هو كذلك»، قالت أبيغيل.

وانطلق صوت زمورٌ آخر من الخارج.

- «ماذا يجري؟». دخل رجلٌ في منتصف العمر إلى المطبخ وهو يرتدي بدلة غواصين مفتوحةً حتى الخصر، وتكشف عن صدرٍ عريضٍ كثيف الشعر. كان بصحبته طفلٌ صغير يرتدي بنفس الطريقة تمامًا باستثناء أن صدره كان نحيلاً وبلا شعر.

قال موجهًا كلامه لأبيغيل: «أبوك في الخارج أمام المنزل ينتظرك».

قالت أبيغيل وهي تنظر إلى صدر الرجل الكثيف الشعر: «أعرف ذلك. لا يجب عليك أن تتجول هكذا في الأماكن العامة. هذا مقرف».

- «ماذا؟ هل تقصدين استعراض جسدي الجميل؟». ضرب الرجل بقبضته على صدره وابتسم لجين. ردت له الابتسامة بصعوبة.

أبيغيل: «شيء مقزز. أنا ذاهبةٌ الآن. أمي».

مادلين: «سنتحدث أكثر عن ذلك لاحقًا!».

- «لا يهمّ».

صرخت مادلين: «لا تقولي لا يهمّ!».

صُفق الباب بقوة.

قال الولد الصغير: «ماما أكاد أموت من الجوع».

مكتبة
t.me/t_pdf

ردّت مادلين بتجهّم: «خذ فطيرةً»، غاصت في كرسيها: «جين، هذا هو زوجي إد، وابني فريد، إد وفريد. يسهل تذكر اسمهما».

– «لأنهما متناغمان». أوضح فريد.

قال إد: «طاب يومكِ»، صافح يد جين، «أنا آسف لمظهري المقزز. كنتُ وفريد نمارس ركوب الأمواج». جلس على الطاولة قبالة جين ووضع ذراعه حول مادلين: «هل أبيغيل هي من جعلتك تحزنين؟».

ضغطت مادلين بوجهها على كتفه: «تبدو مثل كلبٍ مبللٍ ومالح».

– «إنها لذيذة». أخذ فريد قضمه كبيرةً من فطيرته في الوقت الذي كان يمد يده ليأخذ فطيرةً ثانية. ستجلب جين المزيد منها في المرة القادمة.

– «أمي! نحن بحاجةٍ إليك!». نادت كلوي من آخر الرواق.

– «سأذهب لركوب الأمواج على لوح التزلج». وأخذ فريد فطيرةً ثالثةً.

قالت مادلين واد معًا: «الخوذة».

صرخت كلوي: «أمي».

ردت مادلين: «سمعتكِ! تحدث إلى جين يا إد!». وهرعت في الرواق ...

هيّأت جين نفسها لتبادل أطراف الحديث، لكن إد ابتسم بسرعةٍ لها، أخذ فطيرةً وجلس في كرسيه.

– «إذًا أنتِ والدة زيغي. كيف خطر على بالك اسم زيغي؟».

أجابت جين: «أخي اقترح الاسم. إنه معجبٌ جدًا ببوب مارلي، وأعتقد أن بوب مارلي لديه ولد يدعى زيغي؟».

توقفت، وتذكرت وزن طفلها العجيب بين ذراعيها، وعينيه الوقورتين: «أحببته لأنه كان شيئًا مختلفًا. اسمي مملٌ جدًا. ببساطة جين وهذا كل شيء».

قال إد مؤكدًا: «جين اسمٌ كلاسيكي جميل»، مما جعلها تقع في حبه قليلاً، «في الحقيقة، كان اسم جين ضمن قائمتي عندما كنا نبحث عن اسمٍ لكلوي، لكن اقتراحي رُفض، وفزت فقط باسم فريد».

وقعت عينا جين على صورة الزفاف المعلقة على الجدار: كانت مادلين ترتدي فستانًا من قماش التول الرقيق بلون الشمبانيا، وتجلس في حضن إد، كانت عيناهما مغمضتان من شدة الضحك.

- سألته: «كيف التقيت أنت ومادلين؟».

لمعت عينا إد. كان من الواضح أنّها قصةٌ حلوةٌ يحب أن يرويها: «كنت أعيش في الشارع المقابل لها عندما كنا صغارًا. كانت تعيش مادلين بجوار عائلةٍ لبنانيةٍ كبيرةٍ. لهذه العائلة ستة أبناء: أولادٌ كبار ضخام القامة. كنت أخشاهم. وقد اعتادوا على لعب الكريكت في الشارع، وأحيانًا كانت مادلين تشاركهم اللعب. كانت تهرول، وكان حجمها نصف حجم تلك الكتل الكبيرة، كانت تضع شرائط في شعرها، وأساور لامعة في معصميها، حسنًا هل تعرفين كيف كانت تبدو، كانت أكثر الفتيات أنوثةً وجرأةً والتي سبق أن رأيتهن على الإطلاق، لكن يا إلهي، يمكنها لعب الكريكيت». وضع فطيرته ووقف ليشرح: «بهذه الطريقة كانت تأتي، مندفعةً بحماسٍ وهي تثير زوبعةً من الغبار بشعرها، وتتقدم متعثرةً بفستانها، تأخذ المضرب، ومن ثمّ تضرب بقوةٍ، وااااام!»، ثم حرك يديه وكأنه يضرب بمضرب كريكيت، «كان أولئك الأولاد يخرّون على ركبهم، ممسكين برؤوسهم».

عادت مادلين من غرفة كلوي: «أما زلت تروي قصة الكريكيت مرةً أُخرى؟».

إد: «آنذاك وقعت في هواها بصدقٍ وجنونٍ وبكل جوارحي. كنت أراقبها من شباك غرفتي».

قالت مادلين بابتهاجٍ: «حتى أنني لم أعرف أنه كان موجودًا أصلاً».

- «كلا، لم تكن تعرف. هكذا كبرنا، ثم تركنا البيت، وسمعت من أمي بأن مادلين قد تزوجت من شخصٍ وغد».

ضربت مادلين ذراعه: «اصمت».

- «بعد ذلك بسنوات، كنت ذاهبًا إلى حفل شواء بمناسبة عيد ميلاد صديقي الثلاثين. وكان هناك لعبةٌ كريكت في الفناء الخلفي، ومن كانت

يا ترى تلك التي تضرب الكرة بحذائها ذو الكعب الطويل، وقد اصطف الجميع بالطريقة نفسها؟ إنها مادلين الصغيرة التي كانت تسكن قبالة منزلي. كاد أن يتوقف قلبي».

علّقت جين: «تلك قصةٌ رومانسية للغاية».

إد: «وكاد أن يفوتني حفل الشواء». رأت جين لمعان عينيه رغم لا بدّ أنه روى هذه الحكاية مئات المرّات من قبل.

مادلين: «وكاد أن يفوتني موعدي كذلك. فاضطررت لإلغاء جلسة البديكير (العناية بالأقدام)، وأنا لا أقوم عادةً بإلغاء تلك الجلسة مهما يكن.

تبادلا الابتسامة سويةً.

حدّقت جين في البعيد. التقطت فنجان شايها وأخذت رشفةً مع أنه كان فارغًا.

رن جرس الباب.

مادلين: «لا بد أنها سيليست».

- «عظيم»، فكّرت جين، مستمرة بالتظاهر برشف كوب شايها الفارغ. «الآن سأكون في حضرة الحب الكبير والجمال الرائع».

كان كل ما يحيط بها ملونًا بألوانٍ تضجّ بالغنى والحيوية. كانت هي الشيء الوحيد الذي لا لون له في هذا البيت كله.

الآنسة بارنز: من الواضح أن أولياء الأمور كانوا يشكّلون مجموعاتهم الاجتماعية الخاصة بهم خارج المدرسة. قد لا يكون للخلاف الذي جرى ليلة المسابقة أي علاقةٍ بما كان يجري في مدرسة بيريوي العامة. أعتقد أنني يجب أن أشير إلى ذلك فقط.

ثيا: نعم، حسنًا، ستقول الآنسة بارنز ذلك، صح؟

الفصل السادس عشر

- «ما رأيك بجين؟»، سألت مادلين إد تلك الليلة في الحمام وهو ينظف أسنانه، بينما كانت تقوم هي بوضع مسحةٍ خفيفةٍ من كريم مرطب حول العينين باهظ الثمن على «الخطوط الدقيقة والتجاعيد» في وجهها. (كانت حاصلة على شهادة في التسويق. وكانت تعلم أنها تنفق أموالها لشراء بصيص أملٍ)، «إد؟ إنني أكلمك».

- «إنني أنظف أسناني، أمهليني لحظةً». غسل فمه، وبصق ونقر فرشاة الأسنان على جانب المغسلة. طق. طق. طق. ثلاث ضرباتٍ قويةٍ ومحددةٍ للفرشاة وكأنها مطرقةٌ أو مفتاح البراغي. في بعض الأحيان، عندما كانت تحتسي الشمبانيا، تكاد تموت من شدة الضحك عند مشاهدة إد ينقر فرشاة أسنانه على المغسلة.

إد: «بدت لي جين وكأنها فتاةٌ في الثانية عشرة من عمرها، وكأن أبيغيل أكبر منها سنًا. لا أستوعب فكرة أنها زميلةٌ لي من أولياء الأمور»، وجه فرشاة الأسنان نحوها وابتسم ابتسامةٌ عريضة، «لكنها ستكون سلاحنا السري في ليلة المسابقة السنوية. ستعرف إجابات جميع الأسئلة العامة التي تخص جيل الشباب».

مادلين: «أعتقد أنني أعرف أشياء عن الثقافة العامة والشبابية خاصة أكثر من جين. لدي شعورٌ بأنها ليست النموذج الذي تتخيله عن المرأة في

الرابعة والعشرين من عمرها، بل تبدو تقليدية في بعض النواحي، وكأنها من جيل أمي».

تفحصت وجهها ثم تنهدت وأعادت علبة كريم مزيل التّجاعيد تلك إلى الرف.

إد: «يستحيل أن تكون امرأة تقليدية، قُلتِ إنها حملت من علاقة ليلةٍ واحدة».

مادلين: «لكنها استمرت في ذلك وأنجبت طفلاً، هذا هو النمط المحافظ».

إد: «لكن حينها كانت ستتركه على باب الكنيسة في سلة لعينة».

– «ماذا؟».

– «سلة خيزران. تلك هي الكلمة أليس كذلك؟ خيزران؟».

– «اعتقدت أنّكَ قلتْ سلة لعينة».

– «نعم قلت. كنت أصوّب خطأي. مهلاً، وما قصة كل هذه العلكة؟ كانت تمضغها طوال النهار».

– «أعرف. يبدو وكأنها مدمنة عليها».

أطفأ إد ضوء الحمّام. وذهب كلٌّ منهما إلى الجهةٍ المقابلة من السرير، أطفأ كلاهما المصباح الذي بجانبه وسحبا الغطاء للخلف بحركةٍ سَلِسلةٍ ومتزامنةٍ أثبتت، بحسب اعتقاد مادلين، أن زواجهما كان مثاليًا أو أنهما عالقان في روتين الطبقة الوسطى التي تسكن الضواحي، وأنهما بحاجة لبيع البيت والسفر في أنحاء الهند.

– «أرغب في جعل جين تغيّر مظهرها جذريًا»، قالت مادلين وهي مستغرقة في التفكير عندما وجد إد الصفحة التي يبحث عنها في كتابه. كان إد من أشدّ المعجبين بباتريشيا كورنويل والروايات البوليسية وجرائم القتل التي تتناولها. وأردفت: «كالطريقة التي تسحب بها شعرها للوراء، فهو مشدودٌ كثيرًا. يحتاج لبعض الحجم».

غمغم إد: «الحجم، بالتأكيد. ذلك ما تحتاجه. كنت أفكر بالشيء نفسه». قلبَ صفحةً.

مادلين: «نحتاج إلى المساعدة للعثور على صديقٍ لها».

- «يجدر بك أن تعملي على ذلك».

- «أرغب في جعل سيليست تغيّر شكلها أيضًا»، أضافت: «أعرف أن ذلك يبدو غريبًا. بالتأكيد ستبدو جميلةً مهما كان نوع التغيير».

إد: «سيليست؟ جميلة؟ لا أستطيع القول إنني لاحظت ذلك، ها، ها».

التقطت مادلين كتابها ثم وضعته مباشرةً مرةً أُخرى: «يبدو أنهما مختلفتان للغاية، جين وسيليست، لكنني أشعر أنهما متشابهتان أيضًا نوعًا ما. لا يمكنني معرفة كيف».

وضع إد كتابه: «يمكنني أن أخبرك كيف هما متشابهتان».

- «هل تستطيع الآن؟».

إد: «كلاهما متأذيتان».

- «متأذيتان؟ كيف هما متأذيتان؟».

- «لا أعرف، لكنني أستطيع تمييز الفتيات المتأذيات. كنت أواعدهن. يمكنني اكتشاف الفتاة المتضررة على بعد ميل».

سألت مادلين: «وهل كنتُ أنا متأذيةٌ أيضًا؟ هل هذا ما جذبك لي؟».

قال إد: «كلا»، التقط كتابه مرةً أُخرى، «لا، لم تكوني متأذية ولا متضررة».

احتجت مادلين: «نعم، كنت كذلك!»، أرادت أن تكون مثيرةَ للشفقة ومتضررةً أيضًا، «كنتُ محطمة الفؤاد عندما التقيت بي».

إد: «هناك فرقٌ بين الحزن والضرر، كنتِ حزينةً ومجروحةً. ربما كان قلبك مجروحًا، لكنه لم يكسرك. الآن أريد منكِ أن تهدئي لأنني أعتقد أنني أقع في تضليلٍ هنا، وأنا لا أريد أن أقع به، سيدة كورنويل، لا لست كذلك».

مادلين: «أممم، حسنًا، ربما تكون جين متضررةً، لكنني لا أرى الشيء الذي تضررت منه سيليست. فهي جميلةٌ وغنية وزواجها سعيد وليس لديها زوج سابق يسرق ابنتها منها».

قال إد وعيناه على كتابه: «إنه لا يحاول سرقتها، يحدث هذا لأن أبيغيل مراهقةً فقط. فالمراهقون مجانين كما تعلمين».

التقطت مادلين كتابها. فكرت في جين وزيغي وهما يسيران يدًا بيدٍ في الممر بعد أن غادرا ظهر ذلك اليوم. كان زيغي يخبر جين شيئًا ما، وإحدى اليدين الصغيرتين تومىء بعنفٍ، بينما جين تميل برأسها إلى أحد الجانبين كي تسمعه جيدًا، ويدها الأُخرى تمسك بمفاتيح السيارة كي تفتحها. سمعتها مادلين تقول: «أعرف! دعنا نذهب إلى ذلك المكان حيث نحصل على فطائر التاكو اللذيذة!».

أعادت تلك الصورة إلى ذاكرتها سيلٌ من الذكريات تعود للسنوات التي كانت فيها أمًّا وحيدة. بقيت لخمس سنواتٍ هي وأبيغيل فقط. كانتا تعيشان في شقةٍ صغيرةٍ مؤلفةٍ من غرفتي نومٍ فوق مطعمٍ إيطالي. وأكلتا الكثير من المعكرونة الجاهزة وخبز الثوم المجاني. (زاد وزن مادلين حينها سبعة كيلوغرامات). كانتا تنتسبان إلى آل ماكنزي في الوحدة التاسعة.

أعادت كنية أبيغيل إلى كنيتها قبل الزواج (ورفضت تغييرها مرةً أُخرى عندما تزوجت إد، يمكن للمرأة تغيير كنيتها لمراتٍ عديدة دون أن يصبح الأمر مضحكًا). لم تستطع تحمل فكرة أن تتنقل أبيغيل وهي تحمل كنية والدها في حين اختار ناثان أن يقضي عيد الميلاد مستلقيًا على شاطئ في بالي مع مصففة شعرٍ قبيحة. مصففة شعرٍ، وهي بالمناسبة، لا تتمتع بشعرٍ جميل: جذور سوداء وأطراف متقصفة.

قالت موجهةً كلامها لإد: «لطالما كنت أعتقد أن عقاب ناثان لهجره لنا هو أن أبيغيل لن تحبّه بالطريقة التي تحبّني بها. كنت أردد ذلك طوال الوقت. أن أبيغيل لن تستعين بناثان لحمايتها والوقوف إلى جانبها. بل اعتقدت أنه سيدفع الثمن. ولكن أتعلم ماذا؟ إنه لا يدفع ثمن خطاياه. فهو لديه الآن

بوني الألطف والأصغر سنًا والأكثر جاذبيةً مني، ولديه ابنة جديدةً يمكنها أن تكتب كل الأحرف الأبجدية، ولديه الآن أبيغيل أيضًا! لقد نجا بفعلته. ولم يشعر بالندم أبدًا».

لقد فوجئت بسماع صوتها يتكسّر. ظنّت أنها كانت غاضبة فقط، لكنها عرفت الآن أنها مجروحة. لقد أثارت أبيغيل غضبها من قبل. وأحبطتها وأزعجتها. لكن هذه كانت المرة الأولى التي تؤذيها فيها.

قالت بنبرةٍ طفولية: «كان من المفترض أن تحبّني أنا أكثر». حاولت أن تضحك، لأنها اعتبرتها مزحة، لكنها كانت جادّة بذلك إلى أبعد حد.

- «اعتقدت أنها تحبّني أكثر منه».

وضع إد كتابه وأحاطها بذراعيه: «هل تريدين منّي أن أقتل ذلك اللقيط؟ وأمسحه عن وجه الأرض؟ يمكنني تلفيق التهمة لبوني بذلك؟».

قالت مادلين من فوق كتفه: «نعم من فضلك. سيكون ذلك جميلاً».

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: لم نقم بأية اعتقالات في هذه المرحلة ولكن يمكنني القول إننا ربما تحدثنا بالفعل إلى الشخص أو الأشخاص المتورطين بذلك.

ستو: لا أعتقد أن أحدًا، بما في ذلك الشرطة، لديه أدنى فكرة عمن فعل ذلك.

الفصل السابع عشر

غابرييل: ظننت أنه ربما كان هناك، لا أعرف، قواعد معينة حول تسليم دعوات الحفلة. أعتقد أن ما حدث في اليوم الأول لافتتاح روضة الأطفال كان غير مناسبٍ نوعًا ما.

- «ابتسمْ زيغي، هيا ابتسم!».

ابتسمَ زيغي أخيرًا في اللحظة التي تثاءب فيها والد جين. ضغطت جين على غالق الكاميرا ثم فحصت الصورة على شاشة الكاميرا الرقمية.

زيغي ووالدتها كانا يبتسمان بشكلٍ جميل، بينما كان والدها عالقٌ وسط تثاؤب: فمه مفتوح وعيناه مغمضتان. لقد كان متعبًا للغاية لأنه كان عليه أن يستيقظ باكرًا ليسافر من غرانفيل إلى شبه الجزيرة ليرى حفيده في يومه الأول من المدرسة.

كان والدا جين يذهبان إلى النوم متأخرين ويستيقظان متأخرين. وفي هذه الأيام كان أي شيءٍ يتطلب منهما الخروج من البيت قبل التاسعة صباحًا يحتاج منهما بذل جهدٍ هائل.

كان والدها قد تقاعد مبكّرًا من عمله في الخدمة العامة العام الماضي، ومنذ ذلك الحين، كان هو ووالدتها يسهران حتى وقتٍ متأخر إلى الثالثة أو

الرابعة صباحًا وهم يحلاّن الألغاز. كان شقيق جين قد قال لها: «سيتحول والدينا إلى خفافيش، خُفّاشين يلعبان ألعاب تركيب الصور».

قالت امرأة تقف في الجوار: «هل تريدون أن يلتقط زوجي لكم صورةً جماعية؟ كنت أوّد أن أقوم أنا بذلك، لكن أنا والتكنولوجيا لسنا أصدقاء».

نظرت جين باتجاه الصوت. كانت المرأة ترتدي تنورةً فضفاضةً طويلةً وقميصًا أسودًا. كانت تزين معصميها بخيوطٍ مجدولة، وقد ضفرت شعرها بضفيرةٍ طويلةٍ. وثمّة وشمٌ لرمزٍ صيني على كتفها. بدت خارجة عن المألوف بتلك الملابس إلى جوار أولياء الأمور الآخرين الذين يرتدون ملابس الشاطئ المعتادة، أو اللباس الرياضي، أو ملابس العمل. بدا زوجها أكبر سنًا منها بكثير، وكان يرتدي قميصًا وشورتًا، لكن الثياب كانت ذات مقاسٍ موحّد لأب في منتصف العمر. كان يمسك بيد فتاةٍ صغيرةٍ تشبه الفأر ذات شعرٍ طويلٍ وضعيف، بدا مقاس لباسها المدرسي أكبر من مقاسها بثلاث مراتٍ.

- «أراهن أنّكِ بوني»، فكرت جين مباشرةً، متذكرةً كيف وصفت مادلين زوجة زوجها السابق، وفي نفس اللحظة قالت المرأة: «أنا بوني، وهذا هو زوجي ناثان وابنتي الصغيرة سكاي».

جين: «شكرًا جزيلاً». وسلمت الكاميرا لزوج مادلين السابق. وذهبت لتقف مع والديها وزيغي.

- «قل جبنة وبسكويت». ورفع ناثان الكاميرا.

زيغي: «ماذا؟».

-«قهوة». تثاءبت أم جين.

التقط ناثان الصورة: «ها هي ذا!».

أعاد الكاميرا، في تلك اللحظة كانت فتاة صغيرة ذات شعرٍ مجعد تسير نحو ابنته. شعرت جين بالغثيان. عرفتها جين على الفور. لقد كانت الفتاة

التي اتهمت زيغي بأنه حاول خنقها. أمابيلا. نظرت جين حولها. أين هي الأم الغاضبة؟

قالت أمابيلا باهتمام لسكاي: «ما اسمك؟». كانت تحمل مجموعةً كبيرة من المغلفات الوردية الباهتة.

همست الفتاة الصغيرة «سكاي». كانت شديدة الخجل لدرجة أنك تتألم وأنت تشاهدها تحاول اعتصار نفسها كي تُخرج كلماتها.

تمتمت أمابيلا وهي تقلب بين المغلّفات: «سكاي، سكاي، سكاي».

سألتها والدة جين: «بحقّ الله، هل يمكنك قراءة كل هذه الأسماء بالفعل؟».

قالت أمابيلا بأدب: «أنا أجيد القراءة منذ أن كنت في الثالثة من عمري»، واستمرت في تقليب المغلّفات، «سكاي! ها هو ذا»، سلّمتها ظرفًا ورديًا، «هذه دعوةٌ لعيد ميلادي الخامس. إنها حفلة A، لأن اسمي يبدأ بحرف A».

خاطب والد جين ناثان بنبرة وديّة: «إنها بالفعل تقرأ قبل أن تبدأ المدرسة! هي الأولى في صفّها بكل تأكيد! لا بد أنها تلقّت دروس خصوصية، ما رأيك؟».

ناثان: «حسنًا، بدون تباهي أو غرور، لكن ها هي سكاي تقرأ بشكلٍ جيدٍ أيضًا، ونحن لا نؤمن بالدروس الخصوصية، أليس كذلك، بون؟».

بوني: «نفضل أن ندع نمو سكاي يحصل بشكلٍ طبيعي».

- «ماذا؟، طبيعي؟»، قال والد جين. ثم قطب حاجبيه وأردف: «مثل الفاكهة؟».

التفتت أمابيلا إلى زيغي: «ما اسم ...». وتجمّدت. كان هناك تعبيرٌ من الذعر الشديد على محياها. شدت المغلفات الوردية إلى صدرها كما لو أنها تمنع زيغي من سرقة واحدٍ منها، ودون أن تتلفّظ بأي كلمةٍ، دارت على أعقابها وهربت.

أم جين: «يا إلهي. لِمَ كل هذا؟».

قال زيغي وهو يحاول أن يكون صريحًا: «أوه، لأنني الطفل الذي قالت بأنه آذاها. لكنني لم أفعل ذلك أبدًا يا جدتي».

جالت جين بنظرها في أنحاء الملعب. في كل مكانٍ كانت تنظر إليه كانت ترى أطفالاً يرتدون الزي المدرسي الجديد الموحد والكبير جدًا عليهم.

كان كل واحدٍ منهم يحمل مغلّفًا ورديًا باهتًا.

هاربر: اسمعوا، لا أحد في تلك المدرسة يعرف ريناتا أكثر مني. نحن قريبتين جدًا من بعضنا البعض. أستطيع أن أقول لكم حقيقةً، أنها لم تكن تحاول تسجيل أي موقفٍ في ذلك اليوم.

سامانثا: أوه، يا إلهي، بل كانت تحاول تسجيل نقطة.

الفصل الثامن عشر

كانت مادلين تعاني من نوبةٍ قوية من اضطرابات ما قبل الطمث في أول يومٍ لكلوي في المدرسة. كانت تقاوم وتحاول العودة إلى طبيعتها، لكن دون جدوى. أنا من تحدد حالتي المزاجية، همست لنفسها وهي تقف في المطبخ تتجرّع كبسولات زهرة الربيع المسائية على شكل أقراص فاليوم (كانت تعرف أن ذلك غير مجدٍ، كان من المفترض أن تتناولها بانتظام، لكن كان عليها أن تجرب شيئًا ما، رغم أن هذه الأشياء الغبية كانت مضيعةً للمال فقط). كانت غاضبةً من التوقيت السيء. كانت تود لو تجد طريقةً لإلقاء اللوم على شخصٍ ما، الأنسب هو زوجها السابق، لكنها لم تجد طريقةً لجعل ناثان مسؤولاً عن دورتها الشهرية. لا شك أن بوني كانت ترقص تحت ضوء القمر لتستطيع التعامل مع تقلبات الأنوثة.

كان اضطراب ما قبل الدورة تجربةً جديدةً نسبيًا بالنسبة لمادلين. جزءٌ آخر ظريف من عملية التقدّم بالسن. لم تكن تؤمن به من قبل. لكن عندما وصلت إلى أواخر الثلاثينات، قال جسدها: حسنًا، أنت لا تؤمنين بآلام الدورة الشهرية؟ سأريكِ إياها؟ تحمّلِي عِبأها أيتها العاهرة.

الآن، وليوم واحدٍ كل شهرٍ كان عليها أن تزيّف كل شيءٍ: إنسانيتها الحقيقية، حبها لأولادها، وكذلك حبها لإد. لقد صُدمت ذات مرّةٍ عندما سمعت عن نساءٍ يدعين بأنهن كنّ يعانين من أعراض ما قبل الدورة الشهرية لتبرير جرائمهن. الآن استوعبت الأمر. تستطيع اليوم أن تقتل أحدهم

بسعادةٍ! في الحقيقة، لقد شعرت بأنه يجب أن يكون هناك نوعٌ من الاعتراف بقوة شخصيتها الاستثنائية كونها لم تفعل ذلك (أي كونها لم تقتل أحدًا).

طوال الطريق إلى المدرسة، كانت تقوم بتمارين التنفس العميق لتساعدها على تهدئة مزاجها. لحسن الحظ لم يكن فريد وكلوي يتشاجران في المقعد الخلفي. كان إد يدمدم وهو يقود السيارة، ولم يكن ذلك يُطاق نوعًا ما (بهجة الرجل غير الضرورية والتي لا تعرف الهوادة) لكنه كان يرتدي على الأقل قميصًا نظيفًا، ولم يصرّ على ارتداء قميصه البولو الأبيض ذو المقاس الصغير للغاية وعليه بقعة من صلصة الطماطم التي اعتقد أنها غير مرئيةٍ. لن تتغلب عليها مزاجية ما قبل الدورة الشهرية هذا اليوم. ولن تدمر هذه الأعراض هذا الحدث الهام.

وجدا مكانًا لركن السيارة في مكانٍ مخصصٍ مباشرةً، ونزل فريد وكلوي من السيارة من أول مرة طُلب منهما ذلك.

- «سنة جديدة سعيدة، سيدة بوندر!». صرخت مادلين، وهم يتجاوزون المنزل الريفي الأبيض الصغير بجوار المدرسة حيث جلست السيدة بوندر الممتلئة ذات الشعر الأبيض على كرسيها القابل للطي مع كوبٍ من الشاي وجريدةً.

- «صباح الخير!». نادت السيدة بوندر بلهفةٍ.

- «تابع المسير، هيا تابع». همست مادلين مخاطبةً إد عندما بدأ يُبطئ سرعته. كان يحب الدردشة الطويلة مع السيدة بوندر (التي كانت ممرضةً في سنغافورة خلال الحرب) أو مع أي شخصٍ، وبشكل خاص إذا كان فوق السبعين.

- «إنه اليوم الأول لكلوي في المدرسة!»، صاح إد، «وهو يومٌ عظيم».

السيدة بوندر: «آه، ليباركها الرب».

تابعوا جميعهم السير. استطاعت مادلين السيطرة على مزاجها، مثل كلبٍ مسعور أوثق بقيدٍ محكم.

كانت باحة المدرسة تكتظ بأولياء الأمور الذين يدردشون معًا والأطفال الذين يصرخون. بعض الآباء والأمهات وقفوا بلا حراك بينما تراكض الأطفال حولهم وهم يهرجون ويمرجون، مثل كرات البلي (كرات زجاجية صغيرة) التي تتزحلق داخل آلة البينبول (لعبة الكرة والدبابيس).

كان أولياء أمور بعض الأطفال الجدد في الروضة يبتسمون بتكلّف وعصبية. وكانت أمهات الأولاد في الصف السادس يَتَحَزّبْنَ ضمن مجموعاتٍ صغيرة غير قابلةٍ للاختراق، يجلسن بثقةٍ في أماكنهن كملكات المدرسة. كان هناك ذوات الشعر الأشقر القصير اللواتي يعتنين بصغيراتهن الشقراوات الجميلات.

آه، إنه يومٌ جميل. نسائم البحر المنعشة. وجوه الأطفال المشرقة و ... أوه اللعنة، إنه زوجها السابق.

على ما يبدو أنها لم تكن تعرف أنه سيكون هناك، لكن كان غريبًا أنه بدا مرتاحًا جدًا في فناء مدرسة مادلين، ومعتدًّا للغاية بنفسه، وعاديًا جدًا وقد أتقن دور الأب كثيرًا. والأسوأ من ذلك أنه كان يلتقط صورةً لزيغي وجين (المحسوبان على مادلين!) ولزوجين لطيفين لا يبدوان أكبر من مادلين كثيرًا، لكنها خمّنت بأنهما لا بد أن يكونا والدا جين. كان مصورًا فظيعًا أيضًا. لا تعتمد على ناثان في التقاط صورةً تذكاريةً لك. إياك والاعتماد عليه في أي شيءٍ.

قال فريد: «إنّه والد أبيغيل. لم أرَ سيارته في الخارج». يقود ناثان سيارة نوع لكزس صفراء اللون. كان يحب فريد المسكين الأب الذي يهتم بالسيارات، بالمقابل لا يعرف إد حتى الفرق بين أنواع السيارات وموديلاتها.

أشارت كلوي إلى ابنة ناثان وبوني: «هذه أختي غير الشقيقة!». كان الزي المدرسي لسكاي كبيرًا جدًا عليها، وبدت بعينها الواسعتين الحزينتين وشعرها الطويل المجعد كطفلةٍ صغيرةٍ حزينةٍ قد خرجت للتو من فيلم البؤساء. بإمكان مادلين أن تتنبأ بما سيحدث لاحقًا. ستتبنى كلوي سكاي. لأن سكاي طفلةً من النوع الخجول والتي يمكن لمادلين أن تأخذها تحت جناحها وتشرف عليها عندما تدخل المدرسة. وستطلب كلوي من سكاي أن تأتي للعب معها حتى

تتمكن من اللعب بشعرها. في تلك اللحظة، رمشت سكاي بعينيها بسرعةٍ عندما سقطت خصلة من شعرها على عينيها، فَشَحُبَت مادلين. كانت رمشه تلك الطفلة تشبه تمامًا رمشه أبيغيل عندما ينزل شعرها على عينيها. بدت تلك الطفلة وكأنها قطعةً مجتزأةٌ من ابنة مادلين، ومن ماضي مادلين، ومن قلب مادلين. يجب أن يكون هناك قانون ضد نسل الزوج السابق.

- «للمرة المليون، كلوي»، همست مادلين، «سكاي هي أخت أبيغيل غير الشقيقة، وليست أختك!».

قال إد: «نفسٌ عميق، خُذا نفسًا عميقًا».

أعاد ناثان الكاميرا لجين وسار باتجاههم. كان قد ترك شعره ينمو مؤخرًا. كان رماديًا كثيفًا ومتدليًا على جبينه وكأنه النسخة الأسترالية عن الممثل البريطاني هيو غرانت عندما كان في ريعان شبابه. شكّكت مادلين في نواياه وبأنه قد ترك شعره ينمو عمدًا ليسجل نقطةً على إد، الذي كان أصلعًا آنذاك.

خاطبها قائلاً: «مادي». كان الشخص الوحيد في العالم الذي يناديها مادي. سابقًا كان ذلك مصدرًا كبيرًا للسعادة، غير أنه الآن أصبح مصدرًا للحنق الشديد.

- «إد، صديقي! والصغير ... هممم ... إنه يومك الأول في المدرسة، أيضًا، أليس كذلك؟». لا يمكن لناثان أن يزعج نفسه أبدًا بتذكر أسماء أولاد مادلين. رفع يده وحيًا فريد ضاربًا بكف قائلاً: «مرحبا أيها البطل». فردّ عليه فريد التحية بمثلها.

قبّل ناثان مادلين على وجنتيها وصافح يد إد بحماسٍ. شعر بالزهو من الكياسة التي تعامل بها مع زوجته السابقة وعائلتها.

-«ناثان». ردّد إد. كان لديه طريقته الخاصة في نطق اسم ناثان، بحيث يجعل صوته يخرج ببطء من أعماقه، مشددًا على المقطع الثاني. الأمر الذي جعل ناثان عابسًا قليلاً، لأنه لم يكن يعرف إن كان يسخر منه أم لا. لكن ذلك لم يكن كافيًا اليوم لتعديل مزاج مادلين.

قال ناثان: «يومٌ عظيم، يومٌ رائع. أنتما لكما باعٌ طويلٌ في ذلك، غير أنها المرة الأولى بالنسبة لنا! لا أخجل إن قلت إن دموعي كادت تنهمر عندما رأيت سكاي ترتدي زيّها المدرسي».

لم تتمكن مادلين من ضبط نفسها. قالت: «ليست سكاي طفلتك الأولى التي بدأت المدرسة يا ناثان».

احمرّ وجه ناثان. لقد انتهكت قواعد مشاعرهما غير المعلنة والتي لا تحمل أية ضغائن أو أحقاد. ولكن حبًا بالله. القديس فقط يمكنه أن يترك الأمر يمرّ مرور الكرام. بقيت أبيغيل تذهب إلى المدرسة لمدة شهرين دون أن يلاحظ ناثان ذلك. فقد اتصل في منتصف النهار ليتحدثا سويةً قليلاً. أخبرته مادلين: «إنها في المدرسة».

غمغم: «المدرسة، هي ليست كبيرةً بما يكفي حتى تدخل المدرسة، أليس كذلك؟».

قال ناثان: «أوه، بمناسبة الحديث عن أبيغيل. مادي!!! هل أنت موافقة أن نتبادل عطلة نهاية الأسبوع هذا الأسبوع فقط؟ يصادف عيد ميلاد والدة بوني يوم السبت وسنخرج لتناول العشاء. هي تحبّ أبيغيل كثيرًا».

فجأةً ظهرت بوني إلى جانبه بابتسامتها الجميلة المتقنة. كانت تبتسم دائمًا بشكلٍ متقن. شكّت مادلين بأنها تتعاطى المخدرات أو تتناول عقاقير معينة.

خاطبت مادلين: «بين أمي وأبيغيل علاقةٌ خاصة». وكأن ذلك خبرًا سترحب به مادلين.

إذًا فالموضوع كالآتي: من ذا الذي يرغب أن يكون لابنته «علاقةً خاصةً» مع أم زوجة زوجها السابق؟ بوني وحدها تعتقد بأنك قد ترغب بسماع ذلك، ومع ذلك، لا يمكنك التذمّر، أليس كذلك؟ حتى أنه لا يمكنك مجرّد التفكير بعبارة «اصمتي أيتّها العاهرة!» لأن بوني لم تكن عاهرةً. لذا كل ما يمكن لمادلين فعله هو أن تقف هناك وأن تتقبّل الأمر

بكل بساطة وأن تومئ برأسها بالإيجاب، بينما كل ما فيها يرغي ويزبد وهي تحاول كظم غيظها.

قالت: «بالتأكيد، ليس هناك أي مشكلةٍ».

- «بابا!». سحبت سكاي قميص ناثان فرفعها إلى وركه بينما كانت بوني تنظر إليهما بحنانٍ.

- «أنا آسف مادي ولكنّي لا أستطيع التأقلم. أنا لست أهلاً لهذا». ذلك ما قاله ناثان عندما كان عمر أبيغيل ثلاثة أسابيع، كانت طفلةً عصبيةً، منذ أن عادت إلى البيت من المستشفى لم تنم أكثر من اثنين وثلاثين دقيقةً.

تثاءبت مادلين حينها وقالت: «وأنا أيضًا». لم تفكّر حتى بمعنى ما قاله حرفيًا. بعد ذلك بساعةٍ، شاهدته والدهشة تلفّها وهو يحزم ثيابه في حقيبة الكريكت الطويلة الحمراء وعيناه تستقران لوهلةٍ على الطفلة، كما لو كانت تخصّ شخصًا آخر، ثمّ غادر. لن تسامحه أبدًا، ولن تنسى تلك النظرة الخاطفة التي خصّ بها طفلته الجميلة. والآن أصبحت تلك الابنة مراهقةً، تُعدّ غداءها بنفسها، وتستقلّ الحافلة إلى المدرسة الثانوية لوحدها، وتلتفت وهي تهمّ بالمغادرة لتقول: «لا تنسي، سأمكث في منزل والدي هذه الليلة!».

قالت جين: «مرحبا مادلين».

كانت جين ترتدي مجددًا قميصًا أبيضًا عاديًا بياقةٍ على شكل رقم سبعة (ألم يكن لديها سوى ذلك النوع من القمصان؟)، ونفس تنورة الدنيم الزرقاء والشبشب بإصبع. كان شعرها مشدودًا إلى الوراء كذيل حصان وتمضغ علكةً سرًا. كانت بساطتها إلى حدٍ ما مصدر ارتياحٍ لمزاج مادلين، وكأنّ جين هي ما احتاجته لتشعر بأنها أفضل، بنفس الطريقةً التي تشعر فيها بالحاجة لشرب نخبٍ بعد مرضك.

ردّت بحرارةٍ: «جين، كيف حالك؟ أرى أنك قابلتِ زوجي السابق الظريف وعائلته هنا».

أصدر ناثان صوتًا يشبه صوت بابا نويل: «هو، هو، هووو»، لأنه لم يعرف كيف يرد على تهكمها: «زوجي السابق الظريف».

شعرت مادلين براحة يد إد على كتفها، وهو تحذيرٌ على أنها كانت تبتعد عن اللباقة والكياسة.

جين: «نعم، لقد قابلته»، لم يوحي وجهها بشيء، «هؤلاء هما والديّ، دي وبيل».

- «مرحبا! حفيدكما رائعٌ جدًا». تجاهلت مادلين إد وصافحت والديّ جين، اللذين كانا لطيفين إلى حدٍ ما، يمكنك معرفة ذلك بمجرد النظر إليهما.

- «نعتقد أن زيغي قد تقمص روح والدي». لمعت عينا والدة جين.

قال والد جين: «لا، نحن لا نعرف تمامًا»، نظر إلى كلوي التي كانت تسحب فستان مادلين، «لا بد أن هذه صغيرتك، صح؟».

سلمت كلوي مغلفًا ورديًا لمادلين: «هل يمكنك الاحتفاظ بهذا ماما؟ إنها دعوة إلى حفلة أمابيلا. عليكِ أن تأتي مرتديةً زيًّا يبدأ بالحرف A. سأرتدي ملابس أميرةٍ». ثم ركضت مبتعدة.

- «يبدو أن زيغي المسكين ليس مدعوًا إلى تلك الحفلة». أخفضت أم جين صوتها.

جين: «ماما، دعكِ من ذلك».

مادلين: «ماذا؟ لا يجدر بها أن توزّع الدعوات في الملعب ما لم تسأل الصف بأكمله».

دققت بالملعب بحثًا عن ريناتا، فرأت سيليست تدخل عبر بوابات المدرسة، متأخرةً كالعادة، ممسكةً بيديها التوأم، وهي تبدو بمنتهى الروعة. بدت وكأن صنفًا آخر من البشر قد دخل المدرسة. رأت مادلين أحد آباء التلاميذ في الصف الثاني يحملق بسيليست ثم قام برد فعلٍ كوميدي متأخر

فتعثّر بحقيبةٍ مدرسية وكاد يقع. وها هي ريناتا، تركض مباشرةً باتجاه سيليست، وتسلمها ظرفين ورديين.

همست مادلين: «سأقتلها!».

السيدة ليبمان: اسمعوا، أنا أفضّل عدم قول أي شيءٍ آخر. نستحق أن نُترك بسلام. مات أحد أولياء الأمور. ومجتمع المدرسة بأسره حزين.

غابرييل: هممم، لن أقول إن مجتمع المدرسة بأسره حزين. ربما في الأمر مبالغة.

رأت سيليست الرجل الذي تعثّر بينما كان يراقبها.

ربما يجب أن يكون لها علاقة. قد يؤدي ذلك لحدوث شيءٍ ما، ويدفع بزواجها إلى الهاوية التي كان يزحف نحوها بلا هوادة لسنواتٍ عديدةٍ.

لكن فكرة التواجد مع أي رجلٍ آخر باستثناء بيري قد ملأها بإحساسٍ ثقيلٍ فاتر. ستشعر بالملل الشديد. لمّ تكن تلقي بالاً للرجال الآخرين. جعلها بيري تشعر بحلاوة الحياة. إن تركته ستشعر بالوحدة والعزوبية والضجر إلى الأبد. لكن ذلك ليس عدلاً. لقد دمّرها بأفعاله.

قال جوش متألمًا: «أمي، إنك تمسكين يدي بشدةٍ».

وافقه ماكس: «نعم، ماما».

خففت قبضتها، وقالت: «آسفة يا أولاد».

لم يكن ذلك الصباح جيدًا بالمطلق. أولاً، كان هناك خطأٌ جسيمٌ بأحد جوارب جوش ولم يكن بالإمكان تعديله بأي شكلٍ من أشكال. ثم لم

يتمكن ماكس من العثور على رجل الليغو الصغير ذو القبعة الصفراء الذي كان يريده حينها هو بالذات.

كان الاثنان يبكيان طالبين والدهما. لم يهتما إن كان على الجانب الآخر من العالم. لقد أرادوه فقط. وسيليست أرادت بيري أيضًا. لو كان موجودًا، كان سيصلح جوارب جوش، وسيجد رجل الليغو الخاص بماكس. لطالما كانت تعرف أنها ستعاني مع روتين الصباح المدرسي.

كانت هي والولدان ينامون في وقتٍ متأخر وعادة ما يكون مزاجهم كدرًا عندما يستيقظون، بينما كان بيري يستيقظ سعيدًا ونشيطًا. لو كان موجودًا هذا الصباح، لكانوا ذهبوا باكرًا في اليوم الأول من المدرسة.

ربما ملأت ضحكاتهم السيارة، ولم يَسد الصمت الذي يخرقه ارتعاشات الطفلين التي تثير الشفقة كما يحدث الآن.

كانت قد أعطتهما بعض المصاصات في النهاية. وكانا لا يزالان يلعقونها عندما أخرجتهما من السيارة ورأت إحدى أمهات الأطفال في الروضة التي تعرّفت عليها في يوم الطلبة الجدد وهي تسير وتبتسم للولدين بلطفٍ، بينما ترمق سيليست بنظرة توحي بأنها «أمٌ سيئة».

قال جوش: «انظرا. إنهما كلوي وزيغي».

ماكس: «دعنا نقتلهم!».

سيليست: «لا تتحدثا بهذه الطريقة أيها الولدان! يا إلهي. ماذا سيظن الناس بكما؟».

قال جوش بلطف: «فقط التظاهر بالقتل ماما. سيروق لكلوي وزيغي الموضوع!».

- «سيليست! أنتِ سيليست، أليس كذلك؟»، ظهرت امرأةٌ أمامها في اللحظة التي ركض فيها الولدان، «قابلتكِ أنتِ وزوجكِ في متجر اللباس المدرسي منذ عدة أسابيعٍ مضت»، وضعت يدها على صدرها، «أنا ريناتا، أنا أم أمابيلا».

أجابت سيليست: «بالطبع، مرحبا ريناتا».

قالت ريناتا وهي تنظر حولها وكأنها تبحث عن شيء: «ألم يستطع بيري القدوم اليوم؟».

سيليست: «إنه في فيينا، يسافر كثيرًا من أجل العمل».

جاوبتها ريناتا وكأنها على دراية بالموضوع: «أنا متأكدةٌ من ذلك. أتذكر أنني تعرفت عليه ذلك اليوم وبحثتُ عنه في غوغل عندما عدت إلى البيت وحالما نقرت على الموقع، ظهر: بيري وايت! في الحقيقة، كنت قد رأيت زوجك يتحدث عدة مراتٍ. أنا نفسي في عالم إدارة الأموال!».

رائع. معجبةٌ من معجبات بيري. غالبًا ما كانت سيليست تتساءل بماذا سيفكر معجبو بيري إن صادف ورأوه يفعل الأشياء التي يفعلها.

- «أود أن أسلمك دعوتين للصبيين لحضور حفلة عيد ميلاد أمابيلا الخامس»، سلمتها ريناتا ظرفين ورديين، «بالطبع، أنتِ وبيري مرحّب بكما أيضًا. طريقةٌ ظريفة لجميع الآباء لبدء التعرف على بعضهم البعض!».

-«رائع». أخذت سيليست الظرفين ووضعتهما في حقيبتها.

- «صباح الخير، أيتها السيدات!»، لقد كانت مادلين ترتدي أحد فساتينها الجميلة. وثمّة بقعتان ملونتان على خدّيها وبريقٌ خطيرٌ في عينيها. عاجلتها بالقول: «شكرًا على دعوتك كلوي إلى حفلة أمابيلا».

- «أوه عزيزتي، هل أمابيلا هي من تقوم بتسليم الدعوات؟»، عبست ريناتا وربتت على حقيبة يدها، «لا بد أنها قد أخذتهم من حقيبتي. كنت أنوي توزيعهم على أولياء الأمور بشكلٍ سري».

- «نعم، لأنه من الواضح أنك تقومين بدعوة كل أطفال الصف باستثناء ولدٍ واحد».

ريناتا: «أفترض أنك تتحدثين عن زيغي، الطفل الذي ترك كدماتٍ على عنق ابنتي. لم يدرج اسمه في قائمة الدعوى. يا للمفاجأة!».

مادلين: «بالله عليكِ ريناتا، لا يمكنك فعل ذلك».

– «فلتقاضيني إذًا!». رمقت ريناتا سيليست بنظرةٍ خبيثةٍ لعوب، كما لو كانتا شريكتين في مزحة.

أخذت سيليست نفسًا. لم ترغب في التورط: «ربما أنني فقط».

– «أنا آسفة جدًا، ريناتا ...». قاطعتها مادلين بنظرة اعتذارٍ رصينةٍ. «لكن كلوي لن تكون قادرةً على حضوره الحفلة».

ريناتا: «يا للأسف»، عدّلت بقوةٍ حزام حقيبتها المائل كما لو كانت تعدل سترةً واقيةً من الرصاص. «أتعلمين؟ أعتقد أنه عليّ أن أنهي هذ الحديث قبل أن أقول شيئًا أندم عليه»، أومأت برأسها إلى سيليست، «سعدتُ بلقائك مرةً أُخرى».

راقبتها مادلين وهي تذهب. كانت تبدو نشيطة.

– «هذه حرب، يا سيليست»، قالت بسعادةٍ، «كما أقول لكِ، إنها حرب!».

تنهدت سيليست: «أوه، مادلين».

هاربر: أعلم أننا جميعًا نحب أن نرفع من مقام سيليست لكنني لا أعتقد أنها تتخذ دومًا أفضل الخيارات الغذائية لأطفالها. شاهدت التوأم يتناولان مصاصاتٍ على الإفطار في اليوم الأول من المدرسة!

سامانثا: يميل أولياء الأمور لإطلاق الأحكام على بعضهم البعض. لا أعرف لماذا. ربما لأن لا أحد منا يعلم تمامًا ماذا نفعل؟ وأعتقد أن ذلك قد يقود إلى خلافاتٍ أحيانًا. لكن ليس على هذا المستوى عادة.

جاكي: بالنسبة لي شخصيًا، ليس لدي الوقت لإطلاق الأحكام على الآباء الآخرين، أو الاهتمام حتى. فأطفالي هم كلّ حياتي.

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: بالإضافة إلى التحقيق في جريمة القتل، نتوقع أن نتّهم عدة أولياء أمور بالاعتداء. نشعر بالصدمة وبخيبة أملٍ كبيرة لرؤية مجموعة من أولياء الأمور يتصرفون بهذه الطريقة.

الفصل التاسع عشر

تنهد إد: «أوه، مادلين».

أوقف السيارة، ثم أخرج المفاتيح من مكانها والتفت إليها: «لا يمكنك أن تفوّتي على كلوي حفلة صديقتها فقط لأن زيغي غير مدعوٍ. هذا جنون».

كانوا يتوجهون مباشرةً بالسيارة من المدرسة إلى الشاطئ ليحتسوا القهوة السريعة في مقهى بلو بلوز مع جين ووالديها.

كانت والدة جين هي من اقترحت ذلك، وقد بدت لها هذه الرحلة القصيرة هامة جدًا لدرجة أن مادلين، التي كان لديها قائمةٌ تطول بأشياء عليها إنجازها للأطفال في اليوم الأول من المدرسة، شعرت أنها لا تستطيع رفض العرض.

- «لا، ليس الأمر كذلك». قالت مادلين رغم أنها كانت تشعر بالفعل بأولى بوادر الندم. عندما ستسمع كلوي بأنها لن تذهب إلى حفلة أمابيلا، ستفتح أبواب الجحيم عليها. كانت حفلة عيد ميلاد أمابيلا الأخيرة روعة: قلعة كبيرة من المطاط يقفزون عليها وساحر ورقص ديسكو.

خاطبت إد: «أنا في حالةٍ مزاجية سيئة للغاية هذا اليوم».

إد: «حقًا؟ لم ألاحظ ذلك مطلقًا».

مادلين: «أفتقد الأولاد». بدا مقعد السيارة الخلفي فارغًا وصامتًا. فاغرورقت عيناها بالدموع.

قهقه إد: «أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟».

بكت مادلين: «لقد بدأت طفلتي المدرسة». كانت قد دخلت كلوي مباشرةً إلى غرفة الصف برفقة الآنسة بارنز كما لو كانت زميلةً لها، وهي تتحدث إليها طوال الطريق وربما تقدم بعض الاقتراحات لإجراء تغييرات على المنهاج الدراسي.

إد: «نعم، ما فات فات. اعتقد أن تلك هي الكلمات التي استخدمتها البارحة على الهاتف مع والدتكِ».

- «وكان عليّ أن أقف هناك في باحة المدرسة لأجري حديثًا مهذبًا مع زوجي السابق اللعين!». ثم انقلب مزاج مادلين من البكاء إلى الغضب.

إد: «نعم، لا أعرف إن كنت سأصفه بالمهذب».

مادلين: «صعبٌ للغاية أن تكون أمًّا عزباء».

إد: «أمم. ماذا؟».

- «جين! أنا أتحدث عن جين بالطبع. أتذكر اليوم الأول لأبيغيل في المدرسة. شعرت أنني لست كالبقية. شعرت أن الجميع كانوا متزوجين بشكلٍ يثير الاشمئزاز. كان جميع الآباء في ثنائيات صغيرة مثالية. لم أشعر قط بمثل هذه الوحدة من قبل»، كانت تفكر مادلين بزوجها السابق اليوم، وهي تجول بنظرها بارتياحٍ في باحة المدرسة. لم يكن لدى ناثان أدنى فكرةٍ عما آل إليه حال مادلين طوال تلك السنوات التي ربّت واعتنت فيها بأبيغيل لوحدها. وهو لا ينكر ذلك. أوه، لا. لو استطاعت حينها أن تصرخ في وجهه قائلةً: «الأمر صعب، نعم صعبٌ للغاية!». كان سيتفاجأ ويظهر عليه الحزن الشديد وسيكون في غاية الأسف ولكن بغض النظر عن مدى محاولته، فلن يفهم ذلك أبدًا.

كانت مليئة بغضبٍ عاجز. لم يكن هناك من مكانٍ لتوجيهه إلا نحو ريناتا مباشرةً. «لذا تخيل فقط كيف سيكون شعور جين عندما يكون ابنها هو الطفل الوحيد الذي لم تتم دعوته إلى الحفلة. «تخيل ذلك».

إد: «أعرف، رغم أنني أعتقد بعد ما حدث، أنه يمكنك اعتباره نوعًا من تعبير ريناتا عن وجهة نظرها».

- «لا، لا يمكنك!». صرخت مادلين.

- «يا يسوع، آسف. بالطبع لا أستطيع»، نظر إد في المرآة الخلفية، «أوه، انظري، ها هي صديقتك الصغيرة المسكينة توقفت خلفنا. دعينا نذهب لتناول الكعك معها. ربما يؤدي ذلك لإصلاح الأمور».

فكّ حزام الأمان.

مادلين: «إن لم تَدْعُ كل من في الصف فلا ينبغي عليك تسليم الدعوات في الملعب. كل أمٌ تعرف ذلك. إنه قانون المدرسة».

إد: «أستطيع التحدث عن هذا الموضوع طوال النهار. أستطيع فعلاً. ما من شيءٍ آخر أريد الحديث عنه اليوم سوى عيد ميلاد أمابيلا الخامس».

مادلين: «اصمت».

- «أعتقد أننا لا نقول اصمت في بيتنا».

مادلين: «تبًا لك».

ابتسم إد. وضع يده على أحد خديها: «ستشعرين بتحسنٍ غدًا، دائمًا تشعرين بتحسنٍ فيما بعد».

- «أعرف، أعرف». أخذت مادلين نفسًا عميقًا وفتحت باب السيارة لترى والدة جين ترمي بنفسها خارج سيارة جين وتسرع على طول الرصيف نحوها وهي تحمل حقيبتها فوق كتفها وتبتسم بلهفة.

- «مرحبا! مرحبا مادلين هل تتمشين معي على طول الشاطئ قليلاً بينما يطلب الآخرون لنا القهوة؟».

-«ماما»، مشت جين خلفها مع والدها، «أنت لا تحبين الشاطئ!».

لا داعي لأن يكون المرء في منتهى الذكاء والفطنة ليعرف أن والدة جين أرادت الحديث مع مادلين على انفراد.

- «طبعًا سأفعل ... يا داي (اسم والدة جين)». جاءها الاسم أخيرا كهدية تنهدت جين: «سوف آتي معكما أيضًا».

قالت داي: «لا، لا، أنت أذهبي إلى المقهى وساعدي والدك على تجهيز مكانٍ لنا نجلس فيه واطلبي لي شيئًا لذيذًا».

- «نعم، لأنني بنظركِ إنسانٌ عجوزٌ خَرِف»، قال والد جين بصوتٍ مرتعش وأمسك بذراع جين: «ساعديني، ابنتي العزيزة».

قالت داي بحزمٍ: «انطلقا الآن».

راقبت مادلين جين وهي تصارع بين فكرة الإصرار على البقاء أو الخضوع لرغبة أمّها، قبل أن تهز كتفها الصغير وتستسلم.

خاطبت والدتها: «حسنًا. لا تتأخري، وإلا ستصبح قهوتك باردة».

وجّهت مادلين كلامها لِإد: «أحضر لي دوبل اسبريسو وكعكة الشوكولا الطرية مع الكريمة».

رفع إد إبهامه علامة الموافقة، ثم قاد جين ووالدها إلى مقهى بلو بلوز، في حين تابعت مادلين ووالدة جين سيرهما إلى الشاطئ وعندما وصلتا هناك خلعت مادلين حذائها وفعلت والدة جين الشيء نفسه.

سألت داي، وهما تسيران على الرمل نحو الماء: «هل أخذ زوجك يوم إجازة من عمله في أول يوم لكلوي في المدرسة؟». وقبل أن تجيب مادلين صرخت قائلة: «أوه، يا إلهي، ما هذا البريق!». كانت ترتدي نظارة شمسية لكنها حاولت حماية عينيها بظهر يدها.

مادلين: «إنه صحفي من الصحيفة المحلية، ولديه مرونة في ساعات العمل، ويعمل كثيرًا من المنزل».

- «مؤكد أن هذا لطيف. أليس كذلك؟ هل يتواجد زوجك كثيرًا في المنزل أو يزعجك وجوده بأي شكلٍ من الأشكال»، شقّت داي طريقها بتثاقل عبر الرمال، «أحيانًا أرسل بيل إلى المتجر ليشتري لي شيئًا لا أحتاجه فعليًا، فقط كي أمنح نفسي قسطًا من الراحة».

مادلين: «بل هذا مفيدٌ لنا كثيرًا. أعمل ثلاثة أيام في الأسبوع في شركة Pirriwee Peninsular Theatre Company، لِذلك يستطيع إد اصطحاب الأولاد إلى المدرسة وإعادتهم منها عندما أكون في العمل. نحن لا نسعى لجمع ثروة، لكن كما تعلمين، كلانا يحب عمله، لِذلك نحن سعداء».

يا إلهي، لماذا تتحدث عن المال؟ يبدو وكأنها تدافع عن خيارهما في نمط الحياة الذي يعيشاه (وللصراحة، لم يكونا يحبّان عملهما بتلك الدرجة). هل كان ذلك لأنها تشعر أحيانًا وكأن حياتها كلّها في حالة تنافسٍ مع نساءٍ عاملاتٍ على درجةٍ عالية من المهنية مثل ريناتا؟ أم حدث ذلك لأن المال كان حاضرًا في ذهنها بسبب فاتورة الكهرباء المرعبة التي افتتحت بها صباحها هذا؟ الحقيقة هي أنه رغم أنهما لم يكونا أثرياء، إلا أنهما بالتأكيد لم يكونا يعانيان من هذا الجانب، وذلك بفضل مهارات مادلين الذكية في التسوق عبر الإنترنت، حتى بانتقائها لملابسها لم يكن هناك معاناة.

– «آه، نعم، المال. يقولون إنه لا يشتري السعادة، لكنني لا أعرف مدى صحة ذلك»، رفعت داي شعرها عن عينيها وجالت بنظرها في أنحاء الشاطئ. «إنه شاطئٌ خلاّب. نحن لسنا أناس شاطئٍ، وبالتأكيد لا أحد يرغب أن يرى هذا\في البكّيني!».

بدت على محياها نظرةً اشمئزاز وهي تشير إلى جسدها العادي جدًا، والذي اعتبرته مادلين بحجم جسدها تقريبًا.

مادلين: «لا أفهم ما السبب؟». لم تكن تطيق سماع هذا النوع من الأحاديث، وهذا ما يدفعها لنبذ الطريقة التي تتحدث بها النساء عن كراهيتهن لذاتهنّ.

– «لكن سيكون من الجيّد بالنسبة لجين وزيغي، أن يعيشا قرب الشاطئ، أعتقد، أظن، آهٍ، كما تعلمين أردت أن أشكرك فقط، يا مادلين، لأخذ جين تحت جناحيك كما تفعلين». نزعت نظارتها الشمسية وحدّقت مباشرةً في عيني مادلين. كانت عيناها زرقاوين فاتحتين، وتضع على جفنيها ظِلاً ورديًا باهتًا، لكنه لم يكن يناسبها، رغم أن مادلين قدّرت محاولتها تلك.

مادلين: «نعم، بالطبع. من الصعب أن ينتقل المرء إلى منطقةٍ جديدةٍ لا يعرف فيها أحدًا».

- «نعم، لقد تنقّلت جين كثيرًا في السنوات القليلة المنصرمة. منذ أن رُزِقت بزيغي، لم تستطع البقاء في مكانها، أو إيجاد دائرةٍ لطيفةً من الأصدقاء، ستقتلني إن علمت أنني أخبرتكِ بذلك، هذا فقط ما أود قوله، لست متأكدةً مما يحدث معها بالفعل».

توقفت، نظرت خلفها إلى المقهى وزمّت شفتيها.

قالت مادلين بعد برهة: «أمرٌ صعب عندما يتوقفون عن إخبارك بما يحدث معهم، أليس كذلك؟ لدي فتاةٌ مراهقةٌ. من علاقةٍ سابقةٍ». كانت تشعر دائمًا بأنها مضطرة لتوضيح ذلك كلما تحدثت عن أبيغيل، ثم تشعر بالذنب لقيامها بذلك. بدا الأمر وكأنها تفصل أبيغيل بطريقةٍ ما، وتضعها في فئةٍ مختلفةٍ. «لا أعرف لماذا شعرت بالصدمة عندما توقفت أبيغيل عن إخباري بما يحدث معها. هذا ما يفعله جميع المراهقين، أليس كذلك؟ لكنها كانت فتاة صغيرة ومنفتحة. بالطبع ليست جين مراهقة».

يبدو وكأنها أعطت داي الأذن للحديث بحريةٍ. التفتت إلى مادلين بحماسٍ وقالت: «أعرف! إنها في الرابعة والعشرين من عمرها، وهي ناضجة! لكن أولادنا لا يتصرفون مثل الناضجين. يقول لي والدها أنني أقلق من لا شيءٍ. صحيح أن جين تقوم بعملٍ رائع بتربيتها لزيغي، وهي تعيل نفسها، ولا تأخذ منا سنتًا واحدًا! أضع المال في جيبها مثل النشّال. أو عكس ما يفعله النشال. لكنها تغيرت. تغير شيءٌ ما. لكنني لا أستطيع أن أحدده بالضبط. وكأن هناك تعاسةٌ وبؤسٌ في أعماقها تحاول إخفاءه. لا أعرف إن كان اكتئابٌ أو إدمانٌ على المخدرات أو اضطرابٌ في الشهيّة أم أمرٌ آخر. لقد أصبحت نحيلةً جدًا! كانت شهيتها مفتوحة للطعام دائمًا».

- «حسنًا». جاوبتها مادلين وهي تفكّر: إذا كان الأمر يتعلق باضطراب الطعام فلا بدّ أنها ورثت ذلك عن داي.

قالت داي: «لماذا أخبركِ بهذا؟ لن ترغبي أن تكوني صديقتها بعد الآن! هي ليست مدمنة مخدراتٍ! لديها ثلاثة أعراضٍ من أصل عشرة على إدمان المخدرات. أو أربعة كحدّ أقصى. لا يمكنك تصديق كل ما تقرئينه على الإنترنت على أي حال».

ضحكت مادلين فضحكت داي أيضًا.

- «تتملّكني الرغبة أحيانًا في التلويح بيدي أمام عينيها والقول: جين، جين، أما زلت هنا؟».

- «أنا متأكدةٌ أنها».

- «لم يكن لديها صديق حتى قبل أن يولد زيغي. انفصلت عن ذلك الصبي زاك. كنا جميعًا نحب زاك، كان صبيًا رائعًا، وكانت جين مستاءةً جدًا من الانفصال، نعم كانت منزعجة كثيرًا. لكن يا إلهي، كان ذلك قبل ست سنواتٍ من الآن؟ لا يمكن أن تكون ما زالت حزينةً على زاك، أليس كذلك؟ لكنه لم يكن وسيمًا!».

- مادلين: «لا أعرف». ثم بدأت تفكر في سريرتها فيما إذا كانت قهوتها على الطاولة في بلو بلوز قد أصبحت باردة.

- «الأمر الآخر هي أنها كانت حامل ويفترض أن زاك ليس الأب، رغم أننا كنا نتساءل دائمًا حول ذلك، لكنها كانت تُصّر على أن زاك ليس والده. وتذكّرنا بذلك مرارًا وتكرارًا. لقاء ليلةٍ واحدةٍ حسب اعترافها، وبالتالي لا يمكن التواصل مع الأب. «حسنًا، كما تعلمين، كانت على وشك أن تنال ليسانس في أدب الفن، صح أن الأمر لم يكن مثاليًا، لكن كل شيءٍ يحدث لسببٍ ما، ألا تعتقدين ذلك؟»».

أجابتها مادلين، والتي لم تكن تؤمن بذلك أبدًا: «بالتأكيد».

- «أخبرها الطبيب بأنها قد تعاني من مشاكل كثيرة بالحمل بشكلٍ طبيعي، لكن ذلك بدا وكأنه مُقدّرٌ عليها، وبعد ذلك، توفي والدي العزيز بينما كانت جين حاملاً ولهذا السبب بدا وكأن روحه عادت على شكل».

- «أمي! مادلين!».

توقفت والدة جين فجأةً ثم استدارتا وابتعدتا عن البحر لتشاهدا جين واقفةً على الرصيف البحري خارج بلو بلوز هي تلوح بلهفة ثم صرخت قائلة: «القهوة جاهزة!».

- «نحن قادمتان!». صاحت مادلين.

- «أنا آسفةٌ»، قالت داي بينما كانتا تقفلان عائدتين من الشاطئ، «أنا أتحدث كثيرًا. هل يمكنك أن تنسي كل ما قلته من فضلك؟ بصراحة عندما رأيت أن زيغي المسكين غير مدعوٍ لحفلة عيد الميلاد، شعرت بالرغبة بالبكاء. أنا عاطفيةٌ جدًا هذه الأيام، كما اضطررنا إلى الاستيقاظ باكرًا هذا الصباح، لِذلك أشعر بالدوار قليلاً. لم أعتد أن أكون من النوع الذي يجهش بالبكاء سريعًا، اعتدت أن أكون قاسية القلب. لكنه العمر، إنني في الثامنة والخمسين، وأصدقائي كذلك، نحن نخرج لتناول الطعام كل فترة، ونحن أصدقاء منذ أن بدأ أطفالنا الروضة! نتحدث جميعنا عن: كيف نبدو وكأننا في الخامسة عشرة من عمرنا، نذرف الدموع سريعًا لأتفه الأسباب».

توقفت مادلين عن المشي. وقالت: «داي».

التفتت داي إليها بتوتّر وكأنها كانت تترقب أن يُقال لها شيء. «نعم؟».

- مادلين: «سأبقي عينيّ مفتوحتين على جين، أعدكِ».

غابرييل: لاحظوا أن جزءًا من المشكلة هي أن مادلين قد تبنت جين بطريقةٍ ما. كانت لها مثل أخت كبيرةٍ تحميها وتدافع عنها بجنون. وإن قلتَ أي شيءٍ مهما كان تافهًا تنتقد به جين، ستجد مادلين تنظر إليك ككلبٍ مسعور.

الفصل العشرون

كانت الساعة الحادية عشر صباحًا من أول يومٍ لزيغي في المدرسة.

هل انتهى من احتساء شاي الصباح الآن؟ هل كان يأكل تفاحته والجبنة والبسكويت؟ وعلبة زبيب الكشمش؟

شعرت جين أن قلبها يكاد ينفطر من فكرة فتحه لعلبة الطعام الجديدة بعنايةٍ. أين سيجلس؟ مع من سيتحدث؟ كانت تأمل أن تلعب معه كلوي والتوءم، لكنهم ربما سيتجاهلونه بكل بساطة. لن يسير الأمر كما ترغب. ولن يأتِ أحد التوأمين إلى زيغي، ويمدّ يده قائلاً: «لمَ لا، مرحبا، زيغي أليس كذلك؟ التقينا منذ بضعة أسابيع في موعد اللعب. كيف حالك؟».

نهضت من على طاولة غرفة الطعام حيث كانت تعمل ومدّت ذراعيها عاليًا فوق رأسها. سيكون بخير. كل الأطفال يذهبون إلى المدرسة. يتأقلمون مع المحيط. ويتعلمون قواعد الحياة.

دخلت إلى المطبخ الصغير في شقتها الجديدة وأشعلت الغلاية لتحضير كوبٍ من الشاي رغم أنها لم تشعر برغبةٍ به. لقد كان مجرد عذرٍ لأخذ استراحةٍ من حسابات السمكري بِيتْ بيرفكت. ربما كان بِيتْ سمكريًا ماهرًا لكنه لم يكن ماهر بالاحتفاظ بأوراق عمله مرتبةً. تتلقى كل ثلاثة أشهر صندوقًا مليئًا بأوراقٍ مختلفة ممزقةٍ وملطخةٍ تنبعث منها رائحةً غريبة:

فواتير المشتريات وفواتير بطاقة الائتمان والإيصالات، ومعظمها لا يمكن المطالبة به. بإمكانها أن تتخيل بِيتْ وهو يفرغ جيوبه، ويجمع كل

الإيصالات الموجودة عند لوحة التحكم في سيارته بيده المكتنزة، يسير الهوينا حول منزله، يلتقط كل قطعة ورق يعثر عليها، قبل أن يحشوها في الصندوق وهو يتنهد بارتياحٍ. لقد أنجز المهمّة.

عادت إلى طاولة غرفة الطعام وتناولت الإيصال التالي. كانت زوجة بِيتْ بيرفكت قد أنفقت مبلغ 335 $ على التجميل حيث استمتعت بجلسات العناية بالبشرة، وجلسات العناية بالأقدام والأظافر، وإزالة الشعر على خط البكيني. لقد كان ذلك لطيفًا من زوجة بِيتْ بيرفكت. ثم كان هناك ورقة إذنٍ غير موقعة لرحلةٍ مدرسية إلى حديقة تارونغا العام المنصرم. وعلى الوجه الخلفي من ورقة الإذن، كتب طفلٌ بقلم تلوينٍ أرجواني: **أكره توم!!**

تفحّصت جين ورقة الإذن تلك. ثمّة صيغة جاهزة:

سوف أتمكن | لن أتمكن من الحضور الرحلة بصفتي مساعدة للآباء.

وضعت زوجة بِيتْ بيرفكت دائرةً حول كلمتي «لن أتمكن». مؤكد أنها كانت مشغولةٌ للغاية بإزالة الشعر على خط البكيني.

غلتِ الغلاية. عركت جين الإيصال و(قصاصة) الإذن في يدها وعادت إلى المطبخ.

يمكنها أن تكون مساعدة للآباء إن ذهب زيغي في أي رحلةٍ. بكل الأحوال، هذا هو السبب الذي دفعها أصلاً لتكون محاسبةً حتى تتمكن من «تكيّيف عملها» من أجل زيغي، وكي تتمكن من «تحقيق توازن بين أمومتها وعملها»، رغم أنها كانت تشعر دومًا بالحماقة والخداع عندما تقول أشياءً من هذا القبيل، كما لو أنها لم تكن أمًّا بالفعل، كما لو كانت حياتها كلها محض أوهام.

سيكون من الممتع الذهاب في رحلةٍ مدرسيةٍ مرةً أُخرى. لا تزال تتذكر تلك المتعة والإثارة. المفاجآت واللحظات الحلوة في الحافلة. حينها تستطيع أن تراقب زيغي وهو يتفاعل مع الأطفال الآخرين. وأن تتأكد أنه ولدٌ طبيعي.

بالطبع كان طبيعيًا. فكرّت مرةً أُخرى، كما فعلت طوال الصباح، بالمغلفات الوردية الباهتة. كان هناك الكثير من المدعوّين! لا يهم إن لم تتم دعوته إلى الحفلة.

كان لا يزال صغيرًا على الشعور بالأذى، ولم يكن أيًا من الأطفال يعرفون بعضهم البعض على أي حال. وكان من السخف حتى التفكير بالأمر.

لكن الحقيقة أنها شعرت بأذى عميق نيابةً عنه، وبالمسؤولية كذلك بطريقةٍ ما كما لو أنها هي من أفسدته. كانت مستعدّةٌ لنسيان كل شيء عن حادثة يوم الطلبة الجدد، لكنه عاد الآن ليشغل تفكيرها مجددًا.

غلت الغلاية.

إذا كان زيغي قد أذى أمابيلا بالفعل، وإن فعل شيئًا كهذا مرةً أُخرى، فلن تتم دعوته إلى أية حفلاتٍ أُخرى أبدًا. حينها سيدعوها معلموه لاجتماع. وستضطر إلى أخذه إلى طبيب نفساني للأطفال.

ستضطر حينها أن تبوح بجميع مخاوفها السرية بشأن زيغي، لا بل أن تقولها بأعلى صوتها.

اهتزت يدها وهي تصب الماء الساخن في الفنجان.

- «إن لم تتم دعوة زيغي إلى الحفلة فلن تذهب كلوي أيضًا». قالت مادلين على القهوة ذلك الصباح.

وردّت عليها جين قائلة: «أرجوكِ ألا تفعلي ذلك، ستزداد الأمور سوءًا».

لكن مادلين رفعت حواجبها وهزت كتفيها: «لقد أبلغت ريناتا بذلك».

أصيبت جين بالذعر. عظيم. الآن سيكون لدى ريناتا المزيد من الأسباب لتكرهها. سيكون لدى جين عدوًا لدودًا. آخر مرةٍ كان لديها ما يشبه الخصومة أو العداوة عندما كانت هي نفسها في المدرسة الابتدائية. لم يخطر ببالها قط أن إرسال طفلك إلى المدرسة يشبه عودتك إلى المدرسة بنفسك.

ربما كان عليها أن تجعل زيغي يعتذر ذلك اليوم، وأن تعتذر هي بنفسها. كان بإمكانها أن تقول لريناتا: «أنا آسفة». لو أنها قالت: «أنا في غاية الأسف. فهو لم يفعل مثل هذا من قبل. ولن أدّخر جهدًا كي لا يكرر ذلك ثانيةً».

لكن ذلك لن يجدي نفعًا الآن. قال زيغي أنه لم يؤذِ أمابيلا، وبالتالي لا يمكن أن يكون ردّ فعلها بأي طريقةٍ أُخرى.

أعدّت فنجان الشاي واتجهت إلى طاولة غرفة الطعام، جلست مرةً أُخرى على حاسوبها الخاص وفتحت قطعةً جديدة من العلكة ووضعتها في فمها.

حسنًا. إذًا ستتطوّع بأي شيء تعرضه المدرسة. من الواضح أن مشاركة أحد الوالدين هو أمرٌ جيد لتعليم طفلك (رغم أنها كانت تشكّ دومًا بأنها كانت مجرد دعاية تقدمها المدارس). ستحاول إقامة علاقات صداقةٍ مع أمهات أخريات، إلى جانب مادلين وسيليست، وإن صادف والتقت بريناتا ستكون مهذبةً وودودةً معها.

- «سيتلاشى كل هذا في غضون أسبوع». قال والدها اليوم وهم يتناولون قهوة الصباح ويناقشون موضوع الحفلة.

ردّ إد زوج مادلين: «أو سينفجر كل شيءٍ، والآن زوجتي متورطةٌ ومشاركة في ذلك كله».

حينها ضحكت والدة جين وكأنها تعرف مادلين ونزعاتها منذ سنواتٍ. (ما الذي كانتا تتحدثان عنه مطوّلاً على الشاطئ؟ كانت تتلوّى جين من الداخل من فكرة أن والدتها قد تكون أفصحت عن جميع شجونها ومخاوفها بشأن حياة جين: يبدو أنها لا تستطيع الحصول على صديق! إنها نحيفةٌ جدًا! وهي لا تعتني بشعرها أو بتسريحه بشكل جميل!).

كانت مادلين تعبث بسوارٍ فضّي ثقيل حول معصمها.

قالت فجأةً: «كابوم!». وحرّكت يديها في اتجاهين متعاكسين للإشارة إلى انفجار، وتوسّعت عينيها النجلاءين أكثر. ضحكت جين، رغم أنه فكرت للحظةٍ: عظيم، لقد أقمت صداقةً مع سيدةٍ مجنونة.

السبب الوحيد الذي جعل لجين أعداء في المدرسة الابتدائية هي أنها كانت مفروضة من قِبل فتاةٍ جذابةٍ وجميلةٍ جدًا تُدعى إيميلي بيري التي كانت تضع في شعرها دومًا دبابيس الخنفساء الحمراء. هل كانت مادلين نسخةً لكن في

الأربعين من إيميلي بيري؟ وهل حلّت الشمبانيا بدلاً من عصير الليمون، وأحمر الشفاه الفاتح بدلاً من ملمعّ الشفاه بنكهة الفراولة؟ ذلك النوع من الفتيات الذي يثير لكِ المشاكل ورغم ذلك تحبينه.

هزت جين رأسها لتستعيد صحوها. هذا سخيف. هي الآن راشدةً. بالطبع لن ترغب أن ينتهي بها المطاف في مكتب المدير كما حدث لها عندما كانت في العاشرة. (كانت تجلس إيميلي على المقعد بجانبها، تركل برجليها، وتمضغ علكةً، وتبتسم ابتسامةً عريضةً لجين كلما نظر المدير في الاتجاه الآخر، وكأن الأمر برمّته مجرد مزحة).

حسنًا. عليّ التركيز.

التقطت الوثيقة التالية من صندوق فواتير بِيتْ وأمسكتها بعناية بأطراف أصابعها. كانت مُشبعةً بالشحم وهي عبارة عن فاتورةٍ من تاجر سباكة بالجملة. أحسنت صنيعًا يا بِيتْ. هذه الفاتورة من صُلب عملك تمامًا.

أراحت يديها على لوحة المفاتيح. هيا. جاهز، استعد، انطلق. كي يكون الجانب المتعلق بإدخال البيانات في عملها مربحًا ويمكن تحمّله، كان عليها أن تعمل بسرعةٍ. أول مرّة أعطاها فيها المحاسب عملاً، أخبرها أنه يستغرق من ستة إلى ثمانية ساعاتٍ من العمل. أنجزته خلال أربع ساعاتٍ وحاسبته بستة ساعاتٍ. ومنذ ذلك الوقت أصبحت أسرع. كان الأمر أشبه بلعب لعبة كومبيوتر، حيث تأمل بأن تصل إلى مستوى أعلى كل مرةٍ.

لم يكن ذلك هو العمل الذي تحلم به، لكنها استمتعت كثيرًا بتحويل كومة أوراقٍ فوضوية إلى صفوف أرقام مرتّبة ومنضّدة بأناقة. لقد أحبّت التواصل مع عملائها، الذين كانوا في الغالب رجال أعمالٍ صغار مثل بِيتْ، وإخبارهم بأنها قد اكتشفت مبالغ جديدة مقتطعة. وأفضل ما في الأمر أنها كانت فخورةً بحقيقة أنها أعالت نفسها وزيغي طوال تلك السنوات الخمس دون الحاجة لطلب المال من والديها، حتى لو كان يحتاج منها ذلك العمل طوال الليل أثناء نوم زيغي.

لم تكن هذه هي المهنة التي حلمت بها كفتاةٍ طموحةٍ في السابعة عشرة من عمرها، لكن حاليًا من الصعب تذكر شعورها بالبراءة والجرأة لتحلم بنمطٍ محددٍ من الحياة التي تحياها الآن، فيما لو قُدِّر لها أن تختار النتائج للأفعال التي نقوم بها.

صرخ طائر نورس، فأربكها ذلك الصوت للحظة.

حسنًا، لكنها هي من اختارت هذا! اختارت أن تعيش بجوار الشاطئ، وكأنّ لها الحق مثل أي شخصٍ آخر. يمكنها أن تكافئ نفسها بعد ساعتي عملٍ بنزهةٍ على الشاطئ. نزهةٍ على الشاطئ في منتصف النهار. تستطيع العودة إلى مقهى بلو بلوز وشراء قهوةٍ جاهزة، ثم التقاط صورةٍ فنيةٍ لها وهي جالسة على عمود سياج والبحر خلفها ونشرها على الفيس بوك مع تعليقٍ: «استراحةٍ من العمل!»، كم أنا محظوظةٌ؟ سيكتب من يراها: «تُحسدين على ذلك!».

إن كانت مأخوذة بالحياة المثالية على الفيس بوك، ربما ستبدأ بتصديق ذلك بنفسها.

أو يمكنها أن تنشر: «أنا غاضبةٌ للغاية!! زيغي هو الطفل الوحيد في الفصل الذي لم تتم دعوته إلى حفلة عيد الميلاد!! سحقًا»، وسيكتب الجميع أشياء تُثلج الصدر مثل: «ما هذا الهراء؟»، و «أووووه. المسكين الصغير زيغي!».

يمكنها أن تقلّل من مخاوفها عبر تحديثاتٍ بسيطةٍ وآمنة للحالة بحيث تبتعد قليلاً إلى الأخبار التي تتناول أصدقائها.

ثم ستكون هي وزيغي أناسًا طبيعيين. ربما ستمضي أكثر في ذلك لدرجة أنها قد تواعد أحدهم. وتغرس السعادة في قلب والدتها.

التقطت هاتفها المحمول وقرأت الرسالة النصيّة التي أرسلتها صديقتها آنا البارحة:

أتذكرين جريج؟ ابن عمي الذي التقيت به عندما كنا في سن الـ 15 ؟! لقد انتقل إلى سيدني. ويريد رقمك ليدعوكِ إلى كأس! أموافقة أنتِ! دون ضغوط! (إنه مثيرٌ جدًا الآن. لقد أخذ من جيناتي !! ههههه) قبلاتي لكِ.

حسنًا. لقد تذكرتْ جريج. لقد كان خجولاً. كان قصير القامة، ذو شعرٍ أحمر. كان قد ألقى نكتة سخيفةً لم يفهمها أحد، وعندما سأله الجميع: «ماذا؟ ماذا قُلت؟». قال: «لا تقلقوا بشأنها!». لقد علق الموقف في ذهنها لأنها شعرت بالأسف عليه.

لِمَ لا؟

يمكنها أن تتناول كأسًا مع جريج.

وقد آن الأوان. أصبح زيغي في المدرسة. وهي تعيش بجوار الشاطئ.

أعادت إرسال رسالة لها: موافقة عزيزتي.

أخذت رشفةً من الشاي ووضعت يديها على لوحة المفاتيح.

كان جسدها هو من يقودها. لم تكن تفكر حتى بالرسالة التي أرسلتها. لقد كانت تفكر بفاتورة بِيتْ السبّاك التي تتعلق بالهدر والمقابس الكهربائية.

هجمة غثيانٍ شرسة جعلتها تنطوي على ذاتها نصفين، وجبينها يستريح على المقعد. ضغطت براحة كفها على فمها. اندفع الدم إلى رأسها. استطاعت أن تشتم تلك الرائحة. كادت أن تُقسم أن ذلك حقيقيًا، وأنه كان موجودٌ بالفعل في شقتها.

عندما يتغيّر أحيانًا مزاج زيغي بسرعةٍ، ودون سابق إنذار، من السعادة إلى الغضب، بإمكانها أن تشمّ راحته. رفعت ظهرها قليلاً وهي تكتم شعورها بالغثيان والتقطت هاتفها. أرسلت رسالةً نصيّة إلى آنا وأصابعها ترتجف: لا تعطيه الرقم! لقد غيرت رأيي! عادت الردّ سريعًا:

لقد فات الأوان ☺

ثيا: سمعت أن جين تردد على الدوام كلمة مقتبسة وهي «نزوة» مع أحد الآباء. ليس لدي أي فكرةٍ عمّن تتحدث. إلا أنني أعلم أنه ليس زوجي!

بوني: ولكنها لم تفعل.

كارول: كما تعرفون كان هناك رجلٌ في نادي الخيال المثير الذي يحضرونه؟ الحمد لله، ليس زوجي. فهو يقرأ فقط صحيفة Golf Australia.

جوناثان: نعم، لقد كنت الرجل فيما يُسمى نادي الكتاب المثير، إلا أن ذلك كان مجرد مزحة. لقد كان نادي للكتاب. نادي كتاب عادي لا أكثر ولا أقل.

ميليسا: ألم يكن لدى جين علاقة مع أحد الآباء الذين يلازمون المنزل؟

غابرييل: ليست جين هي من كانت على علاقة! كنت أظنّ دائمًا أنها من أولئك المتقمّصين الذين ولدوا من جديد. حذاء دون كعب، دون مجوهرات، ودون مكياج. لكن جسدها جميل! ليس لديها أية دهون. كانت أنحف أم في المدرسة. يا إلهي، أنا جائعة. هل جربت حمية 5:2؟ هذا يوم صيامي. أكاد أموت جوعًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الواحد والعشرون

وصلت سيليست باكرًا لأخذ الولدين من المدرسة. كانت تتوق لرؤية جسديهما الصغيرين المكتنزين، ولتلك اللحظة الخاطفة عندما تلتف يديهما بقوةٍ حول رقبتها وتقبّل رأسيهما الصغيرين العنيدين اللذين يفوح منهما عطرٌ شذي، قبل أن يفرّا بعيدًا. لكنها تعرف أنها ستصرخ عليهما في غضون خمس عشرة دقيقةً. سيكونان متعبين ومرهقين. لم تستطع إجبارهما على النوم حتى التاسعة مساءً الليلة الماضية. وهذا الوقت متأخرٌ جدًا. أمٌ سيئة. انتهى بها الأمر وهي تصرخ: «فقط اخلدا للنوم!».

لطالما كانت تواجه مشكلةً في جعلهما ينامان في ساعةٍ معقولة، إلا عندما يكون بيري في المنزل. فهما يصغيان لما يقوله بيري.

كان أبًا جيدًا. وزوجًا جيدًا أيضًا معظم الوقت.

قال لها شقيقها على الهاتف من أوكلاند اليوم: «أنتِ بحاجةٍ لروتين ما قبل النوم»، ردت سيليست: «آه، يا لها من فكرةٍ ثوريةٍ! ما كنت لأفكر بذلك مطلقًا!».

إذا كان لدى الآباء أطفالاً ينامون جيدًا، فمن المفترض أن ذلك يعود إلى تربيتهم الجيدة وليس إلى الحظ الجيد. لقد اتبعوا قواعد معينة وأثبتت تلك القواعد جدواها! من المؤكد أن سيليست لا تتبع القواعد ولا يمكنك إثبات ذلك لهم. سيموتون في أسرّتهم وهم راضين عن أنفسهم.

- «مرحبا سيليست».

جفلت سيليست: «جين!!!». وضعت يدها على صدرها. كالعادة كانت تحلم ولم تسمع وقع خطاها. لطالما كان يزعجها رد فعلها العفوي حيث تقفز كمن أصابه مسْ كلما ظهر لها أحدهم.

جين: «آسفة، لم أقصد إخافتك».

سيليست: «كيف كان يومك؟ هل قطعتِ شوطًا كبيرًا في عملك؟».

كانت تعلم بأن جين تُعيل نفسها من عملها بمسك دفاتر الحسابات. تخيليتها سيليست وهي جالسةٌ وراء مكتبٍ مُرتّبٍ في شقتها الصغيرة الفارغة (لم تذهب إلى هناك، لكنها تعرف شقق القرميد الأحمر في شارع بومونت المجاور للشاطئ، وافترضت أن الداخل سيكون بسيطًا بلا زخرفةٍ أو زينة مثل جين. بلا بذخٍ أو ترف. بلا تحفٍ أو تماثيل). بدت بساطة حياتها مقنعةً للغاية. فقط جين وزيغي. طفلٌ جميلٌ وهادئ ذو شعرٍ داكن (بغض النظر عن حادثة محاولة الخنق الغريبة بالطبع). لا مشاجرات، لا معارك صباحية. ستكون الحياة هادئةً وبعيدة عن التعقيد.

جين: «نعم، لقد أنجزت القليل منه»، صدر عن فمها حركاتٍ صغيرةً تشبه الفأر وهي تمضغ العلكة، «لقد تناولت القهوة هذا الصباح مع والديّ ومادلين واد. ثم مضى النهار مسرعًا».

- «نعم يمضي النهار سريعًا». وافقتها سيليست، رغم أن نهارها كان يمضي ببطء.

سألتها جين: «هل تنوين العودة إلى العمل حاليًا كون الأطفال في المدرسة؟ ماذا كنت تعملين قبل أن تُنجبي التوأم؟».

سيليست «كنت محاميةً». كنت شخصًا آخر تمامًا.

- «هاه. كان من المفترض أن أكون محاميةً أيضًا». كان هناك شيءٌ من التهكّم والحزن في صوت جين لم تستطع سيليست تفسيره بالضبط.

سارتا على الممر العشبي بالقرب من منزلٍ من الفيبرو أبيض صغير بدا تقريبًا وكأنه جزءٌ من مدرسة.

قالت سيليست: «لم أكن أستمتع بذلك حقيقةً». أهذا صحيح؟ كانت تكره التوتر. تركض متأخرةً كل يوم. لكن ألم تحب ذات يوم بعضًا من جوانبه؟ حلّ قضيةٍ قانونية معقدة بحذر. مثل الرياضيات لكنْ بالكلمات. أردفت: «لم أستطع العودة لممارسة القانون. ليس بسبب وجود الأولاد. أفكّر أحيانًا أنني قد أقوم بالتدريس. تدريس الدراسات القانونية. لكنني لست متأكدةً أن ذلك جذّاب أيضًا». لقد فقدت جرأتها على العمل، مثلما فقدت شجاعتها على التزلج.

بقيت جين صامتةً طوال الوقت. ربما كانت تعتقد أن سيليست كانت زوجةً جذّابة ومدللة.

سيليست: «أنا محظوظةٌ. لست مضطرةً على العمل. إن بيري ... حسنًا، إنه مدير الصندوق الوقائي».

بدت الآن وكأنها تستعرض وتتباهى، بينما من المفترض أن تبدو ممتنةً. قد تكون أحاديث النساء حول العمل مشحونةً للغاية. لو كانت مادلين حاضرةً لكانت ستقول: «يكسب بيري الكثير، وبالتالي تستطيع سيليست أن تعيش حياةً في منتهى الرفاهية». ومن ثم كانت ستقوم بتغيير اتجاه الحديث تماما كمادلين نموذجية لتقول شيئًا من قبيل أن تربية توأم من الصبية لم يكن حياةً مرفهةً وربما تبذل سيليست جهدًا أكثر من بيري.

أعجب بيري بمادلين. وكان يدعوها بـ «المشاكسة».

قالت جين: «عليّ أن أبدأ بممارسة نوع من التمارين الرياضية عندما يكون زيغي في المدرسة، فأنا أفقد رشاقتي. ألهث كثيرًا كلما صعدت منحدرًا بسيطًا. أنه أمرٌ مرعب. الجميع هنا أصحاء ويتمتعون باللياقة البدنية».

سيليست: «أنا لست كذلك، لا أمارس الرياضة إطلاقًا. دائمًا مادلين ورائي من أجل الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية معها. لديها هوس بتلك الصالات، لكنني أكره النوادي الرياضية».

- «وأنا أيضاَ»، قالت جين مع تكشيرةٍ، «وأولئك الرجال ذوي القامات الضخمة الذين يتصببون عرقًا».

سيليست: «علينا أن نمارس رياضة المشي سوية عندما يكون الأطفال في المدرسة. حول الرأس البحري».

قابلتها جين بابتسامةٍ سريعةٍ، خجولةٍ، ومتفاجئةٍ. «أحب ذلك».

هاربر: أنتم تعرفون كيف كان من المفترض أن تكون جين وسيليست على علاقةٍ حميمة؟ حسنًا، من الواضح أن علاقتهما لم تكن كلها ورود، لأنني سمعت شيئًا في ليلة المسابقة، بالصدفة طبعًا. لقد كان ذلك قبل دقائق من الحادث تمامًا. كنت خارجةً إلى الشرفة لأحصل على بعض الهواء النقي - حسنًا، ولأدخن سيجارة إن أردتم أن تعرفوا السبب بالضبط، لأنه كان هناك الكثير مما يشغل بالي - على أي حال، كانت جين وسيليست في الخارج، وكانت سيليست تقول: «أنا آسفةٌ. أنا بالفعل آسفة جدًا».

كان ذلك قبل ساعةٍ تقريبًا من اصطحاب الأطفال من المدرسة عندما اتصلت سامرا، مديرة مادلين في مسرح بيريوي، لمناقشة موضوع التسويق للإنتاج الجديد لمسرحية **الملك لير**. وقبل أن تنهي المكالمة (بالنهاية! لم تتقاضى مادلين أجرًا مقابل الوقت الذي قضته على هذه المكالمات، وإن عرضت عليها مديرتها الدفع، كانت سترفض، ولكن مع ذلك، كان جيدًا أن تُتاح لها فرصة الرفض بلطافة)، ذكرت سامرا أن لديها «دفترًا كاملاً» من تذاكر الجلوس المجانية في المقاعد الأولى لمسرحية **ديزني على الجليد** إن رغبت مادلين بذلك.

سألت مادلين: «متى ستكون؟». وهي تنظر إلى التقويم على الحائط.

- «أمم، لنرى، السبت 28 شباط، الساعة الثانية ظهرًا».

كان المربع الموجود في التقويم فارغًا، لكن ثمّة شيءٌ مألوف تجاه التاريخ. تناولت مادلين حقيبة يدها وأخرجت منها الظرف الوردي الذي أعطته إياها كلوي ذلك الصباح.

كانت ستُقام حفلة أمابيلا في 28 شباط الساعة الثانية بعد الظهر. ابتسمت مادلين: «يروق لي ذلك».

ثيا: أتت الدعوات إلى حفلة أمابيلا أولاً. وبعد ذلك حدث أمرٌ آخر، ففي نفس الظهيرة، تقدم مادلين ببطاقاتٍ مجانية لحضور مسرحية **ديزني على الجليد**، وكأنها سيدة لها شأنها.

سامنثا: كانت تكلّف تلك التذاكر مبلغًا كبيرًا، وكانت ليلي فاقدة الأمل بالذهاب. لم أعرف أن المسرحية كانت في نفس اليوم الذي ستُقام فيه حفلة أمابيلا، ولكن أكرر القول، لم تكن ليلي تعرف شيئًا عن أمابيلا، لِذلك شعرتُ بالانزعاج، لكن ليس بهذا السوء.

جوناثان: لطالما قلت إن أفضل شيء بكونك أبًا ملازمًا للمنزل هو أنك تترك خلفك كل سياسات المكتب. لكن في اليوم الأول من المدرسة، تم إقحامي فيما يشبه الحرب بين هاتين المرأتين!

بوني: ذهبنا إلى حفلة أمابيلا. أعتقد أن مادلين نسيت أن تقدم لنا بطاقات ديزني. متأكدةٌ أن ذلك كان سهوًا.

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: نحن نتحدث مع أولياء الأمور حول كل ما جرى في تلك المدرسة. أستطيع أن أؤكد لكم أنها ليست المرة الأولى التي يؤدي فيها شجارٌ حول مسألةٍ تبدو غير مهمّة إلى العنف.

الفصل الثاني والعشرون

قبل ثلاثة أشهرٍ من ليلة المسابقة

جلست سيليست وبيري على الأريكة يحتسيان النبيذ الأحمر، ويأكلان كرات الشوكولا نوع ليندت، ويشاهدان الحلقة الثالثة على التوالي من مسلسل The Walking Dead. كان الصبيّين نائمين، والمنزل هادئ، باستثناء صوت وقع خطى آتٍ من التلفاز. كان بطل المسلسل يتسلل في الغابة وهو يشهر سكينه. ظهر زومبي (الميت العائد إلى الحياة) من وراء شجرة: كان وجهه أسودًا ومتعفنًا، وأسنانه تصطك، أصدر صوتًا خشنًا يصدره الزومبي عادةً. فقفزت سيليست وبيري من الرعب وصرخا.

وضع يده على بقعة الخمر على قميصه: «لقد أخافني هذا وكدت أموت».

أدخل الرجل الذي على الشاشة سكينه في جمجمة الزومبي.

سيليست: «نعم، لقد نلت منه!».

بيري: «أوقفيه لحظة حتى أملأ الكأس».

التقطت سيليست جهاز التحكم وأوقفت الـ DVD. «هذا أفضل حتى من الموسم الماضي».

بيري: «أعرف، رغم أنه يسبب لي أحلامًا مزعجة».

أحضر زجاجة النبيذ من الخزانة الجانبية.

سألها وهو يعيد ملء كأسها: «هل سنذهب إلى حفلة عيد ميلاد أحد الأطفال غدًا؟ قابلت مارك وايتاكر في كاتاليناس اليوم ويبدو أنه يظنّ أننا ذاهبون. قال بأن الأم ذكرت له بأننا مدعوَين. ريناتا شخصٌ مهم. لكن هل قابلتُ ريناتا ذلك اليوم عندما ذهبت إلى المدرسة معك؟».

سيليست: «نعم قابلتها. لقد دُعينا إلى حفلة أمابيلا. لكننا لن نذهب».

لم تكن تركّز. تلك كانت المشكلة. لم يكن لديها الوقت للاستعداد. كانت تستمتع بالنبيذ والشوكولاتة والزومبي. كان بيري قد عاد قبل أقل من أسبوع. كان دائمًا حنونًا جدًا وأكثر مرحًا بعد كل رحلة، خاصّةً إذا غادر البلاد. كانت تلك الرحلات تنقّي قلبه وتزيل توتّره بطريقةٍ ما. لِذلك تجد وجهه أكثر نعومةً، وعيناه أكثر إشراقًا. قد تحتاج طبقات الإحباط أسابيع كي تتراكم مرةً أُخرى.

كان الولدين يشعران بالوحشة قليلاً هذه الليلة. كان بيري قد قال لهما في وقتٍ سابقٍ: «تحتاج ماما لأخذ قسطٍ من الراحة هذه الليلة»، لِذلك قام بكل الواجبات عنها لوحده من استحمام وغسيل الاسنان وروتين قصة ما قبل النوم، بينما جلست هي على الأريكة، تقرأ كتابها وتشرب من شرابٍ أعدّه بيري أسمته **مفاجأة بيري**. كان كوكتيل قد اخترعه منذ سنواتٍ مضت. كان مذاقه مكونًا من الشوكولاتة والكريما والفريز والقرفة، وكل امرأة أعدّه لها يجن جنونها به. قالت له مادلين ذات مرّة: «سأعطيك أطفالي مقابل هذه الوصفة».

ملأ بيري كأسه: «لماذا لن نذهب نحن؟».

- «سآخذ الولدين إلى مسرحية **ديزني على الجليد**. حصلت مادلين على تذاكر مجانية وستذهب مجموعةً منا لحضورها». قطعت سيليست قطعةً أُخرى من الشكولاتة. لقد أرسلت اعتذارها إلى ريناتا ولم تسمع الرد. نظرًا لأن المربية كانت تتولى معظم مهام التوصيل والإعادة من وإلى المدرسة، لم تقابلها سيليست منذ اليوم الأول للمدرسة. كانت تعرف أنها تنحاز إلى جانب مادلين وجين بالرفض، لكن، لا بأس أنها كانت متحالفة مع مادلين وجين. وكانت تلك حفلة عيد الميلاد الخامسة. لم تكن مسألة حياةٍ أو موتٍ.

قال بيري: «إذًا، أنا ليس مُرّحبًا بي في مسرحية ديزني تلك؟». رشف نبيذه. شعرت به حينها. في معدتها. شيءٌ يعتصرها من الداخل. لكن نبرة صوته كانت عادية. وفيها روحٌ من الدعابة. لو أنها تابعت بحذرٍ، لاستطاعت تمرير الليلة على خير.

وضعت الشوكولاتة وقالت: «آسفة، اعتقدت أنك قد ترغب بقضاء وقتٍ لوحدك ولو قليلاً. يمكنك الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية».

وقف بيري فوقها وزجاجةٌ النبيذ ما تزال في يده.

ابتسم: «لقد غِبْتُ لثلاثة أسابيع. وسأسافر مرةً أُخرى يوم الجمعة. لماذا أحتاج قضاء وقتٍ لوحدي؟».

لم يبدو عليه الغضب أو تظهر على محياه أي علائم انزعاجٍ، لكنها استطاعت أن تشعر بتغيّر شيءٍ في الجو، مثل التغيّر الكهربائي الذي يسبق العاصفة. شعرت بالقشعريرة.

- «أنا آسفة، لم أفكر بهذه الطريقة».

- «لقد سئمتِ مني بالفعل». كأنه شعر بالأذى. لا بل قد تأذى بالفعل. وهي تصرفت بطيشٍ. كان عليها أن تعرف ما هو أفضل. وكان بيري يبحث دائمًا عن دليلٍ ليثبت أنها لا تحبه بالفعل. كان الأمر كما توقعه تمامًا، ثم شعر بالغضب عندما صدّق نفسه أنه كان على حق.

كانت تنوي النهوض عن الأريكة، لكن قد يدفع ذلك الأمور إلى مواجهة. إن تصرّفت في بعض الأحيان بشكلٍ طبيعي، يمكنها حينها دفع بالأمور بلطفٍ إلى مسارها الصحيح. لكن بدلاً من ذلك، نظرت إليه. «حتى أن الولدين لا يعرفان هذه الفتاة الصغيرة. ونادرًا ما أصحبهما لمشاهدة عروضٍ حية، لِذلك يبدو أن هذا الخيار هو الأفضل».

قال بيري: «حسنًا، لماذا لا تأخذينهم إلى العروض الحيّة؟ لسنا بحاجة إلى بطاقاتٍ مجانيةٍ! لماذا لم تخبري مادلين أن تعطي التذاكر إلى شخصٍ آخر يستحقها فعليًا؟».

- «لا أعرف. لكن ليس ذلك بسبب المال بالطبع».

لم تكن تفكر بذلك. أنها كانت تحرم بعض الأمهات من البطاقات المجانية. كان عليها أن تفكر بحقيقة أن بيري يمكن أن يعود ويرغب بقضاء بعض الوقت مع الأولاد، لكنه كان بعيدًا غالبًا، لِذلك اعتادت القيام بالترتيبات الاجتماعية التي تناسبها دون العودة إليه.

قالت بهدوء: «أنا آسفة»، كانت آسفةٌ بالفعل، لكن ذلك لن يجدي نفعًا، لأنه لن يصدقها أبدًا، «ربما كان عليّ أن أختار الحفلة»، نهضت: «سأقوم بنزع عدساتي اللاصقة. أشعر بحكةٍ في عيني».

عندما همّت بالابتعاد عنه. أمسك بأعلى ذراعها. فانغرست أصابعه في اللحم.

سيليست: «مهلاً، أنت تؤلمني».

كان جزء من اللعبة هو أن يكون رد فعلها الأولي المفاجأة والغضب، كما لو أن ذلك لم يحدث من قبل، كما لو أنه لم يكن يعرف ماذا يفعل.

أمسك بها بقوةٍ أكبر. «لا تفعل ذلك بيري. أرجوك لا تفعل». أشعل الألم غضبها. لطالما كان الغضب موجودًا وكامنًا: خزان وقودٍ قابلٍ للاشتعال. سمعت صوتها يعلو بشكلٍ هيستيري. يا لها من امرأةٍ مبتذلةٍ وصاخبة. «بيري، هذه ليست مشكلة كبيرة! لا تجعل من الحبة قبة».

لأن الأمر لم يعد يتعلق الآن بالحفلة. بل بات يتعلق بكل مرةٍ. بدأت يده تمسّك بها بقوةٍ أكثر مرّةً بعد أُخرى. يبدو أنه كان يتخذ قرارًا: إلى أي حدٍ بالضبط يريد إيذاءها.

دفعها إلى الوراء بقوةٍ جعلتها تترنح حتى كادت تقع. ثم عاد خطوةَ إلى الوراء، ورفع ذقنه، كان يتنفس بقوةٍ من فتحتي أنفه، وتتدلى ذراعيه إلى جانبيه. انتظر ليرى ردة فعلها التالية.

كان هناك خياراتٍ كثيرة.

كانت تحاول أحيانًا أن تردّ مثل الراشدين: «هذا غير مقبولٍ». وأحيانًا أُخرى يعلو صوتها. أحيانًا تبتعد. وأحيانًا أُخرى كانت لا تسكت وتحاول

أن تردّ له الصاع صاعين. كانت تلكمه وتركله كما كانت تفعل دفاعًا عن نفسها عندما ينشب شجارٌ بينها وبين شقيقها الأكبر في الماضي. لبضع لحظات كان يتركها تفعل ذلك، وكأن هذا ما يريده بالضبط، أو ما يحتاجه، قبل أن يمسك معصميها. لم تكن الوحيدة التي تستيقظ في اليوم التالي ولديها كدمات. كانت تراها على جسد بيري أيضًا. لقد كانت سيئةً مثله. وعليلةً مثله. كانت تقول للولدين: «لا يهمني من بدأ أولاً!».

لم تكن أي من الخيارات تجدي نفعًا.

- «سأتركك إن فعلت ذلك مرةً أُخرى». قالت بعد أول مرةٍ، وكانت جادةٌ للغاية، يا إلهي لقد كانت جادة بالفعل. كانت تعرف بالضبط كيف من المفترض أن تتصرف في مثل هذه الحالة. كان عمر الولدين ثمانية أشهر فقط. بكى بيري. وبكت هي. وعدها وأقسم بحياة الولدين. كان حزينًا محطم الفؤاد. اشترى لها أول قطعة مجوهراتٍ والتي لم تتزيّن بها أبدًا. بعد أسبوعٍ على عيد الميلاد الثاني للتوأم، نشب خلافٌ مرةً أُخرى. وكان أسوأ من سابقه. كانت تشعر بأنها محطّمة. لقد انتهى هذا الزواج. مؤكد أنها ستغادر المنزل. لم يكن هناك أي شكٍ إطلاقًا. لكن في تلك الليلة بالذات، استيقظ الولدان وهما يعانيان من سعالٍ شديد. لقد كان خناق صدري. في اليوم التالي ساءت حال جوش كثيرًا، اقترح طبيبهم العام: «سأتصل بسيارة إسعاف». وظل في العناية المشددة لثلاثة ليالٍ. كانت الكدمات الأرجوانية الرقيقة على ورك سيليست الأيسر تافهة أمام ما يحدث عندما وقف الطبيب أمامها وقال بلطفٍ: «أعتقد أنه علينا أن نضع له أنبوب تنفس».

كل ما أرادته حينها هو أن يكون جوش بخير، ثم تحسّن وضعه بعد ذلك، جلس في سريره، وبدأ يطالب بأغاني مجموعة Wiggles وبشقيقه بصوتٍ ما زال أجشًّا بسبب ذلك الأنبوب المزعج.

شعرت هي وبيري حينها بالارتياح، وبعد أيام قليلة من إحضار جوش إلى المنزل من المستشفى، غادر بيري إلى هونغ كونغ، وانقضت لحظة رد الفعل الدرامي تلك.

لكن الحقيقة التي لا جدال فيها والتي تكمن وراء ترددها باتخاذ أي قرارٍ بالرحيل هي: أنها أحبّت بيري. ومازالت تحبه. وما زالت مفتونةً به. لقد جعلها سعيدةً وجعلها تضحك من أعماقها. ما زالت تستمتع بالحديث معه، ومشاهدة التلفاز معه، والاستلقاء إلى جانبه في السرير في الليالي الباردة والصباحات الممطرة. كانت لا تزال تريده.

لكن في كل مرةٍ لم تغادر فيها، كانت تمنحه إذنًا ضمنيًا بتكرار فعلته مرةً أُخرى. وقد أدركتْ ذلك. كانت امرأةً مثقّفة ولديها خياراتٍ عديدة، وأماكن ترتادها، ولديها عائلتها وأصدقائها الذين يلتفون حولها، ومحامون يمثلونها. يمكنها العودة إلى العمل والاعتماد على نفسها. لم تكن خائفةً من أنه سيقتلها إن حاولت المغادرة. لم تكن خائفةً من أنه سيحرمها الولدين إن فكّرت بالرحيل.

غالبًا ما كانت إحدى أمهات الأطفال في المدرسة، وهي غابرييل، تتبادل أطراف الحديث مع سيليست في الباحة بعد المدرسة بينما كان ابنها والتأم سيليست يلعبون النينجا. قالت لسيليست بالأمس: «سأبدأ نظامًا غذائيًا جديدًا غدًا. قد لا ألتزم به، حينها سأمتلئ كرهًا لذاتي». نظرت إلى سيليست من الأعلى للأسفل وقالت: «مؤكّد أن ليس لديكِ أدنى فكرة عما أتحدث، أليس كذلك، أنتِ نحيلة القوام؟»".

في الواقع أعرف، هكذا كانت تفكر سيليست. وأعرف تمامًا ما تعنين.

ضغطت يدها على أعلى ذراعها وقاومت الرغبة بالبكاء. لم تعد قادرةً على ارتداء ذلك الفستان بلا أكمام غدًا.

- «لا أعرف لماذا ...». توقفت. **لا أعرف لماذا أبقى. لا أعرف لماذا استحق هذا. لا أعرف لماذا تفعل هذا، ولماذا نفعل هذا، ولماذا يحدث هذا باستمرار.**

قال بصرامةٍ: «سيليست»، فاستطاعت أن ترى البطش والقسوة تتطاير من كافة أنحاء جسده. استأنف جهاز الـ DVD العرض مرةً أُخرى. التقط بيري جهاز التحكم عن بعد وأطفأ التلفاز.

- «يا إلهي، أنا آسف». تدلى وجهه للأسفل ندمًا.

لقد انتهى كل شيءٍ الآن. لن يكون هناك المزيد من تبادل الاتهامات حول الحفلة. لكن ما يحدث عادةً هو العكس تمامًا. سيصبح رقيقًا ومراعيًا لمشاعرها. وفي الأيام القليلة التالية حتى يحين موعد مغادرته في رحلته، لن تكون هناك امرأةً أكثر دلالاً من سيليست. سيستمتع شيءٌ بداخلها برؤية: مشاعر الندم والإحساس بالذنب التي تظهر عليه من خلال ارتعاشه وبكاءه بحرقةٍ.

تركت يدها تسقط عن ذراعها.

قد يحدث ما هو أسوأ من ذلك بكثير. نادرًا ما ضربها على وجهها، أو كسر أحد أطرافها أو احتاجت لخياطة جرح. كان باستطاعتها دومًا إبقاء كدماتها سريةً باستخدام قبة العنق أو الأكمام والسراويل الطويلة. لم يؤذِ أيًا من الولدين أبدًا. ولم يرَ أيًا منهما ما يجري أبدًا. ربما سيسوء الوضع حينها أكثر. أوه، أسوأ بكثير. كانت تقرأ مقالاتٍ حول ضحايا حقيقيين للعنف المنزلي. كان ذلك مرعبًا. كان ذلك حقيقيًا. ما قام به بيري لا يُحتسب تجاه ما سمعته. كانت أشياءً صغيرةً وتافهة، مما جعلها تشعر بالإذلال أكثر، لأنه كان ... مبتذلاً للغاية، صبيانيًا وتافهًا إلى أبعد حد.

لم يخدعها. ولم يلعب القمار أبدًا. ولم يشرب لحد الثمالة. ولم يهجرها كما هجر والدها أمها. ذلك هو الأسوأ لها. أن تكون ضحية الهجران والتخلي وعدم الاكتراث.

كان غضب بيري مرضًا. مرضٌ عقلي. كانت ترى كيف يستبدّ به، وكيف يبذل قصارى جهده لمقاومته. عندما يتملّكه الغضب، تصبح عيناه حمراوين وخاليتين من المشاعر كالزجاج، وكأنه تحت تأثير تنويمٍ مغناطيسي. حتى أن الأشياء التي يتفوّه بها لا تكون منطقيةً. وكأنه ليس هو. في ثورات غضبه تجده شخصًا آخر. هل كانت ستتركه إن أصيب بورمٍ في الدماغ وأثّر الورم على تصرّفاته وشخصيته؟ بالطبع لن تفعل ذلك.

لم يكن ما يحدث سوى خللٍ بسيطٍ في علاقةٍ مثاليةٍ. كل علاقةٍ لها عيوبها. لها تقلّباتها صعودًا وهبوطًا. كانت علاقتهما تشبه علاقة الأمومة. كل صباح يأتي الولدين إلى سريرها لمعانقتها ولقبلة الصباح، في البداية يكون أمرًا رائعًا وسماويًا، وبعد ذلك، بعد نحو عشر دقائق أو أكثر، يبدأ الشجار، ويكون فظيعًا. تارةً يكون الولدين أكثر من رائعين. وتارةً أُخرى كحيوانين صغيرين متوحشين.

لن يمكنها أن تترك بيري أبدًا أكثر مما يمكنها ترك أولادها.

مدّ بيري ذراعيه: «سيليست؟».

أدارت رأسها، وابتعدت خطوةً، لكن لم يكن هناك من يواسيها ويخفف عنها. كان هو حاضرٌ فقط. هو الماثل أمامها كواقعٍ فُرض عليها.

عادت وتقدمت نحوه ووضعت رأسها على صدره.

سامانثا: لن أنسى أبدًا اللحظة التي دخل فيها بيري وسيليست القاعة ليلة المسابقة. كان هناك ما يشبه الهدير في الغرفة. لكن فجأةً توقف الجميع وحدقوا.

الفصل الثالث والعشرون

صرخت مادلين مخاطبةً كلوي عندما أخذتا مقعدهما في الدرجة الممتازة أمام حلبة التزلج العملاقة: «أليس هذا رائعًا! يمكنكِ أن تشعري ببرودة الجليد! بررر! أتساءل أين الأميرات».

مدّت كلوي يدها ووضعتها بلطفٍ على فم والدتها. «ششش. اصمتي».

عرفت مادلين أنها كانت تتحدث كثيرًا لأنها كانت تشعر بالتوتر والذنب نوعًا ما. يجب أن يكون اليوم رائعًا كي تستطيع رأب الصدع الذي أوجدته بينها وبين ريناتا. كان ثمانية من أطفال الروضة المدعوّين لحفلة أمابيلا موجودين هنا ليشاهدوا عرض **ديزني على الجليد** بسبب مادلين. نظرت مادلين إلى من يجلس بعد كلوي، إلى زيغي، الذي كان يهتم بلعبةٍ محشوةٍ كبيرةٍ في حِجره.

كان زيغي هو السبب وراء وجودهم هنا اليوم، ذكّرت نفسها. المسكين زيغي الذي لم يكن سيحضر الحفلة اليوم. زيغي الصغير اليتيم. الذي ربما كان مريضًا نفسيًا بالخفاء... لكن ما زال الأمر غير مؤكد!

قالت بابتهاج: «هل ستعتني بفرس النهر هاري في عطلة هذا الأسبوع، زيغي؟». كان فرس النهر هاري لعبة الصف. وكان واحدٌ من الأطفال يصطحبه معه إلى منزله كل أسبوع مرفقًا بكتاب صور، والذي ينبغي إعادته إلى المدرسة مع قصةٍ قصيرةٍ حول مجريات عطلة نهاية الأسبوع موثّقةً بالصور.

أومأ زيغي برأسه بالإيجاب وهو صامت. كان طفلاً مُقلًا بالكلام. انحنت جين نحو الأمام وهي تمضغ العلكة سرًا كما هي العادة دائمًا: «من المرهق الاحتفاظ بهاري معنا. علينا أن نمنحه وقتًا لا بأس به. الأسبوع الماضي ركب في قطارٍ الملاهي-أوووه!».

ارتدت جين بسرعةٍ إلى الوراء لأن أحد التوأمين الذي كان يجلس قربها ويتشاجر مع شقيقه، قد ضربها بمرفقه على مؤخرة رأسها.

- «جوش!»، قالت سيليست بحدةٍ: «ماكس! توقفا عن ذلك!».

تساءلت مادلين عما إذا كانت سيليست على ما يُرام اليوم. بدت شاحبةً ومتعبةً، كانت ظلالاً أرجوانية تحت عينيها رغم أنها بدت على وجه سيليست وكأنها مكياجٌ فنّي ترغب كل امرأةٍ بتجريبه. بدأت الأضواء في القاعة تخفت، ثم سادت العتمة. أمسكت كلوي بذراع مادلين. بدأت الموسيقا تصدح عاليًا جدًا لدرجة أن مادلين استطاعت أن تشعر بالاهتزازات. كانت حلبة التزحلق على الجليد مليئةً بمجموعةٍ من شخصيات ديزني الملونة التي ترقص وتدور. نظرت مادلين إلى صف مقاعد ضيوفها، كانت ملامحهم واضحةً بسبب الأضواء المتلألئة على الجليد. وكان الأطفال ينظرون إلى الأمام مباشرةً، ظهورهم الصغيرة مستقيمةً، مفتونين بالمشهد الذي يُعرض أمامهم، بينما كان كل ولي أمرٍ يلتفت كي ينظر إلى وجه ولده، مفتونًا بسحره. ما عدا سيليست، التي أنزلت رأسها وضغطت بيدها على جبينها.

عليّ أن أتركه. فكّرت سيليست في سريرتها. في بعض الأحيان، عندما تكون غارقةً بالتفكير في أمرٍ آخر، تلمع الفكرة في ذهنها فجأةً وبقوةٍ كلكمةٍ سريعة. زوجي يضربني.

بحق الآلهة، ما خطبها؟ لمَ كلّ هذا التبرير المحموم. هذا خطأ حُبًّا بالله. بالطبع كان عليها أن تغادر. اليوم! لا بل الآن! بمجرد عودتهم إلى المنزل من العرض، عليها أن تحزم حقائبها.

لكن الأولاد سيكونون متعبين وكثيري التذمّر.

قالت جين لوالدتها التي اتصلت لتسأل كيف سارت حفلة ديزني على الجليد: «لقد كانت رائعةً. أحبّها زيغي كثيرًا. ويقول إنه يريد أن يتعلم كيف يتزلج على الجليد».

قالت والدتها وبصوتها نبرة المنتصر: «كان جدّكِ يحبّ التزلج على الجليد!».

- «ها أنت ذا ثانيةً»، قالت جين دون أن تكلّف نفسها عناء إخبار والدتها بأن كل طفلٍ بعد العرض أعلن عن رغبته بتعلم التزلج على الجليد. وليس فقط أولئك الذين لديهم حياة سابقة.

- «حسنًا، ولن تحزري أبدًا من صادفت خلال التسوّق اليوم»، قالت أمها: «روث سوليفان!».

-«حقًّا؟»، قالت جين متسائلةً عما إذا كان ذلك هو السبب الحقيقي لاتصالها. كانت روث والدة صديقها السابق. سألت: «كيف حال زاك؟».

ردّت والدتها: «بخير. إنه، حسنًا، إنّه مرتبطٌ يا عزيزتي».

- «حقًا؟». قالت جين بلطفٍ وهي تفتح قطعةً جديدةً من العلكة. وضعت العلكة في فمها وبدأت تمضغها، متسائلةً عن شعورها حيال ذلك، لكن ثمّة شيءٌ آخر يشغل بالها حاليًا، احتمالٌ ضئيل لحدوث كارثةٍ صغيرةٍ. بدأت تتجول في شقتهم الفوضوية، تلتقط الوسائد والثياب الملقاة هنا وهناك.

- «لم أكن أكيدةً إن كان عليّ إخبارك»، قالت أمها: «أعرف أن ذلك منذ زمنٍ طويل، لكنه حطّم قلبك».

قالت جين بشكلٍ مبهم: «لم يحطم قلبي».

بل حطّم قلبها، لكنه حطّمه بلطفٍ واحترامٍ وأسفٍ شديد، كما يفعل صبيٌّ لطيفٌ حسن التربية في التاسعة عشرة من عمره عندما ينوي القيام برحلة مع شركة كونتيكي للسياحة في أوروبا، والنوم مع الكثير من الفتيات.

عندما تفكر بزاك الآن، تشعر وكأنها تتذكّر صديقًا قديمًا في المدرسة، شخصٌ كانت تعانقه بحنانٍ والدموع تنهمر عندما كانا يلتقيان في حفل تجمّع أصدقاء المدرسة، ثم لا يتقابلان ثانيةً حتى حفلة العام المقبل.

ركعت جين على ركبتيها ونظرت تحت السرير.

- «لقد سألتني روث عن زيغي». قالت أمها عن قصد.

- جين: «حقًا؟».

- «لقد أريتها صورة زيغي في يومه الأول في المدرسة، وكنت أراقب وجهها، والحمد لله أنها لم تقل شيئًا، لكنني عرفت ما كانت تفكر به، ولأن من واجبي أن أقول، بدا وجه زيغي في الصورة يشبه إلى حدٍّ ما ...».

قالت جين وهي تنهض على قدميها: «ماما! زيغي لا يشبه زاك بأي شكلٍ من الأشكال».

لقد شعرت بالنفور عندما وجدت نفسها تحلل وجه زيغي الجميل، وتبحث عن ملامح مألوفة: الشفتين والأنف والعينين.

في بعض الأحيان تشعر وكأنها تلمح شبهًا عندما تنظر إليه نظرةً خاطفةً أو من طرف عينها، لكنه سرعان ما يتلاشى رويدًا رويدا، عندما تعيد تجميع ملامح زيغي بزيغي نفسه.

قالت والدتها: «أوه، أعلم! لا شيء على الإطلاق مثل زاك!».

- «ثم إن زاك ليس والد زيغي».

- «أوه، أعلم ذلك يا عزيزي. رباه. أعلم ذلك. لقد أخبرتني بذلك من قبل».

- «بل وأكثر من ذلك، كنت سأخبر زاك».

كان زاك قد اتصل بها بعد ولادة زيغي. «هل هناك شيءٌ تريدين أن تخبريني به يا جين؟». قال ذلك بصوتٍ صارمٍ وواضح.

ردّت جين: «كلا»، فسمعت حينها تنهيدة ارتياحٍ خافتة.

قالت والدتها: «حسنًا، أعرف ذلك»، ثمّ غيرت الموضوع بسرعةٍ. «أخبريني. هل التقطتما بعض الصور الجميلة مع لعبة الصف؟ سيرسل لك والدك إيميلاً عن مكانٍ رائع يمكنك طباعتها فيه ... كم تكلّف يا بيل؟، كم؟ لا صور جين! من أجل ذلك الشيء الذي عليها أن تفعله من أجل زيغي!».

- «ماما»، قاطعتها جين. سارت إلى المطبخ التقطت حقيبة ظهر زيغي حيث كانت ملقاةً على الأرض. أمسكتها وقلبتها رأسًا على عقب. لم يسقط منها شيئًا، «لا بأس يا أمي. أعرف أين يمكن طباعة الصور».

تجاهلتها أمها. «بيل! استمع إليّ! قُلت إن هناك موقعٌ على شبكة الإنترنت ...». تلاشى صوتها.

دخلت جين إلى غرفة نوم زيغي، حيث كان يجلس على الأرض ويلعب بلعبة الليغو خاصته. رفعت غطاء سريره وهزّته.

قالت أمها: «سيرسل إليك التفاصيل بالبريد الإلكتروني».

ردّت جين والتشتت بادٍ عليها: «رائع. يجب أن أذهب، ماما. سأتصل بك غدًا».

أقفلت الخط. كان قلبها يخفق بشدةٍ. ضغطت براحة كفها على جبينها. كلا بكل تأكيد. لا يمكن أن تكون بهذا الغباء. نظر إليها زيغي بفضول.

قالت جين: «أعتقد أننا في ورطة».

ساد الصمت عندما التقطت مادلين الهاتف. «مرحبا»، قالت مرةً أُخرى: «من المتكلّم؟». كان بإمكانها سماع شخصٍ يبكي ويقول أشياء غير مترابطة.

- «جين؟»، تعرّفت مادلين على الصوت فجأةً، «ما المشكلة؟ ما الأمر؟».

قالت جين: «لا شيء». ثم تنفست بقوة: «لم يمت أحدًا. إنه أمرٌ مضحك حقًا. ومن المضحك أنني أبكي على هذا».

- «ماذا حدث؟».

- «إنه فقط ... أوه، ما الذي ستظنّه الأمهات الأخريات بي الآن». تهدج صوت جين.

- مادلين: «من يهتم بمَ يفكرون أو يظنون!».

- «أنا أهتم!». ردّت جين.

- «جين. فقط أخبريني. ما الأمر؟ ماذا حدث؟».

تنهدت جين: «لقد فقدناه».

- «فقدتِ من؟ هل فقدتِ زيغي؟». شعرت مادلين الذعر. لقد كان لديها هاجس بفقدان أطفالها، وبسرعةٍ تأكدت من أماكن تواجد كل منهم: كلوي في السرير: فرِيْد يقرأ مع إد، وأبيغيل تجلس مكان والدها (مرةً أُخرى).

- «تركناه جالسًا على المقعد. أتذكر أنني كنت أفكر حقيقةً بحجم الكارثة التي ستحصل إن تركناه وراءنا. كنت أفكر حقيقةً بذلك، ولكن بعدها

تعرض جوش لنزيفٍ من أنفه وتشتت انتباهنا جميعًا. لقد تركت رسالةً بالشيء المفقود ورقمي ولكن لم يتصل أحدًا ولا من يحزنون ...».

- «جين. أنتِ لا تتكلمين كلامًا مفهومًا على الإطلاق».

- «فرس النهر هاري ... لقد فقدنا هاري فرس النهر!».

ثيا: هذا ما يميّز أطفال هذه الأيام. هم مُهملون. لقد مضى على وجود هاري فرس النهر في المدرسة أكثر من عشر سنواتٍ. تلك اللعبة الاصطناعية الرخيصة التي تنبعث منها رائحةٍ كريهة. قد صُنعت في الصين. حتى أن وجه فرس النهر لم يكن ودودًا.

هاربر: لاحظوا، لم يكن بالأمر الجلل فقدانها لهاري فرس النهر، ولكن ما هو مزعج هو وضعها صورًا في دفتر الصور لأفراد المجموعة الصغيرة الحصرية التي حضرت مسرحية **ديزني على الجليد**. وبالتالي سيراها جميع الأطفال، ويفكر الصغار المساكين: لماذا لم نكن مدعوين؟ كما قلتُ لريناتا، كان ذلك مجرد استهتار.

سامنثا: نعم، وأنتم تعرفون ما هو الصادم حقًا؟ **كانت تلك آخر الصور التي التقطت لهاري فرس النهر**. فرس النهر هاري المدرج في قائمة التراث. هاري ... الـ ... عذرًا، هذا ليس مضحكاً. ليس مضحكًا على الإطلاق.

غابرييل: يا إلهي، أنتم لا تتخيلون حجم الضجة التي أثيرت عندما أضاعت المسكينة جين لعبة الصف، ويتظاهر الجميع بأنها ليست مشكلةً كبيرةً، لكنها على ما يبدو كذلك، وأنا أفكّر، هل يمكن للناس أن تحصل على حياة (حقيقية)؟ مهلاً، هل أبدو أنحف مما كنت عليه عندما التقينا آخر مرةٍ؟ لقد خسرت ثلاثة كيلو غرامات.

الفصل الرابع والعشرون

شهرين قبل ليلة المسابقة المدرسية

- «هيا أيها الأخضر». صاحت مادلين وهي ترش رذاذ الشعر الأخضر على شعر كلوي من أجل كرنفال الألعاب الرياضية.

كانت كلوي وفريد «دلفينيان»، ولون منزلهما أخضرًا، وكانت مادلين محظوظة لأنها بدت جميلة باللون الأخضر. عندما كانت أبيغيل في مدرستها الابتدائية القديمة، كان لون منزلها أصفرًا غير جذاب.

قالت أبيغيل: «هذه الأشياء سيئة جدًا لطبقة الأوزون».

- «حقًا؟»، حملت مادلين علبة الرذاذ عاليًا، «ألم نصلحها بعد؟».

- «أمي، لا يمكنكِ إصلاح الثقب في طبقة الأوزون!». قلبت أبيغيل عينيها بازدراء وهي تأكل طبقًا من بذور الكتان المُحضّرة منزليًا، والخالية من المواد الحافظة والحليب، لا يهم إن كان طعمها غير مُستحبًا. في هذه الأيام، كلما عادت من منزل والدها، تنزل من سيارته وهي محمّلةً بما لذّ وطاب من الأطعمة، كما لو كانت تتحضّر لرحلةٍ إلى البراري.

- «لم أقصد بسؤالي إصلاح طبقة الأوزون بأكملها، بل كنت أعني الشيء المتعلق بعلب البخاخ. أمم، هذا الشيء أو غيره». رفعت مادلين علبة بخاخ الشعر ونظرت بعبوسٍ إليها، محاولةً أن تقرأ ما هو مكتوبٌ على أحد جوانبها، لكن الأحرف كانت صغيرةً جدًا. كان لديها ذات مرةٍ صديقًا يعتقد أنها جميلةً

لكن غبيةً، وهذا صحيح، كانت جميلةً وغبيةً طوال الوقت الذي قضته معه. وكان العيش مع ابنةٍ مراهقةٍ مشابه تمامًا.

قال إد: «مركبات الكلوروفلوروكربون. علب البخاخ لا تحوي مركبات الكلوروفلوروكربون».

أبيغيل: «أيًا تكن».

قالت كلوي عندما بدأت مادلين بتجديل شعرها الأخضر: «يعتقد التوأم أن أمّهما ستفوز بسباق الأمهات اليوم. لكنني أخبرتهما بأنكِ أسرع بمليار مرةٍ».

ضحكت مادلين. لم تستطع أن تتخيل سيليست وهي تجري في السباق. ربما أنها ستركض في الاتجاه الخاطئ، أو لن تلاحظ حتى إطلاق مسدس البدء كونها مشتتة الانتباه دومًا.

قالت أبيغيل: «ربما ستفوز بوني. فهي عدّاءة سريعةٌ بالفعل».

مادلين: «ماذا؟ بوني؟».

أصدر إد صوتًا ينمّ عن تحذير: «احم».

ردّت أبيغيل بعنف: «ماذا؟ لماذا لا ينبغي لها أن تكون سريعةٌ؟».

مادلين: «اعتقدت أنها تهتم باليوغا أكثر أو بأشياء من هذا القبيل، وليس بتمارين تقوية عضلة القلب». عادت إلى شعر كلوي.

- «إنها سريعة. لقد رأيتها في السباق مع أبي على الشاطئ، وتبدو بوني أصغر منك بكثير يا أمي».

ضحك إد: «أنت فتاةٌ شجاعةٌ يا أبيغيل».

ضحكت مادلين. «ذات يوم، يا أبيغيل، عندما تصبحين في الثلاثين، سأعيد على مسامعك بعض الأشياء التي قلتيها لي خلال العام الماضي».

ألقت أبيغيل ملعقتها: «أنا أقول فقط لا تنزعجي إن لم تفوزي!».

ردّت مادلين بهدوء: «نعم، نعم، حسنًا، شكرًا لك».

ضحكت هي واد على أبيغيل التي لم تكن تقصد أن تكون مضحكةً، ولم تفهم تمامًا سبب كون الأمر مضحك، لِذلك شعرت بالحرج، وبالتالي أغضبها هذا الشيء.

ردّت أبيغيل بشراسة: «أعني، لا أعرف لماذا تشعرين بالمنافسة معها. ليس لأنكِ تريدين الزواج من أبي مجددًا، أليس كذلك؟ إذًا ما هي مشكلتك؟».

إد: «أبيغيل، أنا لا أحب نبرة صوتك. تحدثِي بلطفٍ مع والدتكِ».

هزت مادلين رأسها قليلاً لإد.

- «رباه!». أبعدت أبيغيل طبق الإفطار ووقفت.

أوه، يا للمصيبة، فكرت مادلين. ها قد بدأت. أدارت كلوي رأسها بعيدًا عن يديّ مادلين حتى تتمكن من مشاهدة أختها.

- «لا أستطيع حتى التحدث الآن!»، ارتجف جسد أبيغيل بالكامل، «لا يمكنني حتى أن أكون كما أنا في منزلي! لا أستطيع التصرف براحتي!».

تذكّرت مادلين أول نوبة غضبٍ لأبيغيل، عندما كانت في الثالثة من عمرها تقريبًا. اعتقدت مادلين حينها أنها لن تمرّ بنوبة غضبٍ أبدًا، ويعود ذلك لطريقة تربيتها الجيدة. لِذلك أحسّت بالصدمة لدى رؤية جسد أبيغيل الصغير يهتز من عنف العواطف التي تجتاحها. (لقد أرادت الاستمرار بأكل ضفدع الشوكولاتة الذي أوقعته على أرض السوبرماركت. كان على مادلين أن تدع الطفلة المسكينة تأكلها).

إد: «أبيغيل، لا داعي لأن تكوني دراميةً إلى هذا الحد. اهدئي فقط».

فكرت مادلين: شكرًا عزيزي، لأن هذا ينفع دائمًا، أليس كذلك، أن تطلب من امرأةٍ الهدوء.

صاح فريد من آخر الرواق: «ماااااما! وجدتُ فردةً من حذائي فقط!».

- «دقيقة واحدة فقط، فريد!». ردّت مادلين بصوتٍ عالٍ.

هزت أبيغيل رأسها ببطءٍ، وكأنها مصدومة بالفعل من المعاملة الشنيعة التي أجبرت على تحملها.

- «هل تعلمين، ماما؟»، قالت دون أن تنظر إلى مادلين، «كنت سأخبرك هذا الأمر لاحقًا، لكنني سأخبرك إياه الآن».

صاح فريد: «مااااام».

مكتبة
t.me/t_pdf

صرخت كلوي: «ماما مشغولةً!».

هتف إد: «انظر تحت سريرك!».

طنت آذان مادلين: «ما الأمر، يا أبيغيل؟».

- «لقد قررت أن أعيش مع أبي وبوني طوال الوقت».

- مادلين: «ماذا قلتِ»، مع أنها سمعت. كانت تخشى ذلك منذ زمنٍ طويل، وظل الجميع يقول: «لا، لا، هذا لن يحدث أبدًا. لن تفعل ذلك أبيغيل. هي بحاجة لوالدتها». لكن مادلين كانت تعرف منذ أشهرٍ أن هذا قادم. وعرفت أنه سيحدث عاجلاً أم آجلاً. أرادت أن تصرخ في وجه إد: «لماذا طلبت منها أن تهدأ!».

قالت أبيغيل: «أشعر أن ذلك أفضل بالنسبة لي. بالطبع روحيًا». توقفت عن الارتجاف وأخذت طبقها بهدوء عن الطاولة إلى المغسلة. في الآونة الأخيرة بدأت تمشي بنفس الطريقة التي تمشي بها بوني، ظهرها مستقيم مثل راقصة البالية، وعيناها على نقطةٍ مفترضةٍ في الأفق.

تجهّم وجه كلوي: «لا أريد أن تعيش أبيغيل مع والدها!». انهمرت دموعها بغزارة، وبدأت الأشكال البرّاقة الخضراء على وجنتيها بالانحلال.

صرخ فريد: «مااااام!». سيعتقد الجيران أنه كان يتعرض للقتل.

أسند إد جبهته بيده.

مادلين: «إذا كان ذلك ما تريديه حقًا». استدارت أبيغيل من المغسلة وقابلت عينيها. وللحظةٍ فقط كانت الاثنتان وجهًا لوجه، لم تكن سوى الاثنتين معًا، كما كانتا طوال تلك السنوات. مادلين وأبيغيل فقط. فتاتان من عائلة ماكنزي. عندما كانت الحياة هادئةً وبسيطةً. اعتادتا تناول وجبة الإفطار في السرير معًا قبل المدرسة، جنبًا إلى جنب، الوسائد خلف ظهريهما، والكتب في حِجريهما. ثبّتت مادلين نظرها. **أتذكرين أبيغيل؟ أتذكرين؟**

أشاحت أبيغيل بنظرها بعيدًا: «هذا ما أريده».

ستو: لقد كنت هناك في كرنفال ألعاب القوى. كان سباق الأمهات مضحكًا للغاية. اعذروني على لكنتي الفرنسية. لكن بعضًا من تلك النسوة. كنت ستظنّها ألعابًا أولمبية. بالفعل.

سامنثا: أوه، هراء. لم يأخذ أحد السباق على محمل الجد باستثناء زوجي. ضحكت بشدة حتى أصابني ألمٌ بخاصرتي.

كان ناثان في الكرنفال. لم تصدق مادلين ما رأته عيناها عندما صادفته خارج كشك النقانق يدًا بيد مع سكاي. هذا الصباح بالذات. عادةً لا يحضر كثيرٌ من الآباء الكرنفالات الرياضية، إلا إن كانوا آباءً ملازمين للمنزل أو كان أولادهم رياضيين، لكن ها هو ذا زوج مادلين السابق وقد أخذ إجازةً من العمل ليحضر، مرتديًا قميص بولو مخطط وشروالاً قصيرًا وقبعة بيسبول ونظارات شمسية، وهو الزي المثالي للآباء من ماركة Good Daddy.

قالت مادلين: «إذًا ... هذه أول مرّةٍ بالنسبة لك!». رأت بأن هناك صافرة حول عنقه. أوه، رباه، لقد كان متطوعًا. كان يُعتبر مشاركًا. كان إد من ذلك النوع من الآباء الذين يتطوعون لأعمالٍ في المدرسة لكنه كان في موعد عملٍ مهمّ اليوم. كان ناثان يتظاهر بأنه إد. كان يتظاهر بأنه رجلٌ جيد، وقد انطلى على الجميع ذلك.

ابتسم ناثان: «بالتأكيد». ثم ذوت ابتسامته، حيث من المفترض أن تكون ابنته البكر قد شاركت في كرنفالاتٍ رياضية عندما كانت في المدرسة الابتدائية أيضًا.

بالطبع، في هذه الأيام، كان يحضر جميع المهرجانات التي تشارك فيها أبيغيل. لم تكن أبيغيل رياضيةً، بل كانت تعزف على الكمان، وكان ناثان وبوني في كل حفلةٍ موسيقيةٍ بكل تأكيد، يهللان ويصفقان، وكأنهما كانا يحضران دائمًا، وكأنهما هما من كان يصطحبها إلى دروس الكمان تلك في معهد بيترشام حيث لا يمكنك أن تجد موقفًا لسيارتك، وكأنهما من ساعداها على دفع تكاليف تلك الدروس التي لم تستطع مادلين تغطيتها كأمٍّ وحيدة مع زوجٍ سابق لم يساهم ولو بقرشٍ واحد.

والآن هي تختاره هو.

- «هل تحدثتْ معكِ أبيغيل عن ...». ترنّح ناثان قليلاً وكأنه يلمّح لمشكلةٍ صحيةٍ حساسةٍ.

تابعت مادلين: «عن العيش معكم؟ لقد أخبرتني. هذا الصباح فقط».

بدا الأذى الذي لحق بها جسديًا. مثل بداية انفلونزا سيئة. مثل الخيانة.

نظر إليها: «وهل هذا ...».

ردّت مادلين: «لا بأس بذلك معي». لم تكن لتمنحه رضاها.

قال ناثان: «سيكون لزامًا علينا أن نعمل على توفير المال اللازم».

إنه يدفع حاليًا نفقة الطفل لأبيغيل لأنه شخص جيد. يدفعها في الوقت المحدد. دون تذمّرٍ أو شكوى، ولم يشر أيٍ منهما أبدًا إلى السنوات العشر الأولى من حياة أبيغيل، عندما لم يغطي نفقات إطعامها أو كسوتها ولو بقرشٍ واحد.

مادلين: «إذًا أنت تعني أنه لزامًا عليّ أن أدفع لك نفقة الطفل الآن؟».

بدا ناثان مصدومًا. «أوه، لا لم أقصد ذلك ...».

- «لكنك على حق. هذا من واجبي إن أرادت العيش في منزلك معظم الوقت».

قاطعها قائلاً: «بالتأكيد لن آخذ منكِ مالاً، يا مادي. ليس عندما، عندما لم، عندما لم أكن قادرًا أن، عندما كانت كل تلك السنوات ...»، ثمّ كشّر: «مهلاً أنا مدركٌ أنني لم أكن الأب الأفضل عندما كانت أبيغيل صغيرةً. ما كان يجب أن أذكر المال أبدًا. نحن في ضائقةٍ ماديّة حاليًا».

مادلين: «ربما عليك بيع سيارة السباق الخاصة بك».

أجاب ناثان: «نعم»، لقد بدا خجلاً، «ينبغي عليّ. أنت على حق. رغم أن الأمر لا يستحق فعليًا الأهميّة التي أعطيتهِ إياها ... بكلّ الأحوال».

حدقت سكاي بوالدها بعينين واسعتين يشوبهما القلق، ثم طرفت بعينيها بسرعةٍ مرةً أُخرى كما اعتادت أبيغيل أن تفعل. شاهدت مادلين ناثان يبتسم ابتسامةً عريضةً للفتاة الصغيرة ثم ضغط على يدها بقوة. نعم لقد أحرجته. أحرجته بينما كان يقف يدًا بيد مع ابنته الأشبه بلقيطة.

ينبغي أن يعيش الأزواج السابقين في ضواحي مختلفة، وعليهم إرسال أطفالهم إلى مدارس مختلفةٍ. ينبغي أن يكون هناك تشريعٌ يمنع هذا الأمر. ليس مفروضٌ عليك مواجهة مشاعر معقدة كالخيانة والأذى في كرنفال ألعاب القوى الخاص بأطفالك. لا ينبغي الكشف عن مثل هذه المشاعر في الأماكن العامة.

تنهدت: «لماذا كان عليك الانتقال إلى هنا، يا ناثان؟».

ناثان: «ماذا؟».

- «مادلين! لقد حان وقت سباق أمهات أطفال الروضة! هل أنتِ مستعدة؟». لقد كانت معلمة روضة الأطفال، الآنسة بارنز، كان شعرها مرفوعًا على شكل ذيل حصانٍ، وبشرتها تتوهّج كقائدة فريق تشجيع أمريكي. لقد بدت نضرةً تنبض بالحياة، كفاكهةٍ ناضجةٍ لذيذةٍ. حتى أنها أكثر نضجًا من بوني. لم يترهل جفناها. لم تترهل مطلقًا. كان كل شيءٍ في شبابها المشرق واضحًا وبسيطًا ويدعو للراحة النفسية. خلع ناثان نظارته الشمسية ليراها بشكلٍ أفضل، وهتف بمجرد رؤيتها. إد كان ليفعل الشيء نفسه.

قالت مادلين: «هاتِ ما عندكِ آنسة بارنز».

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: نحن نبحث بعلاقة الضحية مع كل ولي أمرٍ حضر ليلة المسابقة.

هاربر: نعم، في الواقع، لدي بعض النظريات.

ستو: نظريات؟ ليس لدي شيء. لا شيء سوى صداع من أثر الكحول.

الفصل الخامس والعشرون

وقفت أمهات أطفال الروضة في خط متعرجٍ ومضحك في بداية خط السباق. انعكس ضوء الشمس على نظاراتهن الشمسية. كانت السماء كقوقعةٍ زرقاء عملاقة. ويتلألأ البحر بلون الياقوت في الأفق.

ابتسمت جين للأمهات الأخريات. وهن بدورهنّ بادلنها الابتسام. كان كل شيءٍ رائعٍ وينمّ عن ألفة كبيرة. خاطبتها أمّها: «أنا متأكدةٌ من الأمر يشغل تفكيرك. لا بدّ أن الجميع قد نسي ذلك الالتباس السخيف في يوم التوجيه».

كانت تحاول جين جاهدةً التكيّف مع مجتمع المدرسة. كانت تقوم بأعمال المقصف كل أسبوعين. وفي صباحات الاثنين كانت هي وإحدى الأمهات المتطوعات تساعدن الآنسة بارنز بالاستماع إلى الأطفال وهم يتمرنون على القراءة. كانت تفتح أحاديث لطيفةٍ عند توصيل الأطفال أو اصطحابهم. وتدعو الأطفال إلى مواعيد للعب.

لكن بقيت جين تشعر بأن شيئًا لم يكن على ما يرام. بدا ذلك واضحًا من خلال إشاحة وجوههم عنها قليلاً، وابتسامات المجاملة، وإطلاق الأحكام المنحازة قليلاً.

ليس هذا بالأمر الجلل، ظلت تقول لنفسها.

كانت تلك أشياء تافهة. ما من داعٍ للشعور بالرهبة. لم يكن هذا العالم المكوّن من علب الطعام وأكياس المكتبة والرُكب المرتعشة والوجوه الصغيرة المتسخة

مرتبطًا بأي شكلٍ من الأشكال بقبح تلك الليلة الربيعية الدافئة والضوء الساطع مثل عينٍ تحدق بها من السقف، والضغط الذي تتعرض له على حنجرتها، والكلمات الهامسة التي تشق طريقها إلى دماغها. توقفي عن التفكير بالأمر. توقفي عن التفكير بذلك.

لوحت جين لزيغي الذي كان جالسًا على المدرّجات بالقرب من الخط الجانبي مع أطفال الروضة تحت أنظار الآنسة بارنز.

- «أنتَ تعرف أنني لن أفوز، أليس كذلك؟». قالت له هذا الصباح على الفطور. كان لدى بعض هؤلاء الأمهات مدربين خصوصيين. كانت إحداهن مدربةً شخصية.

- «هيا لتأخذ كلّ واحدةٍ مكانها». قال جوناثان، الأب الجميل الملازم المنزل، الذي حضر معهم عرض ديزني على الجليد.

سألت هاربر: «كم مترًا هذا على كل حال؟».

غابرييل: «يبدو أن خط النهاية بعيدٌ جدًا».

سامانثا: «أليست تلك ريناتا وسيليست من يمسكان بشريط النهاية؟ كيف خرجتا من الأمر؟».

- «أعتقد أن ريناتا قالت بأنها ...».

- «لدى ريناتا كسر في قصبة الساق»، قاطعتها هاربر، «وهي تؤلمها جدًا على ما يبدو».

- «علينا أن نمدّ أجسادنا جميعًا يا فتيات». قالت بوني التي كانت تلبس وكأنها ستعطيهم دروسًا في اليوغا، بروتيل أصفر ينزلق شريطه عن أحد كتفيها عندما ترفع أحد كاحليها برفق لتضعه خلف ساقها.

- «أوه، بالمناسبة، جيس؟»، قالت أودري أو أندريا. لم تستطع جين تذكّر اسمها أبدًا. اقتربت من جين وتحدثت بصوتٍ منخفضٍ ينمّ عن السرّيّة وكأنها على وشك كشف سرٍ عميقٍ وخطير. لقد اعتادت جين على ذلك

الآن. بالأمس اقتربت منها ذات المرأة، ثم أخفضت صوتها وهي تقول: «هل اليوم هو يوم المكتبة؟».

قالت جين: «أنا جين ولست جيس». (لا يجوز لها الشعور بالإهانة بأي حالٍ من الأحوال).

- «آسفة»، قالت أندريا أو أودري أو أيًا كان اسمها، «اسمعي هل أنت مع أم ضد؟».

قالت جين: «مع أو ضد ماذا؟».

- «أيتها السيدات!». صرخ جوناثان.

قالت أودري أو أندريا: «مع أو ضد الكب كيك».

أجابت مادلين: «إنها معه، أيتها الشرطية المرحة».

قالت أودري أو أندريا: «مادلين، دعيها تتكلم بنفسها. تبدو لي بحالةٍ عقليةٍ جيدة جدًا».

قلبت مادلين عينيها.

قالت جين: «أمم، حسنًا أنا أحب الكب كيك؟».

قالت أندريا أو أودري: «نحن بصدد إعداد عريضةٍ لمنع الآباء من إرسال الكعك إلى كامل الصف في أعياد ميلادهم»، مضيفةً: «هناك أزمة سُمنةٍ وكل يومين تقريبًا يتلقى الأطفال علاجات للسكري».

قالت مادلين بانفعالٍ: «ما لا أفهمه لِمَ هذه المدرسة مهووسةٌ بالعرائض. إنه أمرٌ مثيرٌ للخصومة. لماذا لا يمكنكِ فقط تقديم اقتراحاتٍ؟».

- «أيتها السيدات، من فضلكن!». أمسك جوناثان بمسدسه ورفعه عاليًا.

سألت غابرييل: «أين جاكي اليوم، يا جوناثان؟». كانت جميع الأمهات مهووساتٍ نوعًا ما بزوجة جوناثان منذ أن أجريت معها مقابلة في الجزء المتعلق بالأعمال في الأخبار المسائية قبل عدة ليالٍ، بدت دقيقةً للغاية وذكيةً

بشأن موضوع تولّي الشركات، والاستخفاف بالصحفي الذي أجرى اللقاء معها. وكان جوناثان أيضًا ذو مظهرٍ جذابٍ للغاية بإطلالةٍ شبيهةٍ بجورج كلوني، لِذلك كانت الإشارات المستمرّة إلى زوجته ضروريةً لإظهار أنهن لم يكن يلاحظن ذلك، ولم يكنّ يغازلنه.

قال جوناثان: «إنها في ملبورن. رجاءً توقفوا عن التحدث إليّ خذوا أماكنكم، هيا!».

تحرّكت النساء نحو خط البداية.

- «تبدو بوني محترفةً جدًا». علقت سامانثا عندما جثت بوني في وضعية الانطلاق.

قالت بوني: «نادرًا ما أركض هذه الأيام، لأنه قاسٍ جدًا على المفاصل».

رأت جين مادلين وهي تحدق ببوني، وتضرب الأرض بمقدمة حذاءها الرياضي الذي حفر عميقًا في العشب.

صاح جوناثان: «كفى دردشة!».

سامانثا: «يروق لي ذلك عندما تكون متسلطًا يا جوناثان».

- «استعدّوا!».

قالت أودري أو أندريا لجين: «هذا مرهقٌ للأعصاب للغاية. كيف يتأقلم الأطفال المساكين مع ...».

انطلق المسدس.

ثيا: لديّ آرائي الخاصة بشأن ما يمكن أن يكون قد حدث لكنني أفضل عدم التحدث بسوء عن الموتى. كما أقول لأطفالي الأربعة: «إذا كنت لا تستطيع قول أي شيءٍ لطيف، فلا تقل شيئًا على الإطلاق».

الفصل السادس والعشرون

استطاعت سيليست أن تشعر بضغط قبضة ريناتا على الطرف الآخر من شريط النهاية، وحاولت مجاراتها بضغطٍ مماثل للطرف الذي تمسك به، إلا أنها ظلّت تنسى التركيز على مكان وجودها وما كانت تفعله.

نادت ريناتا: «كيف حال بيري. أهو في البلد الآن؟».

كلما ظهرت ريناتا في المدرسة أو شاركت في أي حدثٍ مدرسي، كانت تثير موضوعًا للتسلية والثرثرة بين الآباء بامتناعها عن التحدث مع جين أو مادلين (أحبّت مادلين ذلك، لكن المسكينة جين لم تستسغ الأمر كثيرًا) لكنها كانت تتحدث دائمًا مع سيليست بطريقةٍ هجومية وخشنة، كما لو كانت سيليست صديقةً قديمةً أخطأت بحقّها، لكن سيليست اختارت أن تتصرف بشكلٍ ناضج وتترفّع عن ذلك كله.

ردّت سيليست بصوتٍ عالٍ: «إنه في أحسن حال».

في الليلة الماضية كانت المشكلة بسبب قطع لعبة الليغو. لقد ترك الأولاد قطع الليغو في كل مكانٍ. كان ينبغي عليها أن تجبرهما على جمعها. كان بيري على حق. كان من الأسهل عليها أن تقوم بالأمر لوحدها بعد أن يناما، بدلاً من خوض معركةٍ معهما. حيث ستسمع التذمر والدراما المعتادة. لم تكن تتمتع بالمرونة الكافية ليلة البارحة لتجاوز الأمر. كانت بتربيتها هذه تعزز الكسل لديهما. كانت أمًّا سيئةً.

قال لها بيري حينها: «أنت تحوليهما إلى طفلين فاسدين ومدلّلين».

وردت عليه سيليست: «هما في الخامسة فقط». كانت تجلس على السرير وهي تطوي الغسيل. «لقد كانا متعبين بعد المدرسة».

قال بيري: «لا أريد أن أعيش في زريبة خنازير». ركل لعبة الليغو الملقاة على الأرض.

ردّت عليه سيليست والإعياء بادٍ على محياها: «إذًا التقطها بنفسك».

ها قد بدأنا. من جديد. قد جلبت الأمر إلى نفسها. كما في كل مرةٍ.

نظر إليها بيري فقط. ثم جثا على يديه وركبتيه والتقط بعنايةٍ كل قطعةٍ من قطع الليغو الملقاة على السجادة ووضعها في الصندوق الأخضر الكبير. وبقيت تطوي الغسيل وهي تراقبه. هل كان بالفعل سيلتقطها كلها؟

وقف ثم حمل الصندوق إلى حيث كانت تجلس: «الأمر بسيطٌ للغاية. إما أن تدع الأطفال يلتقطونها. أو أن تلتقطها بنفسك. أو أن تدفع لمدبرة منزلٍ سخيفة».

وبحركةٍ سريعةٍ أفرغ كامل صندوق الليغو على رأسها فسقطت كامل القطع بقوةٍ وعنف.

جعلتها الصدمة والإذلال تشهق.

وقفت، وهي تمسك حفنةً من قطع الليغو من حضنها ورمت بها مباشرةً على وجهه.

ترون ما حدث. مرةً أُخرى. سيليست على خطأ. لقد تصرفت كطفلةٍ. كان الأمر مضحكًا بكل الأحوال. مجرد تهريج. شخصان ناضجان يلقيان بالأشياء على بعضهما البعض.

صفعها على وجهها بظاهر يده. لم يلكمها أبدًا. لم يفعل أي شيءٍ غير مألوف. عادت إلى الوراء واصطدمت ركبتها بحافة طاولة القهوة الزجاجية.

استعادت توازنها وانطلقت نحوه وهي تطوي يديها كالمخالب. دفعها بعيدًا عنه باشمئزاز.

حسنًا، لمَ لا؟ كان سلوكها مقززًا.

ذهب إلى السرير بعد ذلك، وقامت هي بالتنظيف وجمع كل قطع الليغو ورمت عشاءهما الذي لم يؤكل في سلة المهملات.

كانت شفتها مصابة بكدمةٍ ومنتفخة قليلاً هذا الصباح، وكأنها على وشك الإصابة بتقرّحِ شفّة نتيجة الزكام. لم يكن ذلك كافيًا ليثير انتباه أو تعليقات أي أحد. كانت ركبتها قد اصطدمت بزاوية طاولة القهوة القاسية وقد آلمتها جدًا. لكن ليس بذلك السوء. ليس كثيرًا على الإطلاق.

كان بيري مبتهجًا هذا الصباح، كان يصفر بينما كان يسلق البيض للولدين.

سأل جوش: «ما الذي حدث لرقبتك، يا أبي؟».

كان هناك خدشٌ أحمر طويل ورفيع على جانب رقبته. من المؤكد أن سيليست قد خدشته.

- «رقبتي؟»، وضع بيري يده على الخدش ونظر إلى سيليست وعيناه تضحكان. كانت تلك نظرةً سريةً تحمل في طياتها نوعًا من الفكاهة التي يتشارك بها الأبوان عندما يقول أبنائهم شيئًا بريئًا ولطيفًا عن سانتا كلوز أو الجنس. وكأن ما حدث الليلة الماضية كان جزءًا طبيعيًا من الحياة الزوجية. قال لجوش: «لا شيء يا صاح. لم أكن انظر حيث كنت أسير واصطدمت بشجرةٍ».

لم تستطع سيليست أن تُبعد من ذهنها ذلك الانطباع الذي ارتسم على وجه بيري.

كان يعتقد أنه أمرٌ مضحك. كان يعتقد بصدقٍ أنه مضحك، وليس له عواقب معينة.

ضغطت سيليست بأصبعها على شفتها المتورّمة.

هل كان الأمر طبيعيًا؟

سيقول بيري: «لا، نحن لسنا طبيعيين. نحن لسنا السيد والسيدة أفيراج (يضرب المثل بهما بعلاقتهما الطيبة وعيشهما الصحي)، أناسًا متواضعين تربطهما علاقات متواضعة. نحن مختلفون. نحن مميزون. نحب بعضنا البعض أكثر. كل ما يربطنا ببعض أقوى من البقية. نمارس الجنس بشكلٍ أفضل».

عكّر صوت مسدس البداية صفو الهواء، وأفزعها.

قالت ريناتا: «ها قد أتين!».

ركضت أربع عشرة امرأةً نحوهما مباشرةً كما لو كنّ يطاردن لصوصًا، تتدافع الأذرع، وتبرز الصدور نحو الأمام، وتشمخ الرؤوس والذقون في أنفة، يتضاحك بعضهن لكن الأغلبية تظهر عليهن ملامح الجدية. كان الأولاد يهتفون ويصرخون مشجعين. حاولت سيليست البحث عن طفليها لكنها لم تستطع أن تراهما.

- «لا يمكنني المشاركة في سباق الأمهات على أية حال»، كانت قد أخبرتهما هذا الصباح، «لقد وقعت عن الدرج بعد أن ذهبتما للنوم الليلة الماضية».

قال ماكس: «آآآآخ». لكنه كان أنينًا مصطنعًا. لا يبدو أنه يهتم حقًا.

- «يجب أن تكوني أكثر حذرًا». قال جوش بهدوء دون أن ينظر إليها.

وافقته سيليست القول: «نعم. عليّ أن أكون كذلك». ينبغي عليها حقًا أن تكون أكثر حذرًا.

قادت بوني ومادلين المجموعة. كانتا تندفعان في المقدمة، وكانت المنافسة محتدمةً. **هيا يا مادلين،** كانت تفكر سيليست. **هيا، امضِ، هيا ... نعم!**

اصطدم صدريهما بشريط النهاية. بالتأكيد كانت مادلين.

صاحت ريناتا: «فازت بوني بفارقٍ ضئيل!».

قالت بوني لريناتا: «لا، لا أنا متأكدةٌ أن مادلين هي الأولى». لا يبدو أن بوني قد أجهدت نفسها إطلاقًا. كان اللون الأحمر على وجنتيها أكثر قليلاً من المعتاد.

- «لا، لا، لقد كنتِ أنتِ، يا بوني». قالت مادلين منقطعة الأنفاس، رغم أنها عرفت بأنها قد فازت لأنها قد أبقت بوني تحت مرمى نظرها طوال الوقت. كانت تنحني للأمام، ويديها على ركبتيها تحاول التقاط أنفاسها. وكان هناك إحساسٌ بالوخز على عظمة وجنتها حيث كانت قلادتها تضربها.

قالت سيليست: «أنا متأكدة من أنها كانت مادلين».

قاطعتها ريناتا: «بوني بالتأكيد»، فضحكت مادلين بصوتٍ عالٍ. **لقد حان وقت أخذك بالثأر يا ريناتا؟ ولن تدعيني أفوز بسباق الأمهات؟**

بوني: «أنا متأكدةٌ أنها مادلين».

ردت مادلين قائلةً: «أنا متأكدة من أنها كانت بوني».

- «أوه، من أجل السماء، دعونا نعتبر الأمر تعادلاً». قالت أم طفلة في الصف السادس، وهي إحدى الشقراوات ذوات الشعر القصير، والمسؤولة عن تسليم الشرائط.

اعتدلت مادلين: «قطعًا لا. بوني هي الفائزة»، انتزعت شريط الفائزة الأزرق من يد الأم، ووضعته في راحة يد بوني، وطوت أصابعها فوقه، كما لو كانت تودع في يد أحد الأطفال عملة معدنية من فئة الدولارين، «لقد هزمتني، يا بوني».

التقت عيناها بعيني بوني الزرقاوين الشاحبتين، ولاحظت إمارات تفاهمٍ وتقديرٍ. «لقد هزمتني عن جدارة واستحقاق».

سامنثا: فازت مادلين. كدنا جميعًا نموت من الضحك عندما أصرّت ريناتا على أنها بوني. لكن هل يؤدي ذلك، حسب اعتقادي إلى جريمة قتل؟ لا، لا أعتقد.

هاربر: لقد حللت في المركز الثالث إذا كان هناك من يهمّه الأمر.

ميليسا: من الناحية التقنية، جولييت هي من حلّ في المركز الثالث. هي مربية ريناتا كما تعلمون؟ لكن هاربر كانت هي الكل بالكل، مربية في الـ 21 من عمرها لا يُحسب لها حساب! ثم، بالطبع، هذه الأيام، نحب جميعًا أن نتظاهر بأنه ليس لجولييت وجود على الإطلاق.

الفصل السابع والعشرون

سامانثا: اسمعوا، عليكم أن تحيطوا بالأمر من جميع جوانبه وبالأخص ما يتعلق بالتركيبة الديمغرافية لهذا المكان. لِذلك أولاً وقبل كل شيء لديكم أصحاب الحِرَفْ. لدينا الكثير من الحِرَف في بيريوي. مثل زوجي ستو.

لديكم طبقة النبلاء والأثرياء. أو طبقة الفقراء واللاجئين، وبالطبع هم جميعًا يقدمون خدماتهم ضمن المجال الذي يعملون فيه.

نشأت معظم الحرف هنا ولم تغادر أبدًا.

ثم لديكم أنواعًا أُخرى مختلفة. لديكم مجموعات الهبّيز غريبي الأطوار. وفي السنوات العشر الأخيرة أو نحو ذلك، انتقل جميع هؤلاء الأثرياء المتنفّذين والمصرفيين المترفين إلى هنا وبنوا مساكن ضخمةً ومترفة في المنحدرات.

لكن! كان هناك مدرسةٌ ابتدائيةٌ واحدةٌ لجميع أطفالنا! لِذلك يحضر إلى أي حفلٍ أو حدثٍ مدرسي السبّاك والمصرفي والمعالج بالكريستال حيث يقفون جنبًا إلى جنب ويحاولون تبادل أطراف الحديث. إنه أمرٌ مضحك. لا عجب إن دبّت هناك الفوضى وأعمال الشغب.

وصلت سيليست إلى المنزل من كرنفال الألعاب الرياضية لتجد سيارة عمال تنظيفات منزلها متوقفةً أمام المنزل. عندما أدارت المفتاح في الباب الأمامي كان

صوت المكنسة الكهربائية يهدر في الطابق العلوي. دخلت إلى المطبخ لتحضير فنجان شايٍ لنفسها. يأتي عمال النظافة مرةً في الأسبوع صباح كل يوم جمعة. يتقاضون مبلغ مائتي دولار، لكنهم يؤدّون عملهم بشكلٍ رائع.

شهقت والدة سيليست لدى سماعها المبلغ الذي تنفقه ابنتها على أعمال التنظيف. قالت: «عزيزتي، سوف آتي وأساعدك مرةً واحدةً في الأسبوع، ويمكنك أن تدخري المال لشيءٍ آخر».

لم تستطع والدتها تقدير حجم ثروة بيري. عندما زارت المنزل الكبير ذو المناظر الخلاّبة المطلّة على الشاطئ للمرة الأولى، كانت تتجول في أرجاء المنزل وهي تحمل انطباعًا لطيفًا ومتصنعًا لسائحٍ يشاهد عرضًا ثقافيًا مثيرًا. وقد اتفقت معهم في النهاية على أنه كان «جيد التهوية». بالنسبة لها، كان مبلغ مئتي دولار مبلغًا ضخمًا لتنفقه على شيءٍ تستطيع، بل عليك أن تقوم به بنفسك.

قد يقشعرّ جسمها إن رأت سيليست جالسةً، بينما يقوم آخرون بتنظيف بيتها. لم تكن تجلس والدة سيليست قط. كانت تعود إلى المنزل من نوبة العمل الليلية في المستشفى، وتتوجه مباشرةً إلى المطبخ لتعدّ فطور العائلة، بينما كان والد سيليست يقرأ الجريدة وسيليست وشقيقها يتشاجران.

يا إلهي، المعارك التي خاضتها سيليست مع شقيقها. كان يضربها. وترد له الصاع صاعين.

ربما لو لم تترعرع مع شقيقٍ أكبر، لو لم تنشأ مع تلك العقلية الأسترالية القاسية المسترجلة: إذا ضربك صبي، تردّين الضربة له على الفور! ربما كانت ستبكي بهدوءٍ ورقّةٍ في أول مرّةٍ ضربها فيها بيري، حينها لن يستمر حدوث ذلك.

توقفت المكنسة الكهربائية، وسمعت صوت رجلٍ، تلته جلبة وأصوات ضحكاتٍ صاخبة. كان عاملا التنظيف زوجين كوريين شابين. كانا يعملان عادةً بصمتٍ تام عندما تكون سيليست في البيت، لِذلك لا بد أنهما لم يسمعاها حينما دخلت. كانا يُظهران وجههما المهني فقط. وقد شعرت بأذى كبير حينها،

وكأنها أرادت أن يكونا صديقيها. كانت تفكر: لم لا نضحك ونمرح جميعنا أثناء تنظيف المنزل!

سمعت صوت وقع خطى فوق رأسها ورنينٌ ضحكاتٍ صادرةٍ عن أنثى. «توقفي عن اللهو والعبث في منزلي»، كانت تفكر سيليست في سريرتها. نظفي فقط.

شربت سيليست شايها. لسع الفنجان الساخن شفتها المتورمة.

شعرت بالغيرة من عاملي النظافة.

ها هي الآن جالسةٌ، في بيتها الكبير، وهي عابسة متجهمة.

وضعت فنجان الشاي، وأخرجت بطاقة Amex card الائتمانية من محفظتها، وفتحت جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها. وقامت بتسجيل دخولٍ إلى موقع World Vision، ثم نقرت على صور الأطفال الموجودة على الموقع بغرض الكفالة أو الرعاية: ثمة منتجاتٍ معروضة على الرفوف للنساء البيض الموسرات من أمثالها. لقد قامت بكفالة ثلاثة أطفال حتى الآن، وحاولت لفت اهتمام الصبيين للموضوع. انظرا! هذه الطفلة الصغيرة المسكينة من زيمبابوي. عليها أن تمشي أميالاً للحصول على المياه العذبة. هنا عليك أن تسير فقط إلى الصنبور.

سأل جوش: «لم لا تحصل ببساطة على بعض المال من الصراف الآلي؟». كان بيري هو من تولّى الإجابة، شارحًا بصبرٍ وأناةٍ، ومتحدّثًا للولدين عن مساعدة وتقدير من هم أقلّ حظًّا في الحياة.

قامت سيليست بكفالة أربعة أطفالٍ آخرين.

قد تستغرق كتابة الرسائل وبطاقات أعياد الميلاد لهم جميعًا ساعاتٍ منها.

عاهرة جاحدة.

تستحقين الضرب. نعم تستحقينه.

ضغطت على الجزء العلوي من فخذيها حتى انهمرت دموع عينيها. ستكون هناك كدماتٍ جديدةٍ غدًا صباحًا. كدماتٍ سبّبتها لنفسها. كان يروق لها مراقبة

الكدمات على جسدها وملاحظة تغيّر لونها وشكلها ثم تحولها إلى لونٍ قاتم ما يلبث أن يتلاشى رويدًا رويدا. لقد كانت هوايتها. اهتمامها الخاص. جميلٌ أن يكون لديك اهتمام.

كادت تفقد عقلها.

جالت في مواقع خيرية تمثل جميع الآلام والمعاناة التي يقاسيها العالم: السرطان والاضطرابات الوراثية النادرة والفقر وانتهاكات حقوق الانسان والكوارث الطبيعية.

قدمت التبرعات وأعطت ثم أعطت. في غضون عشرين دقيقة كانت قد تبرعت بعشرين ألف دولار من أموال بيري. لم يمنحها ذلك أي رضا أو غرور أو سعادةٍ. بل زاد من ألمها وبؤسها. كانت تقدّم التبرعات، بينما كانت شابةٌ في مقتبل العمر جاثمةً على يديها وركبتيها تنظف الزوايا القذرة لحوض الاستحمام الخاص بها.

نظفِي منزلك بنفسكِ إذن! اطردِي عاملي النظافة. لكن ذلك لن يفيد أيضًا، أليس كذلك؟ تبرّعي بمزيدٍ من المال للجمعيات الخيرية! أنفقي وأنفقي حتى تسببي له الأذى!

أنفقت خمسة آلاف دولار أُخرى.

هل سيضر ذلك بوضعهم المادي؟ لم تكن تعرف حقيقةً. كان بيري هو من يهتم بالأمور المالية. كان ذلك مجال تخصصه في النهاية. لم يُخْفِه عنها أبدًا. كانت تعلم أنه يسعده أن يراجعا سويةً حساباتها وحوافظ استثماراتها، إن هي رغبت بذلك، ولكن التفكير بمعرفة الأرقام الدقيقة يصيبها بالدوار.

قالت مادلين قبل أيام: «فتحت فاتورة الكهرباء اليوم وأردت أن أجهش بالبكاء». فعرضت عليها سيليست حينها تسديد قيمة الفاتورة، لكن بالطبع، لم ترغب مادلين بإحسانها.

انت هي وإد مرتاحين تمامًا. كان ذلك ببساطة لوجود العديد من المستويات المختلفة «للراحة» وبالنسبة لمستوى الراحة عند سيليست، فلا

يمكن لأي فاتورة كهرباء أن تجعلها تبكي. على أي حالٍ، لا يمكنك ببساطة إعطاء المال لأصدقائك. يمكنك دعوتهم للغداء أو تناول فنجان قهوة متى تسنّى لك ذلك، ومع ذلك عليك أن تكون حريصًا على عدم إهانتهم، وألا يكون ذلك لمرّاتٍ كثيرة كي لا تبدو وكأنّك تستعرض ما لديك، كي لا يبدو المال وكأنه جزءًا من ممتلكاتها، بينما في الحقيقة، كان يخصّ بيري، ولم يكن لها علاقة به كما يبدو الأمر، لقد كان مجرد ضربة حظ، ولم يكن قرارًا قد اتخذته بمحض إرادتها.

ذات مرةٍ، عندما كانت في الجامعة، كانت في حالةٍ مزاجيةٍ جيدة، فدخلت مسرعةً إلى محاضرتها وجلست بجوار فتاةٍ تُدعى ليندا.

قالت: «صباح الخير!».

فبدا على وجه ليندا تعبيرٌ ينمّ عن انزعاجٍ.

- «أوووه، سيليست»، قالت بصوتٍ أشبه بالعويل، «لا أستطيع تحمّلك اليوم. ليس عندي جَلَد عندما أكون مستاءةً بينما أنت تتراقصين من حولي وتبدين تعرفين، هكذا». لوحت بيدها أمام وجه سيليست، كما لو أنها تشير لشيءٍ مقزز.

انفجرت الفتيات من حولها بالضحك، وكأن شيئًا مضحكًا لكنه محبط قيل بصوتٍ مدوٍ. ضحكن وضحكن، فابتسمت سيليست ببلاهة وغباءٍ، لأنه كيف يمكنك الرد على ذلك؟ شعرت وكأنها تلقّت صفعة، لكن كان عليها أن تجيب وكأنه إطراء. قالت لنفسها: عليّ أن أكون ممتنةً. لا يجب أن أكون سعيدةً للغاية. إنه أمرٌ مزعجٌ جدًا.

ممتنةٌ وممتنةٌ وممتنةٌ.

بدأت المكنسة الكهربائية بالهدير مرةً أُخرى في الطابق العلوي.

لم يصدر عن بيري طوال حياتهما معًا أي تعليقٍ حول الطريقة التي اختارت بها إنفاق (ماله) أو أموالهما بالأحرى، باستثناء تذكيرها من حينٍ لآخر، وبشكلٍ لطيف يحمل روح الدعابة، بأنها تستطيع أن تصرف المزيد

إن أرادت. قال ذات مرةٍ عندما جاء إليها إلى غرفة الغسيل وهي تنظف بقوةٍ بقعةً على قبة قميصٍ حريري: «تعرفين أننا نمتلك المال الذي يمكنّنا من شراء قميصٍ جديد». ردت قائلةً: «أحب هذا القميص».

(كانت بقعة دم).

بمجرد توقفها عن العمل، تغيرت علاقتها بالمال. لقد استخدمته بنفس الطريقة التي تستخدم فيها حمّام شخصٍ آخر: بعنايةٍ وأدبٍ. كانت تعلم أنها بنظر القانون والمجتمع (كما يفترض) كانت تساهم في حياتهم عبر إدارة المنزل وتربية الأولاد، لكنها لم تنفق أموال بيري أبدًا بنفس الطريقة التي كانت تنفق بها مالها الخاص.

بالتأكيد لم يسبق لها أن أنفقت خمسة وعشرين ألف دولارًا في ظهيرة يومٍ واحدٍ. هل سيعلق؟ هل سيغضب؟ ألهذا السبب فعلت ذلك؟ في بعض الأحيان عندما كانت تشعر أن غضبه بدأ يستعر، عندما تعرف أن تلك مسألة وقتٍ فقط، عندما تستطيع أن تشمّه في الهواء، كانت تتعمّد استفزازه. كانت تدفع الأمور للأسوأ، وبالتالي يحدث ما حدث.

حتى عندما كانت تتبرع للجمعيات الخيرية، أكان تلك مجرد خطوة أُخرى تخطوها في زواجها الصعب والميؤوس منه؟

لم يكن ذلك أمرًا جديدًا. اعتادا الذهاب إلى الحفلات الخيرية، واعتاد بيري التبرع بعشرين أو ثلاثين أو أربعين ألف دولار دون أن يرفّ له جفن. لكن ذلك لم يكن يتعلق بالتبرع نفسه بقدر ما كان يتعلق بالكسب. قال لها مرةً: «لن أكون خارج المزايدة أبدًا».

كان سخيًا بماله. إذا اكتشف يومًا أن أحد أفراد العائلة أو الأصدقاء بحاجة للمساعدة المالية، كان يحرر له شيكًا على الفور وبسريّةٍ تامة أو يقوم بالتحويل المباشر، مبتعدًا عن عبارات الشكر والامتنان بتغيير الموضوع على الفور، فيبدو خجلاً من قدرته على حل الأزمة المالية لشخصٍ آخر بسهولة.

رن جرس الباب وذهبت لفتحه.

- «السيدة وايت؟». سلمها رجلٌ ملتحٍ وممتلئ الجسم باقةً كبيرةً من الزهور.

سيليست: «شكرًا».

- «أنتِ محظوظة أيتها السيدة!». قال الرجل وكأنه لم يرَ في حياته امرأةً تلقّت مثل هذا التنسيق الرائع لباقة أزهار.

- «بالتأكيد!».

دغدغت رائحة الورد الشذيّة أنفها. كانت تحب فيما مضى أن تتلقى الزهور. لكنه الآن أشبه باستلامها مهام عديدة. البحث عن الأصيص المناسب. قطع السيقان. وتنسيقها بالشكل المثل.

عاهرة جاحدة.

وهي تقرأ البطاقة الصغيرة.

أحبك. أنا آسف. بيري.

كانت العبارة مكتوبة بخط بائع الورود. كان من الغريب دائمًا رؤية كلمات بيري وقد خطّها شخصٍ آخر. هل تساءل بائع الورد عمّا فعله بيري. ما هو الانتهاك الزوجي الذي اقترفه الليلة الماضية؟ هل كان العودة إلى المنزل في وقتٍ متأخر؟

حملت الأزهار إلى المطبخ. لاحظت أن الباقة كانت ترتجف في يدها، وكأنها أصيبت بنزلة بردٍ.

شددت قبضتها على سوق الأزهار. كان بإمكانها أن ترميها على الحائط لكن ذلك سيزيد الطين بلّة. وسيكون بلا جدوى. ستتناثر بتلات الأزهار هنا وهناك لتبلل السجادة. وسيتوجب عليها جمعها عن الأرض قبل أن ينزل عاملا النظافة.

بحقّ الله، سيليست. أنتٍ تعرفين ما عليكِ القيام به.

تذكرت العام الذي بلغت فيه الخامسة والعشرين: العام الذي وقفت فيه أمام المحكمة للمرة الأولى، العام الذي اشترت فيه سيارتها الأولى وبدأت

الاستثمار في مجال الأسهم، العام الذي بدأت تلعب فيه رياضة السكواش كل يوم سبت. كانت ترتسم عضلاتها بشكلٍ رائع وتصدح ضحكتها في كل مكان.

كان ذلك هو العام الذي قابلت فيه بيري.

جعلت الأمومة والزواج منها نسخةً ناعمة ومريحة من الفتاة التي اعتادت أن تكون.

وضعت الزهور بعنايةٍ على طاولة غرفة الطعام وعادت إلى جهاز الكومبيوتر المحمول الخاص بها.

كتبت عبارة «مستشار في مسائل الزواج» في محرك البحث غوغل.

ثم توقفت. ضغطت زر التراجع، ثم ضغطت ثانيةً. لا. فُتح الموقع وانتهى الأمر. لم يكن الأمر يتعلق بأعمال المنزل وإيذاء المشاعر. كانت بحاجة للتحدث مع شخصٍ يعرف أن بعض الأشخاص يتصرفون على هذا النحو؛ شخصٌ يطرح الأسئلة الصحيحة.

شعرت أن وجنتيها تلتهبان وهي تكتب الكلمتين المخجلتين: «العنف المنزلي».

الفصل الثامن والعشرون

هناك أشياءٌ أصعب من ذلك، فكرت مادلين وهي تطوي بنطال جينز أبيض ضيق ثم أضافته إلى حقيبةٍ مفتوحةٍ نصف ممتلئةٍ على سرير أبيغيل. لم يكن لمادلين أي وجه حقٍ بالمشاعر التي كانت تعاني منها. لقد أحرجها حجمهم. كانوا غير متناسبين بتاتًا مع الوضع الحالي. إذًا أرادت أبيغيل أن تعيش مع والدها، ولم تكن لطيفةً حيال ذلك. لكنها كانت في الرابعة عشرة من عمرها. لم يكن الأولاد في سن الرابعة عشرة قادرين على إظهار تعاطفهم.

ظلت مادلين تعتقد أنها بخير. وأنها قادرة على التغلب على تلك الأحاسيس. وأن ذلك ليس بالأمر الجلل. لقد كانت مشغولةً. ثمّة أشياء أُخرى عليها أن تفعلها. لكنها عادت لتوجيه صفعةٍ لها من جديد، كضربةٍ تحت الحزام. ووجدت نفسها تأخذ أنفاسًا قصيرةً وسطحية وكأنها كانت في مخاض. (سبعٌ وعشرون ساعةً من المخاض بأبيغيل. كان ناثان والقابلة يتمازحان حول كرة القدم، بينما كادت مادلين تموت من الألم. حسنًا، هي لم تمت، لكنها تذكرت أن التفكير بالألم يمكن أن يفضي إلى الموت، وأن الكلمات الأخيرة التي يمكن أن تتناهى إلى مسامعها ستكون عن فرص مانلي بالفوز برئاسة الوزراء).

رفعت أحد أغطية أبيغيل من سلة الغسيل. كان لونه خوخي باهت، ولم يناسب ألوان أبيغيل، لكن أبيغيل أحبته. كان يغسل باليد فقط. تستطيع بوني فعل ذلك الآن. أو ربما تقوم النسخة الحديثة المطوّرة من ناثان بالغسيل الآن.

فالنسخة رقم 2 من ناثان عبارة عن رجل يلازم زوجته. ويتطوع في ملاجئ المشردين. ويغسل الملابس بيديه.

كان سيأتي في وقتٍ لاحقٍ اليوم بسيارة شقيقه لأخذ سرير أبيغيل.

الليلة الماضية، سألت أبيغيل مادلين إن كان بإمكانها أخذ سريرها معها إلى منزل ناثان. لقد كان سريرًا جميلاً مزخرفًا له مظلة وأربعة قوائم قدمته مادلين واد لها في عيد ميلادها الرابع عشر.

لقد كان يستحق كل سنتٍ تمّ إنفاقه لرؤية الفرحة ترتسم على وجه أبيغيل أول ما وقعت عيناها عليه. رقصت بالفعل من الفرح. كان الأمر أشبه بتذكر شخص آخر.

قال إد: «سريرك سيبقى هنا».

ردّت مادلين: «إنه سريرها، ولا أمانع إن أخذته». قالت ذلك لإيذاء أبيغيل، ولردّ الصاع صاعين، وإظهار أنها لا تأبه لمغادرة أبيغيل المنزل، وأنها ستأتي لزيارتهم في عطلة نهاية الأسبوع، لكن حياتها الحقيقة، ومنزلها الحقيقي سيكون في مكانٍ آخر. لكن أبيغيل لم تشعر بالأذى على الإطلاق. كانت في منتهى السعادة كونها حصلت على السرير.

صاح إد من على باب غرفة نومه «اسمعي». ردت مادلين: «نعم».

– إد: «على أبيغيل أن تحزم ثيابها الخاصة بنفسها».

– «بالتأكيد هي كبيرة بما يكفي».

ربما كانت كذلك، لكن مادلين هي من تقوم بجميع أعمال الغسيل في البيت. هي تعرف أين يتم تجميع الغسيل المتسخ والناشف والمطلوب طيّه ووضعه في مكانه، لذا كان من المنطقي أن تقوم مادلين بذلك.

منذ أن التقى إد بأبيغيل لأول مرةٍ، كان يتوقع دومًا منها الكثير. كم مرةٍ سمعت هذه الكلمات بحذافيرها؟ «بالتأكيد هي كبيرة بما يكفي». لم يكن يعرف أولادًا في سن أبيغيل، وبدا لمادلين أنه كان يرفع دائمًا سقف توقعاته تجاهها. بينما كان الأمر مختلفًا مع فريد وكلوي لأنه كان موجودًا منذ البداية.

لقد عرفهما وفهمهما بطريقةٍ لم يعرف بها أبيغيل أو يفهمها. بالطبع كان محبًّا ومتسامحًا معها، وكان زوج أمٍ جيد بل ورائع، وهو دورٌ قام به مباشرةً ودون تذمّرٍ أو شكوى (بعد شهرين على مواعدته مادلين، ذهب إد برفقة أبيغيل لحفلة الشاي التي أقيمت صباح يوم الأب في المدرسة؛ ثم تعلّقت به أبيغيل منذ ذلك الحين) وربما كانت سترتبطهما علاقةٌ رائعة لولا عودة ناثان الأب الضال في أسوأ الأوقات، عندما كانت أبيغيل في الحادية عشر من عمرها. عندما أصبحت أكبر سنًا من أن تُدار، وصغيرةً جدًا على تفسير مشاعرها بدقة أو السيطرة عليها. لقد تغيرت بين ليلةً وضحاها. كانت تعتقد أنه حتى مجرد إظهار بعض المجاملة لإد هو خيانةٌ لوالدها. كان لدى إد نزعة استبدادية قديمة لم تتأقلم بشكلٍ جيد مع الاستهتار وقلة الاحترام الذي كان يصدر عن أبيغيل أحيانًا وهذا ما وضعه موضع مقارنة غير عادلة مع شخصية ناثان الساعي للضحك والمتعة دائمًا.

سأل إد: «هل تعتقدين أنه خطأي؟».

– حدّقت به مادلين: «ماذا؟».

– «إن أبيغيل ستنتقل للعيش مع والدها؟»، بدا حزينًا ومترددًا، «هل كنتُ قاسيًا جدًا عليها؟».

أجابت: «بالطبع لا. رغم أنها كانت تعتقد أنه يتحمّل جزءًا من المسؤولية، ولكن ما الفائدة من قول ذلك؟».

قالت: «أعتقد أن بوني هي عامل الجذب الحقيقي».

قال إد متسائلاً: «ألم تتساءلي يومًا ما إذا كانت بوني قد تعرّضت للعلاج بالـصدمة كهربائية؟».

وافقته مادلين الرأي: «نعم، هناك نوعٌ من الكآبة والغموض يحيط بها».

دخل إد الغرفة ومرر يده على إحدى قوائم سرير أبيغيل. قال: «قمتُ بعمل رهيب بتجميع كل هذه القطع معًا. هل تعتقدين أن ناثان سيكون قادرًا على إعادة تجميعه؟».

تنهّدت مادلين

إد: «ربما يجدر بي أن أعرض عليه المساعدة». لقد كان جادًا. لا يمكنه تحمّل مجرد التفكير بأداء الأعمالِ المنزلية بشكلٍ سيء.

قالت مادلين: «إيّاك أن تتجرّأ. ألا ينبغي عليك الذهاب؟ أليس لديك مقابلة؟».

- «نعم لدي». انحنى إد ليقبّلها.

- «هل هو شخص مثير للاهتمام؟».

قال إد: «أنه أقدم نادي للكتاب في شبه جزيرة بيريوي. لقد ظلّوا يجتمعون مرةً في الشهر لمدة أربعين عامًا».

مادلين: «يجب أن أبدأ نادٍ للكتاب».

هاربر: سأقول هذا لمادلين. دعت جميع أولياء الأمور للانضمام لنادي الكتاب الخاص بها، بما في ذلك ريناتا وأنا. لكنني انتسبت منذ فترة لنادٍ للكتاب، لِذلك رفضت، وربما كان الأمر نفسه بالنسبة لريناتا. لطالما كنت أنا وريناتا نستمتع بالأدب عالي الجودة، وليس بتلك الكتب السخيفة الرائجة، التي لا يعلق أثرها في الذاكرة! وبطبيعة الحال، كلٌ وما يستهويه.

سامانثا: بدأ الأمر مع نادي الكتاب المثير كله كمزحةٍ. كان في الواقع خطأي. كنت أقوم بأعمال المقصف مع مادلين وقلت لها شيئًا حول مشهدٍ إباحي في الكتاب الذي اختارته. لم يكن بتلك الشناعة لأكون صريحةً، كنت أضحك فقط، ولكن بعد ذلك قالت مادلين «أوه، هل نسيت أن أذكر بأنه كان ناديًا للكتاب المثير؟» لِذلك بدأنا جميعًا ندعوه بنادي الكتاب المثير وكلما أظهر بعض الناس أمثال هاربر وكارول صدمتهم ونفورهم، كلما ساء حال مادلين أكثر.

بوني: أنا أقوم بتعليم حصصٍ لليوغا في ليالي الخميس، وإلا كنت انضممت إلى نادي مادلين للكتاب.

الفصل التاسع والعشرون

قبل شهرٍ من ليلة حفلة المدرسة

قال زيغي: «عليّ أن أرسم شجرة عائلتي غدًا».

جين: «لا، في الأسبوع القادم».

كانت تجلس على أرض الحمام وتتكئ على الجدار بينما كان زيغي يستحم. ملأ البخار ورائحة فقاعات الفراولة جو الحمام. كان يحب أن يغمر جسده بالمياه الساخنة والفقاعات المثيرة.

- «أسخن مامي، أريدها أكثر سخونةً!»، كان يطلب منها ذلك دائمًا بينما تتحول بشرته إلى اللون الأحمر لدرجة أن جين كانت تشعر بالخوف من أنها قد تحرقه.

- «المزيد من الفقاعات!». ثم يلعب ألعابًا طويلةً ومعقدةً باستخدام الفقاعات كانفجار البراكين وفرسان الجيداي والنينجا والأمهات العنيفات.

قال زيغي: «نحتاج إلى ورق كرتونٍ خاص لشجرة العائلة».

ابتسمت له جين: «نعم، سنحصل على بعضًا منه في عطلة نهاية الأسبوع»، وضع الفقاعات على رأسه في تسريحة موهوك. فقالت: «تبدو مضحكًا».

ردّ زيغي: «لا، أبدو رائعًا جدًا». عاد إلى لعبته. «كابو! احترس يا يودا! أين سيفك المضيء؟».

تناثر الماء وتطايرت الفقاعات.

عادت جين إلى الكتاب الذي اختارته مادلين في لقاءهم الأول في نادي الكتاب. كانت قد علّقت مادلين: «لقد اخترت شيئًا فيه الكثير من الجنس والمخدرات والجريمة، لذا، سوف نجري نقاشًا حيًّا. من الناحية المثالية يجب أن يكون هناك نقاش وحوار».

تم تأليف الكتاب في عشرينيات القرن الماضي. كان كتابًا رائعًا. تخلصت جين بطريقةٍ ما من عادة القراءة من أجل المتعة. كانت قراءة روايةٍ بالنسبة لها مثل العودة إلى مكانٍ رائعٍ كانت قد قضت فيه عطلة. هي الآن وسط مشهدٍ جنسي. قلبت الصفحة.

صرخ زيغي: «سأسدد لك لكمةً على وجهك، دارث فيدرا!».

- «لا تقل سأسدد لكمةً على وجهك»، قالت جين دون أن ترفع عينيها عن الكتاب. «هذا ليس لطيفًا»، وواصلت القراءة.

هبطت سحابةُ من الفقاعات المعطّرة برائحة الفراولة على صفحة كتابها. دفعتها بعيدًا بأصبعها. كانت تشعر بشيءٍ: إحساس بالغ الرقّة كوخز دبوسٍ ناعم. تحركت قليلاً على بلاط الحمام. لا، بالتأكيد لا. أهو بسبب الكتاب؟ من فقرتين محبوكتين جيدًا؟ لكن نعم. لقد كانت بالفعل. كانت تشعر بالإثارة نوعًا ما.

لقد كان اكتشافًا أنه وبعد كل هذا الوقت لا يزال بإمكانها الشعور بشيءٍ أساسي وبيولوجي وممتع جدًا.

للحظةٍ وجدت عيناها تحدقان في السقف وجفاف في حلقها، لكن بعد ذلك ارتعش أنفها بنوبة غضبٍ مفاجئة. أنا أرفض ذلك، خاطبت تلك الذكرى. أرفضك اليوم، احزر ماذا، لدي ذكرياتٌ أُخرى عن الجنس. لديّ ذكرياتٌ كثيرة عن صديقٍ عادي وسريرٍ عادي، حيث لم تكن الأغطية بهذا القدر من النظافة والأُبّهة، ولم تكن هناك عيونٌ تحدق في السقف ولم يكن هناك صمتٌ مطبق مكتومٌ، كانت هناك موسيقى ورتابة وضوء طبيعي وكان

يعتقد بأنني كنت جميلةً، وكنت جميلةً بالفعل، وكيف تجرؤ، كيف تجرؤ، قلّي كيف.

زيغي: «مامي؟».

- «نعم؟». شعرت بنوعٍ من السعادة الغاضبة المجنونة، وكأن شخصًا يتحداها ألا تكون كذلك.

- «أحتاج تلك الملعقة التي تكون بهذا الشكل». رسم نصف دائرةٍ في الهواء. أراد تقطيع البيض.

- «أوه، زيغي، هذا يكفي من أدوات المطبخ في الحمام». قالت ذلك وهي تهمّ بوضع كتابها وتقف لتذهب وتحضرها له.

- «شكرًا، مامي». قال زيغي بشكلٍ ملائكي، فنظرت إلى عينيه الخضراوين الواسعتين وبعض قطرات الماء الصغيرة على رموشه وقالت:

- «أحبك كثيرًا، زيغي».

قال زيغي: «أحتاج تلك الملعقة بسرعةٍ».

أجابت: «حسنًا».

استدارت لتغادر الحمام فقال زيغي: «هل تعتقدين أن الآنسة بارنز ستغضب مني لعدم إحضار مشروع شجرة عائلتي؟».

قالت جين: «عزيزي، إنه الأسبوع القادم»، دخلت إلى المطبخ وقرأت بصوتٍ عالٍ الملاحظة الملصقة على الثلاجة بواسطة مغناطيس، «سيكون أمام جميع الأطفال فرصة التحدّث عن شجرة عائلاتهم عندما يحضروا مشاريعهم يوم الجمعة في الرابع والعشرين من هذا الشهر ... أوه، يا للمصيبة».

لقد كان على حق. كانت شجرة العائلة مطلوبة غدًا. لقد علق في ذهنها أنه من المقرر تسليمه في نفس يوم الجمعة الذي يصادف فيه عشاء عيد ميلاد والدها، ثم جرى تغيير موعد عشاء والدها إلى ما بعد أسبوعٍ لأن شقيقها كان خارجًا مع صديقةٍ جديدةٍ. كان كل ذلك بسبب خطأ دانٍ الفظيع.

لا، لقد كان خطأها. لديها طفلٌ واحدٌ فقط. ولديها مفكرة يومية. لا ينبغي أن يكون الأمر بهذه الصعوبة. عليهما إنجاز المشروع الآن. الآن ودون تأخير. لا تستطيع إرساله إلى المدرسة دون مشروعه. سيلفت الانتباه إلى نفسه، وسيكره الأمر إن حدث.

لو كان الأمر يتعلق بكلوي ابنة مادلين، فلن تهتم كثيرًا. كانت ستضحك وتهزّ كتيفيها وتبدو هادئة. كانت تحب كلوي أن تبدو محطّ اهتمام، لكن كل ما أراده زيغي المسكين هو الاختلاط مع البقية، مثل جين تمامًا، ولكن لسببٍ ما ظل يحدث العكس.

نادت: «افتح سدادة الحوض حتى يخرج الماء منه، زيغي. علينا أن نقوم بذلك المشروع الآن!».

نادى زيغي من جديد: «أحتاج إلى تلك المعلقة الآن!».

صاحت جين: «ليس هناك وقت! دع الماء يخرج من الحوض الآن!».

ورق مقوّى. كانوا بحاجةٍ إلى لوحٍ كبيرٍ من الورق المقوى. من أين سيحصلان عليه في هذا الوقت من الليل؟ لقد تجاوزت الساعة السابعة. وجميع المتاجر مغلقةً.

مادلين. لا بد أن لديها بعض الورق المقوى الاحتياطي. بإمكانهما الذهاب بالسيارة إلى منزلها ويبقى زيغي في السيارة بملابس النوم بينما تهرع جين إلى الداخل وتعود بالورق المقوى.

أرسلت رسالةً نصيّة إلى مادلين: **أنا في ورطة! لقد نسيت مشروع شجرة العائلة!! (يا لي من حمقاء!) هل لديك لوحٌ من الورق المقوى الزائد! إذا كان لديك، هل أستطيع أن آتي بالسيارة وآخذ واحدًا؟**

سحبت ورقة التعليمات عن الثلاجة.

تم تصميم مشروع شجرة العائلة لمنح الطفل «إحساسًا بتراثه الشخصي وتراث الآخرين، مع التفكير بالأشخاص المهمّين حاليًا في حياته وفي الماضي». كان على الطفل أن يرسم شجرةً وأن يضع صورةً لنفسه في وسطها ثم يضع

صور وأسماء أفراد العائلة، التي تعود إلى جيلين سابقين على الأقل، بما في ذلك الأشقّاء والعمّات والأعمام والأجداد وإن أمكن «أجداد الأجداد!» أو حتى أجداد أجداد الأجداد.

كان هناك ملاحظة كبيرة تحتها خط في الأسفل.

ملاحظة للآباء: بالتأكيد أن طفلك سيحتاج إلى مساعدتك، لكن يُرجى التأكد من أنه قد ساهم في المشروع! أريد أن أرى عمله، وليس عملكم! ☺

الآنسة (ريبيكا) بارنز.

لا ينبغي أن يستغرق ذلك وقتًا طويلاً. كان لديها تقريبًا كل الصور جاهزةً. كانت تشعر بالرضا عن نفسها للاحتفاظ بها حتى اللحظة الأخيرة. كان والدتها قد طبعت نسخًا مأخوذة من صور ألبوم العائلة. حتى أنه كان هناك صورة لأحد والدي جد الجد من جهة أب جين، تم التقاطها عام 1915 قبل أشهرٍ قليلةٍ من وفاته في ساحة المعركة في فرنسا. كل ما كان على جين أن تفعله هو أن تجعل زيغي يرسم الشجرة ويكتب بعض الأسماء على الأقل.

إلا أنه كان في الواقع قد تجاوز موعد نومه. لقد سمحت له بالبقاء وقتًا طويلاً في الحمام. كان جاهزًا للقصة والنوم. وكان يتنهد ويتثاءب وينزلق من على كرسيه وكان عليها أن ترشوه وتتوسل وتتملق إليه وكانت العملية برمّتها مؤلمةً.

كان ذلك سخيفًا. يجب أن تضعه في السرير. كان من السخف أن تجعل طفلاً يبلغ من العمر خمس سنواتٍ يسهر حتى وقتٍ متأخر للقيام بمشروعٍ مدرسي.

ربما أمكنها منحه فقط يوم عطلةٍ غدًا؟ إجازة بداعي المرض؟ لكنه كان يحب يوم الجمعة، ونشاطات يوم الجمعة الأسطورية، كما كانت تطلق عليها الآنسة بارنز. كما أن جين كانت بحاجة أن يذهب إلى المدرسة غدًا حتى تتمكن من العمل. كان عليها إنجاز ثلاثة أعمال وتسليمها غدًا أيضًا.

هل نقوم به في الصباح قبل المدرسة؟ ها. نعم صحيح. لكنها بالكاد تستطيع حمله على ارتداء حذائه في الصباح. كلاهما كان عديم النفع في الصباح.

خذي نفسًا عميقًا. نعم تنفّسي بعمق.

من كان يعلم أن روضة الأطفال يمكن أن تكون مرهقةً إلى هذا الحد؟ أوه، كم هذا مضحك! يبدو مضحكًا جدًا. لم تستطع على ما يبدو أن تجعل نفسها تضحك.

كان هاتفها المحمول صامتًا. التقطته ونظرت إليه. لا شيء. مادلين تجيب عادةً على الرسائل النصيّة على الفور. ربما كان لديها ما يكفيها من جين التي تنتقل من أزمةٍ إلى أُخرى.

بكى زيغي: «ماما! أحتاج ملعقتي!».

رن هاتفها. أمسكت به بسرعةٍ: «مادلين؟».

- «لا يا عزيزتي، أنا بيتي». لقد كان بيتي السمكري. وقع قلب جين. «اسمعي عزيزتي ...».

- «أعرف! أنا آسفة! لم أقم بحسابها بعد. سأجهزها الليلة».

كيف أمكنها أن تنسى؟ كانت تسلم دائمًا قسائم الدفع لبيتي قبل فترة الغداء من كل خميس، حتى يتمكن من دفع ما يترتب على «أولاده» يوم الجمعة.

قال بيتي: «لا تقلقي. بانتظاركِ، عزيزتي».

أنهى المكالمة. ليست مستعدةٌ حتى لحديثٍ صغير.

-«ماما!».

- «زيغي!»، دخلت جين إلى الحمام، «لقد حان الوقت لإخراج الماء من حوض الحمام! علينا تنفيذ مشروع شجرة عائلتك!».

استلقى زيغي على ظهره، وشبك يديه تحت رأسه كمن يتشمّس على شاطئٍ مليءٍ بالفقاعات.

ردّ زيغي: «قلتِ بأننا غير ملزمين بأخذها غدًا».

- «لا بل علينا تسليمها غدًا! أنا كنت على حق، وأنت المخطئ! أعني، أنك كنت على حق، وأنا كنت المخطئة! علينا أن نقوم به الآن وحالاً! بسرعة! دعني ألبسك ملابس النوم!».

وصلت إلى حوض الاستحمام الدافئ وأدخلت يدها في الماء الدافئ وفتحت السدادة، وهي تعلم أنها بفعلتها هذه ترتكب خطأً.

صرخ زيغي غاضبًا: «لا!». كان يجب أن يسحب السدادة بنفسه. «أنا سأفعل ذلك!».

ردّت جين بأقوى صوت لها: «لقد أعطيتك فرصًا كافية. حان وقت خروجك. لا تُحدث جَلَبة».

هدر صوت الماء. وهدر صوت زيغي غاضبًا: «بالله عليكِ يا أمي؟ أنا من سيقوم به! ألن تدعينني أقوم به! لا، لا».

ألقى بنفسه إلى الأمام ليمسك بالسدادة، كي يتمكن من إعادتها إلى مكانها وسحبها مرةً أُخرى. أمسكت جين بالسدادة عاليًا من قبضته. «ليس لدينا الوقت لِذلك!».

نهض زيغي من ماء الحمّام، وجسده النحيل الزلق مغطى بالفقاعات ووجهه يقطر غضبًا. أمسك بالسدادة، لكنه انزلق وكان على جين أن تمسكه بذراعه بقوة لمنعه من السقوط، فأخذ يخبط ويضرب نفسه.

صرخ زيغي: «لقد آذيتني!».

جعل سقوط زيغي الوشيك قلب جين يتألم فانتابها غضبٌ شديد.

صاحت: «توقف عن الصراخ!».

سحبت منشفةً عن الحامل المعدني ولفّته بها، ورفعته من الحمّام مباشرةً وهو يركل ويصرخ. حملته إلى غرفة نومه ووضعته بعنايةٍ شديدة على السرير لأنها كانت خائفة من أن يصطدم رأسه بالحائط.

صرخ وضرب جسده بالسرير والزبد يعلو شفتيه. صرخ: «أكرهكِ!».

مؤكد أن الجيران كانوا على وشك الاتصال الشرطة.

- «توقف»، قالت بصوتٍ عقلاني، «أنت تتصرف كطفلٍ صغير».

صرخ زيغي: «أريد أمًّا أُخرى غيرك!». اصطدمت قدمه بمعدتها، فانطوت على نفسها من شدة الألم.

فقدت سيطرتها على نفسها. وصاحت كالمجنونة: «توقف! توقف! أوقف ذلك!». شعرت بالارتياح، وكأنها كانت تستحق ذلك.

توقف زيغي على الفور. تراجع إلى الخلف حتى رأس السرير، وهو ينظر إليها مرعوبًا، كان يلتف مثل كرةٍ صغيرةٍ عارية، ودفن وجهه في وسادته، وأخذ يبكي بكاءً مريرًا.

قالت: «زيغي»، وضعت يدها على عموده الفقري المتعرّج فابتعد عنها. شعرت بالذنب الكبير. قالت: «أنا آسفةٌ لصراخي بهذا الشكل». وضعت منشفة الحمّام على جسده العاري. أنا آسفة لرغبتي برميك على الحائط.

طار نحوها وألقى بنفسه عليها، متشبثًا بها مثل دب الكوالا، لفّ ذراعيه حول رقبتها، وساقيه حول خصرها، ودفن وجهه الرطب الذي يسيل مخاطه في رقبتها.

قالت: «لا بأس. كل شيءٍ على ما يُرام»، تناولت المنشفة عن السرير ولفته بها مرةً أُخرى، «بسرعة دعني ألبسك البيجاما قبل أن تصاب بنزلة بردٍ».

زيغي: «هناك شخصٌ يغمغم. أسمع صوتًا».

جين: «ماذا؟».

رفع زيغي رأسه عن كتفها، ووجهه في حالة تأهبٍ وفضول. «ألا تسمعينه؟». شخصٌ ما كان يدق باب المدخل الأمني للشقة.

حملته جين إلى غرفة الجلوس.

قال زيغي: «من هذا؟». كان يرتعد ولا تزال الدموع على وجنتيه لكن عيناه لامعتان صافيتان. كان يتصرف وكأن ذلك الحدث الرهيب لم يحصل معه أبدًا.

ردّت جين: «لا أعرف». هل كان أحدهم يشتكي من الضوضاء؟ هل هي الشرطة؟ أم هي سلطات حماية الأطفال وقد أتت لأخذه؟ التقطت هاتف الباب. «مرحبا من معي؟».

- «هذا أنا! دعيني أدخل! الجو باردٌ جدًا».

- «مادلين؟». همست لها، أنزلت زيغي وذهبت لفتح الباب الأمامي للشقة.

- «هل كلوي معها أيضًا؟». أرتد زيغي إلى الوراء بحماسٍ، فانزلقت المنشفة عن كتفيه.

- «ربما تكون كلوي في السرير، كما ينبغي لك أن تكون». نظرت جين إلى أسفل الدرج.

- «مساء الخير!». صعدت مادلين نحوها وهي بكامل تألّقها، تنقر بكعب حذائها درجات السلّم، مرتديةً سترةً صوفيةً بلون البطيخ وبنطال جينز وحذاء ذو كعبٍ عالٍ مدبب.

ردّت جين: «مرحبا؟».

- «أحضرت لك بعض الورق المقوى»، كانت تحمل مادلين لفافةً من الورق المقوى الأصفر الملفوف بعنايةٍ مثل الهراوة.

انفجرت جين بالبكاء.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثلاثون

قالت مادلين لدى رؤيتها امتنان جين المخضّب بالدموع: «هذا أمرٌ تافه لا يستدعي منك ذلك! كنت سعيدة للحصول على عذرٍ للخروج من المنزل».

- «هيا بسرعةٍ، دعني ألبسك ثيابك زيغي، وسننهي مشروعنا سريعًا».

غالبًا ما تبدو مشاكل الآخرين قابلة للحل ويبدو أطفال الآخرين طيّعين ومتفهّمين أكثر، هكذا كانت تفكر مادلين بينما كان زيغي يهرول مبتعدًا.

وفي الوقت الذي كانت تقوم فيه جين بجمع صور العائلة، ألقت مادلين نظرةً على شقة جين الأنيقة، التي طالما ذكّرتها بالشقة التي كانت تسكنها هي وأبيغيل حيث كانتا تتشاركان غرفة النوم الوحيدة.

كانت تعلم كانت تضفي صبغة رومانسية على تلك الأيام. فلم تكن تتذكر المخاوف المالية المستمرة أو وحشة تلك الليالي بينما كانت أبيغيل تغطّ في نومٍ عميق وما من شيءٍ يستحق المتابعة على شاشة التلفاز.

انتقلت أبيغيل للعيش مع ناثان وبوني منذ أسبوعين فقط، ويبدو أن كل شيءٍ يسير على ما يُرام بالنسبة للجميع باستثناء مادلين. الليلة، عندما وصلتها رسالة جين، كان الأطفال الصغار نائمون، وكان إد يكتب قصةً وكانت قد جلست للتو لمشاهدة عرض **ملكة جمال أمريكا المقبلة**. «أبيغيل!» نادت بصوتٍ عالٍ وهي تشعل التلفاز، قبل أن تتذكر غرفة النوم الفارغة، والسرير ذو القوائم الأربعة الذي تم استبداله بأريكةٍ على شكل سرير

لتستخدمه أبيغيل عندما تأتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم. لم تعد مادلين تعرف كيف يمكنها أن تكون مع ابنتها بعد الآن، لأنها شعرت وكأنه جرى استبعادها من دورها كأم.

كانت هي وأبيغيل تشاهدان عادةً عروض America's Next Top Model معًا، تأكلان المارشميلو وتدليان بملاحظات حادة حول المتسابقات، لكن أبيغيل تعيش بسعادةٍ حاليًا في منزلٍ يخلو من تلفاز. لم تكن بوني «تؤمن» بشيءٍ اسمه تلفاز. بدلاً من ذلك كان يجلس الجميع معًا ويستمعون إلى الموسيقا الكلاسيكية ويتبادلون أطراف الحديث بعد العشاء.

- «هذا هراء». سخر إد عندما سمع ذلك.

مادلين: «يبدو أن هذا صحيح».

بالطبع الآن، عندما تأتي أبيغيل «لزيارتهم»، سيكون كل ما تريد فعله هو الاستلقاء على الأريكة والانكباب بنهمٍ على التلفاز، ولأن مادلين أصبحت حاليًا الوالدة المضيفة، ستدعها تفعل ذلك. (إن كانت قد قضت أسبوعًا وهي تسمع الموسيقى الكلاسيكية وتتبادل أطراف الحديث، فقد ترغب بمشاهدة التلفاز أيضًا).

كانت حياة بوني برمّتها بمثابة صفعةٍ على وجه مادلين. (صفعة خفيفة، أو إذا لطّفت الأمر، تربيتة لطيفة، لأن بوني لم تفعل أي شيءٍ عنيفٍ أبدًا). ولهذا السبب كان من اللطيف للغاية أن تكون قادرة على مساعدة جين في الخروج من محنتها، لتستعيد هدوءها، ولتحصل على الإجابات والحلول.

قالت جين بقلقٍ وهما تضعان كل شيءٍ على الطاولة: «لا يمكنني العثور على الغراء من أجل لصق الصور».

- «وجدتها»، سحبت مادلين محفظة أقلام من حقيبة يدها واختارت قلم تحديد أسود لزيغي، «دعنا نراك وأنت ترسم شجرةً كبيرةً للعائلة يا زيغي».

كان كل شيء يجري على ما يُرام حتى قال زيغي: «علينا أن نضع اسم أبي عليها. قالت الآنسة بارنز أنه لا يهم إذا لم يكن لدينا صورةً، نضع اسم الشخص فقط».

قالت جين بهدوءٍ: «حسنًا، أنت تعلم أنه ليس لديك أب يا زيغي». لقد أخبرت مادلين بأنها تحاول دائمًا أن تكون صادقةً قدر الإمكان مع زيغي بشأن والده.

- «لكنك محظوظ، لأن لديك صورة العم داني، والجد، وجد الجد جيمي»، حملت صورًا لرجالٍ مبتسمين كما لو كانت تحمل بطاقاتٍ رابحة، «ولدينا حتى هذه الصورة المذهلة لجد جد جدك الذي كان جنديًا!».

زيغي: «نعم، لكن ما زال عليّ كتابة اسم أبي في ذلك المربع. عليكِ أن ترسمي خطًا مني إلى أبي وأمي. هذه هي الطريقة التي علينا القيام بها». ثم أشار إلى مثال شجرة العائلة التي أدرجتها الآنسة بارنز، مما يدلّ على وجود أسرةٍ كاملة ذات نواةٍ واحدة مع أبٍ وأمٍ واثنين من الأقرباء على الأقل.

فكرت مادلين: «بالفعل تحتاج الآنسة بارنز إلى إعادة التفكير بهذا المشروع. حتى أنها عانت هي نفسها من الكثير من المتاعب عندما كانت تساعد كلوي في مشروعها. كان هناك مسألةٌ شائكة تتعلق فيما إذا كان يجب رسم خطٍ من صورة أبيغيل إلى إد. «سيتعيّن عليكِ أن تضعي صورة أب أبيغيل الحقيقي». قال فريد بنوعٍ من المساعدة وهو ينظر من فوق أكتافهم. «وسيارته؟»».

- «لا ليس مطلوبًا ذلك». قالت حينها مادلين.

- «لا يجب أن تكون بالضبط مثل تلك التي أعطتك إياها بارنز». قالت مادلين لزيغي. «سيكون مشروع كل شخصٍ مختلفًا عن الآخر. وهذا مجرد مثالٍ».

زيغي: «نعم ولكن عليَّ أن أكتب اسم أبي وأمي. ما هو اسم أبي؟ فقط قولي لي اسمه. قومي بتهجئته فقط. لا أعرف كيف أكتبه. سأقع في مشكلة إن لم أكتب اسمه».

هذا ما كان يفعله الأطفال. عندما يستشعرون أن هناك شيء مثير للجدل أو له حساسية معينة فيدافعوا عنه وكأنهم ممثلي ادعاءٍ صغار.

لكن المسكينة جين بقيت ثابتةً على كلامها.

– «حبيبي»، قالت بحذرٍ وعيناها على زيغي، «لقد سبق وأخبرتك القصة مراتٍ عديدةٍ. كان والدك سيحبك لو كان قد عرفك، لكن، أنا آسفة جدًا، لا أعرف اسمه، وأعلم أن هذا ليس عدلاً ...».

– «لكن علينا كتابة اسمًا هنا! هذا ما قالته الآنسة بارنز!». كان في صوته نبرةً هستيرية تألفها. يجب التعامل مع الأطفال المنهكين الذين هم في الخامسة كالعبوات الناسفة.

قالت جين: «أنا لا أعرف اسمه!». استطاعت مادلين أن تلحظ صوت صرير أسنانها وهي تتحدث، لأنه ثمّة شيء في أطفالك يمكنه أن يُخرج الطفل الذي بداخلك. لا شيء ولا أحد يمكنه أن يثيرك بالطريقة التي يثيرك بها طفلك.

قالت مادلين: «أوه، زيغي عزيزي، أريدك أن تعلم أن هذا يحدث دائمًا». بحق السماء. ربما أنه قد حصل. هناك العديد من الأمهات العازبات في المنطقة. كانت ستتحدث مادلين مع الآنسة بارنز في اليوم التالي وتتأكد من أنها أوقفت هذا المشروع السخيف. لماذا تحاول دمج العائلات الممزقة في صناديق صغيرةٍ ومرتبة في هذا الوقت والعمر؟

– «هذا ما عليك فعله. اكتب: «والد زيغي» أنت تعرف كيف تكتب زيغي، أليس كذلك؟ بالطبع تعرف، هذا كل شيء».

لإرضائها، أطاعها زيغي، وبدأ بكتابة اسمه وهو يُخرج لسانه من أحد جانبي فمه ليساعده على التركيز.

– «ما هذا الخط الأنيق!»، شجعته مادلين بشدةٍ. لم تكن تريد أن تمنحه الوقت للتفكير، «خطّك أكثر أناقةً من خط كلوي. نعم هكذا. لقد انتهيت الآن! سنلصق أنا وأمك بقية الصور أثناء نومك. الآن. حان وقت قصة ما قبل النوم! أليس كذلك؟ وأتساءل فيما إذا كان بإمكاني أن أقرأ قصةً لك؟ هل سيكون هذا جيدًا؟ وأحب أن أرى كتابك المفضل».

أومأ زيغي برأسه ببلاهة، على ما يبدو أنه كان غارقٌ في سيل ثرثرتها. نهض وكتفاه الصغيران متدليان.

جين: «ليلة سعيدة زيغي».

زيغي: «طابت ليلتك أمي». تبادلا القُبلات وهما يتمنيان لبعضهما ليلةً سعيدة مثل زوجين متخاصمين، وهما يتحاشيان أن تلتقي عينيهما، ثم أمسك زيغي يد مادلين وسمح لها أن تقوده إلى غرفة نومه.

في أقل من عشر دقائق عادت إلى غرفة الجلوس. نظرت إليها جين وهي تلصق بعناية الصورة الأخيرة على شجرة العائلة.

مادلين: «لقد غطّ في نومٍ عميق. نام بالفعل بينما كنت اقرأ القصة له، مثل الأطفال الذين نشاهدهم في الأفلام. لا أعرف أطفالاً ينامون بتلك الطريقة».

جين: «أنا آسفة للغاية، ما كان يجب عليكِ أن تأتي إلى هنا وتتركي طفلاً آخر في السرير، لكنني ممتنةٌ جدًا لك، لأنني لم أكن راغبة بالدخول في حوارٍ معه قبل النوم حول ذلك الموضوع و ...».

- «ششششش»، جلست مادلين بجانبها ووضعت يدها على ذراعها، «إنه أمرٌ تافه عزيزتي. أعرف حيثيات الموضوع. روضة الأطفال مرهقةٌ. وهم يسببون تعبًا كبيرًا».

جين: «لم يكن هكذا من قبل. أعني بخصوص أبيه، كنت أعلم دومًا أنه سيكون هناك مشكلة في يومٍ من الأيام، لكنني اعتقدت أنها لن تكون حتى يبلغ الثالثة عشرة من عمره أو نحو ذلك. كنت أظنّ أنه سيكون لدي الوقت لأفكر فيما سأقوله بالضبط. ولطالما طلب مني أبي وأبي أن أصارحه بالحقيقة، لكن كما تعرفين، الحقيقة ليست دائمًا، ليست دائمًا، حسنًا إنها ليست دائمًا ...».

- «مستساغة». علقت مادلين.

- «نعم»، قالت جين. ثم عدّلت زاوية الصورة التي كانت تقوم بلصقها، ومسحت لوحة الورق المقوى، «سيكون الطفل الوحيد في الفصل الذي لا صورةٍ لديه في مربع الأب».

مادلين: «هذه ليست نهاية لعالم»، لمست صورة والد جين التي يضع فيها زيغي في حِجره، «هناك الكثير من الرجال الرائعين في حياته»، نظرت إلى جين، «إنه لأمرٌ مزعج أنه ليس لدينا أي طفل لديه والدتان في الصف. أو والدان. عندما كانت أبيغيل في المدرسة الابتدائية في الغرب الداخلي كان لدينا جميع أنواع العائلات. كنا من الطبقة الوسطى البيضاء هنا على شبه الجزيرة. كنا نحب أن نفكر بأننا مختلفون كثيرًا لكن حساباتنا المصرفية هي التي كانت تختلف فقط».

قالت جين بهدوءٍ: «أنا أعرف اسمه».

- «هل تقصدين والد زيغي؟». أخفضت مادلين صوتها أيضًا.

- «نعم»، قالت جين، «كان اسمه ساكسون بانكس»، تلعثمت بعض الشيء وهي تتلفّظ باسمه، كما لو كانت تحاول أن تصدر أصواتًا غير مألوفةٍ من لغةٍ أجنبيةٍ، «يبدو اسمًا محترمًا، أليس كذلك؟ مواطنٌ جيد وصالح. ومثيرٌ جنسيًا أيضًا! ساكسون المثير!».

ارتجفت كما لو أصابتها قشعريرة.

سألتها مادلين: «هل حاولتِ الاتصال به من قبل؟ كي تخبريه عن زيغي؟».

جين: «كلا لم أفعل». كان تعبيرًا رسميًا بشكل غريب.

قلّدت مادلين نبرتها: «ولماذا لم تفعلي؟».

- «لأن ساكسون بانكس لم يكن صديقًا لطيفًا كثيرًا»، ردّت جين ثم قالت بصوتٍ رتيبٍ وصارم وهي ترفع ذقنها عاليًا، لكن ثمّة لمعانٌ غريب في عينيها: «لم يكن شابًا لطيفًا بأي شكلٍ من الأشكال».

عادت مادلين إلى صوتها الطبيعي: «أوه جين ماذا فعل ذلك الوغد لك؟».

الفصل الواحد والثلاثون

لم تستطع جين أن تصدق بأنها قالت اسمه بصوتٍ عالٍ لمادلين. ساكسون بانكس. كما لو أن ساكسون بانكس كان مجرد شخص آخر غير الذي ترك بصمته في حياتها.

قالت مادلين: «هل تريدين أن تخبريني شيئًا؟ ليس عليكِ إخباري بشيء».

كانت على ما يبدو فضوليةً، لكن ليس بتلك الطريقة الفجّة والملحاحة التي كان عليها أصدقاء جين في اليوم الذي تلا الحادثة (قولي لنا اسمه، جين، قولي لنا! قولي لنا اسم ذلك القذر!) كانت متعاطفةً معها لكن تعاطفها لم يكن مثقلاً بعاطفة الأمومة، كما لو كانت والدة جين هي من تسمع القصة.

قالت جين: «ليس هذا بالأمر الجلل».

عادت مادلين وجلست على كرسيها. خلعت السوارين الخشبين المزخرفين يدويًا اللذين كانت تتزيّن بهما ووضعتهما بعنايةٍ فوق بعضهما البعض على المنضدة أمامها. ثم دفعت مشروع شجرة العائلة جانبًا.

قالت: «حسنًا». كانت تعرف أنها مشكلة كبيرة.

تنحنحت جين لتنظّف حنجرتها. أخذت قطعة علكة من العلبة الموضوعة على الطاولة.

قالت: «ذهبنا إلى حانةٍ».

كان زاك قد انفصل عنها قبل ثلاثة أسابيع.

شكّل ذلك صدمةً كبيرةً لها. وكأنه انسكب على وجهها دلوًا مملوءً بالماء المثلج. لقد اعتقدت أنهما كانا في طريقهما لشراء خواتم الخطبة ودفع قيمة الرهن العقاري.

كانت محطمة الفؤاد، عليلة. لقد انكسر قلبها بالفعل. لكنها كانت تعرف أنها ستتعافى. حتى أنها كانت تتلذذ بذلك نوعًا ما مثلما كانت تتلذذ أحيانًا بنزلة بردٍ. انغمست في بؤسها اللذيذ، تبكي لساعاتٍ على صورها مع زاك ثم تجفف دموعها وتشتري لنفسها فستانًا جديدًا لأنها تستحقه كون قلبها مكسور. لقد شعر الجميع بالصدمة والتعاطف، وكانوا يرددون دومًا: «كنتما ستكونان زوجين رائعين!» و «يا له من مجنون! وسوف يندم على ذلك!».

تولّد شعورٌ لديها بأن ذلك لم يكن سوى طقس عبور. كان جزءً منها ينظر إلى الوراء إلى تلك الفترة من بعيد. أول مرة انكسر فيها قلبها. وكان جزءً منها فضوليًا نوعًا ما حول ما سيحدث بعد ذلك. كانت حياتها رتيبةٌ تسير في اتجاهٍ واحد، وتلقّت الآن الصدمة - بووم! - فتغير مسار حياتها مباشرةً في اتجاهٍ معاكس. أليس مثيرًا! ربما تسافر بعد نيل الإجازة الجامعية لمدة عام، مثل زاك. ربما ستواعد نوعًا مختلفًا تمامًا من الرجال. عازف غرانج أو مهووسٍ بالكومبيوتر. كان بانتظارها طيفٌ واسعٌ من الشباب.

قالت لها صديقتها جيل: «أنتِ بحاجةٍ للفودكا وللرقص أيضًا!». ذهبتا إلى حانة فندقٍ في المدينة. فندق هاربر فيوز.

كانت ليلةً ربيعيةً دافئةً. وكانت مصابة بحمىّ القش التي سببت لها حكّة في عينيها وبحّة في حنجرتها. يسبب لها الربيع دومًا حمّى القش ويُنبئ كذلك باحتمال قدوم شيءٍ تحبه، بقدوم الصيف المذهل.

كان في الحانة بعض الرجال الأكبر سنًّا منهما، ربما في أوائل الثلاثينيات، يجلسون على الطاولة المجاورة لهما. بعض رجال الأعمال. اشتروا لهما المشروبات، وبعض أنواع الكوكتيلات الدسمة باهظة الثمن. أعادت جين وجيل تحريكها حتى أصبحت مثل الحليب المخفوق أو الميلك شيك.

كان الرجال يتنقّلون بين الولايات، ويقيمون في فنادق. أُعجب أحد الرجال بجين.

قال: «ساكسون بانكس». وأخذ يدها بيده التي بدت كبيرة جدًا.

ردّت جين: «أنت السيد بانكس الذي لعب دور الأب في فيلم ماري بوبينز».

ساكسون: «أنا أشبه أكثر منظّف المداخن». رمقها بعينيه وغنّى أغنيةً من الفيلم.

ليس صعبًا على رجلٍ ناضج، يحمل بطاقة أميكس سوداء، وذقنٍ منحوت ببراعة أن يجعل من فتاةٍ ثَمِلةٍ في التاسعة عشر من عمرها تشعر بالدوار لدرجة الإغماء. قليلٌ من التواصل البصري، والغناء بنعومة مع ضبط اللحن. نعم، أحسنت، لقد تمت الصفقة.

همست صديقتها جيل في أذنها: «هيّا وافقي. لمَ لا؟». لم تستطع إيجاد سببٍ للرفض.

دون خاتم زواج. ربما كان لديه صديقةٌ ستعود للمنزل. لكن لم يكن يعني جين التحقق من ماضيه وخلفيته (أليس كذلك؟) ولم تكن تنوي أن تقيم علاقةً معه. كانت علاقة ليلةٍ واحدة. لم تعش تجربة كهذه من قبل. كانت تحسبها دائمًا من الناحية الأخلاقية. لقد حان الوقت الآن لتكون شابةً وحرةً ومجنونةً نوعًا ما. كان الأمر أشبه بقضاء عطلةً في الجبال ومن ثمّ اتخاذ قرارٍ بالقفز الحر من على جرف. ستكون تلك علاقةً ليلةٍ واحدةٍ من الدرجة الأولى، في فندق خمس نجوم، مع رجلٍ خمس نجوم. لا مجال للندم. فليمضِ زاك في رحلته المبتذلة التي تقيمها شركة كونتيكي وهو يحاول تحسس الفتيات في آخر الحافلة. كان ساكسون شخصًا خفيف الظلّ ومثيرٌ جنسيًا، فضلاً عن كونه متعهدٍ عقاري ناجح. هو لا يستخدم كلمة «ناجح» لكن يمكنك استنتاج ذلك بسهولة. لقد ضحكا وضحكا بينما كان المصعد الزجاجي يرتفع بخفّةٍ وسط الفندق. ثم ساد صمتٌ مفاجئ في الممر المغطى بالسجاد. انزلق المفتاح بهدوءٍ عبر ثقب باب غرفته وعلى الفور اتقد ضوءٌ صغيرٌ أخضر تعبيرًا عن الموافقة.

لم تكن ثَمِلةً جدًا. كانت في حالة نشوةٍ لطيفةٍ فقط. كانت مبتهجة. لمَ لا؟ ظلّت تقول لنفسها. لم لا أمارس القفز الحر؟ لمَ لا أرمي بنفسي في غياهب المجهول؟ لمَ لا أكون شقيةً بعض الشيء. كان في ذلك مغامرة. مغامرة ممتعة. أن تحيا الحياة بالطريقة التي أراد زاك أن يعيشها من خلال جولاته بالحافلة في أنحاء أوروبا وتسلق برج إيفيل.

صبّ لها ساكسون كأسًا من الشمبانيا وشرباه معًا وهما يستمتعان بالمنظر المطلّ من النافذة، ثم سحب كأس الشمبانيا من يدها ووضعه على طاولةٍ بجانب السرير، فشعرت وكأنها في مشهدٍ سينمائي شاهدته مائة مرةٍ من قبل، رغم أن شيئًا بداخلها كان يسخر من براعته المبالغ بها.

وضع يده خلف رأسها وجذبها نحوه كشخصٍ ينفذ حركة رقصٍ مثاليةٍ. وبدأ يقبّلها وهو يضغط بإحدى يديه بقوةٍ على أسفل ظهرها. كانت رائحة كولونيا الحلاقة تشبه رائحة المال.

كانت هناك لممارسة الجنس معه. لم تغيّر رأيها. ولم ترفض. لم يكن بالتأكيد اغتصابًا، بل ساعدته على تجريدها من ملابسها. كانت تضحك كالبلهاء. استقلت على السرير معه. كان هناك نقطةٌ وحيدةٌ فقط عندما كانت التصق جسديهما العاريين معًا ورأت غرابة صدره المشعر غير المألوف، حينها شعرت برغبةٍ جامحة لجسد زاك الرائع ورائحته، لكن لا بأس، كانت على استعدادٍ تام لتنفيذ ما جاءت من أجله.

- «الواقي الذكري؟». تمتمت في اللحظة الحرجة، بصوتٍ خفيضٍ مبحوح، واعتقدت أنه سيهتم بذلك بنفس الطريقة السلسلة والرصينة التي يفعل بها كل شيءٍ آخر، واقٍ ذكري أفضل من تلك الأنواع التي جرّبتها من قبل، لكنه بدلاً من ذلك لفّ يديه حول رقبتها وقال: «هل جربتِ هذا من قبل؟». كانت تشعر بقوة ضغط يديه الصلبتين.

- «هذا ممتع. سيعجبك. إنه سريع التأثير، مثل الكوكائين».

صرخت: «لا». أمسكت بيديه محاولةً أن توقفه. لم تستطع أبدًا أن تتحمل فكرة عدم القدرة على التنفس. حتى أنها لم تكن تحب السباحة تحت الماء.

ضغط على رقبتها. كانت عيناه تحدّقان بنشوةٍ في عينيها. ابتسم وكأنه كان يدغدغها ولم يكن يخنقها. ثم أفلتها.

شهقت: «لا أحب ذلك».

قال: «آسف. قد يكون ذوقًا مكتسبًا أنت بحاجةٍ فقط للاسترخاء، جين. لا تتوتري كثيرًا. هيّا».

- «لا. من فضلك».

لكنه فعلها مرةً أُخرى. استطاعت أن تسمع نفسها وهي تصدر أصواتًا مقززةً ومخزية. ظنّت أنها ستتقيأ. كان جسدها مغطى بالعرق البارد.

- «ألا تزالين رافضة؟». رفع يديه.

أصبحت نظراته قاسية، إلا إذا كانتا قاسيتين بالأساس.

- «من فضلك لا تفعل. أرجوك لا تفعل ذلك ثانيةً».

- «أنت عاهرةٌ صغيرةٌ مملة، ألست كذلك؟ فقط تريدين الجنس. وهذا ما جئت إليه، هاه؟».

وضعها تحته ودفع نفسه بقوةٍ داخلها كما لو كان يشغل آلةً ما، وبينما كان يتحرك، قرّب فمه من أذنها وبدأ يقول لها أشياء: كتيارٍ لا ينتهي من القسوة العرضية التي انزلقت مباشرةً إلى ذهنها، وعلقت في دماغها كدودةٍ.

أنت مجرد فتاة سمينة وقبيحة أليس كذلك؟ مع مجوهراتك الرخيصة وفساتنك القذر. بالمناسبة، أنفاسك مثيرةٌ للاشمئزاز. تحتاجين لتعلم بعض قواعد نظافة الأسنان. يا إلهي. أليس لديك رأيك الخاص في حياتك، هاه؟ أتريدين نصيحةً؟ عليكِ أن تحترمي نفسكِ أكثر قليلاً. وأن تنقصي وزنك. انضمي إلى نادي الألعاب الرياضية بحقّ الجحيم. توقفي عن الوجبات السريعة. لن تكوني جميلةً بكل الأحوال لكن على الأقل لن تكوني سمينة.

لم تقاوم بأي شكلٍ من الأشكال. كانت تحدق بالضوء المتدلي من السقف، والذي كان يومض على وجهها مثل عينٍ بغيضة، تراقب كل شيءٍ، وترى كل شيءٍ، وتوافق على كل شيءٍ يقوله. عندما تركها، بقيت دون حراك وكأنّ جسدها لم يعد ملكها أبدًا، وكأنها كانت تحت تأثير المخدّر.

- «هل نشاهد التلفاز؟». قال ذلك، ثم التقط جهاز التحكم، فدبّت الحياة بالتلفاز الجاثم عند الطرف الآخر للسرير. كان يعرض أحد أفلام سلسلة موت قاسي Die Hard. بدأ يتنقّل عبر القنوات بينما كانت ترتدي فستانها الذي طالما احبّته. (لم يسبق لها أن أنفقت الكثير من المال على فستانٍ).

كانت تتحرك ببطءٍ وصلابة. لن تظهر الكدمات على ذراعيها وساقيها ومعدتها ورقبتها إلا بعد أيام. وبينما كانت ترتدي ملابسها، لم تحاول إخفاء جسدها عنه لأنه كان أشبه بطبيبٍ أجرى لها عمليةً جراحية وأزال شيئًا مروعًا. لماذا تحاول إخفاء جسدها في الوقت الذي اكتشف فيه مدى بغضه وقرفه؟

- «أنت ذاهبة إذًا؟». سألها وهي ترتدي ملابسها.

- «نعم، وداعًا». بدت كفتاةٍ غبيةً تبلغ من العمر الثانية عشرة.

لم تستطع فهم سبب شعورها بالحاجة إلى قول «وداعًا». كان تعتقد أحيانًا أنها تكره نفسها أكثر بسبب ذلك. لقولها «وداعًا» ببلادة وغباء. لماذا؟ لماذا قالت ذلك؟ كان من المدهش أنها لم تَقُل «شكرًا».

- «أراكِ لاحقًا!». بدا وكأنه كان يحاول إخفاء ضحكته. وجدها مضحكةً. مثيرة للاشمئزاز والضحك. كانت مقرفة ومضحكة.

هبطت إلى الطابق السفلي بالمصعد الزجاجي. «هل تريدين سيارة أجرة؟». سألها البواب وهي تعرف أنه بالكاد استطاع احتواء اشمئزازه: فتاة شعثاء، بدينة، مخمورة، وعاهرة في طريقها إلى المنزل.

بعد ذلك، لم يبدو أن شيئًا بقي على حاله.

الفصل الثاني والثلاثون

- «أوه، جين».

شعرت مادلين بالرغبة في احتضان جين بين ذراعيها ووضعها في حِجرها وهدهدتها كما لو كانت كلوي. أرادت أن تجد ذلك الرجل وتضربه وترفسه وتصرخ في وجهه وتشتمه بكلماتٍ نابية.

قالت جين: «أعتقد أنه كان عليّ تناول حبوب منع الحمل في الصباح التالي. لكنني لم أفكر بذلك قط. كنت أعاني من بطانة الرحم المهاجرة عندما كنت أصغر سنًّا وأخبرني الطبيب أنني سأواجه صعوبةً كبيرةً في الحمل. كان يمرّ عليّ أحيانًا عدة أشهرٍ دون طمث. إلى أن أدركت أخيرًا أنني حامل، وحدث ما حدث».

كانت تروي قصتها لمادلين بصوتٍ خفيض لدرجة أنه كان على مادلين أن تجهد نفسها لتسمعها، لكنها الآن أخفضته أكثر إلى حدٍ أقرب إلى الهمس، بينما عيناها متسمّرتان على الممر المؤدي غرفة نوم زيغي: «كان قد فات الأوان على الإجهاض. ثم توفي جدي، وكانت تلك صدمةً كبيرةً لنا. وأصبحت غريبةً بعض الشيء. ربما أصبت بالاكتئاب. لا أعرف بالضبط. تركت الجامعة وعدت إلى البيت، وكنت أنام فقط. أغطُّ في نومٍ عميقٍ لساعاتٍ وساعاتٍ. كما لو كنت تحت تأثير المخدّر أو مرهقةٌ من السفر. لم أستطع تحمّل أن أكون مستيقظةً».

- «ربما كنت لا تزالين في حالة صدمةٍ. أوه جين. أنا آسفة جدًا لما حدث معك».

هزت جين رأسها بأسفٍ وكأنها تلقّت شيئًا لا تستحقه: «حسنًا. لا يبدو الأمر وكأنني تعرضت للاغتصاب في أحد الأزقّة. عليّ أن أتحمّل المسؤولية. ليس الأمر بهذه الضخامة».

- «لقد اعتدى عليك! وهو ...».

رفعت جين يدها. «لدى العديد من النساء تجارب جنسية سيئة. وأنا إحداهنّ. والدرس الذي تعلّمته هو: لا تخرجي مع رجال غرباء تلتقيهم في الحانات».

مادلين: «أستطيع أن أؤكد لك بأنني نلتُ نصيبي كذلك بمعاشرة رجالٍ قابلتهم في الحانات»، لقد فعلت ذلك مرةً أو مرتين. لكن لم ينتهي بها الأمر على هذا النحو. كانت ستفقأ عينيه لو حدث ذلك معها، «لا تعتقدي للحظةٍ أنك مُلامةً بأي شكلٍ من الأشكال يا جين».

هزت جين رأسها: «أعرف. لكنني أحاول أن أبقي الأمور في نصابها. يحب بعض الأشخاص بالفعل الخنق الشهواني لحظة ممارسة الجنس»، لاحظت مادلين أنها وضعت يدها على رقبتها دون وعي، «ربما أنت مهتمّةٌ بذلك على حدّ علمي».

مادلين: «نجد أنا واد أنفسنا في قمة الإثارة إذا كنّا في السرير دون طفلٍ بيننا. جين يا صديقتي العزيزة، لم تكن تلك تجربةً جنسيةً، ما فعله ذلك الرجل بكِ لم يكن سوى ...».

قاطعتها جين: «حسنًا، لا تنسِ أنكِ سمعتِ القصة من وجهة نظري. ربما أنه قد يرويها بشكل مختلف»، وتابعت مستهجنةً: «ربما أنه لا يتذكرها أصلاً».

- «لقد وجّه لكِ إهانة لفظية. تلك الأشياء التي تفوّه بها».شعرت مادلين بأن الغضب يصعد إلى رأسها مرةً أُخرى. كيف استطاعت مواجهة كل هذا

الرعب؟ كيف باستطاعتها جعله يدفع ثمن فعلته وتلك «الأشياء الحقيرة» التي قالها؟

بينما كانت جين تروي قصتها، لم تكن بحاجة لمحاولة تذكّر ما قاله بالضبط. كانت تتلو إهاناته بنبرةٍ رتيبةٍ، وكأنها كانت تتلو قصيدةً أو صلاةً.

قالت جين: «نعم، أنا فتاة صغيرة سمينةٌ وقبيحة».

جفلت مادلين: «لا، لست كذلك».

جين: «كان وزني زائدًا. ربما وجدني بعض الأشخاص سمينةً. كنت مولعة بالطعام كثيرًا».

مادلين: «محبّة للطعام».

- «لا شيء بهذا التعقيد. لقد أحببت كل أنواع الطعام، وأحببت الطعام الدسم بشكلٍ خاصٍ. الكيك. والشوكولاتة. والزبدة. لقد أحببت الزبدة كثيرًا».

ظهر على وجهها تعبيرٌ ينمُّ عن سخطٍ طفيف، وكأنها لا تصدق أنها تصف نفسها.

قالت لمادلين: «سأريك صورةً»، قلّبت في هاتفها، «لقد نشرتها للتو صديقتي إيم على الفيس بوك في موقع Throwback Thursday (وهو اتجاه على الإنترنت يستخدم بين منصات التواصل الاجتماعي يُرمز له بـ TBT وينشر فيه المستخدمون يوم الخميس صورًا محفّزة للحنين إلى الماضي). هذه أنا في عيد ميلادي التاسع عشر ... قبل بضعة أشهرٍ فقط من أن ... أن أصبح حاملاً». أعطت الهاتف لمادلين كي تراها. ظهرت فيها جين ترتدي فستانًا أحمر ضيق بياقةٍ قصيرةٍ. كانت تقف بين فتاتين من نفس عمرها، وجميعهن يبتسمن بابتهاج للكاميرا. بدت جين وكأنها شخصٌ مختلفٌ: شابة في مقتبل العمر، تبدو مستهترة لكنها أكثر نعومة ونضارة مما تبدو عليه حاليًا بكثير.

قالت مادلين وهي تعيد لها الهاتف: «كنت فتاةً جذابة. لست سمينةً. تبدين رائعةً في هذه الصورة».

أجابت جين وهي تنظر إلى الصورة مرة أُخرى قبل أن تقلب عنها بإبهامها: «ينتابني إحساسٌ مثير عندما أفكر بما جرى. لماذا أشعر بأن هاتين الكلمتين قد انتهكتا حُرمتي بشكلٍ غريب؟ أكثر من أي شيءٍ آخر فعله بي، كانت هاتان الكلمتان مؤلمتان كثيرًا: بدينة وقبيحة».

قذفت بتلك الكلمتين. تمنّت مادلين أن تتوقف عن نطقهما.

تابعت جين: «أعني أنه قد يبدو الرجل البدين والقبيح مضحكًا لكنه محبوبٌ وناجح بين الناس، لكن هذا أمرًا معيبًا عند المرأة».

بدأت مادلين تقول: «لكنك لم تكوني كذلك في الماضي، ولست ...».

قاطعتها جين: «نعم، حسنًا، ولكن ماذا لو كنت كذلك! ماذا لو كنت! هذه وجهة نظري. ماذا لو كان وزني زائدٌ قليلاً ولم أكن جميلةً؟ لماذا يعتبر ذلك شيئًا فظيعًا؟ ومقرفٌ جدًا؟ لماذا تعتبر تلك نهاية العالم؟».

وجدت مادلين نفسها عاجزة عن الكلمات. أن تكون بدينةً وقبيحة بالفعل سيكون ذلك نهاية العالم بالنسبة لها.

جين: «هذا لأن تقدير المرأة لذاتها كله يعتمد على مظهرها. هذا هو السبب. لأننا نعيش في مجتمعٍ مهووسٍ بالجمال وأهم شيءٍ يمكن للمرأة أن تفعله هو أن تجعل نفسها تبدو جذابةً بالنسبة للرجال».

لم تسمع مادلين جين تتحدث بهذه الطريقة من قبل أبدًا: بكل قوةٍ وطلاقةٍ. كانت عادةً خجولة للغاية وتنتقص من قدر نفسها، وعلى استعدادٍ دومًا للسماح للآخرين كي يدلوا بآرائهم.

مادلين: «هل هذا صحيحٌ حقًا؟»، لسببٍ من الأسباب أرادت أن تعارضها وتختلف معها بالرأي، «لأنك تعرفين أنني غالبًا ما أشعر بالدونية والنقص تجاه نساءٍ مثل ريناتا وزوجة جوناثان اللطيفة والمثيرة. تلك النسوة يكسبن أموالاً طائلة ويذهبن إلى اجتماعات مجلس الإدارة أو أيًا كان، بينما أنا أعيش من عملي اللطيف بدوامٍ جزئي في مجال التسوّق».

جين: «نعم، لكنك في أعماقك تعرفين أنك الفائزة لأنك أجمل».

مادلين: «لا علم لي بذلك». وجدت نفسها تداعب شعرها فأنزلت بيدها.

- «لهذا السبب، إذا كنتِ مع رجلٍ في السرير، عاريةً لا حول لكِ ولا قوة، وتعتقدين أنه يجدك جذابةً بطريقةٍ أو بأُخرى، ثم يقول لك شيئًا من ذلك القبيل، حسنًا إنه ...»، رمقت مادلين بنظرةٍ ساخرة، «هذا شيءٌ مدمّرٌ نوعًا ما»، ثم توقفت للحظة وتابعت: «لكن، مادلين، ما أثار غضبي كثيرًا أنني وجدته مدمّر للغاية. لقد أشعل غضبي كونه يمتلك تلك القوة والسيطرة عليّ. أنظر في المرآة كل يوم، وأعتقد بأنني لم أعد أعاني من الوزن الزائد، لكنه على حق، ما زلت قبيحة. من الناحية الفكرية، أعلم أنني لست قبيحة، أنا مقبولةٌ. لكنني أشعر بأنني كذلك لأن رجلاً قال هذا، وهذا ما جعل الأمر كذلك. إنه حقًا مدعاةٌ للشفقة».

قالت مادلين بيأسٍ: «كان نذلاً. كان مجرد وغدٍ غبي». وخطر لها أنه كلما تحدّثت جين عن القبح أكثر، كلما بدت أكثر جمالاً، بشعرها المنسدل، وخديها الحمراوين وعينيها المتألقتين.

فبدأت تقول: «أنت جميلةً».

- «لا!»، قالت جين بغضب، «لا لست كذلك! ولا بأس أنني لست كذلك. لسنا جميعًا جميلات، تمامًا مثلما لسنا جميعًا موسيقيين، لا مشكلة. لا تقولي لي أن الجمال الداخلي يتألّق من خلال الأشياء الكريهة أيضًا».

مادلين، التي كانت على وشك أن تثني على الجمال الداخلي الذي يشع من خلال ما هو قبيح، أغلقت فمها.

جين: «لم أقصد أن أفقد الكثير من الوزن. أغضبني أنني فقدت وزني، وكأنني كنت أفعل ذلك من أجله، لكنني أصبحت غريبة الأطوار تجاه الطعام بعد ذلك. في كل مرةٍ أهمّ فيها بتناول الطعام أشعر وكأنني أرى نفسي آكل. أستطيع أن أرى نفسي بالطريقة التي يراني بها: فتاةٌ بدينة قذرة تبتلع الطعام. ويكاد بلعومي أن ...»، نقرت بيدها على بلعومها وابتلعت لعابها، «بكلّ

الأحوال! كان لِذلك تأثيرٌ كبيرٌ عليّ! مثل عملية تحويلِ مسار المعدة. كان عليّ أن أتقبّله. حمية ساكسون بانكس. جلسةٌ واحدةٌ مؤلمةٌ فقط في غرفة الفندق وإليك النتيجة: اضطراب في الطعام مدى الحياة. بل وتتسم بالفاعلية!».

- مادلين: «أوه، جين».

فكرت بوالدة جين وتعليقها عندما كانتا على الشاطئ حين قالت: «لا أحد يرغب أن يرى هذا في البكيني». بدا بالنسبة لها أن والدة جين ربما ساعدت في وضع حجر الأساس لمشاعر جين المختلطة حيال الطعام. وقامت وسائل الإعلام بدورها والنساء بشكلٍ عام، كونهن على استعداد للشعور بالاستياء حيال أنفسهن، ثم أنهى ساكسون بانكس المهمّة.

جين: «على أي حال، آسفة على تلك الخطبة المسهبة».

- «لا تتأسفي، عزيزتي».

- «وليس لديّ رائحة كريهةً كذلك. لقد راجعت طبيب الأسنان مراتٍ عديدةٍ. لكننا كنا قد تناولنا البيتزا قبل أن نكون معًا. كانت أنفاسي تعبق برائحة الثوم».

هذا هو السبب وراء الهوس بالعلكة.

مادلين: «تبدو أنفاسك كرائحة الأقحوان. لدي حاسة شمٍّ حادة».

جين: «أعتقد أنها كانت الصدمة أكثر من أي شيءٍ آخر. الطريقة التي تغيّر بها. بدا لطيفًا جدًا في البداية. وكنت أعتقد أنني جيدة بإطلاق الاحكام على الأشخاص. بعد ذلك شعرت بأنني لا أستطيع الوثوق بغرائزي».

مادلين: «لست متفاجئة». هل كانت هي من اختارته؟ هل كانت مأخوذة بأغاني ماري روبينز؟

جين: «أنا لست نادمةً على ذلك، لأنني رُزقتُ بزيغي. طفلي المعجزة. شعرت وكأنني استيقظت من سُباتي عندما ولد. شعرت وكأن ليس للأمر علاقةٌ بتلك الليلة. هذا الطفل الجميل الصغير. لكن عندما بدأ يتحول إلى شخصٍ صغيرٍ له شخصيته الخاصة، خطر لي أنه قد يكون، كما تعلمين، قد

ورث شيئًا من والده»، لأول مرةٍ تكسّر صوتها، «كلما تصرف زيغي بطريقةٍ بعيدةٍ عن شخصيته، أشعر بالقلق. مثلما حدث في يوم الطلاب الجدد، عندما قالت أمابيلا بأنه حاول خنقها. من بين كل الأشياء التي تحدث. الخنق. لا يمكنني أن أصدق ذلك. وأشعر أحيانًا أنني أستطيع رؤية شيءٍ في عينيه يذكّرني بوالده، وأفكر ماذا لو كان لدى زيغي اللطيف تصرفاتٍ قاسيةٍ سريّةٍ لا أعرفها؟ ماذا لو فعل ابني ذلك لفتاةٍ في يومٍ من الأيام؟».

ردّت مادلين: «ليس لدى زيغي أي تصرفاتٍ سريّة تنمُّ عن قسوة»، دفعتها حاجتها الماسة لمواساة جين لتعزيز إيمانها بطيبة زيغي، «إنه طفلٌ حلو جميل. وأنا متأكدةٌ أن والدتكِ على حق، يمكن أن يكون قد تقمّص روح جدّك الطيّب».

ضحكت جين. التقطت هاتفها المحمول ونظرت إلى الوقت على الشاشة: «لقد تأخر الوقت كثيرًا! عليكِ العودة إلى عائلتك. لقد أبقيتك هنا لفترةٍ طويلة وأنا أثرثر وأتفوه بالتفاهات عن نفسي».

- «لم يصدر عنكِ أي ترّهات أو تفاهات يا عزيزتي».

نهضت جين. رفعت ذراعيها عاليًا فوق رأسها، حتى ارتفع قميصها واستطاعت مادلين رؤية بطنها الأبيض النحيل والضعيف: «شكرًا جزيلاً لك على مساعدتي في إنجاز هذا المشروع اللعين».

- «من دواعي سروري»، نهضت مادلين أيضًا. نظرت إلى حيث كتب زيغي (والد زيغي)، «هل ستخبرينه عن اسمه يومًا ما؟».

جين: «أوه، يا إلهي، لا أعرف، ربما عندما يبلغ الواحد والعشرين من عمره، عندما يبلغ من العمر ما يكفي لأخبره بالحقيقة كاملة ولا شيء سوى الحقيقة».

قالت مادلين بأسلوبٍ ينمّ عن تأمل: «ربما يكون قد توفي حينها. ربما عاقبة الأقدار ستنال منه في النهاية. هل بحثت عنه في غوغل؟».

- «لا». ردّت جين. كان هناك تعبيرٌ مبهمٌ على وجهها. لم تستطع مادلين معرفة فيما إذا كانت تكذب أم أن فكرة البحث عنه على غوغل كانت مؤلمة للغاية.

مادلين: «سأقوم بالبحث في غوغل عن ذلك المعتوه الفظيع، ما اسمه ثانيةً؟ ساكسون بانكس، صح؟ سأجده ثم سأسدد لكمةً له. لا بد أن هناك نوعًا من خدمة «قتل اللقيط» عبر الإنترنت هذه الأيام».

لم تضحك جين: «من فضلك لا تبحثي عنه في غوغل يا مادلين. من فضلك لا تفعلي ذلك. لا أعرف لماذا أكره فكرة البحث عنه، لكنني سأفعل ذلك بعد حين».

- «بالطبع، لن أفعل إذا كنتِ لا تريدين ذلك، ربما أقحمت نفسي في أمورك قليلاً. وتصرفت بغباء. ينبغي عليّ عدم الاستخفاف بالأمر. انسي ما قلته».

مدّت ذراعيها وعانقت جين.

ولدهشتها تقدّمت جين، التي لم تكن ترحب بالقُبل، نحوها وأمسكتها بقوة. قالت: «شكرًا لك على إحضار الورق المقوى».

ربتت مادلين على شعر جين النظيف الرائحة. وكانت على وشك أن تقول: «على الرحب والسعة، يا فتاتي الجميلة»، كما كانت تقول لكلوي، لكن كلمة «جميلة» بدت ثقيلة جدًا ومشحونةً في تلك اللحظة. وبدلاً من ذلك قالت: «على الرحب والسعة يا فتاتي الرائعة».

الفصل الثالث والثلاثون

سألت الاستشارية: «هل هناك أية أسلحةٍ في منزلك؟».

سيليست: «عفوًا. هل قلت أسلحة؟».

كان قلبها ما يزال يدق من حقيقة وجودها هنا، في هذه الغرفة الصغيرة ذات الجدران الصفراء، مع صفٍ من نباتات الصبار على حافة النافذة، وملصقاتٍ ملوّنة صادرة عن الحكومة عليها أرقام الخطوط الساخنة على الجدران، وأثاثٍ مكتبي رخيص على ألواحٍ أرضية قديمة وجميلة.

كانت المكاتب الاستشارية في فيلا ريفية محاذية على الطريق السريع للشاطئ الشمالي الأدنى للمحيط الهادئ. ربما كانت الغرفة التي هي فيها الآن كانت تستخدم كغرفة نوم. لا بد أن شخصًا ما قد نام هنا، ولم يحلم أبدًا أنه في القرن القادم سيتبادل الناس أسرارًا مخزيةً في هذه الغرفة.

عندما استيقظت هذا الصباح كانت سيليست متأكدة من أنها لن تأتي. كانت تنوي الاتصال وإلغاء الموعد حالما تقوم بإيصال الولدين إلى المدرسة، لكنها بعد ذلك وجدت نفسها في السيارة، تضع العنوان على نظام تحديد المواقع العالمي GPS، وتقود سيارتها على طريق شبه الجزيرة المتعرج، وهي تفكر بالطريقة التي يمكنها أن تنسحب فيها خلال الدقائق الخمسة التالية كأن تتصل بهم معتذرةً كون سيارتها قد تعطلت، وستحدد موعدًا في يومٍ آخر.

لكنها استمرت في قيادة سيارتها، كما لو أنها في حلمٍ أو غيبوبةٍ، تفكر بأشياء أُخرى مثل ماذا ستطهو للعشاء، وقبل أنْ تقرر، كانت تدخل في موقف سياراتٍ خلف المنزل، وتراقب امرأة تخرج منه، تدخّن سيجارتها بشراهةٍ وهي تفتح باب سيارةٍ بيضاء قديمة. امرأة ترتدي الجينز وبلوزة قصيرة ووشمٍ يبدو وكأنه إصاباتٍ فظيعة على طول ذراعيها الأبيضان النحيلان.

كانت تتخيل وجه بيري. وجهه الرائع المتعالي. «أنتِ لستِ جادة، أليس كذلك؟ إنها مجرد ...».

مجرد عيادة متواضعة جدًا. نعم، بيري. هي كذلك. عيادة استشارية في الضواحي متخصصة بالعنف المنزلي. تم إدراجها على موقع الويب الخاص بها إلى جانب تخصصها بمعالجة الاكتئاب والقلق واضطرابات الأكل. كان هناك خطآن مطبعيان على الصفحة الرئيسية. لقد اختارتها لأنها كانت بعيدةٌ بما يكفي عن بيريوي كي تكون على ثقة بأنها لن تقابل أي شخصٍ تعرفه. ولم يكن لديها كذلك أية نيةٍ للحضور. لقد أرادت فقط تحديد موعدٍ، لتثبت أنها لم تكن ضحيةً، لتثبت نوعًا من الحضور الخفي بأنها كانت تفعل شيئًا حيال ذلك.

- «سلوكنا يندى له الجبين، بيري». قالت بصوتٍ عالٍ في صمت السيارة، ثم اطفأت المحرك ودخلت.

-«سيليست؟». سألتها الاستشارية حينها.

عرفت الاستشارية اسمها، وستعرف حقيقة حياتها أكثر من أي شخصٍ في العالم باستثناء بيري. وجدت نفسها وكأنّها في أحد تلك الكوابيس عاريةً، وكان عليها أن تحثّ الخطى في مركز تسوقٍ مزدحم، والجميع يحدق في عريّها المخزي والصادم. لم تستطع التراجع لحظتها.

كان عليها أن تتابع للنهاية. فرَوَتْ للاستشارية بعضًا من محطات حياتها. ثم أخبرتها ما جرى بسرعةٍ واقتضاب، وعيناها تشيحان بعيدًا قليلاً عن

الاستشارية، كانت تتظاهر أنها كانت تحافظ على التواصل البصري، لكنها تتحدث بصوتٍ خفيضٍ وحيادي، كما لو كانت تروي للطبيب بعض الأعراض المقززة. لكن كي تكوني بالغة راشدة، وتكوني امرأةً وأمًّا، عليكِ أن تفصحي عن أشياء مزعجة لديك بصوتٍ مرتفع: «لدي إفرازات مهبلية كريهة». «أنا في علاقةٍ عنيفةٍ نوعًا ما». «نوعٌ من ...».

مثل مراهقةٍ تتملص من كلماتها، كي تنأى بنفسها.

- «آسفة، هل سألتِ عن أسلحة؟».

عادت ولفّت ساقًا فوق أُخرى، تحسست نعومة فستانها. لقد اختارت عمدًا فستانًا جميلاً اشتراه لها بيري من باريس. لم تكن قد ارتدته من قبل. كما تبرّجت أيضًا: كريم أساس، وبودرة ومكياج كامل. أرادت أن تُعلي من قدر نفسها، لا أن تتفوق على النساء الأخريات، بالطبع لا، لم تفكر في ذلك مطلقًا، ليس بعد مليون عام. لكن وضعها كان مختلفًا عن تلك المرأة التي صادفتها في موقف السيارات.

لم تكن سيليست بحاجة إلى رقم هاتف للحصول على مأوى. لكنها كانت بحاجة فقط إلى بعض الاستراتيجيات لإصلاح زواجها. كانت بحاجة إلى نصائح. أهمُّ عشر نصائحٍ لمنع زوجي من ضربي. أهم عشر نصائحٍ لأتوقف عن ضربه ورد الصاع صاعين.

- «نعم، أسلحة. هل هناك أية أسلحةٍ في المنزل؟».

بدا وكأن الاستشارية كانت تراجع بعض النقاط المدرجة في قائمة معيارية أمامها. بحقّ الله، فكرت سيليست. أسلحة! هل كانت تعتقد بأن سيليست تعيش في منزلٍ يحتفظ فيه الزوج بسلاحٍ غير مرخص تحت السرير؟

سيليست: «لا وجود لأسلحة في المنزل. لكن لدى التوأم سيفا مبارزةٍ يضيئان (ألعاب)». لاحظت أن صوتها كان يشبه صوت فتاةٍ مهذبةٍ في مدرسةٍ خاصة، حاولت أن توقف تلك النبرة.

لم تكن طالبةً في مدرسةٍ خاصة. لقد كانت متزوجة.

ضحكت الاستشارية بأدبٍ. لاحظت سيليست وجود شيءٍ كُتِبَ على اللوحة أمامها. كان اسمها سوزي، وهذا ما بدا وكأنه يشير لوجود عيبٍ عندها في إطلاق الأحكام الصحيحة. لماذا لم تُطلق على نفسها اسم سوزان؟ بدا اسم سوزي وكأنه اسم راقصة تعرّي.

كانت المشكلة الأُخرى مع سوزي أنها بدت وكأنها في الثانية عشر من عمرها وبطبيعة الحال عندما تكون في الثانية عشر من عمرها، هذا يعني أنها لا تعرف كيف تضع الكحلة المائعة بشكلٍ صحيح.

كانت ملطخةً حول عينيها مما جعل منظرها أشبه بمنظر حيوان الراكون. كيف يمكن لهذه الطفلة أن تقدّم لسيليست النصح بشأن زواجها المعقد والغريب؟ بل يجدر بسيليست أن تعطيها نصائح حول التبرّج والأولاد.

قالت سوزي ببلاهة: «هل يعتدي شريكك على حيوانات العائلة الأليفة أو يؤذيها؟».

- «ماذا؟ لا! حسنًا، ليس لدينا أية حيوانات أليفة، لكنه ليس كذلك!».

شعرت سيليست بموجةٍ من الغضب. لماذا عرّضت نفسها لهذا الإذلال؟ أرادت أن تبكي بشدّة، ما هذا السخف: هذا الفستان من باريس! وزوجي يقود سيارة بورش! نحن لسنا كذلك! قالت: «بيري لم يؤذِ طوال حياته حيوانًا».

- «لكنه آذاكِ». ردّت سوزي.

بدأت سيليست تفكر في سريرتها بغضبٍ: لا، أنتِ لا تعرفين أي شيءٍ عني. تعتقدين أنني مثل تلك المرأة ذات الوشمِ التي كانت منذ برهة وأنا لست كذلك، لست كذلك.

- «نعم»، ردّت سيليست: «كما قلت لك، من حينٍ لآخر، نصبح عنيفين ... جسديًا»، عاد صوتها الرتيب ثانيةً، «لكن كما حاولت أن أوضّح، يجب أن أتحمّل نصيبي من اللوم».

سوزي: «نعم لكن لا أحد يستحق المعاملة السيئة يا سيدة وايت».

مؤكد أنهم يدرّسون هذا البند في كلية الإرشاد النفسي.

سيليست: «نعم. بالطبع، أعرف. لا أعتقد أنني أستحق ذلك. لكنني لست ضحيةً. قمت بردّ الضربة له. ورميت بالأشياء عليه. لِذلك أنا سيئة مثله. أحيانًا أنا من يبدأ. أعني، نحن في علاقةٍ سيئةٍ جدًا. نحن بحاجة إلى تقنياتٍ وآليات للتعامل مع بعضنا، نحتاج إلى استراتيجيات لمساعدتنا... لتجعلنا نتوقف. لهذا السبب أنا هنا».

أومأت سوزي برأسها ببطءٍ. «فهمت. هل تعتقدين أن زوجك يخاف منك يا سيدة وايت؟».

سيليست: «لا، ليس بالمعنى المادي. أعتقد أنه ربما يكون خائفًا من أن أتركه».

- «عندما تجري مثل هذه «الأحداث». هل تشعرين بالخوف؟».

- «حسنًا، لا. حسنًا، نوعًا ما»، استطاعت أن ترى النقطة التي كانت تحاول سوزي إيضاحها، «اسمعي، أعرف مدى عنف بعض الرجال لكن بالنسبة لي ولبيري، ليس الأمر بهذا السوء. إنه أمرٌ سيء! أعلم أنه سيء. أنا لا أتوهّم. لكن، لاحظي أنه لم ينتهِ بي المطاف في المستشفى أو شيءٍ من هذا القبيل أبدًا. لست بحاجةٍ للذهاب إلى ملجأ أو مأوى أو أيًا كان ما نسمّيه. ليس لدي أدنى شك بأنك تقابلين حالاتٍ أسوأ من حالتي بكثير، لكنني بخير. أنا بخيرٍ تمامًا».

- «هل سبق لكِ أن خِفتِ من الموت؟».

أجابت سيليست على الفور: «بالتأكيد لا»، توقفت، «حسنًا، مرةً واحدةً فقط. لأن وجهي كان ... كان وجهي محشورًا في زاوية الأريكة»، تذكرتْ قبضة يده على مؤخرة رأسها. كانت زاوية انحراف وجهها تدلّ أن أنفها كان مضغوطًا في منتصفه، مما أدّى لانسداد منخريها. جهدت بجنونٍ لتخليص نفسها، مثل فراشةٍ عالقة، «لا أعتقد أنه كان يدرك ما يفعله. لكنني اعتقدت للحظةٍ أنني سأختنق».

قالت سوزي دون تفكير: «لا بد أن ذلك كان مخيفًا للغاية».

- «قليلاً»، توقفت، «أتذكر الغبار. كان مغبرًّا كثيرًا».

للحظة اعتقدت سيليست أنها قد تجهش بالبكاء: شهقات كبيرة وقوية. ثمّة صندوق مناديل على الطاولة بينهما موضوعٌ لِذلك الغرض بالذات. ستسيل الماسكارا. وستشبه عيناها عيني الراكون أيضًا، وقد تفكر سوزي حينها: «لا تتصرفين كامرأةٍ من الطبقة الراقية، لا لست كذلك أيتها السيدة؟». تماسكت قليلاً كي لا تنهار، وأشاحت ببصرها بعيدًا عن سوزي. تفحّصت خاتم خطبتها. قالت: «حزمت حقيبتي آنذاك. لكن بعد ذلك ... حسنًا، كان الطفلان لا يزالان صغيرين جدًا. وكنت متعبةً كثيرًا».

سوزي: «كمعدّلٍ وسطي، تحاول معظم ضحايا العنف المنزلي الإفلات من سوء المعاملة ست أو سبع مراتٍ قبل أن يغادرن بشكلٍ نهائي»، أخذت تمضغ نهاية قلمها، «ماذا عن الولدين؟ هل سبق وأن حاول زوجك أن ...».

سيليست: «لا!»، استولى عليها رعبٌ مفاجئ. يا إلهي. كانت تشعر بالجنون لقدومها إلى هنا. ربما تنقل ذلك إلى قسم الخدمات الاجتماعية، فيبعدان الولدين عنهما. فكرت في مشروعي شجرة العائلة اللذين أخذهما الولدين معهما إلى المدرسة اليوم. الخطوط المرسومة بعنايةٍ التي تربط التوأمان مع بعضهما وبها وبيري، ووجهيهما السعيدين المشرقين، «لم يسبق له أن مدّ يده على أيٍ من الولدين أبدًا. أنه أبٌ رائع. لو ظننت يومًا أن الصبيين في خطر لكنت غادرت، لم ولن أعرضهما للخطر أبدًا»، كان صوتها يرتجف، «تلك هي أحد الأسباب التي لم تدفعني للمغادرة، لأنه رائعٌ معهما، ويتحلى بصبرٍ كبير! فهو صبورٌ معهما أكثر مني. إنه يعشقهما!».

بدأت سوزي: «كيف تعتقدين ...»، لكن سيليست قاطعتها. أرادت منها أن تعرف كيف كان شعور بيري تجاه طفليه.

- «لقد واجهنا الكثير من المتاعب في الحمل، أو بعدم حملي، لكنني بقيت أحمل. وكان لدي أربع حالات إجهاض متتاليةٍ. لقد كان الأمر فظيعًا».

شعرت وكأنها خاضت هي وبيري رحلةً استمرّت عامين عبر المحيطات العاصفة والصحاري اللامتناهية. وبعد ذلك وصلا إلى واحةٍ. توأم! حملٌ طبيعي بتوءم! لاحظت التعابير على وجه طبيبة التوليد عندما وجدت نبضات القلب الثاني. توأم. إنه حملٌ شديد الخطورة لامرأةٍ لديها سجلٌ حافل بالإجهاضات المتكررة. كانت طبيبة التوليد تفكر «مستحيل». لكنهما أكملا الأسبوع الثاني والثلاثين.

– «ولد الصبيين خُدَّجَيْن. لِذلك كنا نقضي وقتنا ذهابًا وإيابًا بين المشفى والبيت يوميًا لإطعامهما وفي وقتٍ متأخرٍ من الليل. ولم نصدق اللحظة التي استطعنا فيها أخيرًا إحضارهما للمنزل. وقفنا هناك عند الحاضنة نحدّق بهما، ثم... حسنًا، كانت الأشهر القليلة الأولى بمثابة كابوسٍ فعلي. كانا لا ينامان جيدًا. أخذ بيري إجازة لمدة ثلاثة أشهرٍ. لقد كان أبًا رائعًا. وتجاوزنا المرحلة معًا».

– سوزي: «فهمت».

لكن سيليست أوحت إليها بأنها لم تفهم. لم تدرك بأن سيليست وبيري كانا مرتبطين معًا إلى الأبد من خلال تجاربهما وحبهما لولديهما. كان الانفصال عنه مثل تمزيق لِذلك الجسد.

– «كيف تعتقدين أن ذلك العنف وتلك الإساءة قد تؤثر سلبًا على طفليكما؟».

رغبت سيليست لو أنها تتوقف عن استخدام كلمة «إساءة».

قالت: «لم يؤثّر الأمر عليهما بأي شكلٍ من الأشكال. ولم يكن لديهما أي فكرةٍ عمّا يحدث. أعني، في معظم الأحيان، كنا عائلةً طبيعية محبةً وسعيدةً جدًا. نبقى لأسابيع وحتى لأشهر دون أن يحدث ما هو خارج عن المألوف».

ربما كانت كلمة أشهر فيها مبالغة.

بدأت تشعر برهاب الأماكن المغلقة في هذه الغرفة الصغيرة. لم يكن هناك هواءٌ كافٍ. مررت طرف إصبعها على جبينها فعاد رطبًا. ماذا كانت تتوقع

من هذا؟ لماذا جاءت إلى هنا؟ كانت تعرف أنه ما من إجاباتٍ شافية هنا. ولا استراتيجيات فاعلة. لا نصائح ولا تقنيات بحقّ الله. بيري هو نفسه بيري. لم يكن هناك مخرج سوى المغادرة، ولن تغادر أبدًا طالما الولدين صغيرين. يمكن أن تغادر عندما يصبح الولدان في الجامعة. لقد قررت ذلك مسبقًا.

سألتها سوزي وكأنها كانت تقرأ أفكارها: «ما الذي جعلكِ تأتين إلى هنا اليوم، سيدة وايت؟ تقولين إن هذا الأمر يحدث منذ أن كان ولديك صغيرين. فهل تصاعد العنف مؤخرًا؟».

حاولت سيليست أن تتذكر السبب الذي دفعها لتحديد الموعد. كان يوم كرنفال ألعاب القوى.

كان الأمر يتعلق بالتعبير المضحك الذي ظهر على وجه بيري ذلك الصباح عندما باغته جوش بالسؤال عن العلامة الموجودة على رقبته. ثم عادت إلى المنزل بعد الكرنفال وشعرت بالحسد من عاملي النظافة لأنهما كانا يضحكان. لذا تبرّعت بخمسٍ وعشرين ألف دولار للأعمال الخيرية. «هل شعرتِ بحبّك للبشر وللأعمال الخيريّة حبيبتي؟». قال بيري بسخريةٍ بعد بضعة أسابيع عندما وصلت بطاقة الائتمان، لكنه لم يعلّق أكثر من ذلك.

ردّت على سوزي: «لا، لم يكن يتصاعد، ولست أكيدة من السبب الذي دفعني لتحديد موعد. ذهبت أنا وبيري للاستشارة الزوجية في أحد الأيام، لكنها لم ... حسنًا، لم تجدي نفعًا. وجدنا صعوبة بالالتزام لأنه يسافر من أجل العمل كثيرًا. سيسافر مرّة أُخرى الأسبوع المقبل».

قالت سوزي: «هل تفتقدينه عندما يسافر؟». بدا الأمر وكأنه لم يكن سؤالاً على اللوحة أمامها، بل مجرد شيءٍ أرادت معرفته.

سيليست: «نعم، ولا».

سوزي: «الأمر معقد».

وافقتها سيليست الرأي: «إنه معقد. لكن كل الزيجات معقدة، أليس كذلك؟».

-«نعم»، ردّت سوزي، ثم ابتسمت وقالت، «ولا»، تلاشت ابتسامتها، «هل تعرفين أن هناك امرأة تموت كل أسبوع في أستراليا بسبب العنف المنزلي، يا سيدة وايت؟ كل اسبوع».

سيليست: «لن يقتلني، إنه ليس من ذلك النوع».

- «هل الوضع آمن للعودة إلى منزلك اليوم؟»».

- «بالطبع»، أجابت سيليست، «أنا في أمانٍ تام».

رفعت سوزي حاجبيها.

بدأت سيليست بالشرح: «علاقتنا مثل الأرجوحة، أولاً يكون أحدنا محتدًا، لكن سرعان ما يصبح الآخر كذلك. في كل مرةٍ نتشاجر فيها أنا وبيري، خاصةً إذا تحوّل إلى عراكٍ جسدي، إذا تعرضت للأذى أردّ له الصاع صاعين وأكون أنا الأعنف».

لقد تحمّست لموضوعها. كان من المخزي مشاركة مثل هذه التفاصيل مع سوزي، لكن كان مصدر ارتياح كبير بأن تخبر شخصًا آخر بها، لتعرف كيف تسير الأمور، لتكون قادرًا على البوح بالأسرار بصوتٍ عالٍ. «كلما آلمني وآذاني أكثر، كلما صعّدتُ أكثر وكلما زاد إصراري على البقاء هناك. ثم تمضي الأسابيع، وأشعر بالأمور تتغيّر. يتوقف عن الشعور بالذنب والأسف. ولأن جلدي يصطبغ بسهولة ... حسنًا، تختفي الكدمات. تبدأ بعض الأشياء الصغيرةٍ التي أقوم بها بإزعاجه. يصبح حاد الطبع وسريع الانفعال. أحاول تهدئته. أحاول أن أكون حذرة وأن أسير كما يُقال على قشور البيض لتجنب التوتر، ولكن في نفس الوقت أشعر بالغضب لأنني مضطرة لحساب خطواتي، لِذلك أتوقف أحيانًا عن التصرّف بحذر. فأدوس على تلك القشور بقوةٍ. وأتعمد إثارته لأنني غاضبةٌ منه، ومن نفسي، لأنه عليّ أن أكون حذرةً. ثم يتكرر الأمر مرةً أُخرى».

سوزي: «لِذلك أصبحت لديكِ الشجاعة والقوة الآن، لأنه آذاك مؤخرًا».

ردت سيليست: «نعم، يمكنني فعل أي شيءٍ في الوقت الحالي لأنه ما زال مستاءً حيال ما حدث آخر مرة. مع قطع الليغو. لِذلك حتى الآن كل شيء

رائع. بل وأكثر من رائع. هذه هي المشكلة. أن الأمور جيدة جدًا حتى الآن تقريبًا ...». توقفت.

أنهت سوزي: «الأمر يستحق. يكاد الأمر يستحق ذلك».

التقت عيناها بعيني سوزي الشبيهة بعيني الراكون. «نعم».

لم تَقُل نظرة سوزي البلهاء أي شيءٍ على الإطلاق سوى: فهمت. لم تكن لطيفةً وعطوفة، ولم تكن تُظهر حنانها، ولم تعربد بتفوقها. كانت تقوم بعملها فقط. كانت مثل أي سيدةٍ نشيطة ذات كفاءة عالية في البنك أو شركة الهاتف التي تريد أداء عملها فقط وحل هذه المشكلة المعقدة التي تعترض طريقك.

جلستا صامتتين لبرهة. وخارج المكتب، استطاعت سيليست أن تسمع همهمة وأصوات، ورنين هاتفٍ، وأصوات بعيدة لحركة المرور في الشارع. طغى عليها شعورٌ بالأمان. برد العرق على وجهها. منذ خمس سنواتٍ، منذ أن بدأت القصة، كانت تعيش حياتها مع هذا العار السرّي الثقيل الذي يُثقل كاهلها، ومنذ لحظةٍ فقط انزاح عن صدرها وتذكرت ما كانت عليه. لا تزال لا تمتلك حلاً، ولا مخرج، لكنها المرة الأولى التي تجلس فيها أمام شخصٍ يفهمها.

قالت سوزي: «سيضربك مجددًا». ذلك أضعف مهنيّتها مرةً أُخرى. بلا رحمة. وبلا تقدير. لم يكن ذلك مجرد طرح. كانت تذكر حقيقةً لدفع الحديث خطوةً نحو الأمام.

سيليست: «نعم. سيحدث ذلك مرةً أُخرى. سيضربني. وسأضربه».

ستمطر مجددًا. وسأمرض ثانيةً. وسأعيش أيامًا سيئةٌ. لكن ألا يمكنني الاستمتاع بالأوقات الرائعة وسط كل ما يحدث؟

ولكن لماذا أنا هنا أصلاً؟

سوزي: «لِذلك ما أود الحديث عنه هو الخروج بخطةٍ».

ثم قلبت ورقةً من حافظة الأوراق التي أمامها.

سيليست: «خطة؟».

سوزي: «خطة. خطةً للمرة القادمة».

الفصل الرابع والثلاثون

قالت مادلين لإد عندما استلقيا في السرير: «هل سبق أن رغبت بتجربة ذلك، ماذا يُدعى، أوه نعم، اختناق الشبق الذاتي؟».

كان معه كتابه. وكان معها جهاز iPad الخاص بها.

كانت الليلة التي تلت أخذها الورق المقوى لجين. كانت تفكر بقصة جين طوال اليوم.

- «بالتأكيد. أنا مستعدٌ لِذلك. دعينا نجرّب». خلع إد نظارته ووضع كتابه جانبًا، والتفت إليها بحماسةٍ.

مادلين: «ماذا؟ لا! هل تمزح؟ على أي حال، لا أريد ممارسة الجنس. لقد تناولت الكثير من الأرز على العشاء».

- «حسنًا. بالطبع. هذا سخفٌ مني». وضع إد نظارته مرةً أُخرى.

- «كثيرٌ من الأشخاص يقتلون أنفسهم عن طريق الخطأ! هناك ضحايا باستمرار! إنها ممارسة خطيرة للغاية يا إد».

نظر إد إليها من فوق نظارته.

قالت مادلين: «لا أصدق أنك تريد أن تخنقني».

هزّ رأسه: «كنت أحاول فقط إظهار استعدادي للتجاوب معك»، نظر إلى جهاز الـ iPad الخاص بها، «هل تبحثين عن طرقٍ لإضفاء الإثارة على حياتنا الجنسية أو شيءٌ من هذا القبيل؟».

قالت مادلين بانفعالٍ زائد: «أوه، يا إلهي، بالتأكيد لا».

أطلق إد نفسًا عميقًا.

كانت تقرأ في موسوعة الويكيبيديا عن اختناق الشبق الذاتي بغرض الإثارة الجنسية ما يلي: (من المعروف أنه عندما تنضغط الشرايين على جانبي الرقبة، يحدث فقدانٌ مفاجئٌ للأوكسجين الذاهب إلى الدماغ، الأمر الذي يؤدي إلى دخول المرء في حالةٍ تشبه الهلوسة).

تمعّنت بالفكرة: «لقد لاحظت أنه كلما أصبتُ بنزلة بردٍ، غالبًا ما أشعر بميل لممارسة الجنس. قد يكون هذا هو السبب».

قال إد: «مادلين، لم تكوني أبدًا شهوانيةً للجنس عندما تصابين بنزلة بردٍ».

مادلين: «حقًا، ربما نسيت أن أنوّه إلى ذلك».

- «نعم، ربما نسيتِ ذلك»، عاد إلى قراءة كتابه مرةً أُخرى، «كان لديّ صديقةً تطلب الجنس عندما تُصاب بنزلة بردٍ».

- «حقًا؟ أي واحدة؟».

- «حسنًا ربما لم تكن صديقةً من الناحية النظرية. لقد كانت أشبه بفتاةٍ عشوائيةٍ».

- «وهذه الفتاة العشوائية أرادتك أن ...». وضعت مادلين يديها حول حلقها، وأخرجت لسانها من أحد جانبي فمها وأصدرت أصواتًا أشبه بصوت الاختناق.

إد: «اللعنة، تبدين مثيرةً عندما تفعلين ذلك».

- «شكرًا»، أنزلت مادلين يديها، «وهل فعلت هذا؟».

إد: «نوعًا ما وعلى مضض»، خلع نظارته وابتسم ابتسامة عريضة وهو يتذكر: «كنت مخمورًا بعض الشيء. كنت أواجه مشكلةً في اتباع التعليمات. أتذكر أنها أصيبت بخيبة أملٍ مني، وأنا أعلم أنكِ ربما تجدين أنه من المستحيل فهمها، لكنني لم أشعر دائمًا بالإثارة والمتعة ...».

- «نعم، نعم». أشارت له مادلين كي يتوقف وعادت لتنظر إلى جهاز الـ iPad.

- «لكن لماذا هذا الاهتمام المفاجئ باختناق الشبق الذاتي؟».

أخبرته قصة جين ولاحظت اضطراب العضلات الصغيرة حول فكّيه ووميض عينيه الضيقتين، مثلما بدا عندما سمع قصة الطفلة التي تأذّت.

- «وغد». قال عندما انتهت.

مادلين: «أعرف، وقد أفلت من العقاب».

هز إد رأسه. قال وهو يتنهد: «ساذجة، فتاةٌ ساذجة. هذا النوع من الرجال يفترس فقط ...».

- «لا تدعوها بالفتاة الساذجة!»، نهضت مادلين بسرعةٍ، فانزلق الـ iPad عن ساقيها، «يبدو وكأنك تلقي باللوم عليها!».

رفع إد يده وكأنه يحاول درء شيءٍ ما: «بالطبع لا. أنا قصدت فقط ...».

صرخت مادلين: «ماذا لو حدث ذلك مع أبيغيل أو كلوي؟».

إد: «في الواقع كنت أفكر بأبيغيل وكلوي».

- «حينها ستلقي باللائمة عليهما، أليس كذلك؟ هل ستقول أنهما فتاتان ساذجتان، لقد نالتا ما تستحقان؟».

قال إد بهدوءٍ: «مادلين».

كانت نقاشاتهما تسير دومًا على هذا النحو. كلما ازدادت مادلين غضبًا، كلما أصبح إد أكثر هدوء بشكلٍ غريب، حتى يصل إلى نقطةٍ يبدو فيها كمفاوضٍ رهائن يتعامل مع قنبلةٍ موقوتةٍ بين يديه. كان ذلك يثير الحنق.

«أنتَ تلوم الضحية!» كانت تفكر بجين التي تجلس في شقتها الصغيرة والباردة والمعدمة، وبالتعابير التي ظهرت على وجهها عندما كانت تروي قصتها الحزينة والبائسة، والعار الذي يبدو واضحًا أنها لا زالت تشعر به طوال هذه السنين.

لقد قالت جين لحظتها: «عليّ أن أتحمل المسؤولية. ليس هذا بالأمر الجلل»، فكرت بالصورة التي أرتها إياها جين، وبأساريرها المنفرجة، وبفستانها الأحمر. كانت ترتدي جين في السابق ألوانًا زاهية! كانت تُظهر الشقّ بين نهديها! بينما تستر جسدها النحيل الآن بخجلٍ وتواضعٍ، وكأنها أرادت أن تختفي، وكأنها تحاول أن تكون غير مرئيةٍ، كي لا تجعل من نفسها شيءٌ يُذكر. هذا ما فعله ذلك الرجل بها، «كل شيءٍ على ما يرام، رائع بأن تنام مع نساءٍ لا على التعيين لكن عندما تفعل المرأة ذلك، تجدونه سخيفًا ومذلاً. تلك هي ازدواجية المعايير!».

قال إد: «مادلين، لم أكن ألومها».

كان ما يزال يتكلم بنبرةٍ تقول (أنا أتحدث برويَّة وهدوء البالغ وأنتِ تتصرفين كالمجنونة) لكنها استطاعت أن تلحظ شرارة الغضب في عينيه.

- «بل كنت تفعل! لا أصدق أنك تقول ذلك!»، خرجت تلك الكلمات منها، «أنت مثل أولئك الأشخاص الذين يقولون: (أوه، ماذا كانت تتوقعْ هي أن يحصل؟) كانت تشرب في الساعة الواحدة صباحًا لِذلك كانت تستحق أن يغتصبها فريق كرة قدمٍ بأكمله!».

- «أنا لست كذلك! ولا أفكّر بتلك الطريقة!».

- «بل أنت كذلك!».

تغيّر شيءٌ ما في وجه إد. احمرّ وجهه، وعلا صوته، وقال: «دعيني أقول لك شيئًا يا مادلين. إذا خرجت ابنتي يومًا مع وغدٍ تافهٍ كانت قد قابلته للتو في بار فندقٍ فأنا احتفظ بالحق في نعتها بالساذجة والحمقاء!».

كان من الغباء أن يتشاجرا من أجل ذلك. كانت في قرارة نفسها تعرف ذلك. وتعرف أن إد لم يكن يُلقي باللوم على جين في واقع الأمر. وكانت تعرف في الواقع أن زوجها كان أفضل وألطف منها، ومع ذلك لم تستطع أن تسامحه على تعليقه «فتاةٌ ساذجة». لقد اعتبرته نوعًا ما خطأً فادحًا. ولكونها امرأة، اضطرت مادلين أن تغضب من إد نيابةً عن جين، وعن كل «فتاةٍ ساذجة»، وعن نفسها أيضًا، لأنه في النهاية قد يحدث ذلك معها، حتى أنها شعرت أن كلمةً ناعمةً مثل «ساذجة» كانت بمثابة صفعةٍ لها.

- «لا يمكنني البقاء معكَ في نفس الغرفة الآن». قفزت من السرير، وأخذت معها الـ iPad.

إد: «تصرّفي بطريقة سخيفة إذًا». وضع نظارته على عينيه مرةً أُخرى. كان مستاءً، لكن مادلين كانت تعرف أنه سيقرأ في كتابه لعشرين دقيقة ثم يطفأ المصباح وينام على الفور.

أغلقت مادلين الباب وراءها بإحكام قدر استطاعتها (كانت تفضل إغلاقه بعنفٍ لكنها لم ترغب أن يستيقظ الأولاد)، ونزلت الدرج في الظلام.

- «لا تؤذي كاحلكِ على الدرج!». نادى إد من وراء الباب.

فكرت مادلين: (لا بد أنه تجاوز الأمر). صنعت لنفسها كوبًا من شاي البابونج واستلقت على الأريكة. كانت تكره شاي البابونج لكن يُفترض أنّه شرابٌ مُهدئ ومُرخيّ للأعصاب أو أيًا كان، لِذلك كانت تحاول دائمًا إجبار نفسها على شربه. كانت بوني تشرب شاي الأعشاب فقط، حسب ما قالته أبيغيل، وكان ناثان هذه الأيام يتجنب تناول الكافيين أيضًا.

كان هذا بسبب وجود الأطفال والانفصال الزوجي. تحصلين على كل هذه المعلومات عن زوجك السابق والتي لولا ذلك ما كنت تعرفينها من قبل. فهي تعرف، على سبيل المثال، بأن ناثان كان يدعو بوني ب«مدللته بون». ذكرت أبيغيل هذا في المطبخ ذات يوم. إد، الذي كان يقف خلفها، وضع إصبعه في حلقه بصمتٍ (وكأنه كان يريد أن يتقيّأ)، مما جعل مادلين تضحك، لكن مع ذلك، تابعت عملها وكأنها لم تسمع ذلك. (كان ناثان دائمًا يحبّ أن يستخدم الجناس عندما يتكلم، فقد اعتاد أن يدعوها ب»ماد مادي»؛ هذا ليس رومانسيًا كثيرًا). لماذا شعرت أبيغيل بضرورة إشراك والدتها بمثل هذه الأشياء؟ اعتقد إد أنه كان أمرًا متعمّدًا، وأنها كانت تحاول مضايقة مادلين، لإيذائها عمدًا، لكن مادلين لم تصدّق أن أبيغيل كانت خبيثةً.

كان إد يرى ما هو سيء لدى أبيغيل هذه الأيام.

هذا هو السبب وراء غضبها المفاجئ منه في غرفة النوم. لم يكن للأمر أي علاقةٍ بتعليقه بعبارة «فتاة سخيفة». بل لأنها كانت لا تزال غاضبةً من إد بسبب

انتقال أبيغيل للعيش مع ناثان وبوني. كلما مر الوقت كلما تبين أكثر أنه كان خطأ إد. ربما كانت أبيغيل مترددة في اتخاذ قرارها، كانت تراودها الفكرة بين الحين والآخر لكنها لم تكن تفكر بها جديًا، وكان تعليق إد «هدّئي من روعك» هو الدفع الذي كانت تحتاجه. وإلا كانت ستبقى هنا. ربما كانت مجرد مرحلة عابرة. يفعل المراهقون ذلك عادةً. تتقلب أمزجتهم كثيرًا.

في الآونة الأخيرة، كان يضجّ ذهن مادلين بذكريات الأيام الخوالي التي كانت فيها هي وأبيغيل فقط حتى أنها تشعر أحيانًا بشعورٍ غريب تجاه إد وفريد وكلوي وكأنهما متطفلين. من هما هذين المخلوقين الغريبين الذين جاءا من غامض علمه؟ كأنهما أقحما نفسيهما في حياة مادلين وأبيغيل بكل صخبهما ومتاعهما، وألعاب حاسوبهما الصاخبة وشجارهما اللطيف تارةً والعنيف تارةً أُخرى، كأنهما دفعوا بأبيغيل المسكينة بعيدًا عنها.

ضحكت من فكرة كم سيكون فريد وكلوي غاضبين إذا عرفا أنها تجرأت على التشكيك في وجودهما، وخاصةً كلوي. لطالما كانت تسأل عندما كانت تنظر إلى الصور القديمة لمادلين وأبيغيل. «لكن أين كنت أنا؟ وأين كان أبي؟ وأين كان فريد؟»‌.

ترّد عليها مادلين: «كنت في أحلامي»، وكان هذا صحيحًا. لكنهم لم يكونوا في أحلام أبيغيل.

رشفت شايها وشعرت أن الغضب بدأ يترك جسدها رويدًا رويدًا. لا علاقة لِذلك الشاي الغبي بذلك.

حقًا كان ذلك خطأ هذا الرجل. السيد بانكس. ساكسون بانكس. اسمًا غير عادي.

وضعت أطراف أصابعها على سطح الـ iPad الناعم والبارد. كانت جين قد رَجتها: «لا تبحثي عنه في غوغل»، وقد وعدتها مادلين بألاّ تفعل، وبالتالي سيكون ذلك خطأً فادحًا لكن الرغبة برؤية ذلك الوغد كانت لا تقاوم.

شعرت وكأنها تقرأ قصةً بوليسية، كانت ترغب دائمًا برؤية الجاني، لتتفحص وجهه بحثًا عن علائم الشر. (واستطاعت دومًا العثور عليها). كان ذلك سهلاً للغاية، فقط بضع نقراتٍ على المفاتيح في ذلك المستطيل الصغير، وكأن أصابعها كانت تفعل ذلك دون إذنها، وبينما كانت تفكر فيما إذا كانت ستُخِلُّ بوعدها أم لا، ظهرت نتائج البحث على الشاشة أمامها، كما لو كان غوغل امتدادًا لتفكيرها، وكان عليها فقط التفكير بالأمر حتى يحدث.

كانت ستلقي نظرةً سريعةً جدًا، وتتصفحه بعينيها، ثم تغلق الصفحة وتحذف جميع الإشارات التي تشير إلى ساكسون بانكس من سجلّ بحثها الخاص. لن تعرف جين أبدًا. ولم يكن بوسع مادلين أن تفعل أي شيء حياله. لم تكن تخطط لعملية انتقامٍ مقنعة ومدروسة. (رغم أن جزءً من تفكيرها قد انزلق في ذلك بالفعل واستمرّ في السير بذلك الاتجاه: نوعٌ من الاحتيال؟ لسرقة أمواله؟ لإذلاله أو تشويه سمعته علنًا؟ لا بد من وجود طريقةٍ ما).

نقرت نقرًا مزدوجًا، فملأت إحدى الصور الشخصية الاحترافية (لقطة للوجه) الشاشة. متعهد عقاراتٍ يُدعى ساكسون بانكس وقد أسس شركته في ملبورن. هل كان هو؟ رجل قوي ووسيمٌ يبتسم ابتسامةً متكلّفة ويبدو معتدًا بنفسه، وبدت عيناه تنظران بشكلٍ مباشر إلى مادلين بطريقةٍ عدائية وكأنه على وشك القتال. قالت مادلين بصوتٍ عالٍ: «أيها الوغد. تعتقد بأنك تستطيع أن تفعل ما تريد ومع من كان ثم تنجو بفعلتك، أليس كذلك؟».

ماذا كانت ستفعل لو كانت في مكان جين؟ لم تستطع أن تتخيل نفسها تتصرف مثلما تصرفت جين. كانت مادلين ستصفعه. وما كانت لتتراجع بسبب عبارته «بدينة وقبيحة» لأن ثقتها بنفسها بشأن مظهرها كانت كبيرة جدًا، حتى عندما كانت في التاسعة عشرة، وخصوصًا عندما بلغت التاسعة عشرة. كان عليها أن تقرر كيف تبدو. ربما اختار هذا الرجل فتياتٍ عرف

أنهنّ سيكنّ ضعيفاتٍ أمام إهاناته. أم هل كان هذا النوع من التفكير شكلاً آخر من لوم الضحية؟ لم يكن هذا ليحدث لي لأنني كنت سأخوض قتالاً معه. ما كنت لأتحمل ذلك. وما كان ليحطم ثقتي بنفسي. كانت جين ضعيفةً جدًا آنذاك، فتاةٌ ساذجة وعارية في سريره.

وجدت مادلين نفسها تقول «فتاةٌ ساذجة». لقد فكرت بنفس الطريقة التي فكرّ بها إد. ستعتذر منه في الصباح. حسنًا، ربما لن تعتذر بصوتٍ عالٍ، لكن قد تسلق له بيضةً، وستصله الرسالة.

تفحّصت الصورة مرةً أُخرى. لم تستطع أن تجد شبهًا بينه وبين زيغي. أو، ربما استطاعت بالفعل؟ ربما قليلاً حول عينيه. قرأت السيرة الذاتية المختصرة بجانب الصورة. بكالوريوس في كذا، وماجستير في ذاك، وعضو في معهد كذا، أوه، رباه. في وقت الفراغ يمارس ساكسون الإبحار وتسلق الصخور وقضاء الوقت مع زوجته وبناته الثلاث.

جفلت مادلين. كان لدى زيغي ثلاث أخواتٍ غير شقيقات. عرفت مادلين ذلك الآن. لقد عرفت شيئًا لا يجب عليها أن تعرفه ولا تستطيع تجاهله. عرفت شيئًا عن ابن جين لا تعرفه جين نفسها. لم تُخلّ بوعدها فقط، بل انتهكت خصوصية جين. لقد كانت متلصصةً صغيرة مبتذلة تبحث في الإنترنت عن صورٍ لوالد زيغي. لقد شعرت بالغضب مما حدث لجين ولكن شيئًا بداخلها استمتع بالقصة، أليس كذلك؟ ألم تكن قد استمتعت بشعور الغضب من قصة جين الجنسية القصيرة والحزينة؟ جاء تعاطفها من موقع الشخص المتفوق والمرتاح والذي يعيش حياةً رتيبة في أسرةٍ من الطبقة الوسطى: زوجٌ ومنزل ورهنٌ عقاري. تشبه مادلين في موقفها الآن بعضًا من أصدقاء والدتها الذين تعاطفوا معها كثيرًا عندما تركها ناثان هي وأبيغيل. لقد كانوا حزانى وغاضبين من أجلها، ولكن بهذه الطّريقة الرّهيبة التي تركت مادلين تشعر بأنها هشة وضعيفة، حتى عندما كانت تقدر بصدق أواني الطبخ المقاومة للحرارة التي وضعت على طاولة مطبخها بهدوء.

حدقت مادلين في عيني ساكسون الذي بدا وكأنه يحدّق بها أيضًا بعينين عارفتين، وكأنه يعرف كل شيءٍ حقير يجب معرفته عنها. غمرتها موجةٌ من الاشمئزاز، تاركةً إياها تشعر بالصدمة والرعشة.

انطلقت صرخةٌ حادةٌ مثل السيف قطعت صمت البيت النائم: «ماما، ماما، ماما، ماما!».

قفزت مادلين على قدميها، وقلبها يدق، مع أنها كانت تعرف تمامًا أن كلوي كانت تعاني من أحد كوابيسها.

- «قادمةٌ، أنا قادمةٌ!». كانت تنادي وهي تركض في الرواق. يمكنها إصلاح الأمر. يمكنها إصلاح الأمر بسهولةٍ، وقد شكّل ذلك مصدر ارتياحٍ لها، لأن أبيغيل لم تعد تريدها أو تحتاجها بعد الآن، وهناك أناس أشرار في هذا العالم من أمثال ساكسون بانكس ينتظرون إيذاء أطفال مادلين، بطرقٍ كبيرةٍ وصغيرة، ولم يكن هناك شيءٌ لعين يمكنها فعله حيال ذلك، ولكن على الأقل يمكنها سحب ذلك الوحش من تحت سرير كلوي وقتله بيديها العاريتين.

الفصل الخامس والثلاثون

الآنسة بارنز: بعد تلك الدراما الصغيرة في يوم الطلاب الجدد كنت أجهز نفسي لسنةٍ قاسيةٍ، لكن يبدو أن البداية كانت قويةً. لقد كانوا مجموعةُ أطفالٍ رائعين ولم يكن الآباء مزعجين أيضًا. لكن في منتصف الفصل الأول، تداعى كل شيء.

مكتبة
t.me/t_pdf

قبل أسبوعين من عشية المسابقة

- «قهوة وفطيرة».

أزاحت جين عينيها عن جهازها المحمول ونظرت للأعلى ثم للأسفل مرةً أُخرى إلى الصحن الموجود أمامها. كان البخار يتصاعد من الفطيرة المكتنزة ذات الرائحة الشهية والمغطاة بسكّرٍ ناعم. كان هناك خربشةٌ بارعةٌ من الكريمة المخفوقة على الصحن بجوار الفطيرة.

- «أوه، شكرًا، توم، لكنني لم أطلب ...».

توم: «أعرف. الفطائر صناعة منزلية. سمعت من مادلين أنك خبازة. لِذلك أردت أن آخذ رأيك وأستعين بخبرتك بهذه الوصفة الجديدة التي أجربها. الخوخ وجوز المكاديميا الأسترالية والليمون الحامض. أشياء مجنونة. أعني الليمون».

جين: «أنا أخبز الفطائر فقط لكني لا آكلها أبدًا».

- «حقًا؟». فتر وجه توم قليلاً.

قالت جين على عجل: «لكنني سأفعل ذلك استثنائيًا اليوم».

كان الطقس باردًا هذا الأسبوع، وكأنه بروفة صغيرة لحلول الشتاء، كانت شقة جين شديدة البرودة. وجعلها ذلك الجزء الفضي الصغير للمحيط الذي تراه من نافذة شقتها تشعر بالبرد أكثر. كما لو أن ذكرى فصول الصيف قد ولت إلى الأبد، وكأنها تعيش في عالمٍ رماديٍ كئيب ورهيب للغاية.

تقدّمت مادلين باقتراح: «يا إلهي، جين، هذا مشهدٌ دراماتيكي نوعًا ما. لماذا لا تأخذين جهازك المحمول وتجلسين على طاولةٍ في مقهى بلو بلوز؟». لِذلك بدأت جين بالذهاب إلى هناك كل يومٍ مع حاسوبها وملفاتها.

كان المقهى مشمسًا ويفيض بالضوء، وكان لدى توم موقدٌ يعمل بالحطب. كانت جين تشعر ببعض السرور كلما دخلت من الباب كما لو أنها صعدت في طائرةٍ وطارت إلى أرضٍ بها فصلٌ مختلف تمامًا عمّا كان في شقتها الرطبة والبائسة. كانت تبذل جهدًا كي تكون هناك فقط بين فترة الذروة الصباحية وذروة الظهيرة لِذلك لم تأخذ طاولة مدفوعة، وبالطبع كانت تطلب غداءً بسيطًا وبعض القهوة خلال النهار.

بدأ النادل توم يظهر كزميلٍ لها، ويقاسمها الطاولة. كان جيدًا لتبادل الأحاديث معه. لقد أحبّا نفس البرامج التلفزيونية ونفس الموسيقى تقريبًا. (الموسيقى! لقد نسيت وجود شيء اسمه موسيقى، كما نسيت وجود الكتب).

ابتسم توم: «أنا أتصرف كما تتصرف جدتي، أليس كذلك؟ إطعام الجميع بالقوة. فقط جربي لقمةً واحدةً. لا تأكليها كلها كي تكوني مهذبةً». راقبته جين وهو يذهب، ثم أشاحت ببصرها عنه عندما أدركت أنها كانت تستمتع بالنظر إلى منكبيه العريضين المحشورين في قميصه الأسود الرسمي. علمت من مادلين بأن توم كان مثليًا، وهو في مرحلة التعافي من علاقةٍ فطرت له قلبه

وحطّمت فؤاده. لقد كانت فكرة مبتذلة لكنها بدت صحيحة غالبًا: يتمتّع الرجال المثليّين بأجسادٍ قويةٍ بالفعل.

شيءٌ ما كان يحدث خلال الأسابيع القليلة الماضية، منذ أن قرأت المشهد الجنسي في الحمّام. بدا وكأن جسدها الصدئ والمهجور، قد بدأ ينتعش من تلقاء نفسه، وبدأت تدب فيه الحياة. وعلى حين غرة لاحظت أنها كانت تختلس النظر إلى الرجال عن غير قصد، وإلى النساء أيضًا، ولكن بشكلٍ رئيسي للرجال، ليس بطريقةٍ جنسيةٍ محضة، بل بطريقةٍ حسيةٍ وتقديرية وجمالية.

لم يكن يلفت انتباهها من يتمتع بجمالٍ خارق من أمثال سيليست، بل الأشخاص العاديين وجمال الأجساد المألوف. ساعدٌ أسمر موشوم بوشمٍ للشمس لرجلٍ يقف خلف طاولة المحاسبة في محطة الخدمة. والجزء الخلفي لعنق رجلٍ طاعنٍ في السن يقف في طابور السوبرماركت. عضلات ربلة الساق وعظام الترقوة، وكانت تلك هي الأشياء الأغرب. تذكرت والدها الذي خضع منذ سنواتٍ لعمليةٍ جراحيةٍ في جيوبه الأنفية والتي أعادت له حاسة الشم التي لم يكن يدرك أنه فقدها. كانت أبسط الروائح تدخله في نشوةٍ وغبطة. ظلّ يشمّ عنق والدة جين وهو يقول حالمًا: «لقد كنت قد نسيت رائحة والدتك!! ولم أكن أعرف أنني نسيتها!».

لم يكن الأمر متعلق بما قرأته في ذلك الكتاب فقط. بل بما روته لمادلين عن ساكسون بانكس وعن تكرار تلك الكلمات القليلة الغبية التي قالها. كان من الأفضل إبقاءها طي الكتمان للاحتفاظ بمفعولها. لكنها بدأت الآن تفرغ من محتواها، مثلما تفرغ قلعة القفز المنفوخة التي يلعب عليها الأطفال من الهواء وتترهل.

كان ساكسون بانكس شخصًا شريرًا. كان هناك أناسٌ سيئون في هذا العالم. كان كل طفلٍ يعرف ذلك أيضًا. وقد علّمك والدكِ الابتعاد عنهم. تجاهليهم وابتعدي عنهم. قولي لهم بصوتٍ عالٍ وحازم: «لا. أنا لا أحب ذلك»، وإذا استمروا في فعل ذلك، عليك بإخبار المعلمة.

حتى إهانات ساكسون كانت إهاناتٍ متكررة في باحة المدرسة. رائحتكِ كريهةً. أنتِ قبيحةً.

كانت تعرف دائمًا بأن ردة فعلها على تلك الليلة كانت كبيرةً جدًا، أو ربما صغيرةً جدًا. لم تبكِ قط. ولم تخبر أحدًا بما جرى. لقد تجرّعتها كلّها وتظاهرت بأنها لا تعني لها شيئًا، مع أنها قد أصبحت تعني لها كل شيءٍ.

يبدو وكأنها تريد الاستمرار في الحديث عنه في الوقت الحالي. قبل بضعة أيام، عندما كانت مع سيليست في مشوارهما الصباحي، أخبرتها بقصةٍ مختصرةٍ عما أخبرت به مادلين. لم تُعلّق سيليست كثيرًا على الموضوع سوى أنها كانت آسفةٌ وأن مادلين كانت على حق تمامًا وأن زيغي لا يشبه والده. في اليوم التالي، أهدت سيليست جين قلادةً في علبةٍ مخمليةٍ حمراء. كان سلسلةً فضيةً جميلةً مرصّعة بحجرٍ كريمٍ أزرق. قالت سيليست بطريقتها المختلفة: «يدعى هذا الحجر الكريم اللازورد، ومن المفترض أنه حجرٌ كريمٌ (يشفي من الجروح العاطفية). أنا لا أصدق هذه الترهات ... لكن على كل حال، إنها قلادة جميلة».

وضعت جين يدها على القلادة.

أصدقاء جدد؟ أهذا هو المطلوب؟ أم هواء البحر؟

ربما كانت التمارين المنتظمة مفيدة أيضًا. كانت هي وسيليست على حدٍ سواء تزدادان لياقةً. كانتا سعيدتان للغاية عندما لاحظتا أنه لم يكن عليهما التوقف والتقاط أنفاسهما عندما وصلتا أعلى الدرج قرب المقبرة.

نعم، ربما كان بسبب التمارين.

كل ما كانت تحتاجه طوال هذا الوقت هو المشي السريع في الهواء الطلق وحجر كريم للشفاء. وضعت شوكتها في الفطيرة وأخذت لقمةً. كان المشي مع سيليست يعيد شهيّتها لها أيضًا. وإن لم تحترس ستعود سمينةً مرةً أُخرى. أغلق بلعومها تلقائيًا فأعادت الشوكة إلى مكانها. إذًا لم تتعافى تمامًا. لا تزال تتوجس خيفةً من الطعام.

لكن لا يجب أن تُغضب توم اللطيف. التقطت شوكتها وأخذت أصغر لقمةٍ ممكنةٍ. كانت الفطيرة خفيفةً ورقيقةً وتمكنت من تذوق كل المكونات

التي ذكرها توم فيها: مكسرات المكاديميا والخوخ والليمون. أغمضت عينيها وشعرت بكل شيءٍ: دفء المقهى وطعم الفطيرة ورائحة القهوة المألوفة والكتب المستعملة.

أخذت لقمةً أكبر وكشطت بعض الكريما.

- «أهي جيدة؟». انحنى توم فوق الطاولة قريبًا منها، وأخذ ينظف الطاولة بمنديلٍ أخرجه من جيبه.

رفعت جين يدها للإشارة إلى أن فمها كان ممتلئًا. أخذ توم كتابًا عن الطاولة كان قد تركه أحد الزبائن ووضعه على أحد الرفوف العليا. انحسر قميصه الأسود عن بنطال الجينز وظهر الجزء الأسفل من ظهره. مجرّد ظهرٍ عادي تمامًا. لا شيء مميّز فيه. كانت بشرته في الخريف بلون القهوة بالحليب الخفيفة. وخلال الصيف كان لون جلده بلون الشوكولا الساخنة.

قالت: «إنها رائعة».

- «امم؟». التفت توم. لم يكن في المقهى سواهما الآن.

وجّهت جين شوكتها نحو الفطيرة: «إنها مذهلة. يجب أن تتقاضى عليها علاوة». رنّ هاتفها المحمول: «عفوًا».

كان الاسم الذي ظهر على الشاشة «المدرسة». لقد اتصلت بها المدرسة مرةً واحدةً قبل ذلك عندما كان زيغي يعاني من التهاب بلعوم.

- «السيدة تشابمان؟ معكِ باتريشيا ليبمان».

إنها مديرة المدرسة. انقبضت معدة جين: «سيدة ليبمان؟ هل كل شيءٍ على ما يرام؟». كانت تكره النغمة الجبانة بصوتها. كانت مادلين تتحدث إلى السيدة ليبمان بتعاطفٍ فيه نوعٌ من التعالي كما لو كانت كبيرة الخدم في العائلة.

- «نعم، كل شيءٍ على ما يرام، لكنني أرغب بترتيب موعدٍ معك لمسألةٍ مستعجلةٍ إن أمكن؟ الأفضل اليوم. هل يناسبك حوالي الساعة 2 بعد الظهر، قبل انصراف الأولاد تمامًا؟».

- «بالتأكيد. هل كل شيء ...».

- «حسنًا، اتفقنا. بانتظار لقائكِ في ذلك الوقت».

أنزلت جين هاتفها: «السيدة ليبمان تريد اللقاء معي».

يعرف توم معظم الأطفال وأولياء الأمور والمعلمين في المدرسة. لقد نشأ في المنطقة والتحق بهذه المدرسة بنفسه عندما كانت السيدة ليبمان معلّمة متواضعة للصف الثالث.

قال: «أنا متأكدٌ أنه ليس هناك ما يدعو للقلق. زيغي ولدٌ جيد. ربما أنها تريد وضع زيغي في صفٍ خاص أو شيءٍ من هذا القبيل».

-«امم». أخذت جين ملعقةً أُخرى من الفطيرة وهي شاردة. لم يكن زيغي «موهوبًا أو فطنًا». على كل حال، عرفت من نبرة صوت السيدة ليبمان أنها لن تكون أخبارًا جيدةً.

سامانثا: خرجت ريناتا عن طورها عندما بدأ التنمر. كان جزءً من المشكلة أن المربية لم تتواصل معها، لِذلك استمرّ الأمر لفترةٍ من الزمن دون علمها. بالطبع نعلم جميعنا الآن بأن لدى جولييت أشياء أُخرى تشغل بالها لا تتعلق بعملها.

الآنسة بارنز: ما لا يفهمه أولياء الأمور هو أن الطفل قد يكون متنمرًا في دقيقةٍ واحدة، وضحيةً في الدقيقة التالية. لكنهم جاهزين للتصنيف مباشرةً! بالطبع، أرى الأمر بشكلٍ مختلف. كان هذا.... سيئًا.

ستو: علمني والدي: إن ضربك طفل، اضربه. هكذا ببساطة. إنه مثل باقي الأمور هذه الأيام. كأسٌ لكل طفل في لعبة كرة القدم. وجائزةٍ في كل مغلّف من لعبة تغليف الطرود وتمريرها. نحن ننشئ جيلاً من الجبناء والمخنّثين.

ثيا: من المؤكد أن ريناتا ألقت باللوم على نفسها. لساعات عملها الطويلة، بالكاد كانت ترى أطفالها! ينفطر قلبي على تلك المخلوقات الصغيرة. يبدو أنهم لا يتأقلمون جيدًا هذه الأيام. لا يتأقلمون على الإطلاق. لن تعود حياتهم كما كانت مرةً أُخرى، أليس كذلك؟

جاكي: لا أحد يعّلق على عمل جيف لساعاتٍ طويلةٍ. لا أحد يسأل عمّا إذا كان جيف يعلم ما يجري مع أمابيلا. وحسبما فهمت أن ريناتا تعمل بوظيفةٍ ذات أجرٍ أعلى وأكثر صعوبةً من جيف، لكن لا أحد يلوم جيف على حياته المهنية، لا أحد يقول: «أوه لا نرى جيف كثيرًا في المدرسة، أليس كذلك؟» لا! لكن إن رأت الأمهات غير العاملات أبًا يقوم بأخذ أولاده من المدرسة يعتقدن أنه يستحق ميداليةً ذهبيةً. خذوا زوجي على سبيل المثال. لديه حاشيته الصغيرة المحيطة به.

جوناثان: إنهم أصدقائي، وليسوا حاشيتي. عليكم أن تعذروا زوجتي. إنها تشعر باستحواذها عليّ بطريقة عدوانية. قد يكون هذا هو سبب قسوتها بعض الشيء. أعتقد أن على المدرسة أن تتحمل المسؤولية. أين هم المعلمون عندما حدث كل هذا التنمّر؟

الفصل السادس والثلاثون

قالت السيدة ليبهان حالما جلست جين أمامها: «اكتشفت ريناتا كلاين أن ابنتها أمابيلا كانت ضحيةً لتنمّرٍ منظّمٍ وسرّي خلال الشهر الماضي. لسوء الحظ لا تقول أمابيلا ما الذي كان يحدث معها بالضبط أو من كان متورطًا. على كل حال، ريناتا مقتنعةٌ أن زيغي هو المسؤول».

ابتلعت جين ريقها بتشنج. من الغريب أنها لا زالت تشعر بالصدمة وكأن شيئًا متفائلاً داخلها كان يعتقد أن زيغي على وشك أن يُصنّف في فئةٍ خاصةٍ بالأطفال المذهلين.

- «أي نوعٍ من ...». اختفى صوت جين. نظفت حنجرتها بصعوبةٍ. شعرت كما لو أنها تلعب دورًا لم تكن مؤهلةً له بشكلٍ مناسب. يجب أن يكون والداها في هذا اللقاء. أناس من نفس عمر وعصر السيدة ليبهان. «أي نوعٍ من التنمر؟».

استدارت السيدة ليبهان قليلاً لمواجهتها. بدت وكأنها سيدة جريئة؛ سيدة مجتمعٍ بثيابٍ فاخرةٍ ومجموعة عناية بالبشرة باهظة الثمن. كان في صوتها تلك النبرة الواضحة التي تقول: **لا تعبث معي** والتي كانت جلية حتى مع الأطفال الذين هم في سن السادسة.

قالت السيدة ليبهان: «لسوء الحظ نحن نفتقر للتفاصيل قليلاً. لدى أمابيلا بعض الكدمات والخدوش غير المبررة، و ... علامة عضةٍ، وقالت

فقط (أن أحدهم كان لئيمًا معها)». تنهدت ونقرت بأظافر مشذبه بعنايةٍ فائقةٍ على الإضبارة التي في حِجرها. «انتبهي، لو لم يكن الأمر يتعلق بما حدث في يوم التوجيه لما كنت سأتصل بك حتى يكون لدينا الدليل القاطع أو شيءٍ أكثر تحديدًا. تقول الآنسة بارنز أن هذا الحادث بدا وكأنه حدث لمرة واحدة ولم يتكرر. لقد راقبت زيغي عن كثب، بسبب ما حدث، ووصفته بأنه طفلٌ رائع، ومن الممتع تعليمه وبدا أنه مهتمٌ للغاية وهو حذرٌ في تعامله مع الأطفال الآخرين». تلك الكلمات اللطيفة التي نطقت بها الآنسة بارنز دفعت بجين للبكاء.

- «نحن نتّبع حاليًا سياسة عدم التسامح مع التنمر في مدرسة بيريوي العامة، بتاتًا. لكن في بعض الحالات النادرة التي نجد فيها تنمّر، أريدكِ أن تعلمي بأننا نعتقد أن علينا واجب رعاية كلٍ من الضحية والمتنمّر. لذا إذا وجدنا أن زيغي يتنمر على أمابيلا، فلن ينصبّ تركيزنا على معاقبته ولكن على ضمان

توقف هذا السلوك، على الفور وبشكلٍ واضح، وكذلك معرفة السبب الذي دفعه للتصرف على هذا النحو. إنه طفلٌ في الخامسة من عمره، قبل كل شيء. يقول بعض الخبراء أن الطفل في الخامسة من عمره ليس قادرًا على التنمر».

ابتسمت السيدة ليبمان لجين، التي بادلتها الابتسامة بدورها بحذر. لكن مهلاً، أنه طفلٌ محبوب، ولم يسبق له أن فعل هذا من قبل!

- «بغض النظر عما حدث في يوم التوجيه هل كانت هناك أي حوادث أُخرى تشير إلى هذا النوع من السلوك؟ خلال الرعاية اليومية؟ أو في الحضانة؟ أو في تفاعلات زيغي مع الأطفال خارج الصف؟».

جين: «لا. بالطبع لا. وكان دائمًا ... حسنًا». كانت على وشك أن تقول بأن زيغي كان ينفي بشكلٍ قاطع وباستمرار اتهام أمابيلا له في يوم التوجيه، لكن ذلك قد يعقّد المسألة. وقد تظن السيدة ليبمان أن له تاريخًا في الكذب.

- «إذًا ليس هناك شيءٌ خارجٌ عن المألوف في ماضي زيغي، وفي حياته المنزلية وخلفيته، والتي تعتقدين أن علينا معرفتها، وقد تكون ذات صلةٍ؟»، نظرت إليها السيدة ليبهان منتظرةً، كان وجهها هادئًا ولطيفًا، كما لو أنها تريد أن توحي لجين أنه ما من شيء سيصدمها. وأضافت: «أعرف أن والد زيغي لا يشارك في تربيته، أليس كذلك؟».

كانت جين تحتاج لحظةً لتستوعب الأمر عندما يشير الغرباء عرضيًا إلى «والد زيغي». كانت كلمة «أب» مرتبطةٌ عندها بالحب والأمان. أول ما كان يتبادر إلى ذهنها حينها والدها، وكأنه هو المقصود بكل تأكيد. كان عليها أن تقفز بذاكرتها إلى غرفة الفندق وإلى الضوء المسلّط للأسفل.

- حسنًا سيدة ليمان، هل لهذا الأمر علاقةٌ بالموضوع؟ كل ما أعرفه عن والد زيغي هو أنه كان مولعًا بممارسة اختناق الشبق الذاتي لأجل إثارة جنسية أكبر وإذلال النساء. كان يبدو وسيمًا ولطيفًا. وكان يغني أغاني ماري بوبينز. اعتقدتُ أنه كان «رائع» أيضًا على أرض الواقع، وربما تعتقدين أنه كان رائع أيضًا، مع أنه لم يكن كذلك على الإطلاق. أعتقد أنه بإمكانك وصفه بالمتنمر. لذلك قد يكون ذا صلة بالموضوع. ومن أجل إعطائكِ صورةً كاملةً، هناك أيضًا احتمال أن يكون زيغي قد تقمص روح الجد المتوفي بوبي. كان بوبي يتمتع بروحٍ لطيفة لذلك أعتقد أن الأمر يتوقف على ما تؤمنين به سواء أكنت تؤمنين بالميولٍ الوراثية نحو العنف أو بمبدأ التقمص.

قالت جين: «لا أستطيع التفكير بأي شيءٍ ذو صلةٍ بالموضوع. لديه الكثير من الرجال القدوة ...».

السيدة ليبهان: «أوه، نعم، نعم، أنا متأكدةٌ أنه يفعل ذلك. بحق الله. بعض الأطفال هنا لديهم آباء يسافرون أو يعملون لساعاتٍ طويلةٍ ولا يرونهم مطلقًا. لِذلك فأنا بالتأكيد لا أعني أن زيغي فاشل أو مُهمل لأنه نشأ في أسرةٍ مكونةً فقط من أحد الوالدين (أي الأم). أنا أحاول فقط الحصول على الصورة كاملة».

سألت جين: «هل سألتِه عن ذلك؟». اعتصر قلبها ألمًا من فكرة أن يكون زيغي قد تعرض للاستجواب من مديرة المدرسة دون وجودها. كان ينام مع دمية الدب. يجلس في حضنها ويمصّ إبهامه عندما يكون متعبًا. لا يزال يبدو كمعجزةٍ صغيرة بالنسبة لها أنه يستطيع المشي والتحدث واللباس لوحده وهو يعيش الآن هذه الحياة الأُخرى منفصلاً عنها، مع أحداثٍ درامية مخيفة وكبيرة بالنسبة لعمره كطفل.

- «لقد فعلت، وهو ينفي ذلك بشكلٍ قاطع، لِذلك من الصعب جدًا معرفة إلى أين نتجه بعدها دون تأكيد أمابيلا ...».

قاطعها طَرْقٌ على باب مكتبها. أدخلت سكرتيرة المدرسة رأسها. ورمقت جين بنظرةٍ حذرة: «إيه، اعتقدتُ أنه عليّ إبلاغك أن كلاً من السيد والسيدة كلاين هنا».

شحبت السيدة ليبهان: «لكن ألا يمكن تأجيلها لساعةً أُخرى!».

ردّ صوتٌ مألوف وحازم: «لقد غيّرت موعد اجتماع مجلس إدارتي لأجل هذا». ظهرت ريناتا من وراء كتف السكرتيرة، وهي مستعدةٌ على ما يبدو للإدلاء بمداخلة. «لِذلك نحن نتساءل فقط عما إذا كان بإمكانك إعطاءنا من وقتك ...». رمقت جين بنظرةٍ من وجهها المتجهم.

- «أوه، فهمت».

نظرت السيدة ليبهان إلى جين نظرةً حزينة مليئة بالاعتذار.

علمت جين من مادلين أن جيف وريناتا يتبرعان بشكلٍ منتظم بمبالغ ماليةٍ للمدرسة. «في ليلة المسابقة المدرسية السنة الماضية، كان علينا جميعًا الجلوس هناك كالفلاحين الممتنين بينما شكرت السيدة ليبهان آل كلاين على تغطية تكاليف تكييف المدرسة بأكملها»، كما أبلغتها مادلين من قبل. ثم أشرق وجهها عندما خطرت لها فكرة: «ربما تستطيع سيليست وبيري أخذ الأمر على عاتقهما هذا العام. يمكنهما معًا لعب دور «أنا أغنى منك»».

قالت ريناتا: «أفترض أننا هنا جميعًا لمناقشة نفس الموضوع».

هرعت السيدة ليبمان من وراء مكتبها: «السيدة كلاين، أعتقد أنه سيكون أفضل بالفعل ...».

- «في الواقع هذه مصادفةٌ!». تجاوزت ريناتا السكرتيرة واتجهت مباشرة إلى المكتب يتبعها رجل شاحبٌ ممتلئ الجسم ذو شعرٍ بني داكن ويرتدي بدلةً وربطة عنقٍ، والذي من المفترض أن يكون جيف. لم تقابله جين من قبل. كان معظم الآباء لا يزالون غرباء عنها.

نهضت جين على قدميها وعقدت ذراعيها أمامها بشكلٍ وقائي، كانت يداها تقبضان على قميصها وكأنها على وشك تمزيقه. كان آل كلاين على وشك فضحها وكشف أسرارها البشعة والمخزية أمام الآباء الآخرين. لم يكن زيغي ثمرة علاقة حبٍ جميلة وطبيعية. بل كان نتيجة أفعالٍ مخزيةٍ لفتاةٍ شابة ساذجة وبدينة وقبيحة.

لم يكن زيغي طفلاً سويًّا، وهو لم يكن كذلك لأن جين سمحت لِذلك الرجل أن يكون والده. كانت تعرف أن ذلك غير منطقي، لأنه لولا ذلك ما كان زيغي موجودٌ من أصله، لكنه بدا منطقيًا من ناحيةٍ أُخرى، لأن زيغي سيكون ابنها بكل الأحوال، وبالطبع كان كذلك، فكيف لا تكون أمّه؟ لكنه كان من المفترض أن يولد لاحقًا، عندما تجد جين أبًا مناسبًا وحياةً مناسبةً. لو كانت قد فعلت كل شيءٍ بشكلٍ صحيح لما كان قد وُسم بهذه اللطخة الوراثية المرعبة. وما كان قد تصرف على هذا النحو.

فكّرت في أول مرّةٍ وقع بصرها عليه. كان منزعجًا جدًا لأنه ولد، يصرخ بكامل جسده، وأطرافه الصغيرة متدلية وكأنه على وشك السقوط، كان أول ما فكرت فيه: **أنا آسفة جدًا يا صغيري. آسفة جدًا لأني أقحمتك في هذا**. ذكّرها الشعور المؤلم الذي غمر جسدها بالحزن رغم أنها كانت ستطلق عليه اسم «فرح»، لكن الأمر بدا سيان. لقد اعتقدت أن فيض حبها لهذا المخلوق المضحك ذو الوجه الأحمر سيغسل بالتأكيد الذكرى القذرة وعار تلك الليلة. لكن الذكرى بقيت عالقةً في جدران ذهنها مثل عَلَقَة سوداء دبقة.

- «عليكِ بإبقاء ولدك هذا تحت المراقبة». وقفت ريناتا مباشرةً أمام جين وأشارت بأصبعها قرب صدر جين. كانت عيناها حمراوين تتقدان شررًا من وراء النظارة. كان غضبها واضحًا جدًا ومبررًا أمام شكوك جين.

-«ريناتا»، اعترضها جيف. مد يده مصافحًا جين: «جيف كلاين. أرجوكِ أن تعذري ريناتا. إنها مستاءةٌ جدًا».

صافحته جين: «أنا جين».

قالت السيدة ليبمان بشيءٍ من التوتر في صوتها الحاد: «حسنًا، ربما أنني أنصح، إذا كنا هنا جميعًا، ربما يمكننا إجراء نقاش بنّاء. هل يمكنني تقديم الشاي أو القهوة؟ الماء؟».

ريناتا: «لا أريد أية مشروبات». لاحظت جين بدهشةٍ يشوبها اشمئزاز أن كامل جسد ريناتا كان يرتجف. فأشاحت ببصرها بعيدًا. كانت رؤية ذلك الدليل على مشاعر ريناتا الصريحة أشبه برؤيتها وهي عارية.

- «ريناتا». مد جيف ذراعه أمام زوجته التي بدت وكأنها على وشك أن تخطو أمام سيارةٍ.

- «سأخبركِ ماذا أريد»، وجّهت ريناتا كلامها للسيدة ليبمان: «أريد أن يبقى طفلها بحق الجحيم بعيدًا عن ابنتي».

الفصل السابع والثلاثون

سحبت مادلين الباب الجرار للفناء الخلفي، فرأت أبيغيل جالسةً على الأريكة تنظر إلى شيءٍ ما على حاسوبها الخاص. قالت: «يا مرحبًا بك!». لكنها جفلت من الفرح المصطنع في صوتها.

لا تستطع مادلين حاليًا التحدّث بشكلٍ طبيعي مع ابنتها كون أبيغيل تأتي في عطلة نهاية الأسبوع فقط، شعرت مادلين وكأنها هي المضيفة وأن أبيغيل هي ضيفةٌ مهمّة. شعرت أن من واجبها تقديم المشروبات لها والاطمئنان على راحتها. كان أمرًا مضحكًا.

كلما وجدت مادلين نفسها تتصرف بهذه الطريقة يزداد غضبها وتذهب بعيدًا في الاتجاه الآخر وتطلب بفظاظةٍ من أبيغيل أن تقوم ببعض الأعمال المنزلية، مثل نشر سلةٍ كاملةٍ من الغسيل. وأسوأ ما في الأمر أن أبيغيل كانت تتصرف تمامًا مثل الضيف حسن السلوك وهو شيء قامت مادلين بتربيتها عليه فتأخذ سلة الغسيل دون أي تعليقٍ، حينها تشعر مادلين بالذنب والارتباك. كيف أمكنها أن تطلب من أبيغيل نشر الغسيل وهي لم تجلب معها ولا قطعة غسيلٍ إلى المنزل؟ بدا ذلك وكأنك تطلب من ضيفك أن ينشر غسيلك.

لِذلك تندفع مسرعةً للمساعدة في وضع الثياب على الحبل وإجراء دردشةٍ متقطعةٍ بينما تتدفق جميع الكلمات التي لا تستطع التفوّه بها إلى رأسها: **فقط عودي إلى المنزل يا أبيغيل، عودي إلى المنزل وأوقفي كل هذا! لقد تركنا وتركتكِ.**

أنت كل ما جنيته من هذه الدنيا. كان يعاقبنا بغيابه عنّا وإهمالنا. كيف بإمكانك اختيار العيش معه؟

- «ماذا تفعلين؟»، ألقت مادلين بنفسها على الأريكة قرب أبيغيل واسترقت نظرةً إلى شاشة الحاسوب المحمول، «هل هذا برنامج انتخاب أجمل العارضات في أمريكا؟».

لم تعد تعرف كيف بإمكانها أن تكون قريبةً من أبيغيل أكثر. ذكّرها ذلك بمحاولاتها الفاشلة كي تكون صديقة وقريبة من عشيقها السابق. وهذا ما يورث نوعًا من التصنع في ردود أفعالك. ولم تعد مشاعرك الضعيفة، والإدراك بأن تلك المراوغات الصغيرة في شخصيتك رائعةً؛ بل حتى أنها قد تكون مزعجةً.

لطالما بالغت مادلين في دورها في الأسرة وتصرّفت كأمٍّ مجنونة لكن بشكلٍ يثير الضحك. كانت تتحمّس كثيرًا وتستشيط غضبًا لأتفه الأشياء. وعندما لا ينفّذ الأطفال ما يُطلب منهم تبدأ ترغي وتزبد. كانت تغني أغانٍ سخيفةٍ وهي تقف على باب غرفة المؤن: «أين، أين الطماطم المعلبة؟ أين أنت أيتها الطماطم؟». كان إد والأولاد يحبون السخرية منها، ومضايقتها في كل شيءٍ بدءً من هوسها بالمشاهير وانتهاءً بظلال عينيها البرّاقة.

لكن الآن، عند زيارة أبيغيل لها، تشعر مادلين وكأنها تسخر من نفسها. كانت مصممةً على ألا تتظاهر بأنها غير ما هي عليه. كانت في الأربعين من عمرها! وقد فات الأوان لتغيير شخصيتها. لكنها ظلّت ترى نفسها من خلال عيني أبيغيل وتفترض بأنها كانت تقارنها بشكلٍ سلبي مع بوني. لأن أبيغيل قد اختارت بوني، أليس كذلك؟ كانت بوني هي الأم المفضلة لدى أبيغيل؟ لم يكن لها أي علاقة بناثان. كانت الأم هي من يحدد أسلوب معيشة الأسرة. أصبح كل خوفٍ خفي تشعر به مادلين من عيوبها الخاصة (لأنها غالبًا ما كانت سريعة الغضب كثيرًا، وسريعةٌ في إطلاق الأحكام، ومفرطة الاهتمام بالملابس، وتنفق الكثير من المال على الأحذية، وكانت تعتقد بأنها لطيفةٌ ومضحكةٌ في الوقت الذي تكون فيه مزعجةٌ ومبتذلة) في طليعة

تفكيرها. كانت تقول لنفسها: عليكِ أن تكبري. لا تأخذي الأمر بشكلٍ شخصي. لا تزال ابنتكِ تحبك. وهي اختارت أن تعيش مع والدها. ليس ذلك بالأمر الجلل. لكن كان كل تفاعلٍ مع أبيغيل بمثابة معركةٍ مستمرة بين «هذا ما أنا عليه يا أبيغيل، إن شئتِ أم أبيتِ»، وبين «كوني أفضل يا مادلين، كوني أهدأ وألطف، كوني على شاكلة بوني».

سألتها مادلين: «هل رأيتِ إيلويز التي خرجت من المسابقة الأسبوع الماضي؟». هذا ما اعتادت أن تقوله لأبيغيل، لذا هذا ما ستقوله الآن.

– «أنا لا أتابع عروض America's Next Top Model»، تنهدت أبيغيل، «أنا أبحث في منظمة العفو الدولية. أقرأ عن انتهاكات حقوق الإنسان».

– مادلين: «أوه، يا إلهي».

– أبيغيل: «بوني ووالدتها عضوين في منظمة العفو الدولية».

– «بالطبع هما ...». تمتمت مادلين، وأخذت تفكّر: لا بد أن هذا ما تشعر به جنيفر أنيستون، كلما سمعت عن تبنّي أنجلينا وبراد يتيمًا أو اثنين.

– «ماذا؟».

مادلين: «هذا رائعٌ. وأعتقد أن إد هو عضوٌ فيها أيضًا. نحن نتبرع كل عامٍ».

أوه، يا إلهي، استمعي لنفسك! توقفي عن المنافسة! أهذا صحيحٌ حتى؟ قد يكون إد ترك عضويته تسقط.

بذلت هي واد قصارى جهدهما ليكونا شخصين جيدين. اشترت تذاكر يانصيب لصالح الأعمال الخيرية، وقدمت المال للموسيقيين الجوّالين، وكانت تقدّم الدّعم دائمًا لأصدقاء مزعجين ممن كانوا يديرون ماراثوناتٍ لأسباب نبيلة (رغم أن السبب الحقيقي كان لياقتهم الخاصة). وعندما كَبِر الأولاد، كان من المفترض أن تقوم بأعمالٍ تطوعية مثل والدتها. لكن ألا يكفي هذا، ألا يكفي؟ لأمٍ عاملةٍ دائمة الانشغال؟ كيف استطاعت بوني أن تجعلها تطلب نصحها في كّل خيارٍ تتخذه؟

بحسب ما نقلته أبيغيل، قررت بوني مؤخرًا أنها لن تنجب بعد الآن أي أطفالٍ (لم تسأل مادلين عن السبب، رغم أنها أرادت أن تعرف) لِذلك تبرّعت بعربة الأطفال والسرير وغطاء الطاولة وثياب الطفل لمأوى النساء ضحايا العنف المنزلي.

- «أليس ذلك مذهلاً يا أمي؟»، تنهدت أبيغيل، «أناس آخرون يفضلون بيع هذه الأشياء». كانت مادلين قد باعت مؤخرًا ثياب كلوي الصغيرة على موقع eBay، ثم أنفقت المال بسعادةٍ على زوجٍ أحذيةٍ جديد لمصممٍ مشهور بنصف سعره الحقيقي.

- «إذًا ما الذي تقرئين عنه؟». هل كان من الجيّد لفتاةٍ في الرابعة عشرة من عمرها أن تتعرف على فظائع العالم؟ ربما كان ذلك رائعًا بالنسبة لها. كانت بوني تعطي أبيغيل وعيًا اجتماعيًا، بينما كانت مادلين تشجع صورة الجسد البائس. فكرت فيما قالته المسكينة جين عن هوس المجتمع بالجمال. تخيلت أبيغيل وهي تدخل غرفة فندقٍ مع رجلٍ غريب ويعاملها بالطريقة التي عامل ذلك الرجل جين. تصاعد الغضب إلى رأسها. تخيلت أنها تمسكه من شعره من مؤخرة رأسه وتضرب وجهه مرّةً تلو أُخرى على سطحٍ خرساني صلب حتى تهشّم وسالت منه الدماء. يا إلهي. لقد شاهدت الكثير من العنف على التلفاز.

- «ما الذي تقرئيه، يا أبيغيل؟». قالت ثانيةً، وكرهت حدة الانفعال في صوتها. هل تعاني من أعراض ما قبل الحيض ثانيةً؟ لا. لم يكن قد حان ميعادها بعد. لم تستطع حتى إلقاء اللوم على دورتها الشهرية. فهي دائمًا سيئة المزاج هذه الأيام.

تنهدت أبيغيل دون أن ترفع عينيها عن الشاشة. قالت: «زواج القاصرات والاسترقاق الجنسي».

مادلين: «أوه، هذا فظيع». توقفت للحظة. «ربما من الأفضل ألاّ...».

توقفت عن إكمال حديثها. أرادت أن تقول شيئًا من قبيل «لا تدعي الأمر يزعجك»، لكن ذلك سيكون فظيعًا إن قالته وسيزيد الطين بلة، فهذه عبارة

اعتادت السيدة الغربية البيضاء المُتْرفة والتافهة أن تقولها، المرأة التي تستمتع كثيرًا بزوجٍ جديدٍ من الأحذية أو بزجاجة عطر. ماذا كانت ستقول بوني في هذه الحالةِ؟ **فلنفكّر في الأمر مليًا جميعنا يا أبيغيل. ما رأيكِ.** يا للهول، لاحظوا أن سطحيتها عادت لتظهر مرةً أُخرى. إنها تسخر من التأمّل والتفكير. وهل يضر التأمل أحدًا؟

قالت أبيغيل بصوتٍ مُثقلٍ بالدموع: «أليس من المفترض أن يكنّ يلهين بالدمى، بدلاً من العمل في بيوت الدعارة».

فكرت مادلين: وألا يُفترض بكِ أنت أن تلهين بالدمى، أو على الأقل بأدوات التبرّج.

شعرت بسيلٍ من الغضب العارم تجاه ناثان وبوني، لأن أبيغيل كانت في الواقع ما تزال صغيرةً جدًا وحساسةً للتعرّف على موضوعٍ شائكٍ وحساس كالإتجار بالبشر. كانت مشاعرها عنيفةً جدًا وغير منضبطة إطلاقًا. لقد ورثت عن مادلين إحدى سماتها المؤسفة التي تتجلى بالانفعال والغضب السريع، لكن قلبها كان أرقّ من قلب مادلين بكثير. كانت تبدي الكثير من التعاطف مع الآخرين (رغم أن كل هذا التعاطف الزائد عن حدّه لم يكن موجهًا نحو مادلين أو إد، أو حتى كلوي أو فريد).

تذكرت مادلين عندما كانت أبيغيل في الخامسة أو السادسة من عمرها فقط، وكانت فخورةٌ جدًا بقدرتها المكتسبة حديثًا على القراءة. كانت تجدها جالسةً على طاولة المطبخ، وشفتاها تتحركان وهي تحاول جاهدةً تهجئة أحد العناوين الرئيسية على الصفحة الأولى من جريدة وعلى وجهها ما ينمّ عن الخوف وعدم التصديق. لا تستطع مادلين أن تتذكر حاليًا ما هو موضوع المقالة: قتل، موت، أم كارثة. لا، هي في الحقيقة تتذكر. كانت قصة طفلةٍ تم اختطافها من سريرها في أوائل الثمانينات. ولم يتم العثور على جثتها أبدًا.

كانت أبيغيل لا تزال تؤمن بسانتا كلوز آنذاك. أخبرتها مادلين بسرعةٍ: «هذا ليس حقيقيًا البتة»، وانتزعت الصحيفة منها وتعهدت بعدم تركها في أي مكانٍ يمكن الوصول إليه مرةً أُخرى، «كل هذه القصّة مختلقة».

لم يكن ناثان على علم بذلك لأن ناثان لم يكن موجودًا حينها.

بالمقابل كانت كلوي وفريد مخلوقين مختلفين. كانا أكثر مرونة منها بكثير. قرة عينيها هذين الشقيّين المستهلكين البارعين في أمور التكنولوجيا.

قالت أبيغيل وهي تقوم بالتمرير لأسفل الشاشة: «سأفعل شيئًا حيال ذلك».

- «حقًا؟»، ردّت مادلين. **حسنًا، بالتأكيد لن تذهبي إلى باكستان إذا كان هذا ما تفكرين به. ستبقين هنا وتشاهدي عروض** America's Next Top Model **أيتها السيدة الصغيرة.** «ماذا تقصدين؟ توجيه رسالة؟». أشرق وجهها. كانت حاصلة على شهادة في التسويق وبالتالي يمكنها كتابة رسالة أفضل مما قد تكتبه بوني. «يمكنني مساعدتك في كتابة رسالة التماس إلى ممثلنا في البرلمان من أجل ...».

قاطعتها أبيغيل بازدراء: «لا. هذا لا يحقق شيئًا. لدي فكرة».

سألت مادلين: «أي نوع من الأفكار هذه؟».

بعد ذلك أخذت تتساءل عما إذا كانت أبيغيل قد أجابتها بصدقٍ، وإذا كان بإمكانها وضع حدٍ للجنون قبل أن يبدأ، لكن فجأةً علا طَرقٌ على الباب الأمامي، فأغلقت أبيغيل حاسوبها.

قالت وهي تنهض: «هذا أبي».

احتجت مادلين: «إنها الساعة الرابعة فقط». نهضت أيضًا. «أعتقد أنني كنت سأعيدك الساعة الخامسة».

أبيغيل: «نحن ذاهبون إلى والدة بوني لتناول العشاء».

- «والدة بوني!!». كررت مادلين.

- «لا تجعلي من الأمر دراما، ماما».

مادلين: «لم أتفوّه ولو بكلمة، أبيغيل. لم أقل مثلاً، أنّكِ لم تري أمي منذ أسابيع».

قالت أبيغيل على سبيل التصحيح: «الجدة مشغولة بحياتها الاجتماعية لدرجةٍ لا يمكنني لمحها فيها».

- «والد أبيغيل هنا!». صرخ فريد من أمام المنزل، ويقصد أن «سيارة والد أبيغيل موجودةٌ هنا!».

- «طاب يومك يا صديقي». سمعت مادلين ناثان يقول لفريد. في بعض الأحيان، كان صوت ناثان وحده يحرّض موجةً من الذاكرة الغريزية التي تتعلق: بالخيانة والاستياء والغضب. **كان قد غادر ببساطة وأدار لنا ظهره. خرج وتركنا نحن الاثنتين، أنا وأبيغيل لم نستطع تصديق الأمر، لم أستطع تصديق ما حدث، وفي تلك الليلة بكيتِ وبكيتِ، ذلك البكاء المتواصل لرضيعة حديثة الولادة ...**

قالت أبيغيل: «وداعًا أمّي». وانحنت لتقبيلها على خدها على سبيل التعاطف، كما لو كانت مادلين عمةٌ كبيرة في السن وكانت أبيغيل تقوم بواجب زيارتها، والآن، آآآآه، يا للراحة، حان وقت الخروج من هذا المكان العَفن والعودة إلى المنزل.

الفصل الثامن والثلاثون

ستو: سأخبركم بشيءٍ أتذكّره. التقيت مصادفةً بسيليست وايت مرةً. كنت في الجانب الآخر من سيدني أقوم بعملٍ وكان عليّ ابتياع بعض الصنابير الجديدة لأن أحدهم قد سدّها، على كل حالٍ، هي قصةٌ قد تطول، كنت أتجول في متجر هارفي نورمان حيث كانوا يعرضون جميع أنواع أثاث غرف النوم وكانت سيليست هناك مستلقيةً على ظهرها وسط سريرٍ مزدوج وهي تحدق في السقف. ترددت في البداية ثم قلت: «مرحبا عزيزتي». فانتفضت وكأنني ضبطتها وهي تسرق بنكًا. بدا الأمر غريبًا. لماذا كانت مستلقيةً على سريرٍ مزدوج بخس الثمن بعيدًا عن المنزل؟ امرأة فائقة الجمال وثريّة، لكنها كانت دائمًا ... متقلبةً، كما تعرفون. من المحزن التفكير في الأمر الآن، محزن جدًا.

– «هل أنتِ المستأجرة الجديدة؟».

قفزت سيليست وكادت تُسقط المصباح الذي كانت تحمله.

– «آسفة، لم أقصد إخافتكِ». قالت امرأةٌ ممتلئة الجسم في الأربعين من عمرها، ترتدي ملابس رياضية، وهي تخرج من الشقة المقابلة على الطرف الآخر من الممر. كان برفقتها فتاتان صغيرتان، يبدو أنهما كانتا توأمان من نفس عمر جوش وماكس.

أجابت سيليست: «يمكنك أن تقولي إنني المستأجرة الجديدة، أعني، نعم، أنا كذلك. لست متأكدةً بالضبط متى سننتقل. قد يستغرق الأمر بعض الوقت».

لم يكن هذا جزءًا من الخطة. فتح أحاديثٍ مع الناس. كان هذا حقيقيًا أكثر مما ينبغي، في حين كان موضوع الانتقال برمّته افتراضيًا. ربما لن يحدث في الواقع أصلاً. كانت تتلاعب بفكرة الحياة الجديدة فقط. كانت تفعل ذلك لترك انطباع لدى سوزي. أرادت العودة في موعدها التالي مع «خطتها» وقد طبّقتها بحذافيرها. ربما كان لا بد من حثّ معظم النساء على الحركة لأشهرٍ. وربما عادت معظم النساء إلى موعدهن التالي دون أن يحرّكن ساكنًا. بالطبع ليست سيليست. لقد كانت تقوم بواجباتها دائمًا.

كانت قد خططت لإبلاغ سوزي بشكلٍ عرضي ومقتضب: «لقد استأجرت شقةً لمدة ستة أشهرٍ في مكماهون بوينت. أستطيع الذهاب مشيًا إلى نورث سيدني. لدي صديقةٌ شريكةٌ في مكتب محاماةٍ صغير في نورث سيدني. وقد عرضت عليّ عملاً منذ سنةٍ تقريبًا، لكنني رفضته، لكنني متأكدةٌ من أنها لا تزال قادرةٌ على تأمين عملٍ لي. على كل حال، إن لم ينفع ذلك، قد أجِدُ مكانًا آخر في المدينة. إنها مجرد رحلةٍ قصيرةٍ بالعبّارة».

وستقول سوزي حينها: «واو». وسترفع حاجبيها من شدة دهشتها. «إنه عملٌ جيد».

الأولى في صفّها سيليست. يا لها من فتاةٍ رائعةٍ. ويا لها من زوجةٍ حسنة الأخلاق ومضطهدة.

قالت المرأة: «أنا روز وهذه إيزابيلا ودانييلا».

أهي جادة؟ هل دَعَتْ بالفعل طفلتيها إيزابيلا ودانييلا؟

ابتسمت الفتاتان لها بأدبٍ. حتى أن إحداهن قالت: «مرحبا». بالتأكيد كانتا توأم تتمتعان بسلوكياتٍ أفضل بكثير من سلوكيات توأم سيليست.

– «أنا سيليست. سررتُ بلقائك!»، أدارت سيليست المفتاح بأسرع ما يمكن، «أنا أفضّل أن ...».

- «هل لديك أطفال؟». سألت روز وكلها أملٌ أن يكون الجواب بالإيجاب، فيما كانت الفتاتان الصغيرتان تنظران إليها بترقّب.

- «صبيّين». أجابت سيليست. إن ذكرت بأن لديها توءام، فسينتج عن هذه المصادفة المذهلة حديثٌ لا يقلّ عن خمس دقائق وهو أمر لا تستطيع احتماله.

دفعت الباب بكتفها لينفتح.

قالت روز: «أخبريني إن احتجتِ شيئًا!».

- «شكرًا! أراكِ قريبًا». تركت سيليست الباب يغلق، وبدأت الفتاتان الصغيرتان تتشاجران حول من كان دوره بضغط زر المصعد. «أوه، بحق الله، يا فتيات، هل علينا فعل ذلك في كل مرّة؟». قالت والدتهما بصوتها الاعتيادي، على عكس الصوت الاجتماعي والمهذب الذي استخدمته للتو مع سيليست.

ما أن أُغلق الباب حتى ساد صمتٌ مطبق، وانقطع صوت الأم في منتصف الجملة. كانت معايير المبنى الصوتية جيدة.

كان هناك جدارٌ بمرآة عاكسةٍ بجوار الباب يبدو وكأنه قد تُرك من مشروع ديكور طموح من السبعينيات، لكن كان باقي المكان بالكامل محايدًا تمامًا: جدران بيضاء فارغة وسجادةٌ رماديةٌ خشنة ومتينة. حاجيات المستأجر الأساسية. يمتلك بيري عقاراتٍ للإيجار ربما كانت مثل هذه الشقّة. من الناحية النظرية، كانت سيليست تمتلكهم أيضاً، لكنها لم تكن تعرف حتى أين موقعها.

لو أنهما ادّخرا سوية من أجل شراء عقارٍ استثماري، واحد فقط، لكانت قد استمتعت بذلك. كانت ستساعده في تجديده، واختيار البلاط، والتعامل مع الوكيل العقاري، وكانت ستجيب: «أوه، نعم، بالطبع!» عندما يطالب المستأجر بشيءٍ لإصلاحه.

كان ذلك هو مستوى الثروة الذي تشعر فيه بالراحة. جعلتها أموال بيري التي لا يمكن تصورها تشعر بالغثيان أحيانًا.

كانت ترى ذلك على وجه من يزور منزلها للمرة الأولى، والطريقة التي تتنقّل فيها العيون على المساحات الواسعة والأسقف المرتفعة، والغرف

الجميلة التي تم بناؤها مثل قاعات عروضٍ صغيرةً في متحفٍ يتناول حياة عائلة ثريّة. وفي كل مرةٍ تتصارع بداخلها مشاعر الفخر والعار بنفس الدرجة. عاشت في منزلٍ كانت كل غرفةٍ فيه تصرخ في صمتٍ: **لدينا الكثير من المال. وربما أكثر مما لديك.**

كانت تلك الغرف الجميلة مثل منشورات بيري المستمرة على الفيس بوك: استعراضٌ منمّقٌ لحياتهم. نعم، كانا يجلسان أحيانًا على تلك الأريكة المريحة الرائعة ويضعان كأسين من الشمبانيا على طاولةٍ صغيرةٍ ويشاهدان غروب الشمس فوق المحيط. نعم، لقد فعلا ذلك. وفي كثيرٍ من الأحيان، بل غالبًا ما كان شيئًا يسحر الألباب. لكنها كانت نفس الأريكة التي حشر بيري وجهها في زاويتها حتى خيّل لها أنها قد تلقى حتفها. وتلك الصورة على الفيس بوك التي علّق عليها «يومٌ ممتع في الخارج بصحبة الولدين» لم تكن كذبةً، لأنه كان يومًا ممتعًا للخروج مع الولدين، لكن لم يكن لديهم صورةً توثّق ما حدث بعد أن أوى الصبيّان إلى سريرهما تلك الليلة. نزف أنف سيليست بشدّة لأتفه الأسباب. كما يحدث دائمًا.

حملت المصباح إلى غرفة النوم الرئيسية في الشقة. كانت غرفةً صغيرةً نوعًا ما. سيضعون لها فيها لاحقًا سريرًا مزدوجًا. كان لديها هي وبيري سريرًا بحجمٍ ملكي كبير. لكن هذه الغرفة ستكتظّ حتى بملكة.

وضعت المصباح على الأرض. كان مصباحًا مزخرفًا وملونًا على شكل فطر عش الغراب. لقد اشترته لأنها أحبّته ولأنه من طِرازٍ قد يكرهه بيري؛ لا يعني ذلك أنه كان سيمنعها من امتلاكه إن أرادت ذلك بالفعل، لكنه سيجفل كلما نظر إليه، مثلما كانت تفعل عندما تنظر إلى بعض القطع الفنية المعاصرة التي تثير الكآبة والتي كان يشير إليها في صالات العرض. لِذلك كان يمتنع عن شرائها.

كان الزواج قائمًا على التسوية والحلول الوسط. «عزيزتي، إذا كنت تريدين ذلك الشيء القديم الذي يبدو صغيرًا لسنّك، سأشتري لك الأصلي منه»، كان يقول بحنانٍ، «هذا مجرد شيءٍ رخيص ومبتذل».

عندما يقول أشياء من هذا القبيل، كانت تقول في قرارة نفسها: أنت الرخيص والمبتذل.

ستأخذ وقتها الآن في تهيئة هذا المكان وإغراقه بأشياء رخيصةٍ ومبتذلةٍ تحبها. ذهبت تفتح إحدى الستائر للسماح بدخول بعض الضوء. مررت طرف إصبعها على حافة النافذة المغبرّة قليلاً. كان المكان نظيفًا جدًا، لكن في المرة القادمة ستحضر بعض مواد التنظيف معها وتجعله جديدًا ولامعًا.

حتى هذه اللحظة، لم تكن قادرةً على ترك بيري مطلقًا لأنها لم تكن تتخيل أين ستذهب وكيف سيعيشون. تلك كانت عقليتها، وأسلوب تفكيرها. بدا الأمر مستحيلاً بالنسبة لها.

بهذه الطريقة، سيكون لديها أساسٌ لحياةٍ كاملة بانتظار التفعيل. سيكون لديها أسرّة مُعدّة للولدين. وستكون الثلاجة مليئةً. سيكون لديها ألعاب وملابس في الخزانة. لن تحتاج حتى إلى حزم حقيبةٍ. سيكون لديها استمارة تسجيل جاهزةً للمدرسة المحلية.

ستكون جاهزةً.

في المرة القادمة التي يضربها فيها بيري، لن تضربه أو تبكي أو تستلقي على سريرها. بل ستقول: «سأرحل الآن».

تفحّصت أصابعها.

أو ربما ستغادر عندما يكون خارج البلاد. ربما سيكون ذلك أفضل. ستبلغه على الهاتف: «يجب أن تعلم أننا لا نستطيع الاستمرار على هذا النحو. عندما تعود سنكون قد ذهبنا».

كان من المستحيل تخيل ردة فعله إذا ما غادرت فعليًا.

إن أنهت العلاقة، سيتوقف العنف أيضًا. لأنه لن يكون له الحق بضربها، تمامًا كما لن يعد له الحق بتقبيلها. كان العنف جزءًا خاصًا من علاقتهما مثل الجنس، حينها لن يكون متاحًا إن تركته. لن تكون له بنفس الطريقة التي

كانت سابقًا. ستستعيد احترامه. وستكون علاقتهما وديةً. سيكون زوجًا سابقًا ومهذبًا لكنه بارد. كانت تعلم أن برودته ستؤذيها أكثر من قبضتيه. سيلتقي بامرأة أُخرى. سيستغرق منه الأمر خمس دقائق.

غادرت غرفة النوم الرئيسية وسارت عبر الممر الصغير إلى الغرفة المخصصة للأطفال. كان هناك مساحةٌ كافيةٌ لسريرين مفردين جنبًا إلى جنب. ستجلب لهما أغطيةٌ جديدة. ستجعلها جميلةً. كانت تتنفس بصعوبةٍ، وتحاول أن تتخيل وجهيهما الصغيرين المذهولين. أوه، يا إلهي، هل يمكنها فعل ذلك لهما؟

اعتقدت سوزي أن بيري سيحاول الحصول على حضانة الأطفال بمفرده، لكنها لا تعرف بيري. يشتعل غضبه مثل وهج شرر اللحام ثم يخبو فجأةً. (وعلى عكس زوجها. كانت سيليست أكثر غضبًا منه. وكانت تحمل ضغينة. أما بيري فلا يحمل أية ضغائن على عكس سيليست. كانت فظيعة. كانت تتذكر أدقّ التفاصيل، بل كل شيءٍ وكل كلمةٍ تُقال في كل مرّة). أصرّت سوزي على أن تبدأ بتوثيق «الإساءات» كما أسمتها. اقترحت عليها: «عليكِ تدوين كل شيء. قومي بالتقاط الصور لإصاباتك. احتفظي بتقارير الأطباء. يمكن أن تكون مهمةً في أية دعاوى قضائية أو في جلسات الاستماع المتعلقة بالحضانة». ردّت عليها سيليست: «بالتأكيد»، لكنها لم تكن تنوي القيام بذلك. كم هو مهين رؤية سلوكهما مكتوبًا وموثّقًا. سيبدو وكأنهما يوثّقان شجار أطفال. زجرتهُ. فصرخ في وجهي. فصرخت في وجهه مرّةً أخرى. دفعني. فضربته. تعرضت لكدمةٍ. وهو أصيب بخدشٍ.

- «لن يحاول أن يأخذ الصبيّين مني»، كانت سيليست قد قالت لسوزي، «سيفعل ما يجده مناسبًا لهما».

- «قد يعتقد أنه من الأفضل بقاء الطفلين معه»، قالت سوزي لسيليست بطريقتها الواقعية الرائعة، «غالبًا ما يطالب رجالٌ مثل زوجك بالحضانة. لديهم مصادر الدخل. المال. الاتصالات. وهو شيء تحتاجين الاستعداد له. قد يتدخل أهل زوجك. وفجأة سيكون لدى الجميع رأيٌ يدلون به».

أهل زوجها. شعرت سيليست بحزنٍ يعتصر قلبها. لطالما أحبّت أن تكون جزءً من عائلة بيري الكبيرة والممتدة. لقد أحبّت حقيقة وجود العديد منهم: عمّات فوضويات، وجحافل من أبناء العمومة، وثلاثة من الأعمام الكبار ذوي الشعر الرمادي حادّي الطباع. وأحبت حقيقة أن بيري لا يحتاج حتى إلى قائمةٍ عندما كان يذهب لتسوق العطور المعفاة من الرسوم الجمركية. كان يهمس لنفسه: كوكو شانيل مادموزيل للعمة أنيتا، وإيسي مياكي للعمة إيفلين. كانت تحب رؤية بيري وهو يلقي بذراعيه حول ابنة عمه المحببة له، والدموع في عينيه لأنهما لم يريا بعضهما البعض منذ فترةٍ طويلةٍ. يبدو أن ذلك يثبت وجود شيءٍ جيّد في شخصية زوجها بشكلٍ خاص.

منذ اليوم الأول، رحّبت عائلة بيري بسيليست ترحيبًا حارًا، وكأنهم شعروا أن عائلتها الصغيرة والمتواضعة لم تقف إلى جانبها، وأن بإمكانهم إعطاءها شيئًا لم تكن تمتلكه من قبل، طبعًا فضلاً عن المال. لقد قدم بيري وعائلته لها الوفرة في كل شيءٍ.

عندما جلست سيليست على طاولةٍ كبيرة وطويلة وهي تأكل فطيرة سباناكوبيتا (فطيرة من السبانخ والجبنة المالحة) أعدّتها العمّة أنيتا، كانت تراقب بيري وهو يتحدث بصبرٍ ورويّة مع الأعمام ذوي الطبع الحاد؛ بينما أخذ التوأم يعبثان ويلعبان مع الأطفال الآخرين، كانت صورة بيري وهو يضربها تومض في رأسها، وكأن الأمر بدا مستحيلاً ووهميًا ولا يتقبّله عقل: حتى لو حدث ذلك الليلة الماضية، ورافقه عدم تصديق ستشعر بالخزي والعار، لأنها تعرف أنه مؤكد أنه خطأها بطريقةٍ أو بأُخرى، لأنها كانت عائلةٌ مُحبّة وجيدة وهي كانت الدخيلة، وتخيلوا مدى خوفهم عندما يرونها تخدش وتضرب حبيبهم بيري.

لن يخطر على بال أحدٍ في تلك العائلة الكبيرة المضحكة أن بيري يمكن أن يكون عنيفًا، ولم يكن لدى سيليست أية رغبةٍ بأن يعرفوا ذلك، لأن بيري الذي يشتري العطور لعمّاته ليس بيري الذي يفقد أعصابه.

لا تعرف سوزي بيري. لقد عرفت أمثلةً ودرست حالاتٍ واطلعت على إحصاءاتٍ. لم تكن تعرف أن مزاج بيري المتقلّب كان مجرد خصلةً من خصاله، ولم يكن كل شيء. لم يكن مجرد رجلٍ يضرب زوجته. كان رجلاً يقرأ قصص ما قبل النوم لأطفاله ويقلّد أصواتًا مضحكةً، ويتحدث بلطفٍ مع النادلات. لم يكن بيري شريرًا. بل كان رجلاً يتصرف أحيانًا على نحوٍ سيءٍ للغاية.

تخشى النساء الأخريات في مثل حالتها من أن يعثر أزواجهنّ عليهن ثم يقوموا بقتلهنّ إن حاولن المغادرة لكن سيليست كانت تخشى أن تفقده، وتفقد المتعة الخالصة لدى رؤية الولدين يركضان نحوه عند عودته من كل رحلةٍ، كانت تراقبه وهو يلقي بحقائبه ويركع على ركبتيه، وذراعيه مفتوحتان.

كان يقول: «أريد أن أقبّل ماما الآن».

لم يكن الأمر سهلاً. كان ببساطة زواجًا من نوعٍ غريب.

جالت في أنحاء الشقة، متجاهلةً المطبخ. كان مطبخًا صغيرًا وضيقًا. لم ترغب بالتفكير في الطهي في ذلك المطبخ. سيتذمّر الولدين حينما يجوعان: أنا جائعٌ! وأنا أيضًا.

بدلاً من ذلك عادت ودخلت إلى غرفة النوم الرئيسية ووصلت المصباح بمأخذ التيار الكهربائي. كانت الكهرباء لا تزال موصولة ولم يتم قطعها عن الشقة. فأضاء المصباح بألوانٍ غنية نابضةٍ بالحياة. جلست وأسندت ظهرها إلى الوراء تنظر إليه بإعجاب. لقد أحبّت شكل مصباحها المضحك.

بعد أن تنتقل للعيش هنا سيتوجّب عليها زيارة مادلين وجين. ستريهما مصباحها السحري وسيحشرن أنفسهن في تلك الشرفة الصغيرة لتناول الشاي بعد الظهر. إن غادرت بيريوي، فستفتقد المشاوير الصباحية حول الرأس البحري مع جين. في معظم الأحيان كانتا تسيران بصمتٍ. وكأنّهما في حالة تأملٍ مشترك. وعندما تشاركهما مادلين السير، كنّ هنّ الثلاثة يتحدثن سويةً طوال الوقت، لكن كانت هناك ديناميكيةٍ مختلفةٍ عندما تكون جين وسيليست لوحدهما فقط.

في الآونة الأخيرة، بدأت كلٌّ منهما بمكاشفة الأُخرى ببعض الأمور السطحية. كان من الممتع اكتشاف الطريقة التي تبوح من خلالها بأشياء وأنت تمشي لم تكن لتقولها تحت ضغط الاتصال البصري وأنت تجلس على الطاولة. فكرت سيليست بذلك الصباح الذي أخبرتها فيه جين حول والد زيغي البيولوجي، الرجل البغيض الذي اغتصبها بشكلٍ أو بآخر. فاقشعرّ بدنها.

على الأقل لم يكن الجنس مع بيري عنيفًا، حتى إذا أعقب عنفًا وشجارًا، وحتى عندما كان جزءًا من لعبتهما الغريبة والانفعالية في اختلاق الأعذار، وفي الصَفْح والنسيان، كان الجنس دومًا مرتبطٌ بالحب وكان دائمًا أكثر من ممتع. قبل أن تقابل بيري، لم تشعر بالقدرة على الانجذاب بقوةٍ لأي رجلٍ، وتعرف أنها لن تنجذب لأيٍ كان مرةً أُخرى. لم يكن ذلك ممكنًا. كان أمرًا بالغ الخصوصية بهما.

ستفتقد الجنس. وستفتقد العيش بجوار الشاطئ. وستفتقد القهوة مع مادلين. وستفتقد السهرات ومشاهدة المسلسلات على DVD مع بيري. وستفتقد عائلة بيري.

عندما تنفصل عن شخص فأنك تنفصل عن عائلته بأكملها، كما قالت لها مادلين ذات مرةً. كانت مادلين في يومٍ من الأيام قريبةً من شقيقة ناثان الكبرى، لكنهما الآن نادرًا ما تلتقيان. سيتوجّب على سيليست أن تتخلى عن عائلة بيري وعن كل شيءٍ آخر.

كان هناك الكثير الذي ستفقده، والكثير الذي ستضحي به. حسنًا. بكل الأحوال كان هذا مجرد تمرينٍ.

لم تكن مضطرّة أن تمضي به أكثر. كان الأمر برمّته مجرد تمرينٍ نظري لترك انطباعٍ معيّن لدى سوزي (مستشارتها الاجتماعية) وإثارة إعجابها، والتي ربما لن تتأثر بذلك على الإطلاق، لأن ما يعنيها في النهاية هو المال فقط.

لم تُظهر سيليست أية شجاعةٍ استثنائية. كان بإمكانها تسديد نفقات استئجار وتجهيز شقةٍ لن تستخدمها على الأرجح مطلقًا بالمال الذي كان

يكسبه زوجها. ربما لم يكن لدى معظم زبائن سوزي إمكانية الحصول على المال، في حين كان بإمكان سيليست سحب مبالغ ماليّة كبيرةٍ من حساباتٍ مختلفةٍ دون أن يلاحظ بيري ذلك، وإن لاحظ، كان بإمكانها أن تختلق عذرًا بسهولة. يمكنها أن تخبره أن صديقةً لها تحتاج بعض المال ولن يرف له رمش حينها. بل سيعرض عليها المزيد. لم يكن مثل أولئك الرجال الذين يضيّقون القيد على زوجاتهم فعليًا من خلال تقييد تحركاتهنّ، وحصولهنّ على المال. كانت سيليست حرّة طليقةً مثل عصفور.

نظرت في أرجاء الغرفة. لم تجد خزانةً للملابس. كان عليها شراء واحدة. كيف فاتها ذلك عندما قامت باستطلاع الغرفة لأول مرّة؟

أول مرّة رأت فيها مادلين خزانة ملابس سيليست الضخمة، لمعت عيناها وكأنها سمعت قطعةً موسيقيةً رائعةً: «كان هذا حلمي وقد تحقق هنا».

كانت حياة سيليست بمثابة حلمٍ للآخرين وقد أصبح حقيقة. قالت سوزي: «لا أحد يستحق العيش في هكذا وضع». لكن سوزي لم ترَ حياتهم كلّها. لم ترَ الانطباع الذي يظهر على وجهي الطفلين عندما ينسج بيري قصصه المجنونة عن رحلاته الجوية في الصباح الباكر عبر المحيط. «لا يمكنك الطيران بالفعل يا أبي. هل يستطيع الطيران يا أمّي؟ هل يستطيع؟». ولم ترَ بيري يرقص الراب مع طفليه أو يرقص slow-dancing مع سيليست على الشرفة، حيث كان القمر وكأنه يراقبهما عن كثبٍ في السماء، ملقيًا ضوئه الفضي اللامع على البحر وكأنه كان حاضرًا لأجلهما فقط.

يكاد الأمر يستحق العناء. هذا ما قالته لسوزي

ربما كان في الأمر شيءٌ من العدل حتى. كان القليل من العنف ثمنًا باهظًا لحياةٍ كانت ستصبح لولا ذلك مثاليةً وبهيّة ورومانسيةٍ إلى حدٍّ يثير الاشمئزاز.

إذًا، ما الذي تفعله هنا الجحيم، إنّها تخطط سرًّا لطريق فرارها مثل سجينة؟

الفصل التاسع والثلاثون

قالت جين: «زيغي».

كانا على الشاطئ يبنيان قلعةً من الرمال الباردة. كانت السماء عند الغروب تبدو خفيضةً وكثيفة، وكانت الريح تصفر. كان شهر أيار، وربما عاد الغدُ جميلاً ومشمسًا مرّةً أُخرى، لكن اليوم كان الشاطئ مهجورًا تقريبًا. هناك في البعيد، استطاعت جين أن ترى شخصًا يتنزّه ومعه كلبٌ، وكان راكب أمواجٍ وحيد يرتدي بدلة غطسٍ كاملة يسير باتجاه الماء، متأبّطًا لوح تزلّجه. كان المحيط غاضبًا، يقذف بأمواجه موجةً تلو أُخرى على الشاطئ- بصوت هديرٍ مخيف، بوووم. كان الماء الأبيض يرغي ويزبد ويعلو ثم يهبط كنوافير مجنونة تضخُّ الرذاذ عاليًا في الهواء.

كان زيغي يدندن وهو يبني قلعة الرمل، ثم يربت عليها بمجرفةٍ اشترتها له جدّته والدة جين.

قالت: «رأيتُ السيدة ليبمان البارحة وكذلك والدة أمابيلا».

نظر زيغي إليها. كان يرتدي قبعةً رماديةً تنسدل فوق أذنيه وتغطي كامل شعره. كانت وجنتاه متوردتين من البرد.

تابعت جين: «تقول أمابيلا أن شخصًا ما في صفّها كان يؤذيها سرًا وفي غفلةٍ عن المعلمة ويقرصها. حتى أنه ... كان يعضّها».

يا إلهي. كان من المروّع جدًا التفكير في ذلك، ولا عجب أن ريناتا كانت مستعدةً لسفك الدماء. لم ينبث زيغي ببنت شفة بل وضع المجرفة وحمل الرفش البلاستيكي.

جين: «تظن أم أمابيلا أنك أنتَ الفاعل». كادت أن تقول: «لست أنت، أليس كذلك؟» لكنها أوقفت نفسها.

وبدلاً من ذلك قالت: «هل أنت من فعل ذلك يا زيغي؟».

تجاهلها. وأبقى بصره منصبًّا عما كان بين يديه، يرسم على الرمل خطوطًا مستقيمةً بدقةٍ.

-«زيغي».

وضع المجرفة ونظر إليها. بدا وجهه الناعم صغيرًا. وكانت عيناه تحدّقان في مكانٍ ما خلف رأسها.

أجاب: «لا أريد التحدث في ذلك».

الفصل الأربعون

سامانثا: هل سمعتم عن العريضة؟ أدركت حينها أن الأمور بدأت تخرج عن السيطرة.

هاربر: لا أخجل أن أقول إنني من بدأت العريضة. بحقّ السماء، لم تُحرّك المدرسة ساكنًا ولم تَقُمِ بأيّ إجراء! كادت ريناتا المسكينة تفقد عقلها. يجب أن تكون قادرًا على إرسال طفلك إلى المدرسة وأنت على ثقة أنه في مكانٍ آمن.

السيدة ليبمان: أنا أرفض هذا الكلام بشدّة، وأرفض القول إن «المدرسة لم تَقُم بأي إجراء». لدينا خطة عملٍ شاملة. واسمحوا لي أن أكون واضحةً. ليس لدينا أي دليلٍ فعلي على أن زيغي هو من قام بالتنمّر.

ثيا: لقد وقّعت عليها. الطفلة المسكينة الصغيرة.

جوناثان: بالطبع لم أوقع عليها. ذلك الولد المسكين.

غابرييل: لا تخبروا أحدًا لكنني أعتقد أنني وقعت عليها عن طريق الخطأ. اعتقدتُ أنها عريضةٌ حول دفع المجلس إلى وضع معبرٍ للمشاة في شارع بارك.

أسبوع قبل عشية المسابقة

قالت مادلين بتألّق وهي تفتح الباب الأمامي: «مرحبًا بكم في الجلسة الافتتاحية لنادي كتب الإثارة في شبه جزيرة بيريوي». وعاجلت نفسها بنصف كأسٍ من الشمبانيا.

بينما كانت تستعد لهذه الليلة وبّخت نفسها لتأسيسها نادٍ للكتاب. لقد كان مجرد هروبٍ من حزنها على انتقال أبيغيل. هل كان الحزن كلمة دراميةً بامتياز؟ ربما. لكن هذا ما شعرت به. شعرت أنها قد تكبدت خسارةً فادحة، لكن لم يواسيها أحدٌ أو يجلب لها الأزهار، لِذلك حاولت إشغال نفسها بتأسيس نادٍ للكتاب، هكذا ببساطة. (لماذا لم تذهب للتسوق يا ترى؟) لقد دعت متباهيةً جميع أولياء الأمور في الروضة لكن لبّى الدعوة عشرةً منهم فقط. ثم اختارت كتابًا ممتعًا وعصريًا كانت تعلم أنها ستستمتع به، وأعطت الجميع وقتًا كافيًا لقراءته، قبل أن تدرك أن كل شخصٍ سيكون له دورٌ في اختيار كتابٍ، وربما ينتهي بها الأمر إلى الخوض في بعض المجلدات الضخمة والجديرة بالقراءة. أوه لا بأس. كان لديها تجارب كثيرة في عدم أداء واجباتها المدرسية. ربما ستتدبّر أمرها على وجه السرعة حينها. أو ربما ستحتال بطريقةٍ ما وتطلب من سيليست تقديم ملخّص.

قالت ضيفتها الأولى سامانثا وهي تتناول صحنًا من الكعك: «توقفي عن تسميته نادي الكتاب المثير. لقد بدأ الناس بالثرثرة. كارول مهووسةٌ بتلك الأمور».

كانت سامانثا صغيرةً ونحيلةً، كانت نسخةٌ مصغّرةٌ عن لاعبي القوى. لقد شاركت في العديد من الماراثونات لكن مادلين سامحتها على هذه الزلّة، لأن سامانثا بدت وكأنها تقول ما فكرت به بالضبط وكانت أيضًا واحدة من أولئك الأشخاص الذين كانوا تحت رحمة روح الدعابة الخاصة بهم. كثيرًا ما يمكن رؤيتها حول الملعب ممسكةً بذراع إحداهن لمساعدتها على البقاء منتصبةً بينما كانت تضحك دون توقف.

كانت مادلين مولعةً بسامانثا أيضًا لأنه خلال الأسبوع الأول من المدرسة وقعت كلوي في حب ابنة سامانثا، ليلي، (زميلتها الأميرة المشاكسة). وقد ثبت أن خوف مادلين من أن تتصادق كلوي مع سكاي لا أساس له من الصحّة. والحمد الله. لكن مع مغادرة أبيغيل، كان ليكون شيئًا يصعب تحمّله في الوقت الحالي، وهو أنه يتوجب على مادلين وضع مواعيدٍ من أجل اللعب مع ابنة زوجها السابق.

سألت سامانثا: «هل أنا أول الواصلين؟ غادرتُ المنزل باكرًا لأنني كنت أرغب بشدّة بترك أطفالي. قلتُ لستو: سأترك أمر الأولاد لك يا صديقي».

قادتها مادلين إلى غرفة الجلوس وهي تقول: «تعالي وتناولي قدحًا».

سامنثا: «جين قادمة، أليس كذلك؟».

- «نعم، لماذا؟». توقفت مادلين.

- «كنت أتساءل فقط عما إذا كانت على علمٍ بالعريضة التي يتم تداولها».

- «أي عريضةٍ؟». سألت مادلين وهي تكزّ بأسنانها. كانت جين قد أخبرتها بالتهم الجديدة الموجّهة ضد زيغي.

على ما يبدو أن أمابيلا رفضت تأكيد أو نفي أن زيغي هو من كان يؤذيها، ووفقًا لما قالته جين، تصرّف زيغي بشكل غريب عندما واجهته بذلك. لم تعرف جين إن كان ذلك دليلاً على إدانته أو على شيءٍ آخر. ذهبتْ بالأمس إلى الطبيب للحصول على إحالةٍ إلى طبيبٍ نفسي الأمر الذي سيكلّفها الكثير.

- «أريد أن أتأكد فقط»، كانت قد قالت لمادلينن «كما تعلمين، بسبب ... بسبب خلفيته».

تساءلت مادلين عمّا إذا كانت تلك الفتيات الثلاث، أخوات زيغي غير الشقيقات، متنمراتٍ ايضًا. ثم احمرّ وجهها خجلاً وشعرت بالإحراج من ظنّها السيء.

قالت سامانثا بنظرةٍ مليئةٍ بالاعتذار وكأنها داست على قدم مادلين: «إنها عريضةٌ لتعليق دوام زيغي في المدرسة».

- «ماذا؟ هذا كلامٌ سخيف! ألم تفكّر ريناتا ولو للحظةٍ أن الناس لن يكونوا مغفّلين أو ضيقي الأفق لدرجة التوقيع على مثل هذه العريضة!».

سامانثا: «لم تكن ريناتا. أعتقد أن هاربر هي من بدأت بها، أعتقد أنه تربطهما علاقة صداقةٍ متينة، أليس كذلك؟ ما زلت أحاول جاهدةً فهم سياسات المكان».

مادلين: «هاربر صديقةٌ جيدة لريناتا، وهي حريصة على جعلكِ تعرفين ذلك. وقد توطّدت علاقتهما بسبب أطفالهما الموهوبين». التقطت كأسًا من الشمبانيا واجترعته.

سامانثا: «أعني، تبدو أمابيلا فتاةً صغيرةً حلوةً. أكره التفكير بأنها تتعرض للتنمر سرًّا، لكن عريضة؟ للتخلص من ولدٍ في الخامسة من عمره؟ يا له من أمرٍ مشين»، هزت رأسها: «أعتقد أنني لن أعرف كيف أتصرّف بالشكل الأمثل لو كانت ليلي في نفس الموقف، لكن يبدو أن زيغي مغرمٌ جدًا بالعيون الخضراء الواسعة، وتقول ليلي دائمًا أنه لطيفٌ معها. كان يساعدها في العثور على كُرتها الزجاجية المفضلة أو شيءٍ آخر كانت تبحث عنه. هل ستقدمين لي شرابًا؟».

- «آسفة»، قالت مادلين. وصبت لسامانثا كأسًا من الشمبانيا. وأردفت: «هذا يفسر الاتصال الهاتفي الغريب الذي تلقيته من ثيا للتو. قالت إنها ستنسحب من نادي الكتاب. بدا الأمر غريبًا بعض الشيء لأنها كانت تُعرب عن رغبتها بالانضمام إلى نادٍ للكتاب، وكيف أنها بحاجة لفعل شيءٍ لنفسها. حتى أنها كانت تُدلي ببعض التعليقات المزعجة والغمز واللمز عن المشاهد الجنسية في الكتاب، والذي كان، كما تعلمين، أمرًا مزعجًا. لكن منذ عشرة دقائقٍ فقط، اتصلت لتعتذر وقالت إن لديها الكثير من الالتزامات».

سامانثا: «لديها أربعة أولاد كما تعلمين».

- «نعم، هذا كابوسٌ مرعب».

ضحكتا بخباثة.

- «أمي، أكاد أموت عطشًا!». نادى فريد من غرفة نومه.

- «سيجلب لك بابا كوبًا من الماء!». ردت مادلين.

توقفت سامانثا عن الضحك: «هل تعرفين ما قالته لي ليلي اليوم؟ قالت: ماما، هل تسمحين لي باللعب مع زيغي؟ فأجبتها: بالطبع تستطيعين. ثم قالت ...». لكن سامانثا توقفت فجأة وتغيرت نبرة صوتها، ثم هتفت: «أهلاً كلوي».

كانت كلوي تقف في الباب وهي تمسك دبدوبها.

- «اعتقدتُ أنك كنتِ نائمة». قالت مادلين بحدّة، رغم أن قلبها كان يذوب لمرأى أطفالها وهم في لباس النوم. كان من المفترض أن يقوم إد بواجبات الأطفال أثناء استضافتها نادي الكتاب.

كان قارئًا جيّدًا وقد قرأ الكتاب الذي ستجري مناقشته اليوم لكنه لم يرغب بالانضمام إلى نادي الكتاب هذا. قال إن فكرة نوادي الكتب تعيد له ذكرياتٍ مقيتة عن زملاء الدراسة الذين كانوا يدّعون كذبًا إلمامهم بالأدب ومعرفتهم به خلال دراسته للأدب الإنكليزي. قال لها: «إن استخدم أي شخصٍ عباراتٍ مثل «تصويرٌ رائع» أو «قصّة ممتعة» فاصفعيه نيابةً عنّي».

قالت كلوي: «كنت نائمة لكن شخير أبي أيقظني».

بسبب ادعاءها مؤخرًا أن مِسخًا يغزو غرفتها، طوّرت كلوي عادةً جديدةً حيث كان على أبوها أو أمها الاستلقاء معها «لبضع دقائق فقط» قبل أن تغط في نومها. لكن المشكلة الوحيدة هي أن مادلين واد كانا يغطّان في نوم عميق أيضًا، ويخرجان من غرفة كلوي بعد ساعةٍ أو أكثر، يجرّان نفسيهما جرًّا وعينيهما مغمضتين.

خاطبت سامانثا كلوي: «والد ليلي يشخر أيضًا وكأنه قطار محمّلٌ بالبضائع».

- «هل كنت تتحدثين عن زيغي؟»، قالت كلوي لسامانثا مشاركةً الحديث، «كان يبكي اليوم لأن والد أوليفر قال بأن عليه أن يبقى بعيدًا عن ابنه، لأن زيغي ولدٌ متنمّر».

قالت مادلين: «بحقّ السماء. والد أوليفر هو المتنمّر. لو تريه في اجتماعات أولياء الأمور في المدرسة».

كلوي: «لِذلك ضربت أوليفر».

مادلين: «ماذا؟».

كلوي: «قليلاً فقط»، نظرت إليهما نظرةً ملائكية وعانقت الدمية، «لم أؤذه كثيرًا».

رنّ جرس الباب في الوقت الذي نادى فيه فريد: «أمي، أريد إخبارك فقط أنني ما زلت أنتظر كأس الماء!». فأمسكت سامانثا بذراع مادلين وهي تتمايل من الضحك.

الفصل الواحد والأربعون

علمت جين بالعريضة قبل عشر دقائق فقط من موعد مغادرتها لحضور أول اجتماع لنادي الكتاب الذي تقيمه مادلين. كانت في الحمّام تنظف أسنانها عندما رنّ هاتفها المحمول وردّ عليه زيغي. سمعته يقول: «سأوصله لها». تناهى إلى سمعها صوت وقع أقدامه وظهر في الحمّام. «إنها معلمتي!». قال بصوتٍ مذهولٍ وهو يدفع بالهاتف إليها.

- «لحظة فقط زيغي»، غمغمت جين، لأن فمها كان مليئًا بمعجون الأسنان والماء. أبعدت يدها وهي لا تزال ممسكةً بفرشاة الأسنان، لكن زيغي دفع الهاتف في يدها وعاد مسرعًا، «زيغي!». كاد الهاتف ينزلق ويقع لكنها رفعته عاليًا وهي تتغرغر وتبصق ثم مسحت فمها. ماذا الآن؟ كان زيغي هادئًا ومنطويًا على نفسه ظهر اليوم بعد أن عاد من المدرسة، لكنه قال بأن أمابيلا لم تكن حتى في المدرسة اليوم، لِذلك لا يمكن أن يكون الأمر متعلقًا بها. أوه، يا إلهي. هل فعل شيئًا آخر لأحدهم؟

خاطبت الآنسة بارنز: «مرحبا، آنسة بارنز. ريبيكا». كانت تحب ريبيكا بارنز. علمت مؤخرًا أنهما بنفس العمر تقريبًا (كان هناك أحاديث وجدل بين الأطفال حول حقيقة أن الآنسة بارنز ستدخل عامها الخامس والعشرين قريبًا) ورغم أنهما لم تكونا صديقتين تمامًا، لكنها كانت تشعر أحيانًا بتضامنٍ غير معلن بينهما، تقاربٍ طبيعي بين شخصين من نفس الجيل عندما يُحاطان بأشخاصٍ أكبر أو أصغر سنًا.

قالت ريبيكا: «مرحبا جين، آسفة، حاولت اختيار وقتٍ اعتقدت فيه أن زيغي سيكون نائمًا، ولكن قبل أن يفوت الأوان على ...».

- «أوه، حسنًا، إنه على وشك الذهاب إلى النوم بالفعل». أومأت جين بحركات لزيغي تشير له أن يبتعد. بدا مذعورًا وركض نحو غرفة نومه، ربما كان خائفًا من معلمته بسبب سهره المتأخر. (عندما يتعلق الأمر المدرسة، كان زيغي ملتزمًا بالقوانين، وكان حريصًا جدًا على إرضاء الآنسة بارنز. لهذا السبب كان يستحيل تصوّر أن يصدر عنه سلوكٌ سيء إن كان هناك احتمال ولو ضئيل جدًا لكشف أمره. ظلت جين مصرّةٌ على ضرب كل ما قيل بعرض الحائط وعلى استحالة قيامه بذلك. لم يكن زيغي من ذلك النوع من الأطفال الذين يفعلون أشياء كهذه).

سألتها جين: «ما الأمر؟».

ردّت ريبيكا: «هل تريدين منّي الاتصال في وقتٍ لاحق؟».

- «لا، لا بأس، لقد ذهب إلى غرفته. هل حدث شيء؟»، سمعت حدّة صوتها. لقد حددت موعدًا لرؤية طبيبٍ نفسي الأسبوع القادم. كان هناك موعدًا تم إلغائه، ولحسن حظّها تمكّنت من أن تحلّ محله. كانت قد حذّرت زيغي مرارًا وتكرارًا من إيذاء أمابيلا، أو أيٍ من الأطفال الآخرين، لكنه أجاب بنبرةٍ رتيبة: «أعرف ذلك يا أمي. أنا لا أؤذِ أحدًا ماما»، بعد عدة دقائق وكالعادة: «لا أريد الحديث عن الأمر أمي». ماذا يمكنها أن تفعل أيضًا؟ معاقبته على شيءٍ لا تملك هي نفسها أيّ دليلٍ قاطعٍ بأنه هو من فعله؟

ريبيكا: «أتساءل فقط عمّا إذا كنتِ على علمٍ بالعريضة الجاري تداولها. أردت أن تسمعي عنها منّي».

جين: «عريضة؟ أية عريضة؟».

ردت ريبيكا: «عريضةً تدعو إلى تعليق دوام زيغي في المدرسة. أنا آسفة لا أعرف من هم أولياء الأمور الذين ورائها، لكنني أردت فقط أن تعرفي أنني مستاءةٌ منها، وأعرف أن السيدة ليبمان ستكون مستاءةً أيضًا، ومن الواضح أنه لن يكون لها أي تأثيرٍ، حسنًا، على أيّ شيء».

جين: «تعنين أن هناك أشخاص يوقّعون عليها حقًا؟»، أمسكت بأعلى الكرسي فلاحظت أن مفاصل أصابعها تتحول للون الأبيض، «لكننا لا نعرف على وجه اليقين ...».

قالت الآنسة بارنز: «أعرف، أعرف أنه ليس لدينا أي دليلٍ ... ما لاحظته أن أمابيلا وزيغي صديقان! لِذلك أنا في حيرةٍ من أمري. أراقبهما مثل الصقر، أقوم بذلك بالفعل، حسنًا أنا أحاول، لكن لدي ثمانيةٌ وعشرون طفلاً، اثنان منهما مصابان باضطرابات نقص الانتباه، وآخر يعاني من صعوبات التعلم، وطفلان موهوبان وأربعة تلاميذ على الأقل يعتقد آبائهم بأنهم موهوبين، وطفل آخر يعاني من حساسية شديدة فأشعر بأن يدي يجب أن تكون دومًا على دواء إيبي بن ضد الحساسية و ...»، أصبح صوت الآنسة بارنز سريعًا وعالي النبرة لكنها توقفت فجأةً في منتصف الجملة ونظفت حلقها، قبل أن تخفّض صوتها، «آسفة جين، يجب ألا أتحدث معك بهذه الطريقة التي لا تبدو مهنية بتاتًا. أنا منزعجةٌ حقًا بالنيابة عنك ... وبالنيابة عن زيغي».

جين: «لا بأس». أثلج صدرها بعض الشيء سماع التوتر في صوتها.

الآنسة بارنز: «عندي نقطة ضعفٍ حقيقية تجاه لزيغي. وعليّ أن أعترف أنّ عندي نقطة ضعفٍ تجاه أمابيلا أيضًا. كلاهما طفلين لطيفين. أعني، أشعر بأنّي أتمتع بغرائز جيدة عندما يتعلق الأمر بالأطفال، لِذلك أجد الأمر برمّته غريب، وغريبٌ جدًا».

جين: «نعم، لا أعرف ما عليّ فعله».

الآنسة بارنز: «سنتعامل مع الأمر. أعِدُكِ أننا سنعالجه».

كان من الواضح تمامًا أنها لا تعرف ماذا ستفعل أيضًا.

بعد أن أنهت المكالمة، ذهبت جين إلى غرفة نوم زيغي.

كان جالسًا وقد شبك رجليه فوق بعضهما وأسند ظهره إلى الحائط، والدموع تنهمر من عينيه.

قال: «ألن يلعب معي أحدٌ بعد الآن؟».

ثيا: ربما سمعتم أن جين كانت ثملةً ليلة المسابقة، وهذا أمرٌ غير مستحب في حدثٍ يجري في المدرسة. اسمعوا، أعلم أنه لا بدّ أن ما يجري مع زيغي هو أمرٌ مزعجٌ للغاية، لكنني ظللت أسأل نفسي: لماذا لا تخرجه من هذه المدرسة؟ لا أعتقد لأن لها روابط عائلية في المنطقة. كان الأجدى بها أن تعود إلى الضواحي الغربية حيث نشأت وترعرعت لأنها قد تكون، كما تعلمون، أفضل لها.

غابرييل: كنا «منتشين للغاية». أتذكر أن مادلين كانت تقول: «أشعر بسعادةٍ غامرةٍ» مادلين المثالية. مادلين المسكينة.... بكل الأحوال. لقد كان ذلك بسبب الكوكتيل. لا بد أن فيه ألف سعرة حرارية.

سامانثا: كان الجميع سكارى وكانت ليلةً رائعةً بالفعل حتى انتهى كل شيءٍ بشكلٍ فظيع.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثاني والأربعون

- «أين بيري هذه المرة؟». سألت غوين، وهي تهمُّ بالجلوس على أريكة سيليست المفضّلة مع عدّة حياكتها.

كانت غوين تجالس الصبيين منذ أن كانا صغارًا. كانت جدّةً لاثني عشر ولدًا، لكنها تتمتع بأسلوبٍ حازم تُحسد عليه وتخبأ دومًا بعض قطع الشوكولاتة المغلفة بغلافٍ ذهبي على شكل نقود في حقيبة يدها، وهو ما لم يكن ضروريًا الليلة لأن الصبيين على ما يبدو كانوا نائمين.

قالت سيليست: «جنيف. أو انتظري، هل هي جنوا؟ لا أستطيع التذكّر. لا يزال في الجو حتى الآن. لقد غادر هذا الصباح».

تفحصّتها غوين بنوعٍ من الفضول والاهتمام: «يعيش حياةً غريبةً، أليس كذلك؟».

سيليست: «نعم. أعتقد كذلك. لا ينبغي أن أتأخر كثيرًا. إنه نادي كتابٍ جديد، لِذلك لست متأكدةً من الوقت ...».

غوين: «يتوقف الأمر على الكتاب! ناقش مؤخرًا نادي الكتاب الذي أنتسبُ إليه الكتاب الأكثر إمتاعًا. حسنًا، ماذا كان اسمه يا ترى؟ لقد كان حول، حسنًا، أممم، حول ماذا كان؟ لم يعجب به أحدٌ كثيرًا، لأكون صادقةً، فقط صديقتي بيب، إنها تحب تقديم نوع من الأطباق عند استكمال قراءة الكتاب، لِذلك صنعت طبق السمك بالكاري، رغم أنه كان حارًا قليلاً، لكننا كنّا جميعًا، كما تعرفين، نشعر بحرقة!».

لوحت غوين بكلتا يديها أمام فمها في إشارة لحدّة التوابل.

كانت المشكلة الوحيدة مع غوين هو أنه كان من الصعب أحيانًا إيجاد طريقة للهروب من أحاديثها. كان يقوم بيري بذلك بشكلٍ رائع، لكن سيليست تجد الأمر محرجًا.

- «حسنًا، من الأفضل أن انطلق الآن». انحنت سيليست لالتقاط هاتفها، الذي كان على طاولة القهوة أمام غوين.

قالت غوين: «تلك كدمةٌ مؤلمة. ماذا فعلتِ لنفسك؟».

سحبت سيليست كم قميصها الحريري إلى أسفل معصمها. قالت: «إصابة تنس، ركضت أنا وزميلتي أثناء اللعب لتسديد نفس الضربة».

غوين: «أوه!». نظرت إلى سيليست بثباتٍ.

وساد الصمت لبرهة.

سيليست: «حسنًا. كما قلت، ينبغي ألا يستيقظ الصبيّان ...».

- «ربما حان الوقت لإيجاد شريكٍ آخر في التنس». قالت غوين بنبرة حادّة ومتسلّطة. كانت نفس النبرة التي تسمعها سيليست من غوين عندما كان الصبيان يتشاجران.

سيليست: «حسنًا. لقد كان خطأي أيضًا».

- «أراهن أنه لم يكن كذلك». حدّقت جوين بعيني سيليست. خطر ببال سيليست أنه خلال كلّ تلك السنوات التي عرفت فيها غوين، لم تذكر زوجها أبدًا؛ بدت غوين مستقلة بذاتها، عذبة الحديث وكلّها حركة ونشاط، وخلال جميع أحاديثها مع أصدقائها وأحفادها، كانت تبدو فكرة الزوج لها غير ضروريةٍ.

قالت سيليست: «من الأفضل أن أذهب».

الفصل الثالث والأربعون

كان زيغي لا يزال يبكي عندما طرقت جليسة الأطفال الباب. كان قد أخبر جين بأن ثلاثة أو أربعة أولادٍ (لم تتمكن من فهم حقيقة ما حصل بالضبط، لأنه كان مشوشًا وحديثه غير مترابط) قالوا إنه غير مسموحٍ لهم باللعب معه.

انتحب في حضن جين، حيث دفن وجهه في حِجرها بقوةٍ بعد أن جلست على السرير بجواره وألقى بنفسه عليها فجأةً، كاد يوقعها على ظهرها أرضًا. استطاعت أن تشعر بضغط أنفه الصغير ورطوبة دموعه المنهمرة على بنطالها، كان يفرك وجهه بساقها بحركةٍ لولبيةٍ مؤلمةٍ وكأنه يحاول دفن نفسه فيها بطريقةٍ ما.

- «لقد أتت تشيلسي». سحبت جين كتفي زيغي النحيلتين في محاولةٍ منها إزاحته، لكنه لم يتوقف حتى لالتقاط أنفاسه.

قال وهو ينتحب: «كانوا يهربون مني. يركضون بسرعةٍ! شعرت وكأنني ألعب لعبة حرب النجوم!».

حسنًا، فكرت جين. لن تذهب إلى نادي الكتاب. لا يمكنها تركه في حالةٍ كهذه. بالإضافة إلى ذلك، ماذا لو كان هناك أولياء أمور وقعوا على العريضة؟ أو منهم من قال لأولاده أن يبتعدوا عن زيغي؟

- «انتظر هنا فقط». قالت بحدّة وهي تحاول رفع ساقه وجسده الثقيل عن ساقيها. نظر إليها بوجهه الأحمر المبلل بالمخاط ثم ألقى بنفسه على وسادته.

قالت جين لِتشيلسي: «آسفة. عليّ إلغاء الموعد. لكني سأدفع لك على كل حال».

لم يكن لديها فئة نقدية أقل من خمسة دولارات.

قالت تشيلسي: «أوه، آه، رائع. شكرًا». لا يفرق على المراهقين شيئًا.

أغلقت جين الباب وذهبت لتتصل بمادلين.

أخبرتها قائلةً: «لن أستطيع، لأن زيغي-زيغي ليس على ما يُرام».

مادلين: «يتعلق الأمر بأمابيلا، أليس كذلك؟». استطاعت جين أن تسمع أصواتًا في محيطها. كان بعض أولياء الأمور الآخرين هناك.

- «نعم. هل سمعت عن العريضة؟». حاولت إخفاء تهدّج صوتها. لا بد أن مادلين سئمت منها: من حزنها على لعبة هاري فرس البحر، وإشراكها بقصصها الجنسية القذرة. ربما ندمت على اليوم الذي لوت فيه كاحلها.

ردّت مادلين: «إنه أمرٌ شائن. أكاد أجنّ من شدة الغيظ».

انفجر مجموعة أشخاص بالضحك من محيط مادلين. بدت وكأنها حفلة كوكتيل وليس نادي للكتاب. جعل صوت ضحكهم جين تشعر بالضيق والإهمال، رغم أنها كانت مدعوّة.

جين: «من الأفضل أن أتركك تذهبين لضيوفك. استمتعِي بوقتك».

مادلين: «سأتصل بك لاحقًا. لا تقلقِي. سنصلح الأمر».

ما أن أنهت جين المكالمة، حتى كان هناك قرعٌ آخر على الباب. كانت المرأة التي تسكن في الطابق السفلي، والدة تشيلسي وإيرين، وهي تحمل ورقةً نقديةً من فئة خمسين دولارًا. كانت امرأةً طويلة وصارمة ذات شعرٍ رمادي قصير وعينين ذكيتين.

قالت: «ليس عليكِ أن تدفعي خمسين دولارًا مقابل عدم فعل شيء».

أخذت جين المال بامتنان. لقد شعرت بوخزةٍ بعد أن أعطت تشيلسي المال. خمسون دولارًا، نعم كانت خمسين. «اعتقدت، كما تعلمين، أنها ستنزعج».

- «هي في الخامسة عشر. كان عليها أن تصعد مجموعةً من السلالم. هل زيغي على ما يُرام؟».

جين: «نواجه بعض المشاكل في المدرسة».

إيرين: «آه، عزيزتي».

- «له علاقة بالتنمّر». أوضحت جين. لم تكن تعرف إيرين حقّ المعرفة، باستثناء دردشاتهما المشتركة في بئر السلّم.

- «شخصٌ ما يضايق زيغي المسكين؟». استهجنت إيرين.

- «بل يقولون إن زيغي هومن يقوم بالتنمّر».

إيرين: «أوه، هراء. لا تصدقي ذلك. لقد قمت بالتدريس في مدرسةٍ ابتدائية لمدةٍ لا تقلّ عن أربعةٍ وعشرين عامًا. يمكنني معرفة الشخص المتنمّر على بعد ميلٍ. زيغي ليس متنمّرًا».

جين: «حسنًا، آمل ألا يكون كذلك. أعني، لا أعتقد أنه كذلك».

قالت إيرين وهي تنظر إليها بدهاءٍ: «أراهن أن أولياء الأمور هم الذين يثيرون الضجة الأكبر، أليس كذلك؟ يهتمّ الآباء كثيرًا بأطفالهم هذه الأيام. هذا يعيد إلى ذاكرتي الأيام الخوالي للامبالاة المحمودة حسب اعتقادي. لو كنت مكانك، لما أخذت الأمر على محمل الجدّ. الأطفال الصغار مشاكلهم صغيرة. انتظري حتى يتعاطون المخدرات والجنس ووسائل التواصل الاجتماعي عندها اشعري بالقلق».

ابتسمت جين بأدب وتناولت ورقة الخمسين دولارًا. «حسنًا، شكرًا، أخبرِي تشيلسي أنني سأحجزها لرعاية زيغي في ليلةٍ أُخرى».

أغلقت الباب بقوةٍ، لقد أعجبها تعليق إيرين «الأطفال الصغار مشاكلهم صغيرة». وبينما كانت تسير في الرواق استطاعت سماع زيغي وهو ما يزال يبكي: ليس بكاء طفلٍ غاضب يريد لفت الانتباه، أو بكاءٍ مرير لطفلٍ أذى نفسه. كان يبكي بكاء شخصٍ ناضج إلى حدٍّ ما: بكاءً مريرًا صادرًا من أعماقه.

دخلت جين إلى غرفة نومه ووقفت للحظةٍ عند الباب، شاهدته يدفن رأسه في السرير وكتفاه يرتجفان ويداه الصغيرتان تتشبثان بلحافه المنقوش عليه مشاهد من حرب النجوم.

شعرت بشيءٍ قاسٍ وقويٍ داخلها. حتى هذه اللحظة لم تكن مهتمةً فيما إذا كان زيغي قد أساء إلى أمابيلا أم لا، أو إذا كان قد ورث ميلاً سرّيًا شريرًا للعنف من والده البيولوجي، وعلى أي حال، من قال إن الميل نحو العنف جاء من والده، لأنه لو كانت ريناتا تقف أمامها في هذه اللحظة، لما توانت جين عن صفعها. كانت ستوجّه الضربات لها وهي سعيدةٌ. ستضربها بقوة لدرجة أن نظاراتها الباهظة الثمن ستطير من على وجهها. وقد تسحق تلك النظارات تحت كعبها مثلما يتصرّف المتنمّر الحقيقي. وإذا جعلها ذلك تبدو أمًّا مفرطةً بحماية ابنها فمن الذي يكترث بحق الجحيم.

– «زيغي؟». جلست على السرير بجانبه وربتت على ظهره.

رفع وجهه المبلل بالدموع.

– «دعنا نذهب لزيارة الجد والجدة. سنأخذ ثياب النوم معنا ونبيت ليلتنا هناك».

استنشق الهواء بقوّة. سرتْ قشعريرة من الحزن في جسده.

– «ودعنا نأكل رقائق البطاطا والشوكولاتة ونستمتع طوال الطريق إلى هناك».

* * *

سامانثا: أعرف أنني كنت أضحك وأحكي النكات وما إلى ذلك، لِذلك ربما تعتقدون أنني عاهرةٌ بلا قلبٍ، لكنها آليةٌ دفاعيةٌ أو شيءٍ من هذا القبيل. أعني أنها مأساة. كانت الجنازة.... عندما وضع ذلك الصبي الصغير الرسالة على التابوت؟ لا أستطيع حتى. كدت أفقد السيطرة على نفسي. جميعنا لم نتمالك أعصابنا.

ثيا: أمرٌ محزنٌ للغاية. ذكّرتني بجنازة الأميرة ديانا عندما ترك الأمير الصغير هاري ملاحظة تقول «ماما». لا يعني ذلك أننا نتحدث عن العائلة المالكة هنا، بالطبع.

الفصل الرابع والأربعون

لم يستغرق الأمر من سيليست طويلاً حتى أدركت أنه كان نادٍ للكتاب لكن حضور الكتاب فيه ثانويًا بالنسبة للإجراءات. شعرت بخيبة أملٍ نوعًا ما. كانت تتطلع شوقًا للحديث عن الكتاب. حتى أنها استعدّت لفكرة نادي الكتاب لدرجة الإرباك، مثل محاميةٍ صغيرةٍ مجتهدة تقوم بتدوين بعض الملاحظات وكتابة بعض التعليقات المهمّة على الهوامش.

سحبت الكتاب من حِجرها ووضعته في حقيبتها قبل أن يلاحظها أحد ويلاحظ انزعاجها بشأنه. سيكون هذا الانزعاج طفيفًا وخفيف الظل لكنها لم تعد تتمتع بالمرونة الكافية لتقبّل الانزعاج. كان الزواج من بيري يعني أن تكون على استعدادٍ دائم لتبرير أفعالها، ومراقبة ما ستقوله أو تفعله باستمرار وفي نفس الوقت كانت تشعر أن عليها الدفاع عن سلوكها الدفاعي، فتتحول أفكارها ومشاعرها إلى عقدةٍ لا يمكن حلّها، لِذلك في بعض الأحيان، كما هو الحال الآن، عندما تجلس في غرفةٍ مع أناس عاديين، تندفع كل الأشياء التي لا تستطيع قولها إلى حلقها وتمنعها من التنفس للحظةٍ.

بماذا سيفكر هؤلاء الأشخاص إن عرفوا أن هناك شخصًا مثلها يجلس أمامهم، ويقدم لهم السوشي؟ كانوا هؤلاء أناسًا مهذبين وغير مدخنين اعتادوا الانضمام إلى نوادي الكتب، ويحبون التجديد، ويتحدثون بلطفٍ. لا يضرب الأزواج والزوجات بعضهم البعض في مثل هذه الأنواع من الدوائر الاجتماعية الصغيرة المتجانسة.

كان السبب في عدم حديث أحد عن الكتاب هو أن الجميع كانوا يتحدثون عن العريضة الموجّهة ضد زيغي. لم يسمع بعض الأشخاص بها بعد، أما الأشخاص الذين سمعوا بها كان لديهم مهمّة ممتعة تتمثّل في نقل التطوّرات الخطيرة لهذا الموضوع. لقد ساهم الجميع بالمعلومات التي استطاعوا الحصول عليها.

صدر عن سيليست بعض الهمهمات التي تشير إلى قبولها بما يتم تداوله من حديثٍ تديره مادلين المفعمة بالنشاط والحيوية لدرجة الانفعال.

- «على ما يبدو أن أمابيلا لم تقل حقيقةً أن زيغي هو من آذاها. وأن ريناتا هي من يفترض ذلك بسبب ما حدث في يوم التوجيه».

- «سمعت أن هناك آثار عضّ، وهو أمرٌ مرعبٌ للغاية في هذا العمر».

- «كانت هناك طفلةٌ معتادةٌ على العض في مركز الرعاية النهارية الخاص بليلي. كانت تعود ليلي إلى البيت وجسدها متصبّغ باللونين الأسود والأزرق. عليّ أن أعترف أنني أردت قتل تلك الشقيّة الصغيرة التي فعلت ذلك، لكن والدتها كانت غايةً في الروعة. كانت في حالةٍ تسامت فوق ذلك».

- «هذا بيت القصيد. والأمر أسوأ إذا كان ابنك هو من يقوم بالتنمر».

- «أعني، نحن نتحدث عن الأطفال هنا!».

- «سؤالي هو لماذا لا يرى المعلمون هذا؟ ألا تستطيع ريناتا أن تجعل أمابيلا تقول من هو المسؤول؟ أنها في الخامسة من عمرها!».

- «أعتقد أن الأمر ممكنٌ عندما تتحدثين عن طفلٍ موهوب ...».

- «أوه، لا أعرف، هل زيغي موهوب؟».

- «ليس زيغي. أنابيلا. إنها موهوبةٌ بالتأكيد».

- «تُدعى أمابيلا وليست أنابيلا».

- «هل الاسم هو أحد الأسماء المُختلقة أو المستعارة؟».

- «أوه، لا، لا. إنه فرنسي! ألم تسمعي ريناتا تتحدث عن ذلك؟».

- «حسنًا، أمام هذه الطفلة عمر طويل سيبقى فيه الناس يخطئون بلفظ اسمها».

- «يلعب هاريسون مع زيغي كل يومٍ ولا يواجه أية مشاكل معه».

- «عريضة! هذا مثيرٌ للسخرية بالفعل. أمرٌ تافه. بالمناسبة، هذه المقبّلات رائعة يا مادلين، هل أنتِ من قام بصنعها؟».

- «أنا سخّنتها فقط».

- «حسنًا، يشبه ما يحدث حاليًا ما حدث سابقًا عندما وزّعت ريناتا الدعوات لجميع طلاب الصف باستثناء زيغي. أعتقد أن ذلك غير معقول».

- «أعني، هل يمكن لمدرسةٍ عامة طرد طفل؟ هل هذا ممكنٌ حتى؟ أليس على المدارس الحكومية أن تقبل الجميع؟».

- «يعتقد زوجي بأننا قد أصبحنا ضعفاء وعاطفيين جدًا. ويقول إن لدينا الاستعداد التام هذه الأيام لتصنيف الأطفال كمتنمرين بينما هم في الواقع مجرد أطفال».

- «قد يكون على حق».

- «رغم أن العض والخنق ...».

- «اممم. لو كان طفلي ...».

- «أما كنتِ ستنظّمين عريضةً».

- «حسنًا، لا».

مكتبة
t.me/t_pdf

- «تملك ريناتا الكثير من المال. لماذا لا ترسل أمابيلا إلى مدرسةٍ خاصةٍ؟ عندئذٍ لن تضطر للتعامل مع الرعاع».

- «أحب زيغي. وأحب جين أيضًا. ليس سهلاً عليها إنجاز كل شيءٍ بمفردها».

- «هل هناك أبٌ، هل يعلم أي أحدٍ بذلك؟».

- «ألا ينبغي علينا الحديث عن الكتاب؟». كانت هذه مادلين، حيث تذكّرت أخيرًا أنها كانت تستضيف نادٍ للكتاب.

- «أعتقد أنه ينبغي علينا ذلك».

- «من الذي وقّع بالفعل على العريضةِ حتى الآن؟».

- «لا أعرف. أراهن أن هاربر قد وقّعت عليها».
- «هاربر هي من بدأت العريضة».
- «ألا تعمل ريناتا مع زوج هاربر أو شيءٍ من هذا القبيل؟ أو انتظري، هل اختلط عليّ الأمر، مع زوجك يا سيليست؟».

اتجهت كل الأنظار فجأةً إلى سيليست، وكأنهم تلقّوا إشارةً غير مرئيةٍ. أمسكت بعنق كأس نبيذها.

قالت سيليست: «ريناتا وبيري يعملان في نفس قطاع الصناعة. ويعرفان بعضهما البعض».

سامانثا: «لم نلتقي ببيري بعد، أليس كذلك؟ إنه رجلٌ غامض».

سيليست: «يسافر كثيرًا. إنه في جَنَوا الآن».

لا، كانت جنيف. جنيف بالتأكيد.

كان لا يزال هناك هدوء غريبٍ أثناء الحديث ونوع من الترقّب. هل كان في حديثها ما يثير الغرابة؟

شعرت وكأنّ الجميع ينتظر منها المزيد. أردفت: «ستقابلينه في ليلة المسابقة». كان بيري على عكس العديد من الرجال، يحب الثياب التنكرية، لقد كان متحمسًا للحضور. وقد لاحظت ذلك عندما راجعت جدول أعماله ورأت بأنه سيعود للبلاد من أجل ذلك.

كان قد أخبرها قائلاً: «ستحتاجين إلى عقدٍ من اللؤلؤ مثل الذي ترتديه أودري في فيلم Breakfast at Tiffany. سأشتري لكِ واحدًا من متجر Swiss Pearls في جنيف».

أجابته: «لا، من فضلك لا تفعل».

كان من المفترض أن ترتدي مجوهراتٍ تقليديةٍ رخيصة الثمن عندما تذهب إلى الحفلة التنكرية في ليلة المسابقة، وليس ذلك العقد الذي يكلّف مالاً أكثر من المال الذي يحتاجون جمعه لابتياع ألواحٍ ذكية للمدرسة.

سيشتري لها العقد الذي يليق بها. كان يحب المجوهرات. سيكون ثمنه بثمن سيارة، وسيكون فريدًا، وعندما تراه مادلين ستصاب بالهذيان وقد يخطر ببال سيليست نزعه عن رقبتها وإعطائه لها. قد تقترح عليه: «اشترِ واحدًا لمادلين أيضًا»، وسيفعل ذلك بكل سرورٍ إن طلبت منه، لكن بالطبع لن تقبل مادلين مثل هذه الهدية. مع ذلك يبدو مضحكًا أنها لن تستطيع إهداء مادلين شيئًا من شأنه أن يمنحها سعادةً عارمةً.

قالت بابتهاج: «هل سيذهب الجميع إلى مسابقة المدرسة؟ يبدو الأمر ممتعًا!».

سامانثا: هل شاهدتم الصور من حفلة مسابقة المدرسة؟ بدت سيليست مذهلةً. كانت تخطف الأنظار. من الواضح أن عقد اللؤلؤ هذا كان من ماركة McCoy الأصلية. لكن أتعلمون ماذا؟ كنت أدقق ببعض الصور ولاحظت مسحةً من الحزن على وجهها، ونظرةً في عينيها وكأنها ترى شبحًا. كأنها كانت تعلم أن شيئًا فظيعًا سيحدث تلك الليلة.

الفصل الخامس والأربعون

قالت مادلين: «كان ذلك ممتعًا. ربما نتذكر فعلاً في المرة القادمة أن نتحدّث عن الكتاب».

كانت سيليست آخر من بقي هناك، وكانت تزيل بقايا الأوساخ عن الأطباق بمهارةٍ وتضعها في غسّالة الصحون الخاصة بمادلين.

مادلين: «توقفي عن ذلك! إنكِ تقومين بذلك دومًا!».

كانت سيليست موهوبة في التنظيف بصمتٍ ودون إثارة ضجّة.

في كل مرةٍ تدعو فيها مادلين سيليست لتناول شيء، كانت تترك لها المطبخ نظيفًا وبرّاقًا.

قالت لسيليست: «اجلسي وتناولي كوبًا من الشاي معي قبل أن تذهبِي. انظرِي ما زال لدي بعض الفطائر التي جلبتها جين أخيرًا. كنت أكثر أنانية من أن أتقاسمها مع نادي الكتاب».

لمعت عينا سيليست. ذهبت لتجلس، لكنها توقفت فجأةً وهي تهمّ بالجلوس وقالت: «أين إد؟ ربما يريد أن يكون في البيت لوحده».

مادلين: «ماذا؟ لا تقلقي بشأن إد. ما زال يشخر في سرير كلوي. على أي حال، ومن يهتم؟ إنه منزلي أيضًا».

ابتسمت سيليست بوهنٍ وجلست.

قالت بينما كانت مادلين تضع أمامها إحدى فطائر جين: «أمرٌ فظيع ما يحدث للمسكينة جين».

مادلين: «على الأقل نعرف بأنه ولا واحد ممن حضر هنا الليلة سيوقع على تلك العريضة الغبية. بينما كان الجميع يتحدثون، كنت أفكر بما مرّت به جين. أخبرتكِ قصة والد زيغي، أليس كذلك؟».

كان سؤالاً شكليًا؛ فقد أخبرتها جين أنها روت قصتها لسيليست أيضًا. شعرت مادلين للحظة بالذنب وإن كان ذلك يُعتبر من قبيل الثرثرة، ولكن لا بأس، لأنها كانت سيليست. كانت شهيتها للثرثرة طبيعية؛ لم تكن من تلك الأمهات اللواتي يبحثن عنها دائمًا وبشغف.

قالت سيليست: «نعم»، قضمت الفطيرة وأردفت: «شخصٌ حقير».

- «بحثتُ عنه في غوغل». اعترفت مادلين. كان هذا في الحقيقة هو سبب طرحها للأمر. شعرتْ بالذنب حيال ذلك وأرادت أن تكفر عن ذلك بالاعتراف بما اقترفته. أو أنها ارادت أن تُثقل كاهل سيليست بنفس المعلومات التي وصلت إليها، وربما كان هذا أسوأ.

سيليست: «عمّن؟».

- «عن الأب. والد زيغي. أعرف أنه كان ينبغي عليّ ألا أفعل».

- «لكن كيف؟»، قطّبت سيليست حاجبيها، «هل أخبرتكِ باسمه؟ لا أظن أنها حتى ذكرت لي ذلك».

مادلين: «قالت إن اسمه كان ساكسون بانكس. كما تعلمين مثل السيد بانكس في فيلم Mary Poppins. قالت جين أنه غنىّ لها أغاني ماري بوبنز. لهذا السبب علق اسمه في رأسي. هل أنت على ما يُرام؟ هل من مشكلة؟».

خبطت سيليست بيدها على صدرها وسعلت. أصبح لون وجهها فجأةً أحمرًا.

مادلين: «سأحضر لكِ بعض الماء».

سألت سيليست بصوتٍ خافتٍ: «هل قلت ساكسون بانكس؟»، ثمّ نظفت بلعومها وقالت ثانيةً لكن بشكلٍ أبطأ: «ساكسون بانكس؟».

مادلين: «نعم. لماذا؟»، معرفتها به صدمتها، «يا إلهي. أنت لا تعرفينه، أليس كذلك؟».

سيليست: «كان لدى بيري ابن عم يدعى ساكسون بانكس. إنه ...»، توقفت. اتسعت عيناها، «**متعهد عقاري**. قالت جين أن ذلك الرجل كان متعهدًا عقاريًا».

مادلين: «إنه اسمٌ غير عادي». كانت تحاول إخفاء سعادتها الغامرة بهذه المصادفة الرهيبة. بالطبع، لم يكن مثيرًا أن يكون بيري على صلةٍ بساكسون بانكس. لم تكن تلك محض الصدفة التي تقول «يا له من عالم صغير!». كان ذلك فظيعًا. لكن كان فيه متعةً لا تُقاوم، ومثل العريضة الفظيعة، جاءت لتلهيها بطريقةٍ أو بأُخرى عن مشاعرها المريرة والمجنونة تجاه أبيغيل.

قالت سيليست وهي تنظر بعيدًا وكأنها تستجمع أفكارها: «لديه ثلاث بناتٍ».

أجابتها مادلين وكأنها تعترف بذنبٍ اقترفته: «أعرف. أخوات زيغي غير الشقيقات». ذهبت لإحضار الـ iPad من المطبخ ووضعته على الطاولة.

- «وهو مخلصٌ لزوجته»، قالت سيليست بينما كانت مادلين تعيد فتح الصفحة مرةً أُخرى، «إنه جميل! دافئ وخفيف الظل. لا أستطيع حتى أن أتخيل أنه غير مخلص، فما بالك عن أنه قد يكون ... قاسٍ ومتوحش».

دفعت مادلين الـ iPad إلى سيليست: «هل هو هذا؟».

نظرت سيليست إلى الصورة. «نعم»، وضعت إبهامها والسبابة على الشاشة وكبّرت الصورة، «ربما يخيّل لي ذلك لكنني أستطيع أن أرى شبهًا بينه وبين زيغي».

مادلين: «حول العينين؟ أعرف. فكرت بذلك أيضًا».

ساد الصمت لبرهة. حدقت سيليست بشاشة الـ iPad. نقرت بأصابعها على الطاولة: «أحبّه!»، حدّقت بمادلين. كان هناك تعبيرٌ ينمّ عن خجلٍ أو عارٍ على وجهها كما لو كانت تشعر بالمسؤولية بطريقةٍ ما، «لطالما أحببته بالفعل».

مادلين: «قالت جين بأنه كان جذّابًا وفاتنًا».

- «نعم، لكن ...»، عاودت سيليست الجلوس ثم دفعت الـ iPad بعيدًا عنها: «لا أعرف ما عليّ فعله. أقصد، هل أتحمل المسؤولية حاليًا؟ لا أدري، أقصد لفعل شيءٍ حيال الأمر؟ إنه ... أمرٌ شائك للغاية. إذا كان قد اغتصبها بالفعل، فأنا أريد توجيه الاتهام إليه لكن ...».

مادلين: «لقد اغتصبها بطريقةٍ ما. كان الأمر أشبه بالاغتصاب. أو الاعتداء. لا أعرف. لقد كان شيئًا من هذا القبيل».

- «نعم، ولكن ...».

مادلين: «أعرف. أعرف. لا يمكنك إرسال شخصٍ إلى السجن لكونه حقير».

قالت سيليست بعد لحظةٍ، وعيناها على الصورة: «لا نعرف على وجه اليقين، ربما أنها أخطأت في سماع اسمه، أو ...».

مادلين: «قد يكون هناك ساكسون بانكس آخر لم يظهر على غوغل. لا يظهر الجميع على الإنترنت».

قالت سيليست بحماسٍ شديد: «بالضبط». كلاهما يعرف أنه من المحتمل أن يكون هو. كان مطابق لجميع الأوصاف. ما هي احتمالات أن يكون هناك رجلين بنفس العمر ويحملان نفس الاسم «ساكسون بانكس» ويعملان في مجال التعهدات العقارية؟

سألتها مادلين: «هل بيري مقرّبٌ منه».

سيليست: «نحن لا نراه كثيرًا هذه الأيام، أصبح لدينا جميعًا أطفال، وهو يعيش متنقلاً بين الولايات. لكن عندما كان بيري وساكسون شابين كانا قريبين جدًا من بعضهما البعض. كانت أمهاتهما توأمين متطابقين».

مادلين: «إذًا من هنا أتى توأمك».

قالت سيليست بشكلٍ غامض: «حسنًا لطالما افترضنا ذلك. لكنني اكتشفت بعد ذلك أن هذا يحدث فقط مع التوائم المختلفة، وليس مع التوائم المتطابقة، لِذلك كان ولديّ مجرد عيّنة عشوائية ...»، اختفى صوتها، «أوه، يا إلهي. ماذا سيحدث عندما أرى ساكسون مرةً أُخرى؟ لقد جرى طرح موضوعِ عن لم شملٍ للعائلة في غرب أستراليا العام القادم. وهل عليّ أن أخبر بيريَ؟ هل هناكً أي فائدةٍ من إخباره؟ سيزعجه الأمر بالتأكيد، أليس كذلك؟ ولا يمكننا فعل شيء حيال ذلك، صح؟ حقًا ليس هناك ما يمكننا القيام به».

مادلين: «لو كنت مكانك. لكنت قررت في قرارة نفسي أن أبقي الأمر سرًا عن إد، ثم سأطلعه عليه فيما بعد».

سيليست: «قد يغضبه ذلك». ثم نظرت إلى مادلين نظرةً بلهاء تحمل شيئًا من الاستغراب.

- «من ابن عمه اللقيط؟ هذا أمرٌ طبيعي».

- «أقصد مني». وشدّت سيليست رباط قميصها

مادلين: «منكِ؟ تعنين أنه قد يدافع عن سلوك ابن عمه؟»، ثم فكرت: وماذا لو كان كذلك؟ دعيه يدافع عنه. لكنها عادت وقالت: «أعتقد أنه قد يغضب».

قالت سيليست: «وسيكون الأمر ... محرجًا للغاية وخصوصًا عندما يقابل بيري جين في نشاطات المدرسة وهو يعرف بكل هذه الأمور».

- «نعم، لِذلك ربما عليكِ أن تبقي الأمر سرًا عنه يا سيليست»، قالت مادلين بجديةٍ، وهي تعلم وهي تتحدث، لو كان الأمر يخص إد لكانت ستصرخ في وجهه لحظة دخوله من باب الشقّة قائلةً: «هل تعرف ماذا فعل ابن عمك الرهيب مع صديقتي!».

جفلت سيليست وقالت: «أبقي الأمر سرًا عن جين؟».

جين: «بالتأكيد. أعتقد ...»، ثم مضغت ما في فمها وأردفت: «ألا تعتقدين كذلك؟».

ستتأذى جين وتغضب إذا ما اكتشفت الأمر، لكن ما الذي ستستفيد منه إن عرفت؟ يبدو وكأنها لا ترغب بأن يكون لزيغي أي علاقةٍ مع هذا الرجل.

سيليست: «نعم، أعتقد ذلك. على كل حال، الحقيقة هي أننا لا نعرف على وجه اليقين أنه هو».

- «نعم، لا نعرف». وافقتها مادلين القول. من الواضح أنه كان مهمًّا لسيليست أن يتم التأكيد على هذه النقطة. كان ذلك هو المبرر بالنسبة لهما.

اعترفت مادلين: «أنا فظيعة في الاحتفاظ بالأسرار».

- «حقًا؟»، نظرت إليها سيليست بتكشيره تنمّ عن كآبة، «بل أنا بارعةٌ في ذلك».

الفصل السادس والأربعون

قادت سيليست سيارتها عائدةً إلى المنزل من نادي الكتاب وهي تفكر بآخر مرّة شاهدت فيها ساكسون وزوجته إيليني. كان ذلك في حفلة زفافٍ في أديلايد قبل أن تحمل بالتوأم بوقتٍ قصير، كان حفل زفافٍ ضخم لأحد أبناء عمومة بيري الكُثر.

بالصدفة، توقفت هي وبيري في موقف السيارات الخاص بمركز الاستقبال بجوار ساكسون. لم يشاهد بيري وساكسون بعضهما في الكنيسة، لكن ما إن لمحا بعضهما في موقف السيارات حتى قفز كلٌ منهما من سيارته على الفور ليعانق الآخر وهو يربت على ظهر صديق الطفولة، ثم أجهشا بالبكاء. كان بينهما عاطفةٌ حقيقيةٌ. في حين كانت إيليني وسيليست ترتجفان من البرد. كانت كلٌ منهما ترتدي فستانًا بلا أكمام يلائم حفلات الكوكتيل أو ما شابه، وجميعهم يتلهّف لتناول الشراب بعد طقوس الزفاف الطويلة في الكنيسة الباردة والرطبة.

- «يُفترض أن يكون الطعام هنا فاخرًا». قال ساكسون وهو يفرك يديه معًا وهم يسيرون جميعًا في الممر المؤدي إلى الدفء، عندما توقفت إيليني فجأة. لقد تركت هاتفها على أحد المقاعد الخشبية في الكنيسة. كانت العودة لاسترداده تستغرق ساعة في السيارة.

قالت إيليني: «أنت تبقى هنا. أنا سأذهب». لكن ساكسون أدار عينيه وقال: «لا لن تذهبي، حبيبتي».

انتهى الأمر ببيري وساكسون بالعودة معًا لإحضار الهاتف المحمول، بينما دخلت سيليست وإيليني إلى الداخل واستمتعا بالشمبانيا أمام النار المشتعلة.

- «آه يا عزيزتي، ينتابني شعورٌ رهيب». قالت إيليني بمرحٍ وهي تطلب من النادل أن يملأ كأسها ثانيةً.

لا ليس عليكِ أن تشعري كذلك يا حبيبتي.

كيف يمكن لرجلٍ تصرّف بهذه الشهامة المخجلة والظرافة لدرجةٍ مزعجة أن يكون نفسُ الشخص الذي تعامل مع فتاة تبلغ من العمر تسعة عشر بتلك القسوة والوحشية؟

لكن ينبغي على سيليست أن تعرف أكثر من أي شخصٍ أن ذلك قد يكون ممكنًا بالطبع. (كان من الممكن أن يعود بيري لإحضار الخلوي لها أيضًا).

هل يشترك الرجلان بنوعٍ من الاضطراب العقلي الجيني؟ الأمراض العقلية متوارثة في العائلات، وكان بيري وساكسون ولدين من توائم متطابقة. من الناحية الجينية، لم يكونا مجرد أولاد خالة فقط، بل كانا إخوةً غير أشقاء.

أم هل قَسَت عليهما أمهاتهما بطريقةٍ ما؟ كانت جيني وإيلين امرأتين جميلتين ولطيفتين، تجد بصوتيهما نغمةً طفوليةً متشابهة، وضحكاتٍ رنانة، وغمّازات تزيّن الوجنتين؛ ذلك النوع من النساء الذي يتصف بالتبعية والإذعان بأنوثةٍ ورقّةٍ غير معهودة ولا شيء غير ذلك. ذلك النوع الذي يجذب رجالاً ناجحين يقضون أيامهم وهم يُمْلون على الآخرين ما عليهم فعله، ثم يعودون إلى بيوتهم ويفعلون بالضبط ما تمليه عليهم زوجاتهم. ربما كانت تلك هي المشكلة. كانت تفتقر سيليست وإيليني إلى هذا المزيج المميّز من الحلاوة والقوة. كانتا مجرد فتاتين عاديتين. لم تتمكنا من الارتقاء إلى مستوى الأمهات القدوة التي ربّت عليها جيني وإيلين أبنائهما. ونتيجة ذلك طور كلٌّ من ساكسون وبيري هذه السلوكيات المؤسفة.

لكن ما فعله ساكسون بجين كان أسوأ بكثير من أي شيءٍ قام به بيري على الإطلاق.

كان بيري صاحب مزاجٍ سيء. هذا كل ما في الأمر. كان متهورًا ومتقلبًا. ربما أن ضغط عمله وإرهاقه والاضطراب الذي يعاني منه من تلك الرحلات الدولية جعلته رجلاً سريع الانفجار. لكن ذلك لا يعطيه الحق. بالطبع لا. لكن الأمر كان مفهومًا. لم يكن شريرًا. كانت إيليني المسكينة هي من تزوجت دون أن تدري من رجلٍ شرير.

هل تُعتبر سيليست مسؤولة عن إخبار إيليني بما فعله زوجها؟ هل تتحمل المسؤولية تجاه الشابات اللواتي ما زال يغريهنّ كلام ساكسون المعسول ولا زال يقوم باصطيادهن في البارات؟

لكنهما لم تتأكدا تمامًا أنه هو.

أدخلت سيليست سيارتها في ممر السيارات الخاص بها، نقرت المفتاح الكهربائي لباب المرآب الثلاثي وهي تتأمّل المنظر البانورامي الفخم من حولها: الأضواء المتلألئة للبيوت المحيطة بالخليج، والحضور الأسود الطاغي للمحيط. انفتح باب المرآب مثل ستارةٍ تكشف عن منصةٍ مضاءةٍ، واندفعت سيارتها نحو الداخل دون أن تضطر إلى رفع قدمها عن دواسة الوقود.

أدارت المفتاح. ساد الصمت.

ليس هناك مرآب في تلك الحياة المفترضة الأُخرى التي كانت تخطط لها. كانت هناك ساحة انتظار للسياراتٍ مسقوفة ملحقةٍ بالمجمّع السكني، لكن المساحات المخصصة للسيارات بدت صغيرةً بتلك الأعمدة الخرسانية الكبيرة. سيكون عليها الرجوع للوراء عندما ترغب بالخروج لكنها تعرف أنها ستحطم الضوء الخلفي. كانت سيئةً في ركن السيارة.

رفعت كمّ قميصها ونظرت إلى الكدمات التي على ذراعها.

نعم، سيليست، فلتبقِ مع رجلٍ يفعل بك ما يفعل، بسبب مرآب سياراتٍ رائعٍ كهذا!

فتحت باب السيارة.

على الأقل لم يكن سيئًا مثل ابن عمه.

الفصل السابع والأربعون

سأل والد جين: «ما اسم المرأة التي كتبت العريضة؟».

داين: «لماذا؟ ماذا ستتصرّف حيالها يا أبي؟ هل نكسر لها رجليها؟».

والد جين: «أتوق إلى أفعل ذلك»، وحمل قطعةً من أحجية الصور التركيبية إلى الأعلى وحدق بها، «على أي حال أي نوعٍ من الأسماء أمابيلا؟ اسم سخيف. ما المشكلة باسم أنابيلا؟».

- «لديك حفيد يُدعى زيغي». أشار داين.

- «مهلاً»، قالت جين لشقيقها، «لقد كانت فكرتك».

كانت جين في منزل والديها جالسةً على طاولة المطبخ تحتسي الشاي وتأكل البسكويت وتحلّ لعبة الصور التركيبية بينما كان زيغي نائمًا في غرفة نوم جين القديمة. كانت ستأخذ له إجازة من المدرسة غدًا، سيبيتان الليلة هنا ويتجولان في المنطقة صباحًا. ستكون ريناتا وصديقاتها سعيداتٍ.

فكّرت جين وهي تتأمّل مطبخ والدتها المشمشي والكريمي اللون الذي يعود إلى ثمانينات القرن الماضي أنها لن تعود إلى بيريوي أبدًا. هذا هو المكان الذي تنتمي إليه. لقد كان ضربًا من الجنون الانتقال بعيدًا عن هذا المكان في المقام الأول.

كان شيئًا يبعث على القرف والاشمئزاز. كانت دوافعها مشوّهةً وغريبة وكان ذلك عقابها.

تشعر جين في هذا المكان بالألفة تغمر روحها: الأكواب، وإبريق الشاي البني القديم، وغطاء الطاولة ورائحة المنزل ولعبة الألغاز بالطبع. الألغاز دائمًا. لطالما كانت عائلتها مدمنة على تركيب ألغاز الصور بحسب ما تتذكره جين. لم يتم استخدام طاولة المطبخ لتناول الطعام أبدًا، بل لحلّ آخر إبداعات الألغاز. لقد بدأوا هذه الليلة بحلّ لغزٍ جديد طلبه والد جين عبر الإنترنت. كانت أحجيةً مؤلفةً من ألفي قطعةٍ من لوحةٍ انطباعية. فيها الكثير من الدوامات والألوان الضبابية.

- «ربما الأجدى بي العودة إلى هذا المكان». قالت وهي تلاحظ ما تشعر به، لكنها في الوقت نفسه فكرت لسببٍ ما بمقهى بلو بلوز، ورائحة القهوة، وبريق البحر الأزرق الياقوتي، وغمزات توم وهو يقدم لها القهوة، كما لو كانا يتشاركان فكاهةً سريةً. فكرت بمادلين وهي تحمل لفافة الورق المقوى كهراوةٍ وهي تصعد على درج شقتها، وشعر سيليست الذي يتمايل كذيل حصانٍ بينما كانتا تمارسان الرياضة الصباحية حول رأس الخليج وتحت أشجار الصنوبر الشاهقة في نورفولك.

فكرت في أوقات الظهيرة الصيفية أوائل العام عندما كانت تسير مع زيغي مباشرةً من المدرسة إلى الشاطئ، فيخلع حذائه المدرسي وجواربه على الرمل، وينزع عنه قميصه وسرواله القصير ويركض باتجاه المحيط في سرواله الداخلي، بينما كانت تطارده وفي يدها علبة كريم الوقاية من الشمس، فيضحك فرحًا عندما يتكسر زبد الموج الأبيض من حوله.

في الآونة الأخيرة، وبفضل مادلين، استطاعت أن تتعرف على اثنين من الزبائن المحليين الجدد المربحين وعلى مسافةٍ قريبةٍ من شقتها وهما: **محل بيع اللحوم الممتازة في بيريوي**، و**محل إصلاحات توم أوبراين**. لم تكن تفوح من إيصالاتهما رائحة دخان السجائر أو الوجبات السريعة. (في الحقيقة كانت تفوح من إيصالات توم أوبراين رائحةً ورودٍ مجففةٍ). ويا لهول الصدمة عندما أدركت أن أسعد لحظات حياتها قد حدثت في الأشهر القليلة الماضية.

قالت: «لكننا في الواقع نحب العيش هناك. يحب زيغي المدرسة أيضًا ... وهو يفعل ذلك عادةً».

تذكرت دموعه في وقتٍ سابقٍ من هذه الليلة. لن تستطيع الاستمرار في إرساله إلى مدرسةٍ فيها أطفالاً أخبروه أنه لا يُسمح لهم باللعب معه.

قال والدها: «إن أردت البقاء، فلتبقِ. لا يمكنك السماح لتلك المرأة بمضايقتك والتنمّر عليكِ لترك المدرسة. لماذا لا تغادر هي؟».

قالت والدة جين وعيناها على قطع لعبة اللغز التي كانت تدفعها جيئةً وذهابًا بسرعةٍ على الطاولة: «لا أصدّق أن زيغي يتنمّر على ابنتها».

جين: «المشكلة هي أنها تعتقد كذلك»، قالت وهي تحاول إدخال قطعةٍ من اللغز في الزاوية السفلية اليمنى للعبة. وتابعت: «والآن يعتقد الآباء الآخرون ذلك أيضًا. وأنا لا أعرف، لا أستطيع أن أؤكد بأنه لم يفعل شيء».

ردّت والدتها: «هذه القطعة لا تناسب ذلك المكان. حسنًا وأنا متأكدةٌ بأن زيغي لم يفعل شيئًا. فهو ببساطة لا يملك هذا الميول بداخله. جين تلك القطعة غير مناسبة هنا، إنها جزءٌ من قبعة السيدة. ماذا كنت أقول؟ أوه، نعم، زيغي، أعني، يا للهول، انظرِي إلى نفسك مثلاً، كنت الطفلة الأصغر والأكثر خجلاً في المدرسة، لم تقولِي كلمة بوو لأي شخصٍ. وبالطبع، الجد بوبي كان له الطبيعة الأحلى والألطف ...».

- «ماما، طبيعة بوبي لا علاقة لها بالموضوع!»، ضجرت جين من قطعة اللغز ورمتها. تجلى إحباطها في نوبة غضبٍ وهيجانٍ مفاجئةٍ وجهتها نحو والدتها المسكينة التي لا حول لها ولا قوة. وأردفت: «بحق السماء، زيغي لم يتقمص روح الجد بوبي! حتى أن بوبي نفسه لم يكن يؤمن بالتقمص! والحقيقة هي أننا لا نعرف ما هي الصفات الشخصية التي ورثها زيغي عن والده لأن والد زيغي كان، كان والده ...».

أوقفت نفسها في الوقت المناسب. كان معتوهًا.

ساد صمتٌ مفاجئ على الطاولة. بحث داين من حيث كان يجلس عن مكانٍ مناسبٍ ليضع فيه قطعةَ اللغز.

- «عزيزتي، ماذا تقولين؟»، قالت والدة جين وهي تُخرج فتاتٍ من زاوية فمها بظفرها، «هل تقولين أنه ... هل سبّب لكِ أي أذىً؟».

جالت جين ببصرها فوق أرجاء الطاولة. فقابل داين عينيها بسؤالٍ بينما وضعت أمها يدها فجأةً على فمها مذهولةً. أما والدها فقد أطبق فكيه بإحكام، وتعبيرٌ من الرعب يظهر في عينيه.

قالت: «بالطبع لا»، عندما يكون هناك شخصٌ تحبّه يصدّق كذبك، فمن السهل جدًا أن تنفي ما حصل، «آسفة، يا إلهي لا. لم أقصد ذلك. لقد قصدت أن والد زيغي البيولوجي كان بالأساس غريبًا. أقصد بدا لطيفًا تمامًا، لكننا لا نعرف عنه شيئًا، وأعرف أنه من المعيب أن ...».

قال داين متعمدًا: «أعتقد أننا جميعًا قد تجاوزنا صدمة سلوكك العاهر الآن، يا جين». يمكنها القول إن كذبتها لم تنطلِ عليه. لم يكن ليصدّقها بالقدر الذي صدّقها والديها.

قالت والدة جين: «بالتأكيد تجاوزنا ذلك. ولا أهتم بنوع الصفات والمزايا الشخصية التي يمتلكها والد زيغي البيولوجي، أنا أعرف حفيدي تمامًا وهو ليس متنمرًا ولن يكون أبدًا».

- «قطعًا لا». وافقها والد جين وهزّ كتفيه.

أخذ رشفةً من فنجان الشاي والتقط قطعةً أُخرى من اللعبة.

- «وفقط لأنك لا تؤمنين بالتقمص، أيتها الضالة»، أشارت إليها والدتها: «فلا يعني أن روحك لن تعود مجددًا!».

جوناثان: عندما رأيت الملعب لأول مرةٍ في مدرسة بيريوي العامة اعتقدتُ أنه كان في غاية الروعة، بكل تلك المخابئ السريّة الصغيرة الموجودة فيه. لكنني الآن أجد أن لِذلك جانبٌ سلبي أيضًا. كان يجري في المدرسة كل ما يخطر على البال بعيدًا عن الأنظار وفي غفلةٍ من المعلمين والمعنيين هناك.

الفصل الثامن والأربعون

وقفت مادلين في غرفة الجلوس تتساءل عمّا ينبغي عليها فعله. كان إد والأولاد نيام، وبفضل سيليست، تم تنظيف كل شيء بعد الانتهاء من نادي الكتاب. كان عليها أن تخلد إلى النوم لكنها لم تكن تشعر بالتعب كفايةً. كان صباح الغد هو يوم الجمعة وكانت صباحات الجمعة محمومةً لأن عليها أن تأخذ أبيغيل إلى مدرّس الرياضيات الخصوصي قبل المدرسة، وفريد إلى نادي الشطرنج وكلوي ...

توقفت.

ليس عليها اصطحاب أبيغيل إلى مدرّس الرياضيات الساعة السابعة والنصف صباحًا. لم تعد تلك مسؤوليتها. على ناثان أو بوني اصطحاب أبيغيل. لقد ظلّت تنسى أن خدماتها لأبيغيل كأم لم تعد مطلوبة منها. كانت حياتها أسهل نظريًا بوجود طفلين تُعدّهما للخروج من البيت كل يوم، لكن كل مرةٍ تتذكر فيها عملاً يخص أبيغيل ولم يعد عملها كانت تشعر بخسارةٍ مريرة.

كانت جسدها يفور بغضبٍ لم تستطع أن تنفّث عنه. التقطت لعبة السيف المضيء الخاص بفريد، حيث تركه بكل بساطة على الأرض ليتعثّر به أحدهم في الصباح. قامت بتشغيل المفتاح، فأضاء السيف باللونين الأحمر والأخضر، فرفعته في الهواء مثل دارث فيدر، وكأنها تريد القضاء على كل أعدائها.

اللعنة عليكَ يا ناثان لأنك سرقت ابنتي.
اللعنة عليكِ يا بوني لأنك ساعدته.
اللعنة عليكِ يا ريناتا بسبب تلك العريضة الكريهة.
اللعنة عليكِ يا آنسة بارنز، لأنك تركتِ المسكينة أمابيلا تتعرض للتنمر في المقام الأول.

شعرت بالسوء لإلحاقها اللعنة بالآنسة بارنز المسكينة ثم انتقلت بسرعةٍ إلى بقية قائمتها.

اللعنة عليك ساكسون بانكس، لما سببته من أذىً لجين، أنت رجلٌ كريهٌ، كريهٌ للغاية. قامت بتحريك السيف المضيء فوق رأسها بحماسةٍ لدرجة أنه اصطدم بالضوء المعلق في السقف الذي أخذ يتأرجح جيئةً وذهابًا.

رمت مادلين السيف المضيء على الأريكة وحاولت الوصول إلى الضوء لتثبيته. حسنًا. لا مزيد من اللعب بالسيف المضيء. كان بإمكانها أن تتخيل وجه إد لو أنها حطمت الضوء وهي تتظاهر بأنها دارث فيدر.

عادت إلى المطبخ والتقطت جهاز الـ iPad من حيث تركته بعد أن عرضت على سيليست صور ساكسون بانكس. كانت تنوي أن تلعب بعض ألعاب الفيديو لـ Plants vs Zombies المهدّئة. كان من المهم تطوير مهاراتها باستمرار. كان تحب سماع فريد يُثني عليها قائلاً: «ماما، هذا رائعٌ!» وهو ينظر من فوق كتفيها ويرى بأنها دخلت في مستوى جديد وحصلت على سلاحٍ بارعٍ جديد لمواجهة الزومبي.

أولاً قامت بإلقاء نظرةٍ سريعةٍ أُخرى على حسابي أبيغيل على فيس بوك وإنستغرام. عندما كانت تعيش أبيغيل في المنزل كانت تدقق مادلين بكل شاردةٍ وواردةٍ بشأن ظهور ابنتها على الإنترنت، فقط لتكون أمًّا صالحةً ومسؤولةً. لكنها الآن تفعل ذلك بنوعٍ من الإدمان. بدت وكأنها تطارد ابنتها، وتبحث بشكلٍ مثير للشفقة عن معلوماتٍ حول حياتها.

لقد غيّرت أبيغيل صورة ملفها الشخصي. كانت صورةً بالطول الكامل وهي تواجه الكاميرا وتقوم بإحدى وضعيات اليوغا، كانت يداها مطويتان

كما لو أنها في صلاةٍ، وإحدى ساقيها النحيلتين مسندةٌ على الركبة الأُخرى، ويتدلى شعرها فوق أحد كتفيها.

بدت جميلةً وسعيدةً. وحتى متألقة.

فقط أكثر الأمهات أنانيةً يمكنها أن تشعر بالاستياء من بوني لتقديمها شيءٍ لابنتها يجعلها تشعر بأنها في قمة السعادة.

لا بد أن مادلين هي أكثر الأمهات أنانيةً.

ربما ينبغي على مادلين ممارسة اليوغا حتى تشترك هي وأبيغيل بشيءٍ ما؟ لكن في كل مرةٍ جرّبت فيها ممارسة اليوغا كانت تجد نفسها تردد بصمتٍ تعويذتها الخاصة: «**أشعر بالسوء الشديد، أشعر بالسوء**».

مررت للأسفل لقراءة جميع التعليقات الواردة من أصدقاء أبيغيل. كانوا جميعًا داعمين لها، لكنها توقفت عند أحد التعليقات الواردة من صديقةٍ لأبيغيل تدعى فريا، والتي لم تحبها مادلين كثيرًا. كانت إحدى الصديقات اللئيمات. فقد كتبت فريا: **هل هذه هي اللقطة التي ستستخدمينها في «مشروعك»؟ إنها ليست مثيرة| وفاسقة بالقدر الكافي؟**

مثيرة / فاسقة؟ توسّع منخري مادلين وبدأت بالغليان. ما الذي كانت تتحدث عنه هذه العاهرة الصغيرة فريا؟ ما «المشروع» الذي يتطلب من أبيغيل أن تكون مثيرةً/ وفاسقة؟ يبدو أنه مشروعٌ يحتاج إلى إيقاف.

هذا هو الأمر المتعلق بعالم الإنترنت الغامض. تسبح في الفضاء الإلكتروني بابتهاجٍ وأنت تنتقي هذا وذاك لكنك تكتشف لاحقًا أنك عثرت على شيءٍ بغيضٍ وكريه. فكّرتْ بشعورها لدى رؤية وجه ساكسون بانكس على شاشة حاسوبها. هذا ما يحدث عندما تقوم بالتجسس.

ردت أبيغيل على تعليق فريا: «**شششش!! هذا سرّي للغاية!!**».

تم إرسال هذا الرد منذ خمس دقائق فقط. نظرت مادلين إلى الوقت. كان منتصف الليل تقريبًا! كانت تُصرّ دائمًا أن تنام أبيغيل باكرًا في الليلة التي

تسبق درس الرياضيات لأنها إن لم تفعل ذلك ستضطر إلى جرّها من السرير وستضيع أموال التدريس في حال كانت أبيغيل متعبة ولا يمكنها التركيز.

أرسلت لها رسالة خاصة: **هيه! ماذا تفعلين حتى هذا الوقت المتأخر؟ لديك دروس خصوصية غدًا صباحًا! هيا اذهبي إلى السرير! ماما، قبلاتي لك.**

شعرت أن قلبها يدق بسرعةٍ بعد أن ضغطت على «إرسال»، وكأنها خرقت القاعدة. لكنها كانت والدة أبيغيل! ولا يزال من حقها أن تطلب منها الذهاب إلى الفراش.

أجابت أبيغيل على الفور: **لقد ألغى أبي الدرس. سيعلّمني هو بدلاً عنه. فلتخلدي إلى النوم أنتِ! قبلاتي لكِ أيضًا.**

خاطبت مادلين شاشة الكومبيوتر «هو ماذا؟ ماذا فعل بحق الجحيم؟».

كان ناثان قد ألغى درس الرياضيات. لقد اتخذ قرارًا منفردًا بشأن تعليم أبيغيل. إنه نفس الرجل الذي غاب عن المسرحيات المدرسية ولقاءات أولياء الطلاب مع المعلمين وكرنفالات ألعاب القوى وتجهيز طفلٍ صغيرٍ يرتجف في الخامسة من عمره لحضور عرضٍ وحكاية كل صباح يوم اثنين والقيام بمشاريع على أوراقٍ كبيرةٍ من الورق المقوى وواجباتٍ يجب تقديمها للمرة الأولى عبر الإنترنت وتعليمات تسجيل الدخول التي لم يكن لها أي معنى والواجبات المنزلية المنسية حتى وقتٍ متأخر من الليل وتغليف الكتب وتوتر الامتحانات واللقاء مع تلك المعلمة الرائعة التي تتزين بحليٍّ رهيبة والتي طالما كانت تقول طوال تلك السنوات بأن أبيغيل ستواجه دائمًا مشاكل بمادة الرياضيات **لذلك قدمي لها كل الدعم الذي تحتاجه**. كيف يجرؤ على ذلك؟

اتصلت برقم ناثان دون أي تفكير وهي تستشيط غضبًا اعتبرته مُبررًا. لم تستطع بأي شكلٍ الانتظار حتى الصباح. أرادت الصراخ عليه الآن، في هذه اللحظة تمامًا قبل أن ينفجر رأسها.

رد عليها متلعثمًا وهو شبه نائم: «أهلاً؟».

- «هل أنت من ألغى درس الرياضيات الخاص بأبيغيل؟ قمت بإلغائه بكل بساطة حتى دون أن تتواصل معي أولاً وتخبرني بذلك؟».

ساد الصمت.

قالت مادلين بصوتٍ حاد: «ناثان؟».

سمعته ينظف حنجرته. «مادي». بدا مستيقظًا تمامًا الآن. «هل أنتِ جادة؟ تتصلين معي في منتصف الليل لتحدثيني عن دروس أبيغيل في الرياضيات؟»، لقد كانت نغمة صوته مختلفةً تمامًا عن تلك التي يستخدمها عادةً. على مدار سنواتٍ، كان يذكّرها تعاملها مع ناثان بالتعامل مع مندوب مبيعات متملقٍ ومتلهفٍ لإرضاء الزبائن، ويعمل من أجل العمولة فقط. الآن لديه أبيغيل، ويعتقد أنهما أصبحا متعادلين. لم يعد بحاجةٍ للاعتذار بعد الآن. باستطاعته أن يكون سريع الانفعال. يمكنه أن يكون عاديًّا مثل أي زوج سابقٍ، وتابع: «جميعنا نيام. أما كان بإمكانك الانتظار حتى صباح الغد؟ سكاي وبوني نومهما خفيف جدًا ...».

قالت مادلين: «لستم نائمون جميعًا! فابنتك التي تبلغ الرابعة عشرة مستيقظةً وهي على الإنترنت! ألا يوجد أي نوعٍ من الإشراف في هذا المنزل؟ هل لديك أي فكرةٍ عما تفعله الآن؟».

استطاعت مادلين سماع نغمة صوت بوني الناعم والرقيق وهي تقول شيئًا لطيفًا ومتفهمًا من خلفه.

قال ناثان: «سأذهب وأتفقدها الآن»، بدا أكثر استرضاءً لها الآن، «اعتقدتُ أنها نائمة. لكن انتبهي. لم تكن تحقق أي تقدم مع مدرّس الرياضيات هذا. إنه مجرد طفل. يمكنني أن أعلّمها أفضل منه. لكنكِ على حق، بالطبع، كان من الأفضل لو حدّثتك عن هذا الموضوع. أقصد الحديث معك عنه. لقد غاب ذلك عن ذهني تمامًا».

مادلين: «كان هذا المعلّم يحقق نتائج جيدة معها». جربت هي وأبيغيل مدرّسَين آخرين قبل أن تستقرا على سيباستيان. حصلت الطفلة على نتائج جيدة وكان لديه أطفالٌ كُثر في قائمة الانتظار. كانت مادلين قد توسلت إليه لقبول أبيغيل.

قال ناثان: «لا، لم يكن كذلك. لكن دعينا نبحث في الأمر في وقتٍ لا أكون فيه نصف نائم».

- «رائع. أتطلع شوقًا لِذلك. هل ستخبرني بأي تغييراتٍ أُخرى أجريتها على جدول أبيغيل؟ من باب الفضول فقط؟».

ناثان: «سأغلق الخط الآن». وأغلق الخط.

ألقت مادلين هاتفها المحمول بقوةٍ على الحائط فارتدّ إلى الوراء، ووقع على السجادة ووجهه نحو الأعلى عند قدميها مباشرةً، بحيث تمكنت من رؤية الشاشة المحطمة، كتوبيخٍ قاسٍ يصدر عن شخصٍ بالغٍ لطفلٍ صغير.

ستو: اسمعوا. لا أعتقد أن ناثان المسكين كان شخصًا سيئًا. رأيته قليلاً بجوار المدرسة. كان المكان يضج بالنساء وهن معظم الوقت منشغلاتٍ بتبادل أطراف الحديث مع بعضهن البعض، حتى يصعب عليك أن تفهم كلمةً من الشخص الذي بجوارك. لِذلك كنت حريصًا دائمًا على التحدث مع الآباء الآخرين. أتذكر ذات صباحٍ أنني كنت وناثان نتحدث عن مسألةٍ ما عندما جاءت مادلين تترنح بكعبها العالي وقسمًا بالآلهة-لو كان بإمكان النظرات أن تقتل، لقتلته!

غابرييل: لا أطيق العيش في نفس الضاحية التي يعيش فيها زوجي السابق. إذا التحق أطفالنا بنفس المدرسة فمن المحتمل أن ينتهي بي الأمر بقتله. لا أعرف كيف اعتقدوا أن هذا الترتيب قد ينجح. لقد كان ضربًا من الجنون فقط.

بوني: لا يعتبر ذلك جنونًا. أردنا أن نكون قريبين بالقدر الممكن من أبيغيل ثم صادف أننا وجدنا البيت المناسب في المنطقة. ما الجنون في ذلك؟

الفصل التاسع والأربعون

خمسة أيام قبل ليلة المسابقة

كان صباح يوم الاثنين قبل أن يدقّ الجرس مباشرةً وكانت جين في طريق عودتها من مكتبة المدرسة حيث أعادت كتابين نسيهما زيغي الأسبوع الماضي. لقد تركته يتأرجح بسعادةٍ على طول قضبان التسلق مع التوأم وكلوي. على الأقل لم تمنع مادلين ولا سيليست أطفالهما من اللعب مع زيغي.

بعد أن سلّمت الكتب، بقيت جين في المدرسة للمساعدة في الاستماع إلى الأطفال وهم يتدربون على القراءة. كانت هي ووالد ليلي، ستو، الأبوين المتطوعين لتلك المهمّة صباح كل اثنين.

حالما خرجت من المكتبة، استطاعت رؤية اثنتين من ذوات الشعر الأشقر القصير، تقفان خارج غرفة الموسيقى، وغارقتان في حديثٍ مهمٍّ وخاص بصوتٍ عالٍ.

سمعت إحداهن تقول: «أي نوعٍ من الأمهات تلك؟». قالت الأُخرى: «هي من النوع الذي يغرّد خارج السِرب. إنها ماتزال شابةً. اعتقدت ريناتا أنها كانت مربية الأطفال».

– «مهلاً، مهلاً! أنا أعرف هذه المرأة! إنها تصفف شعرها على هذا النحو، أليس كذلك؟». سحبت إحدى الشقراوين خصل شعرها الأشقر إلى الوراء بشدة على شكل ذيل حصان وفي تلك اللحظة التقت عيناها بعيني جين

فتوسعتا من هول المفاجأة. أسقطت يديها مثل طفلةٍ ضُبطت وهي تقوم بسلوكٍ سيء.

والمرأة الأُخرى التي لم تكن بمواجهة جين استمرت بالحديث: «نعم، إنها هي! حسنًا، من الواضح أن ابنها زيغي كان يتنمّر على أمابيلا الصغيرة المسكينة سرًا. أنا أتحدث هنا عن أشياء شريرة ... ماذا؟ ماذا بكِ؟».

قامت الفتاة الشقراء الأولى ببعض الحركات الاهتزازية المحمومة برأسها.

- «ما الخطب؟ أوه!».

أدارت المرأة رأسها ورأت جين. تحول لون وجهها إلى الوردي.

قالت المرأة: «صباح الخير!». عادةً ما يبتسم شخصٌ له موقع رفيع في التسلسل الهرمي للمدرسة بلباقةٍ وبشكلٍ مبهم لجين كلما مرّت به ويحييها بإيماءةٍ كإيماءة ملك لعامة الناس.

ردّت جين: «مرحبا».

كانت المرأة تحمل حافظة أوراقٍ تسندها على صدرها. فأنزلت ذراعها فجأةً لتخفي الحافظة التي تدلت خلف ساقيها، تمامًا مثل طفلٍ يخفي قطعة حلوى مسروقةً خلف ظهره.

إنها العريضة، فكّرت جين. لم يكن الأمر مجرد توقيعٍ لأولياء الأمور في روضة أطفال. كانوا يطلبون من أولياء أمور الطلاب في الصفوف الأُخرى التوقيع عليها. حتى الآباء الذين لا يعرفونها أو يعرفون زيغي أو أي شيء عن الأمر.

تابعت جين طريقها متجاوزةً المرأتين. كانت يدها على الأبواب الزجاجية المؤدية إلى الملعب عندما توقفت فجأة. أحسّت بإحساسٍ تصاعدي هادر يسري في جسدها مثل طائرةٍ تقلع. كان ذلك بسبب الطريقة الشائنة التي استخدمتها المرأة لإقحام اسم زيغي في الموضوع. وكان بسبب ساكسون بانكس أيضًا، شعرت وكأن أنفاسه تداعب أذنها وهو يهمس: «لا تملكين أي فكرةٍ أصيلةٍ في حياتك أليس كذلك؟».

استدارت. عادت إلى المرأتين ووقفت أمامهما مباشرةً. تراجعت المرأتان بخطواتٍ قصيرة نحو إلى الوراء، وأعينهن تدور في محاجرهن بشكلٍ كوميدي. كانت الثلاثة بنفس الطول تقريبًا. كانوا جميعهن أمهات. لكنّ لدى الشقراوين زوجين ومنزلين ويقينٌ مطلق بشأن موقعهما في العالم.

- «ابني لم يؤذِ أحدًا قط». قالت جين، وعلى حين غرّة أدركت أن هذا صحيح. كان زيغي تشابمان. ولم يكن له أي علاقة على الإطلاق بساكسون بانكس. ولم يكن له أي علاقةٍ ببوبي. ولم يكن له حتى أي علاقةٍ بها. لقد كان زيغي فقط ولم تكن تعرف كل شيءٍ عن زيغي، ولكنها كانت تعرف هذه الحقيقة حقّ المعرفة بل وبيقينٍ مطلق.

بدأت الحديث إحدى الشقراوين التي كانت تحمل الحافظة: «أوه، عزيزتي، جميعنا مررنا بمثل هذه المواقف! ونحن نتعاطف معكِ! إنه موقفٌ فظيع لا تُحسدين عليه. كم من الوقت تسمحين له بالجلوس أمام الشاشة؟ لقد اكتشفت أن اختصار الوقت الذي يجلسه الأطفال أمام الشاشة يخفف حقًا من ...».

كررت جين: «لم يؤذِ أحدًا أبدًا».

استدارت ومشت بعيدًا.

ثيا: لذا، وقبل أسبوع من حفلة المدرسة، اقتربت جين من تريش وفيونا عندما كانتا منهمكتين في حديثٍ خاص. قالتا إن سلوكها كان غريبًا، لدرجة أنهما تساءلتا عما إذا كانت تعاني من ... **من بعض المشاكل العقلية.**

دخلت جين إلى الملعب ينتابها إحساسٌ غريب بالهدوء. ربما كانت بحاجة أن تتعلم من مادلين وأن تتخذها قدوة. لا مزيد من تجنّب المواجهة. اتّجه

إلى منتقديك وأخبرهم عن رأيك بالضبط. سارت فتاةٌ في الصفّ الأوّل إلى جانبها وهي تقول: «سأتناول وجبة غداءٍ جاهزةٍ اليوم».

ردّت جين: «أوه، كم أنتِ محظوظة». كان تلك إحدى الأشياء المحببة لها عندما تتمشى في الملعب: الطريقة التي يتجاذب بها الأطفال أطراف الحديث دون زخرفة أو تجميل، يطلقون كل ما يخطر على بالهم دفعةً واحدة وفي نفس اللحظة.

- «لم يكن من المفترض أن أحصل على وجبة غداء جاهزة، لأنه ليس يوم الجمعة، ولكن هذا الصباح تعرض أخي للسعة نحلةٍ، وكان يصرخ طوال الوقت، وكسرت أختي كأسًا، فقالت أمي: أكاد أفقد عقلي منكما!»، ووضعت الفتاة الصغيرة يديها فوق رأسها مقلّدةً أمّها، «ثم قالت أمي أنه يمكنني الحصول على وجبةٍ طعامٍ جاهزة كمعاملةٍ خاصةٍ لي، لكن دون عصير، لكن لا يزال بإمكاني الحصول على رجل كعكة الزنجبيل، لكن ليس من نوع الشوكولاتة، يموت النحل بعد أن يلدغكِ، هل تعرفين ذلك؟».

جين: «نعم أعرف. فهو آخر شيءٍ تفعله».

- «جين!»، اقتربت الآنسة بارنز، وهي تحمل سلة غسيل مليئةٍ بالملابس، «شكرًا لمجيئك اليوم!».

جين: «امم. على الرحب والسعة؟». كانت تقوم بهذا العمل كل صباحِ اثنين منذ بداية السنة.

- «أعني، كما تعلمين، في ضوء المعطيات التي لدينا». وبدر عن الآنسة بارنز رجفة خفيفة، ثم ركّزت سلة الغسيل فوق وركها. اقتربت من جين أكثر وخفضت صوتها: «لم أسمع أي شيءٍ آخر عن هذه العريضة. كانت السيدة ليبمان تقول للآباء المشاركين بها أنها تريد إيقافها. كما أوكلت لي مهمّة مساعد مدرّس وعدم القيام بأي شيءٍ سوى مراقبة الأطفال، وبشكلٍ خاص، أمابيلا وزيغي».

قالت جين: «هذا رائعٌ. لكنني متأكدةٌ أن العريضة ما تزال متداولة».

كانت تشعر بأن العيون عليها هي والآنسة بارنز من جميع أنحاء الملعب. شعرت أن جميع أولياء الأمور كانوا يراقبون خلسةً حديثها مع الآنسة بارنز. هذا ما تشعر به عندما تكون مشهورًا.

تنهّدت الآنسة بارنز: «لاحظتُ أنكِ تركتِ زيغي في البيت يوم الجمعة. آمل ألا تشعري بالخوف من هذه التكتيكات».

جين: «يمنع بعض الآباء أطفالهم من اللعب معه».

- «حُبًّا بالله».

جين: «نعم، لِذلك سأبدأ أنا بتقديم عريضةٍ أيضًا. أريد تعليق وجود كل الأطفال الذين لا يريدون اللعب مع زيغي في المدرسة».

بدت الآنسة بارنز للحظةٍ مذعورة. ثم أرجعت رأسها للوراء وأخذت تضحك.

هاربر: من الجيّد أن تقول إدارة المدرسة أنها تأخذ ما حصل على محمل الجد ولكن بعد ذلك ترى جين والآنسة بارنز تقفان في ملعب المدرسة وهما تضحكان ملء شدقيهما! بصراحة، لقد أثار ذلك حفيظتي. جرى ذلك في نفس صباح الاعتداء، نعم، سأستخدم كلمة «اعتداء».

سامانثا: اعتداء. أعطني فرصة.

الفصل الخمسون

كانت تجري القراءة التي يشرف عليها الآباء في الباحة. كان دور جين اليوم في ركن السلاحف، وسميت كذلك لأن بسبب السلحفاة الإسمنتية الضخمة الجاثمة وسط منطقة اللعب الرملية. كان هناك حيزٌ لجلوس طفلٍ وبالغٍ بشكلٍ مريحٍ معًا على عنق السلحفاة وكانت الآنسة بارنز قدمت وسادتين وبطّانية لوضعها على ركبتيها.

أحبت جين الجلوس والاستماع إلى الأطفال وهم يقرؤون: رؤيتهم وهم يعبسون عندما يحاولون نطق الكلمة، وتعابير الانتصار على وجوههم عندما ينجحوا بتهجئة المقاطع، وضحكاتهم التي تعلو فجأة على قصةٍ يسمعونها، وملاحظاتهم العشوائية والغريبة. كان الجلوس على السلحفاة والشمس تلسع وجهها، والرمال تداعب قدميها، والبحر المتلألئ في الأفق يجعلها تشعر وكأنها تقضي عطلة. كانت مدرسة بيريوي العامة صغيرةً وساحرةً، ويمكن اعتبارها مدرسة الأحلام. لكن فكرة إخراج زيغي منها والالتحاق بمدرسةٍ أُخرى ليس فيها زاوية السلحفاة أو الآنسة بارنز، قد ملأها بالأسف والاستياء.

قالت: «قراءة رائعة يا ماكس!». وأعادت التحقق ما أن أنهت كلامها من أن ماكس وليس جوش هو من أنهى للتو قراءة قصة Monkey's Birthday Surprise. لقد أخبرتها مادلين بأن هناك حيلة للتمييز بين ولدي سيليست وهي أن تبحث عن وحمة على شكل فراولة على جبهة ماكس.

قالت مادلين: «حسب اعتقادي أن ماكس هو من يحمل العلامة».

جين: «لقد استخدمتَ تعابير رائعة يا ماكس». رغم أنها لم تكن متأكدةً من ذلك. لقد طُلب من الآباء أن يحاولوا العثور على شيءٍ محدد يثنوا عليه بعد قراءة كل طفلٍ.

أجاب ماكس ببرود: «نعم». انزلق عن عنق السلحفاة وجلس القرفصاء على الرمال وبدأ الحفر.

جين: «ماكس».

تنهد ماكس بشكلٍ مسرحي، ووثب على قدميه وركض فجأةً باتجاه صفه، وهو يرفع رجليه ويديه بشكلٍ هزلي، مثل شخصيةٍ كرتونية تركض لتنجو بحياتها. ركض التوأمان أسرعَ مما كانت تتوقع جين بالنسبة لطفلين يبلغان من العمر خمس سنواتٍ.

تحققت جين من اسمه في قائمتها ونظرت لترى من سترسل الآنسة بارنز بعده. لقد كانت أمابيلا. كاد ماكس أن يصطدم بها بينما كانت تسير في الملعب باتجاه جين، كانت تُطأطئ رأسها ذو الشعر المجعد، وكتابها في يدها.

صاحت جينٍ بمرح: «مرحبا، أمابيلا».

تقوم والدتك وصديقاتها بتقديم عريضةٍ لتعليق وجود زيغي في المدرسة لأنهم يعتقدون أنه يؤذيك يا حبيبتي! لِذلك هل تعتقدين أن بإمكانك أن تخبريني ماذا يحدث بالفعل؟

لقد أصبحت مولعةً بأمابيلا منذ أن بدأت تشرف على دروس القراءة هذا العام. كانت طفلةً صغيرةً هادئةً ذات وجه ملائكي وجاد، وكان من المستحيل ألا تحبها. أجرت هي وجين بعض الحوارات الممتعة حول الكتب التي قامتا سوية بقراءتها.

بالطبع لن تقول كلمةً واحدةً لأمابيلا عما يحدث مع زيغي. لأن ذلك سيكون غير مناسبٍ. سيكون ذلك خطأً.

بالطبع لن تفعل.

سامانثا: لا تفهموني خطًا، أحب الآنسة بارنز وأي شخصٍ يقضي أيامه في مجادلة أطفالٍ في الخامسة من أعمارهم يستحق أن يُمنح ميدالية، لكنني اعتقد أن السماح لأمابيلا بالقراءة أمام جين كان قرارًا منافٍ للحكمة بالفعل.

الآنسة بارنز: كان ذلك خطأي. أنا إنسانة. وأرتكب الأخطاء. وهو ما يسمى بالخطأ البشري. يبدو أن أولئك الآباء يعتقدون أنني آلة وأن بإمكانهم المطالبة باسترداد الأموال في كل مرّة يرتكب فيها المعلم خطأ. اسمعوني، لا أريد أن أقول أي شيءٍ سيء عن جين ... لكنها ارتكبت خطأ ذلك اليوم أيضًا.

كانت أمابيلا تقرأ لجين من كتابٍ حول النظام الشمسي. كان الكتاب الأعلى مستوى بالنسبة للأطفال في رياض الأطفال، وكالعادة، قرأته أمابيلا بطلاقةٍ، وبتعبيرٍ لا تشوبه شائبةٍ. كانت الطريقة الوحيدة التي شعرت فيها جين أنها ستعطي أهمية لأمابيلا هي مقاطعتها وطرح بعض الأسئلة التي أثارها الكتاب، ولكن اليوم كانت جين تجد صعوبةً في إبداء أي اهتمامٍ بالنظام الشمسي. كان كل ما يشغل تفكيرها هو زيغي.

قالت أخيرًا: «ما رأيك بالعيش على المريخ؟».

رفعت أمابيلا رأسها. «سيكون ذلك مستحيلاً لأنه لا يمكنك التنفس من دون الغلاف الجوي، فهناك الكثير من ثاني أكسيد الكربون والبرد القارس».

جين: «صحيح». رغم أنه كان عليها أن تبحث في غوغل من أجل التأكد من صحة المعلومات. كان من الممكن أن تكون أمابيلا أذكى منها بالفعل.

قالت أمابيلا بعد لحظةٍ: «وستشعرين بالوحدة كذلك». لماذا لا تقول فتاةٌ ذكيةٌ مثل أمابيلا الحقيقة؟ إذا كان زيغي هو من أذاها، فلماذا لا تبوح بذلك؟ لماذا لا تبلغ عنه؟ كان أمرًا غريبًا جدًا. فالأطفال عادةً لا يخفون مثل هذه الحكايات.

سألتها جين: «يا حلوتي، تعرفين أنني والدة زيغي، أليس كذلك؟».

أومأت أمابيلا بطريقةٍ تأكيدية.

- «هل كان زيغي يؤذيكِ؟ لأنه إن كان يتصرف على هذا النحو، فأنا أريد أن أعرف ذلك منكِ، وأعدكِ أنه لن يفعل أي شيءٍ من هذا القبيل ثانيةً».

اغرورقت عينا أمابيلا بالدموع على الفور، وارتجفت شفتها السفلى، ثم أنزلت رأسها.

قالت جين: «أمابيلا، هل كان زيغي؟».

قالت أمابيلا شيئًا لم تفهمه جين.

جين: «ماذا يعني ذلك؟».

بدأت أمابيلا بالحديث: «لم يكن ...». لكن سرعان ما تغضّنت قسمات وجهها، وأجهشت بالبكاء بحرقةٍ.

قالت جين وهي تفيض بأملٍ يائس: «لم يكن زيغي؟؟»، شعرت برغبةٍ في هزّ أمابيلا طالبةً منها قول الحقيقة، «هل هذا ما قلتِه، لم يكن هو؟».

- «أمابيلا! أمابيلا، عزيزتي!»، وقفت هاربر عند حافة الباحة الرملية وهي تحمل صندوقًا من البرتقال للمقصف. كان وشاحها الأبيض مربوطًا بإحكامٍ حول رقبتها وكأنه حبل مشنقة، وهو تأثيرٌ عززته حقيقة أن وجهها الطويلَ المتدلي أصبح الآن أرجوانيًا من الغضب، «ما الخطب؟».

رمت الصندوق عند قدميها وسارت على الرمل نحوهما.

قالت: «أمابيلا؟ ماذا يحدث؟».

تصرّفت هاربر وكأن جين لم تكن موجودة، أو كأنها مجرد طفلةٍ أُخرى.

قالت جين ببرود: «كل شيءٍ على ما يُرام، يا هاربر»، أحاطت أمابيلا بذراعها وأشارت لهاربر كي تنظر خلفها: «لقد تدحرج البرتقال الذي كنت تحملينه في كل مكانٍ». كان ركن السلحفاة على قمة منحدرٍ صغير، وصندوق هاربر يميل على أحد الجوانب. تدحرجت مجموعةٌ من حبات البرتقال نحو ستو الذي كان يستمع إلى طفلٍ آخر يقرأ قرب جدار نجم البحر.

بقيت عينا هاربر شاخصةً على أمابيلا، متجاهلةً جين بطريقةٍ مقصودةٍ ومتعمدةٍ لدرجةٍ تثير الضحك، باستثناء حقيقة أنها كانت وقحةً إلى حدٍ بعيد.

- «تعالِي معي، أمابيلا». أمسكتها هاربر بيدها.

تنشّقت أمابيلا بقوة. كان أنفها يسيل ليصل إلى فمها بطريقةٍ بائسةٍ ومقرفةٍ لطفلٍ في الخامسة من عمره.

- «أنا هنا يا هاربر!»، قالت جين وهي تسحب علبة مناديل صغيرة من جيب سترتها. كان ذلك مثيرًا للغضب. لو بقيت دقيقة أُخرى مع أمابيلا لاستطاعت الحصول على بعض المعلومات منها. وضعت المنديل الورقي على أنف أمابيلا، «انخري يا أمابيلا».

أطاعتها أمابيلا ونخرت. نظرت هاربر أخيرًا إلى جين وقالت: «من الواضح أنك كنت تزعجينها! ماذا كنت تقولين لها؟».

- «لا شيء!»، قالت جين بغضب، وشعورها بالذنب لرغبتها في هز أمابيلا جعلها أكثر غضبًا، «لماذا لا تذهبي وتجمعِي المزيد من التوقيعات على عريضتك التافه والقذرة؟».

ارتفع صوت هاربر إلى حد الصراخ: «أوه، نعم، إنها فكرةٌ جيدةٌ، وأتركك هنا لمواصلة التنمر على فتاةٍ مسكينةٍ لا حول لها ولا قوة! الام والابن وجهان لعملةٍ واحدة».

نزلت جين من على السلحفاة ووقفت أمامها، ثم ركلت الرمل بحذائها، كي تحاول منع نفسها من ركله في وجه هاربر.

مكتبة
t.me/t_pdf

- «إياكِ والحديث عن ابني!».

صاحت هاربر: «لا تركليني!».

- «لم أركللكِ!». صرخت جين بدورها متفاجئة هي نفسها من جهارة صوتها.

- «ما الذي يجري؟». لقد كان ستو، مرتديًا أفرول السباك الأزرق، يديه مليئتان بالبرتقال الذي كان يجمعه من الباحة. والطفل الصغير الذي كان يقرأ معه واقفًا بجواره، يحمل برتقالةً في كل يدٍ، وقد اتسعت عيناه مثل صحن الفنجان لرؤيته اثنتين من الأمهات تصرخان على بعضهما البعض.

في تلك اللحظة دوت صرخة مجلجلة، لأنه بينما كانت كارول كويجلي تسرع عائدةً من غرفة الموسيقى ومعها سطل التنظيف ترفعه عاليًا، انزلقت فوق برتقالةٍ ضالةٍ وسقطت بشكلٍ هزلي على قفاها.

كارول: لقد تعرضت في الحقيقة لرضٍ سيء للعصص.

الفصل الواحد والخمسون

غابرييل: الأمر الآخر الذي سمعته هو أن هاربر اتهمت جين بإهانتها والاعتداء عليها في ركن السلحفاة، وهذا أمرٌ مرفوض.

ستو: كانت تتصرف هاربر بطريقة ساذجة وغبية. لم تبدو كشخصٍ تعرض للإهانة. لا أعرف. كنت قد تلقيت حينها مكالمةً بخصوص أحد خطوط المياه الرئيسية. لم يكن لدي متسعٌ من الوقت لفض خلاف والدتين تتشاجران بجوار حفرةٍ رملية.

ثيا: وحينها قرر بعض أولياء الأمور رفع تقريرٍ إلى وزارة التعليم.

جوناثان: وهو ما أخاف السيدة ليبهان المسكينة بشكلٍ واضح. أعتقد أنه كان عيد ميلادها أيضًا. يا لها من مسكينة.

السيدة ليبهان: سأقول شيئًا-ربما لا يمكننا تعليق حضور زيغي تشابمان. المرّة الوحيدة التي اتهم فيها بالتنمر كانت يوم التوجيه عندما لم يكن طالبًا حتى. وبعد ذلك كل ما حدث كان مجرد تخمين من جانب الوالدين. ليس لدي أدنى فكرة عما إذا كان عيد ميلادي. وهذا لا صلة له بالموضوع.

الآنسة بارنز: كان أولئك الآباء يتصرفون كالمجانين. كيف بإمكاننا أن نعلق وجود زيغي في المدرسة؟ كان طالبًا نموذجيًا. لا مشاكل سلوكية لديه.

لم أضطر إلى وضعه أبدًا على كرسي العقاب. حتى أنني لا أتذكر أنني وجهت له ملاحظةً أو وضعت بجانب اسمه نقطةً حمراء! وهو بالتأكيد لم يحصل على بطاقةٍ صفراء أبدًا. فما بالكم ببطاقة بيضاء.

اليوم الذي سبق حفلة المدرسة

كانت تعمل مادلين أيام الجمعة، مما يعني أنها غالبًا ما كانت تغيب عن اجتماع صباح الجمعة في المدرسة. كان إد يحضر عادةً إن كان أحد الأولاد يؤدي مشهدًا تمثيليًا أو شيئًا من هذا القبيل أو يستلم جائزة تقديرية. لكن اليوم توسلت كلوي إلى مادلين للحضور لأن صف رياض الأطفال كانوا يقرأون قصة طبيب الأسنان والتمساح وكان على كلوي أن تتلو سطرًا كاملاً بمفردها.

كان طلاب صف فريد سيؤدون أيضًا عزفًا على الفلوت للمرة الأولى. كانوا سيغنّون «عيد ميلاد سعيد» للسيدة ليبمان، والتي ستكون تجربةً مؤلمةً لجميع المعنين. (كان هناك شعورٌ عام في كل المدرسة بأن السيدة ليبمان سوف تصبح في الستين، لكن لا أحد يستطيع أن يؤكد أو ينفي).

كانت مادلين قد قررت حضور الاجتماع وعدم الذهاب إلى العمل وتعويض الفاقد في وقتٍ متأخر من بعد ظهر الاثنين، وهو شيءٌ لم تكن معتادةٌ على فعله يوم الاثنين لأنها ستأخذ أبيغيل للتدرّب على لعبة كرة السلة، بينما يصطحب إد الصغار إلى دروس تعليم السباحة.

خاطبت إد عندما ترجّلا من السيارة لتناول قهوتهما الجاهزة: «ربما لم تعد أبيغيل بحاجة للذهاب إلى تدريبات كرة السلة بعد الآن».

بعد أن أوصلا الأولاد للمدرسة، انطلقا إلى مقهى بلو بلوز، حيث كان يجري توم صفقةً رابحةً مع أولياء الأمور في مدرسة بيريوي الذين هم بحاجة

إلى الكافيين كي يتمكنوا من الصمود خلال عزف الفلوت في الاجتماع. «ربما يقوم ناثان بتدريبها الآن».

ضحك إد بتوترٍ، ربما كان قلقًا من أنها على وشك البدء بحديثٍ آخر حول إلغاء مدرس الرياضيات. كان زوجها رجلاً صبورًا، لكنها رأت نظرةً باردةً على وجهه عندما تحدثت حول الصعوبة التي تجدها أبيغيل في مادة الجبر منذ مدة طويلة، وحقيقة أن ناثان لم يكن حاضرًا أبدًا ليساعد أبيغيل في حلّ وظائف الرياضيات، وبالتالي لم يكن لديه فكرة كم هي سيئة في تلك المادة، ونعم كان صحيحًا أن ناثان متفوق في مادة الرياضيات لكن لا يعني ذلك أنه يستطيع تدريسها، وما إلى ذلك.

- «أرسلت جوي رسالةً على الإيميل هذا الصباح»، قال إد بينما كان يقفل السيارة. كانت جوي محررة الصحيفة المحلية، «تريد مني أن أكتب مقالاً حول ما يجري في المدرسة».

قالت مادلين بلامبالاة: «ماذا؟ عن مسابقة المدرسة؟».

كان يكتب إد في كثيرٍ من الأحيان مقالاتٍ قصيرة للجريدة المحلية حول فعاليات جمع التبرعات في المدرسة. استطاعت أن تلمح بيري وسيليست يعبران الشارع للدخول إلى المدرسة. كانا يسيران يدًا بيد، كزوجين حبيبين ورائعين، وكان بيري يسير للأمام قليلاً، وكأنه يحمي سيليست من حركة المرور.

أجاب إد بحذر: «لا. مقالاً عن التنمر الذي يجري في المدرسة. عن العريضة. تقول جوي أن التنمر هو إحدى تلك المشكلات الساخنة».

- «لا يمكنك الكتابة عن ذلك». توقفت مادلين فجأةً في وسط الطريق.

- «ابتعدِي عن الطريق، أيتها البلهاء»، أمسك إد بمرفقها وسحبها في اللحظة التي لمح سيارة قادمةً من جهة الشاطئ، «ذات يوم سأكتب قصةً حول مأساةٍ حدثت على هذا الطريق».

مادلين: «لا تكتبه، يا إد. هذا يسيء كثيرًا لسمعة المدرسة».

إد: «أنا ما زلت صحفيًا كما تعلمين».

لقد مرت ثلاث سنوات منذ أن تخلى إد عن عملٍ أكثر إرهاقًا ذو منصبٍ أعلى وساعات عملٍ أطول وأجرٍ أفضل في صحيفة The Australian حتى تتمكن مادلين من العودة إلى العمل ويتمكن الاثنان من المشاركة بواجبات الأبوة بشكلٍ عادل، وهو لم يشتكي أبدًا من الطبيعة الهادئة للعمل في مجلةٍ محليةٍ، حيث كان ينطلق بمرح لتغطية الكرنفالات والحفلات وأعياد الميلاد لأناسٍ تجاوزوا الـ 100 عام في دار الرعاية المحلية للمسنين. (يبدو أن هواء البحر يحافظ على سكانه). تلك كانت المرة الوحيدة التي يلّمح فيها لكونه غير راضٍ عن العمل تمامًا.

قال إد: «إنها قصةٌ صحيحة».

مادلين: «إنها ليست صحيحةً! وأنت تعرف أنها ليست كذلك!».

- «ما هي القصة غير الصحيحة؟ طاب يومكما، إد ومادلين، سُعدت برؤيتكما». صادفا بيري وسيليست. كان بيري يرتدي بدلةً وربطة عنق جميلةٍ؛ كانت بدلةً إيطالية قد أوصى عليها ويعادل ثمنها ثمن جميع ثياب إد بالكامل، حسب اعتقاد مادلين، بما في ذلك خزانة الملابس. اعتادت سيليست مداعبة نسيج أكمامه الحريرية بأطراف أصابعها عندما كان ينحني لتقبيلها، وهي تستنشق عطر ما بعد الحلاقة.

تساءلت عن الفائدة التي جنتها من زواجها من رجلٍ يرتدي ملابس فاخرة: لو كانت مادلين لكانت قد سُعدت بجميع تلك الألوان، والقماش الجميل، ونعومة ربطة العنق ورهافة القميص. بالطبع، بالنسبة لسيليست، التي لم يكن لديها اهتمامٌ كبيرٌ بالملابس، ربما لم تلحظ فرقًا بين بيري واد غير الحليق ذو الشعر الأجعد برائحته العفنة وفروته الزيتية اللون فوق قميصه. ومع ذلك عندما شاهدت إد وبيري يتحدثان، شعرت بموجةٍ غير متوقعة من المودّة لإد، رغم أنها في تلك اللحظة كانت تشعر بالغضب منه. كان ذلك

بسبب الطريقة المنفتحة والمهتمة التي كان يستمع بها إلى بيري، وذقنه التي غزاها الشيب، بالمقارنة مع ذقن بيري اللامعة والناعمة.

نعم، كانت تفضل قبلة إد. كم هو محظوظ.

قالت سيليست بطريقتها القلقة والمرتبكة: «هل تأخرنا؟ أنزلنا الولدين أولاً أمام باب المدرسة مباشرةً، لأننا لم نجد مكانًا لركن السيارة. كان الولدان مبتهجين كثيرًا لوجود بيري هنا كي يراهما وهما يلقيان قصيدة».

ردّت مادلين: «لا لسنا متأخرين». كانت تتساءل عما إذا كانت سيليست قد قالت شيئًا لبيري عن احتمال أن يكون ابن عمه هو والد زيغي. لو كانت مكانها لأخبرت إد بذلك.

- «هل رأيتِ جين؟». سألتها سيليست وكأنها تقرأ أفكارها.

مشى بيري واد أمامهما.

- «هل ... أخبرته؟». أخفضت مادلين صوتها وأشارت برأسها نحو بيري.

- «لا!». همست سيليست. بدت خائفة قليلاً.

مادلين: «على كل حال، جين ليست هنا. تذكري أنها تعرف كل حيثيات الأمر». لم يظهر على سيليست أي ردّ فعل. أخفضت مادلين صوتها. «أنت تعلمين. الموعد».

لقد طلبت منهما جين التكتم والمحافظة على سرية الموعد الذي حددته لزيغي لرؤية الطبيب النفسي. «إذا سمع الناس أنني سآخذه إلى طبيبٍ نفسي، فسيعتقدون بأنه دليل على أنه يتصرف تصرفاتٍ خاطئة».

- «أوه، نعم، بالطبع». نقرت سيليست بأصبعها على جبينها. «لقد نسيت».

أبطأ بيري في سيره، حتى تمكنت مادلين وسيليست من اللحاق بهما.

قال بيري: «أخبرني إد للتو عن الجدل الدائر بشأن التنمر». ثم خاطب مادلين: «هل هي ابنة ريناتا كلين؟ الفتاة الصغيرة المسكينة التي تعرضت للتنمّر؟ أعرف ريناتا قليلاً من خلال العمل».

مادلين: «حقًا؟». رغم أنها كانت تعرف ذلك من سيليست؛ لكن كان يبدو دائمًا أن السياسة الأكثر أمانًا هي عدم السماح للأزواج بمعرفة مقدار المعلوماتِ التي تتشارك بها زوجاتهم.

سأل بيري: «إذًا هل يجب أن أوقع على هذه العريضة إن طلبت مني ريناتا ذلك؟».

أعدّت مادلين نفسها للدخول في معركةٍ من أجل جين لكن سيليست بدأت الحديث أولاً. قالت: «بيري. إذا وقعت على هذه العريضة سأتركك».

ضحكت مادلين ضحكةً مضطربةً فيها شيء من الدهشة. كان واضحًا أنها كانت مزحةً سمجة لكن ثمّة خطأ في قول سيليست. لأنها بدت جادةً تمامًا.

إد: «هذه أوامر يا صديقي».

بيري: «هذا مؤكد»، ووضع ذراعه حول سيليست وضغط بشفتيه على رأسها. «لقد تحدث الرئيس».

لكن سيليست بقيت متجهمة.

إلى: جميع أولياء الأمور

من: لجنتكم الاجتماعية

تنطلق فعاليات حفلة المدرسة التنكرية «أودري وإلفيس» التي طال انتظارها مساء غدٍ في قاعة اجتماعات المدرسة عند السابعة مساءً! رتّبوا أفكاركم وكونوا مستعدين لقضاء ليلةٍ مليئة بالمرح والمتعة! شكرًا لوالد أحد الأطفال من الصف الثاني، بريت

لارسون، الذي سيكون مقدم البرنامج في هذه الليلة. كان بريت منهمكًا منذ مدّة بالتحضير لبعض الألعاب الذهنية لإبقائنا متيقظين!

ندعو الله أن تكون النشرة الجوية مخطئة (تقول إن هناك فرصة لهطول المطر بنسبة 90 ٪ - لكن، العلم عند الله؟) لأننا سنكون حينها قادرين على الاستمتاع بالكوكتيلات والمقبلات على شرفتنا الجميلة قبل بدأ المسابقة.

والشكر الموصول لجميع الرعاة المحليين الكرماء! تتضمن جوائز السحب صينية لحوم رائعة تبرع بها أصدقاؤنا اللطفاء من محلات اللحوم المشوية في بيريوي، ووجبة إفطار شهية لشخصين في مقهى بلو بلوز (نحبك يا توم!) وشامبو ومعطر من صالون Hairway to Heaven! رائع. واووو!

تذكروا أن جميع الأموال التي يتم جمعها ستذهب لشراء ألواح ذكية لتعليم أطفالنا الصغار!

قبلات من أعضاء لجنتكم الاجتماعية، فيونا، غريس، إدوين، روانا، هاربر، هولي وهيلين!

كل المحبّة لكم

ملاحظة: تذكّرنا السيدة ليمان بأن نراعي جيراننا وأن نخفض مستويات الضجيج والضوضاء إلى الحد الأدنى عند المغادرة.

الفصل الثاني والخمسون

سامانثا: كنت أتفرج على الأطفال الرائعين أثناء تلاوتهم قصيدةً في قاعة المدرسة في اليوم الذي سبق الحفلة ولاحظت أن جميع أنصار ريناتا كانوا يقفون في جانبٍ وأنصار مادلين في الجانب الآخر وكأنهم في حفل زفافٍ. ضحكت ضحكةً مكتومةً بيني وبين نفسي.

تستغرق لقاءات مدرسة بيريوي العامة وقتًا طويلاً حتى تنعقد وتنتهي لكن الشيء الوحيد الذي لا يمكنك الشكوى حياله هو مكان الانعقاد. كانت قاعة اجتماعات المدرسة في الطابق الثاني من المبنى لها شرفةٌ ضخمة تمتد على طول ذلك الجانب بأبوابٍ زجاجيةٍ منزلقة كبيرة تكشف عن منظرٍ بديعٍ للبحر. كانت جميع الأبواب الزجاجية مفتوحةً اليوم، مما سمح لهواء الخريف بالهبوب عبرها. (تصبح القاعة خانقةً بعض الشيء عندما تُغلق جميع الأبواب، مع رائحة ضراط الأولاد، وعطر الشقراوات ورائحة الكولونيا التي تصدر عن أزواجهن بسخاء).

حدقت مادلين بالمنظر البديع وحاولت أن تفكر بأفكارٍ لطيفة. لكنها شعرت بتوتر مفاجئ، مما يعني أن غدًا سيكون يوم الذروة لأعراض ما قبل الحيض. لن تستمتع بشيء في ليلة المسابقة.

خاطبتها بوني: «مرحبا مادلين. مرحبا إد».

جلست على المقعد الفارغ بجوار مادلين، تفوح منها رائحة نبات الباتشولي.

شعرت مادلين بيد إد تنزل وتسترخي بشكلٍ غير ملحوظٍ على ركبتها.

ردت مادلين بضجرٍ وهي تنظر من فوق كتفها: «مرحبا بوني، أهذا هو الكرسي الوحيد الفارغ في القاعة؟ كيف حالك؟».

ردت بوني: «بخير». سحبت ضفيرتها الوحيدة فوق كتفها الأبيض الذي تتناثر فوقه شاماتٍ داكنة مثل الهبيين. حتى أن كتف بوني بدا غريبًا لمادلين.

شعرت مادلين بقشعريرة، فخاطبت بوني: «ألا تشعرين بالبرد؟». كانت بوني ترتدي قميصًا بلا أكمام وسروالاً لليوغا.

- «لقد بدأت بتعليم دروس يوغا بيكرام المعروفة».

مادلين: «هي نوع من اليوغا الساخنة التي تجعلك تتعرقين كثيرًا، أليس كذلك؟ لكنك لا تبدين متعرقةً».

بوني: «لقد أخذت حمّامًا. لكن ما تزال درجة حرارة جسدي الداخلية مرتفعة».

مادلين: «ستصابين بنزلة برد».

بوني: «لا لن أصاب».

مادلين: «بل ستصابين». شعرت بأن إد على يسارها يحاول أن يمنع نفسه من الضحك.

غيرت الموضوع رغم أنه لا زال لديها كلمة أخيرة لتقولها. «أليس ناثان هنا؟».

- «عليه أن ينجز عملاً. أخبرته أنه لن يفوته الكثير. تشعر سكاي برعبٍ شديدٍ من الأداء، وربما ستختبأ وراء الأولاد الآخرين»، ابتسمت لمادلين وقالت: «ليست مثل ابنتك كلوي».

وافقتها مادلين: «بالطبع ليست مثل ابنتي كلوي».

على الأقل لا يمكنك أن تأخذ كلوي مني، بالطريقة التي أخذت بها أبيغيل.

بدا الأمر مثيرًا للغضب بالنسبة لها لأن هذه المخلوقة الغريبة تعرف ما تناولته ابنتها على الإفطار هذا الصباح، في حين أن مادلين لا تعرف ذلك. رغم أنها كانت تعرف بوني منذ سنوات، رغم أنهما تبادلا الكثير من الأحاديث الحضارية، إلا أنها لا تبدو بالنسبة لها شخصًا واقعيًا. تشعر وكأنها صورة كاريكاتورية. كان من المستحيل تخيلها تقوم بأشياء طبيعية. هل سبق لها أن غضبت من قبل؟ هل سبق لها أن صرخت؟ وهل سبق لها أن وقعت من كثرة الضحك؟ أو أكلت كثيرًا؟ أو شربت كثيرًا؟ أو اتصلت بأحدهم ليحضر لها ورق التواليت؟ أو أضاعت مفاتيح السيارة؟ هل سبق لها أن كانت مجرد إنسانٍ؟ هل توقفت يومًا عن الحديث بصوت معلمة اليوغا الغريب والمخيف؟

قالت بوني: «أنا آسفة لأن ناثان لم يبلغك بشأن إلغاء درس الرياضيات الخصوصي».

ليس هنا، أيتها الحمقاء. دعينا لا نتحدث عن شؤوننا العائلية بوجود أمهاتٍ لديهن آذان حادة من حولنا.

أكملت بوني: «لقد أبلغت ناثان أنه يتعيّن علينا تحسين مهارات التواصل فيما بيننا. هذا كل ما في الأمر».

– «صحيح». قالت مادلين. كان إد يزيد من ضغط يده عليها بين الفينة والأُخرى. نظرت مادلين نحوه، ونحو بيري وسيليست في الجانب الآخر، لترى إن كان بإمكانها أن تشارك بشكلٍ طبيعي في حديثٍ مع شخصٍ آخر، لكن بيري وسيليست كانا يحدقان بشيءٍ على هاتف سيليست، وكان الاثنان يضحكان، ورأسيهما متقاربين مثل مراهقين صغيرين يتواعدان. يبدو أن النفور بينهما بشأن توقيع العريضة لم يكن شيئًا يذكر.

نظرت إلى الجزء الأمامي من القاعة، حيث كان لا يزال هناك ضوضاء وجلبة نتيجة النشاط الصاخب، كان يُطلب من الأولاد الجلوس، وكان

المعلمون يعبثون بمعدات الصوت، بينما كانت الشقراوات يبادرن للظهور بمظهر المشارك والمهتم للغاية كما كنّ يفعلن صبيحة كل يوم جمعة.

قالت بوني: «تعمل أبيغيل حقيقةً على تنمية الوعي والضمير الاجتماعي. مذهلٌ رؤية ذلك. هل تعلمين أن لديها نوعٌ من المشاريع الخيرية السرية التي تعمل عليها حاليًا؟».

قالت مادلين بنبرةٍ مقتضبةٍ، مرسخةً نفسها بقوة كوليةِ أمرٍ فظيعة تمقت البشر: «فقط عندما لا يقف ضميرها الاجتماعي حائلاً أمام تحصيلها لعلاماتٍ جيدة في المدرسة. تريد أن تمارس مهنة العلاج الفيزيائي. لقد تحدثت لسامانثا أم ليلي عنها. تقول سامانثا أن أبيغيل بحاجة للرياضيات إن أرادت ذلك».

بوني: «في الواقع، لا أعتقد أنها تريد ممارسة العلاج الفيزيائي بعد الآن. يبدو أنها بصدد تطوير اهتماماتها بالعمل الاجتماعي. أعتقد أنها ستكون ناشطة اجتماعيةً رائعة».

مادلين: «ستكون ناشطة اجتماعيةً سيئة! ليست قويةً بما فيه الكفاية. ستقضي على نفسها وهي تحاول مساعدة الناس وستنشغل بحياتهم كثيرًا ... يا إلهي سيكون هذا اختيارٍ مهنيٍ سيء بكل المقاييس».

قالت بوني بغموض: «هل تعتقدين ذلك؟ أوه، حسنًا، لا داعي للاندفاع باتخاذ أية قرارات بعد الآن، أليس كذلك؟ ربما ستغير رأيها عشرات المرات قبل ذلك الحين».

وجدت مادلين نفسها تصدر أصوات نفخاتٍ خفيضة من شفتيها وكأنها في حالة مخاض. كانت بوني تحاول تحويل أبيغيل إلى فتاةٍ أُخرى لم تكن عليها، ولا يمكن أن تكون. لن يتبقَ شيء من أبيغيل الحقيقية. ستكون ابنة مادلين غريبةً عنها.

سارت السيدة ليبمان برشاقةٍ على المنصة ووقفت أمام الميكرفون بصمتٍ وقد شبكت يديها أمامها تبتسم بلطفٍ وهي تنتظر أن يُلاحظ أحد حضورها

المهيب. اندفعت إحدى الشقراوات إلى المسرح وفعلت شيئًا مهمًا للميكرفون قبل أن تعود لمكانها مرةً أُخرى. في هذه الأثناء بدأ معلم الصف السادس بالتصفيق بإيقاع جذاب كان له قوى سحرية مهدّئة للأطفال، مما دفعهم للتوقف عن الحديث مباشرةٍ، فنظروا للأمام وبدأوا التصفيق بنفس الإيقاع. (لا ينفع ذلك في المنزل. حاولت مادلين ذلك مرارًا وتكرارًا).

عندما ارتفع إيقاع التصفيق ورفعت السيدة ليبمان يديها ليعمّ الصمت. انحنت بوني وهمست في أذن مادلين، كانت أنفاسها حلوةً ورائحتها كرائحة النعناع: «أوه، كدت أنسى. نود أن تكوني أنتِ واد والأطفال معنا للاحتفال بعيد ميلاد أبيغيل الخامس عشر يوم الثلاثاء القادم! أعلم أن أبيغيل تحب أن تكون عائلتها مجتمعة مع بعضها. هل سيكون ذلك محرجًا برأيك؟».

محرجًا؟ هل تمزحين بوني، سيكون ذلك رائعًا، لا بل أكثر من رائع! ستكون مادلين ضيفةً على عشاء عيد ميلاد ابنتها الخامس عشر. ليست المستضيفة. بل ضيفةً. سيقدم لها ناثان المشروبات. وعندما يغادرون، لن تأتي أبيغيل في السيارة معهم. ستبقى هناك. ستبقى أبيغيل هناك لأنها تعتبره منزلها.

- «رائع! ما الذي سأحضره؟». همست من جديد بينما كانت تضع يدها على ذراع إد وتضغط عليها بقوةٍ. لقد تبين أن الحديث مع بوني كان أشبه بالمخاض: يمكن أن يزداد الألم أكثر مع مرور الوقت.

الفصل الثالث والخمسون

قالت الطبيبة النفسية: «زيغي طفلٌ صغيرٌ وجميلٌ. وهو واضحٌ جدًا وواثقٌ بنفسه ولطيف». ابتسمت لجين وأردفت: «لقد أعرب عن قلقه بشأن صحتي. إنه أول زبون هذا الأسبوع لاحظ إصابتي بنزلة برد».

مسحت الطبيبة النفسية أنفها بقوةٍ وكأنها تريد أن تثبت إصابتها بنزلة بردٍ بالفعل. راقبتها جين بفارغ الصبر. لم تكن لطيفةً مثل زيغي. لم تستطع الاهتمام كثيرًا بمسألة إصابة الطبيبة النفسية بنزلة برد.

-«إذًا، هل تعتقدين أنه متنمرٌ مضطرب الذهن بالخفاء؟». قالت جين بضحكةٍ صغيرةٍ لتظهر أنها كانت تمزح نوعًا ما إلا أنها لم تكن كذلك بطبيعة الحال. لهذا السبب هما هنا. لهذا السبب كانت تدفع تلك الضريبة الضخمة.

نظر كلاهما إلى زيغي الذي كان يلعب في غرفة ذات جدارٍ زجاجي بجوار مكتب الطبيبة النفسية حيث يفترض أنه لا يمكنه سماعهما. بينما كانتا تنظران إليه، التقط زيغي دميةً محشوةً؛ لعبةً لطفلٍ أصغر منه بكثير. تخيل لو أن زيغي قام بلكم الدمية فجأةً، فكرت جين. سيكون ذلك أمرًا حاسمًا. يتظاهر هذا الطفل بأنه يهتم بنزلة البرد التي أصيبت بها الطبيبة ثم يضرب الألعاب. لكن زيغي نظر إلى الدمية، ثم سارع إلى وضعها على الطاولة دون أن ينتبه إلى زاوية الطاولة فوقعت على الأرض، وهذا يدل على أنه كان فوضويًا بشكلٍ مَرَضي.

قالت الطبيبة: «لا أعتقد ذلك». ثم صمتت للحظةٍ وأنفها يرتعش.

قالت جين: «ستخبرينني بما قاله لك، أليس كذلك؟ ليس لديك ما يتعلق بسرية المعلومات حول الزبون أو المريض، أليس كذلك؟»
- «اتشووووو!». عطست الطبيبة عطاسًا شديدًا.

فقالت جين وقد نفذ صبرها: «فليرحمك الله».

- «تبدأ سرية المعلومات الخاصة بالمريض فقط عندما يبلغ سن الرابعة عشرة»، قالت الطبيبة وهي تحاول أن تنخر وأردفت: «ويحصل هذا عندما يخبرونك بأشياء تريد حقيقةً إشراك آبائهم بها، هل فهمتِ قصدي؟ عندما يمارسون الجنس ويتعاطون المخدرات وما إلى ذلك!».

نعم، نعم، أناسٌ صغار، مشاكل صغيرة.

قالت الطبيبة النفسية: «جين، لا أعتقد أن زيغي متنمر». طوت أصابعها ثم لمست فتحتي أنفها الحمراوين. «لقد ذكرت على مسامعه الحادثة التي رويتها لي عن يوم التوجيه، وكان واضحًا أنه لم يكن هو. سأصاب بالذهول إن كان يكذب. إنه في هذه الحالة سيكون الكاذب الأكبر والأمهر الذي رأيته في حياتي. وبصراحة لا يُظهر زيغي أي علاماتٍ كلاسيكية معروفة للشخصية المتنمّرة. فهو ليس نرجسيًا. وتبدو عليه علائم التعاطف والرقّة تجاه الآخرين».

سدّت دموع الفرح والارتياح أنف جين.

قالت الطبيبة النفسية بمرحٍ: «ما لم يكن مختلاً عقليًا بالطبع».

ماذا بحق الجحيم؟

وتابعت: «وفي هذه الحالة يمكن أن يتظاهر بالتعاطف المزيف. فالمصابون بالأمراض العقلية ساحرون للغاية. لكن ...»، عطست مرةً أُخرى ثم قالت: «آهٍ، يا عزيزتي. اعتقدتُ أنني أتحسن».

- «لكن ماذا؟». ألحّت عليها جين، مدركةً بأنها لم تظهر أي تعاطفٍ على الإطلاق.

قالت الطبيبة النفسية: «لكنني لا أعتقد كذلك. لا أعتقد أنه مختلٌ عقليًا. أودّ بالتأكيد رؤيته في موعدٍ آخر. قريبًا. أعتقد أنه يعاني من الكثير من القلق. أعتقد أن هناك الكثير مما لم يشركني به اليوم. لن أتفاجأ على الإطلاق إن عرفت أن زيغي نفسه يتعرض للتنمر في المدرسة».

جين: «زيغي؟ يتعرّض للتنمر؟».

شعرت باندفاعٍ مفاجئٍ للحرارة في جسدها، وكأن حمّى أصابتها. وسَرَت طاقةٌ رهيبة في جسدها كلّه.

قالت الطبيبة النفسية وهي تستنشق: «قد أكون مخطئة، لكنني لن أتفاجأ. رما كان لفظيًا. ربما اكتشف ولدٌ ذكي نقطة ضعفه»، أخذت منديلاً من الصندوق الذي على مكتبها. كان المنديل الأخير. أصدرت صوت عطاسٍ منخفض «تشش» وتابعت: «بالإضافة إلى ذلك، تحدثت أنا وزيغي عن والده».

اضطربت جين: «والده؟ لكن ماذا ...».

قالت الطبيبة النفسية: «إنه قلقٌ جدًا بشأن والده. يعتقد أنه قد يكون جندي اقتحام، أو ربما جابا ذا هوت Jabba the Hutt (شخصية خيالية في فيلم حرب النجوم)، أو ربما السيناريو الأسوأ»، لم تستطع الطبيبة النفسية حينها كبح ابتسامةٍ عريضة: «دارث فيدر Darth Vader (شخصية خيالية أيضًا في فيلم حرب النجوم وهي شخصية شريرة)».

قالت جين: «أنتِ تمزحين أليس كذلك»، كانت متحمسةً نوعًا ما. لقد كان فريد ابن مادلين هو من أدخل زيغي في حرب النجوم، «هو ليس جادًا بالتأكيد».

قالت الطبيبة النفسية: «في كثير من الأحيان، لا يفرّق الأطفال بين الواقع والخيال. إنه في الخامسة من عمره فقط. أي شيءٍ ممكن في عالم طفلٍ يبلغ الخمس سنوات. لا يزال يؤمن ببابا نويل وجنية الأسنان. لماذا لا يكون

دارث فيدر والده؟ لكنني أعتقد أن الأمر أكبر من ذلك لأنه توصّل بطريقةٍ ما إلى فكرة أن والده شخصٌ ... مخيفٌ وغامض».

قالت جين: «اعتقدت أنّي قمت بعملٍ أفضل من هذا بكثير».

- «سألته إن كان تحدث إليك عن والده فأجاب بالإيجاب، لكنه يعلم أن ذلك يزعجكِ. لقد كان حازمًا جدًا معي. ولم يكن يريدني أن أزعجك»، نظرت إلى دفتر ملاحظاتها ورفعت رأسها مرةً أُخرى وتابعت: «قال لي حرفيًّا: كوني حذرةً عندما تتحدثين مع أمي عن أبي، لأن ملامح وجهها ستبدو مضحكة».

ضغطت جين براحة كفها على صدرها.

الطبيبة النفسية: «هل أنتِ بخير؟».

سألتها جين: «هل ثمّة ملامح مضحكة على وجهي؟».

قالت الطبيبة: «قليلاً»، انحنت إلى الأمام ونظرت إلى جين نظرةً تنمّ عن فهم، نظرة امرأة لامرأة كما لو كانتا تتحدثان معًا في حانةٍ، «أفهم من ذلك أن والد زيغي لم يكن رجلاً جيدًا تمامًا؟».

ردت جين: «ليس تمامًا».

الفصل الرابع والخمسون

كان بيري في طريقه لإيصال سيليست إلى المنزل بعد انتهاء الاجتماع.

سألته سيليست: «هل لديك وقتٌ للتوقف وتناول القهوة؟».

ردّ بيري: «من الأفضل ألا نفعل، فأنا مشغولٌ جدًا اليوم!».

نظرت إلى وجهه وهو يقود السيارة. بدا بخير. كانت أفكاره متركزة على بقية اليوم. كانت تعلم أنه استمتع بحضور أول اجتماع مدرسي له، لكونه أحد الآباء في المدرسة، مرتديًا زي شركته في عالمٍ لا علاقة له بعالم الشركات والأعمال. أحبّ دور الأب، حتى أنه تلذذ به؛ وكذلك بالحديث مع إد بتلك الطريقة الساخرة نوعًا ما والتي تحمل ظرافةَ الآباء.

لقد ضحكوا جميعًا على الأطفال الذين يؤدون على المسرح وهم يرتدون بدلة التمساح الخضراء الكبيرة. كان ماكس يضع الرأس وجوش يضع الذيل؛ بدا أحيانًا أن التمساح كان في خطر الانقسام إلى قسمين عندما كانا يتجهان في اتجاهين متعاكسين.

قبل أن يغادروا المدرسة، التقط بيري صورةً للولدين وهما يرتديان البذلة على الشرفة خارج القاعة والمحيط من خلفهما. ثم طلب من إد التقاط صورةً جماعيةً لهم هم الأربعة: كان الولدان يحدقان من تحت الزي، بينما يجثم بيري وسيليست إلى جوارهما. ستنزل الصورة على الفيس بوك على الفور. رأته سيليست يعبث بهاتفه وهم يمشون عائدين إلى السيارة.

ماذا سيكتب تعليقًا تحتها؟ اليوم وُلِد نجمان! لقد ظهرا كتمساحٍ مخيف بالفعل! أو شيء من هذا القبيل.

- «نراكم في ليلة المسابقة!». كان الجميع يخاطب بعضهم البعض بهذه العبارة وهم يهمّون بالمغادرة.

نعم، كان في مزاجٍ جيد. ينبغي أن تكون الأمور على ما يُرام. لم يكن هناك أي توترٍ منذ عودته من رحلته الأخيرة.

لكنها لاحظت شرارة غضبٍ ظهرت عليه بلمح البصر عندما أطلقت تعليقها حول تركها له إن وقّع على العريضة التي تدعو لتعليق دوام زيغي في المدرسة. كانت تقصد أن يبدو الأمر وكأنه مزحة لكنها عرفت أن الأمور لم تَسِر كما أرادت لها، وأن ذلك قد أحرجه أمام مادلين واد، الذين كان يحبهما ويقدّرهما كثيرًا.

ماذا حدث لها؟ لا بدّ أن ذلك بسبب الشقة. لقد كانت مفروشةً بالكامل تقريبًا الآن؟، ونتيجةً لِذلك كان احتمال المغادرة حاضرٌ دائمًا، والسؤال الذي يطرح نفسه باستمرار:

هل سأفعل أم لا؟ بالطبع، سأفعل، يجب أن أفعل. بالطبع لن أفعل. صباح الأمس عندما كانت هناك قامت حتى بتجهيز الأسرّة ببياضاتٍ جديدةٍ، مما منحها سعادة ومتعة غريبة في تلك المهمّة، جعل فرش الأغطية على كل سريرٍ الأمر ممكنًا. لكن في منتصف الليلة الماضية، استيقظت وهي في سريرها، وذراع بيري الثقيلة على خصرها، ومروحة السقف تدور بتكاسلٍ بالطريقة التي يحبها بيري، ثم فكرت فجأةً بتلك الأسرّة المرتبة والمجهّزة، فشعرت بالرعب وكأنها تذكّرت جُرمًا اقترفته. يا لها من خيانة لزوجها! لقد استأجرت وجهّزت شقةً أُخرى. يا له من شيءٍ مجنون وسري وخبيث وانغماس في الملذات الشخصية ذلك الذي فعلته.

ربما كان تهديدها لبيري بأنها ستتركه بسبب رغبتها بالاعتراف بما فعلته؛ لم تستطع تحمّل عبء سرها.

بالطبع كان ذلك أيضًا لأن مجرد التفكير بأن بيري، أو أي شخصٍ آخر، سيوقعّ على تلك العريضة قد ملأها بالغضب، لكن بيري بشكلٍ خاص. كان مدينًا لجين. وهو دينٌ عائلي بسبب ما فعله ابن عمه. (ربما هو من فعله وربما لا، ظلت تذكّر نفسها. فهم لا يعرفون على وجه اليقين. ماذا لو أن جين قد أخطأت في سماع الاسم؟ ربما كان ستيفن بانكس، وليس ساكسون بانكس إطلاقًا).

ربما يكون زيغي ابن ابن عم بيري. وكان مدينًا بالولاء له على الأقل.

كانت جين صديقة سيليست، وحتى لو لم تكن كذلك، لا يستحق طفلٌ في الخامسة من عمره أن يبدأ حياته مُطاردًا من قِبل المجتمع.

لم يُدخل بيري السيارة إلى المرآب، أوقفها في الممر خارج البيت.

افترضت سيليست أنه لن يدخل إلى البيت.

قالت وهي تميل لتقبيله: «سأراك الليلة».

قال بيري: «في الواقع، عليّ الدخول لإحضار شيء من مكتبي». فتح باب السيارة.

شعرت سيليست بشيءٍ حينها. كان أشبه برائحة أو تغيير في الشحنة الكهربائية في الهواء. كان ذلك بسبب وضعية كتفيه والنظرة الفارغة اللامعة في عينيه والجفاف في حلقها.

فتح لها الباب ودعاها للدخول قبله بإيماءةٍ لطيفةٍ.

– «بيري»، قالت بسرعةٍ وهي تستدير لإغلاق الباب خلفها، لكنه أمسك بها من شعرها، ولفّه خلف رأسها وشدها بقوةٍ، بقوة فظيعة، فانتشر الألم عبر فروة رأسها وامتلأت عيناها بالدموع مباشرةً بشكلٍ لاإرادي.

– «إن أحرجتني مرةً أُخرى بهذا الشكل مثلما فعلتِ اليوم، سأقضي عليكِ، سأقتلك»، زاد من شدة قبضته، «كيف تجرؤين على ذلك. كيف تجرؤين». ثم تركها.

قالت: «أنا آسفةٌ. أنا آسفةٌ جدًا». لكن ما كان يجب عليها أن تقول ذلك الآن، لأنه تقدم نحوها ببطءٍ وأخذ وجهها بين يديه بنفس الطريقة التي يفعلها عندما يريد تقبيلها بلطفٍ.

- «هذا لا يكفي». قال هذا وضرب رأسها بالحائط.

كان التعمّد القاسي صادمًا وسرياليًا مثل المرة الأولى التي ضربها فيها. شعرت بأن الألم شخصيٌ، مثل قلبٍ مكسور. أصبح العالم يدور بها وكأنها ثملة. تهاوت على الأرض. لقد تقيأت مرةً، مرتين لكنها لم تكن مريضةً. هي تتقيأ فقط. لم تكن مريضةً أبدًا.

سمعت وقع أقدامه تبتعد وهو يسير في الردهة، تكورت على الأرض، وركبتيها قرب صدرها، ويديها مشبوكتين خلف رأسها الذي ينبض بشدةٍ. فكرت بالصبيين عندما كانا يؤذيان نفسيهما، بالطريقة التي يبكيان فيها: هذا! موئلٌ يا أمي. موئلٌ جدًا!

عاد بيري ثم خاطبها: «انهضي. حبيبتي. انهضي».

جثم بجانبها وسحبها كي يُجلسها، ثم وضع بلطفٍ كيس ثلجٍ ملفوفٍ بمنشفة على مؤخرة رأسها.

عندما بدأت البرودة اللطيفة تسري في عروقها، أدارت رأسها إليه وتفحّصت وجهه بعينين ضبابيتين. كان شاحبًا كشحوب الأموات، مع هالةٍ أرجوانية تحت عينيه. كانت ملامحه متهدّلة وكأنه يعاني من مرضٍ رهيب. حينها أجهش بالبكاء. صوتٌ بشعٌ ويائسٌ مثل حيوانٍ وقع في الفخ.

تركت نفسها تقع على كتفه ثم أجهشا ببكاءٍ مريرٍ معًا وهما يهتزان على الأرضية الخشبية المصنوعة من خشب الجوز الأسود اللامع وتحت سقفٍ كاتدرائي مرتفع.

الفصل الخامس والخمسون

كانت مادلين تقول في كثيرٍ من الأحيان أن العيش والعمل في بيريوي كان أشبه بالعيش في قريةٍ ريفية. وكان أكثر ما تعشقه ذلك الإحساس بالانتماء إلى المجتمع، باستثناء بالطبع، تلك الأيام التي تقع فيها فريسة متلازمة ما قبل الحيض الخبيثة، حيث تتوق حينها للسير في القرية والتسوق دون أن يبتسم لها الناس أو يلوحوا بمودّة أو يتصرفوا بلطفٍ شديد.

كان الجميع في بيريوي على تواصلٍ مع بعضهم البعض، ويكون ذلك غالبًا بطرقٍ متعددة، من خلال المدرسة أو نادي ركوب الأمواج أو فرق الأطفال الرياضية أو الصالة الرياضية أو مصفف الشعر وما إلى ذلك.

كان يعني ذلك أنها عندما جلست محشورةً في مكتبها الصغير في مسرح بيريوي تجري اتصالاً سريعًا مع صحيفة بيريوي المحلية لترى إن كان بإمكانها الحصول على إعلان من ربع صفحةٍ في اللحظة الأخيرة من صدور صحيفة الأسبوع المقبل (كونهم كانوا بأمسّ الحاجة لأعدادٍ أكثر في صف التمثيل لأطفال السنة التحضيرية للمساعدة في كسب بعض المال)، لم تكن تتصل بلورين التي هي مسؤولة الإعلانات في الصحيفة فقط، بل بلورين التي لديها ابنة تدعى بيترا وهي في نفس الصف مع أبيغيل، وابنًا في الصف الرابع في مدرسة بيروي العامة، ومتزوجة من أليكس، الذي يمتلك متجر كحولٍ محلي ويلعب في نادٍ لكرة القدم لمن تجاوزوا الأربعين مع إد.

لن تكون مكالمةً مقتضبة، لأنها ولورين لم تتحدثا منذ فترةٍ. أدركت ذلك بينما كان الهاتف يرن، وكادت تغلق الخط وترسل إيميلاً لها بدلاً من ذلك، كان لديها الكثير لتفعله اليوم وكادت أن تتأخر عن الذهاب إلى الاجتماع، لكن لا يزال من الجيد إجراء حديث سريع مع لورين، لتعرف ما سمعته لورين عن العريضة وما إلى ذلك، لكن مرةً أُخرى، استمرت لورين لبعض الوقت في ...

- «لورين إدغيلي!».

فات الأوان. قالت مادلين: «مرحبا لورين. أنا مادلين».

- «أوه، عزيزتي!». يجب أن تعمل لورين ضمن مجال المسرح حقيقةً، وليس في الصحيفة المحلية. كان تملك ذلك الأسلوب المسرحي الشيق المهدّئ للأعصاب.

- «كيف حالك؟».

لورين: «يا إلهي، ينبغي أن نحتسي القهوة سوية! بل يجب أن نحتسيها معًا! هناك الكثير للحديث عنه». ثم أخفضت صوتها لدرجة أنه أصبح مكتومًا. كانت تعمل لورين في مكتبٍ مفتوح مزدحم: «لدي الكثير من الأحاديث الساخنة بعيدًا عن الصحافة. لديّ أقاويل مثيرة للجدل».

قالت مادلين بسعادةٍ: «قوليها لي الآن»، ثم أرجعت ظهرها للوراء وأراحت قدميها، «في هذه اللحظة».

قالت لورين: «حسنًا، إليكِ تلميح»، ثم سألتها بالفرنسية: «هل تتكلمين الإنكليزية؟».

أجابت مادلين: «نعم، بالطبع أتحدث الإنكليزية».

قالت لورين: «هذا كل ما يمكنني قوله بالفرنسية. إذًا فالمسألة فرنسية».

قالت مادلين بحيرةٍ: «مسألة فرنسية!!!».

- «نعم، و ... إنها تخص صديقتنا المشتركة ريناتا».

مادلين: «هل هو أمرٌ له علاقة بالعريضة؟ لأنني أمل ألاّ تكوني قد وقّعتِ عليها يا لورين. لم تَقُل أمابيلا حتى أن زيغي هو من سبب لها الأذى، وحاليًا تراقب إدارة المدرسة الصف كل يوم».

- «نعم، ربما قليلاً، أعتقد أن العريضة مثيرةٌ بعض الشيء، رغم أنني سمعت أن أم الطفل جعلت أمابيلا تبكي ثم ركلت هاربر في الساحة الرملية، لكنني أعتقد أن هناك وجهان لكل قصةٍ ... لكن لا، فالأمر ليس له علاقة بالعريضة يا مادلين، إنني أتحدث عن مسألةٍ فرنسية».

قالت مادلين بوميضٍ من الإلهام: «أهي المربية. أهي من تعنين؟ أهي جولييت؟ ماذا عنها؟ على ما يبدو أن هذا التنمر كان يجري منذ زمنٍ طويل، حتى أن جولييت لم ...».

- «نعم، نعم، هي من أقصد، لكن انسي موضوع العريضة! آه، كيف يمكنني قول هذا؟ الأمر متعلقٌ بزوج صديقتنا المشتركة».

مادلين: «والمربية؟؟».

لورين: «بالضبط».

- «لم أفهم، لا ...»، وضعت مادلين قدميها على الأرض وعدّلت جلستها: «أنت لستِ جادةً، أليس كذلك؟ جيف والمربية؟».

كان من المستحيل عدم الشعور بالسعادة من هول الصدمة التي ستحدثها تلك الصحيفة الشعبية المتخصصة بفضائح المشاهير. جيف الذي يتبع القواعد، الورع، ومراقب الطيور صاحب الكرش والمربية الفرنسية. يا لها من كليشيه رائعة للغاية.

- «هل تربطهما علاقةٌ غرامية؟».

أجابتها لورين التي يبدو أنه فقدت الأمل في محاولة إبقاء تفاصيل محادثتها سريةً عن زملائها: «نعم. مثل روميو وجولييت تمامًا، باستثناء أنهما، كما تعلمين، جيف وجولييت».

شعرت مادلين بشعورٍ سيءٍ إلى حدٍ ما وكأنها سخرت من شيءٍ حلوٍ لكنه سيء بالنسبة لها: «هذا مروعٌ. هذا فظيع». لقد تمنّت لريناتا المرض لكنها لم تتمنى أن يحصل ذلك معها. فالمرأة الوحيدة التي تستحق زوجًا عابثًا هي الزوجة العابثة.

مادلين: «وهل تعلم ريناتا؟».

لورين: «على ما يبدو أنها لا تعلم. لكنه أمرٌ مؤكد».

أخبر جيف أندرو فاراداي في لعبة السكواش وبدوره أندرو أخبر شان الذي أخبر أليكس. بعض الرجال ثرثارون لدرجةٍ فظيعة.

مادلين: «يجب أن يخبرها أحدٌ ما».

لورين: «حسنًا، لا يمكن أن أكون أنا. ابعثي لها رسولاً».

مادلين: «لا يمكن أن أكون أنا. فأنا آخر شخصٍ ينبغي أن تسمع ذلك منه».

لورين: «فقط لا تخبري أحدًا. لقد وعدت أليكس بأنني لن أخبر أحدًا أيًا كان بذلك».

مادلين: «حسنًا». ما من شك أن هذه الإشاعة الدسمة كانت تندفع مثل كرة البينبول عبر شبه الجزيرة، وتتردد من صديقٍ إلى آخر ومن زوجٍ إلى زوجته، وسرعان ما ستتلقى المسكينة ريناتا الصفعة الأقوى على وجهها، في حين كانت تعتقد تلك المرأة المسكينة أن الشيء الأكثر إزعاجًا في حياتها هو تعرض ابنتها للتنمر في المدرسة.

قالت لورين بلكنةٍ فرنسيةٍ: «يبدو أن جولييت الصغيرة تريد أخذه لمقابلة والديها في فرنسا. أوه، يا إلهي».

قالت مادلين بحدةٍ: «أوه، كفى يا لورين! هذا ليس مضحكًا. لا أريد سماع المزيد عن ذلك». كان من غير العدل أن تبدو وكأنها تستمتع بالنميمة في المقام الأول.

قالت لورين دون انزعاج: «آسفة يا عزيزتي. ماذا يمكنني أن أفعل لك على أي حال؟».

طلبت مادلين حجز مساحة للإعلان، وتعاملت لورين مع الأمر بكفاءتها المعتادة، وتمنت مادلين لو أنها أرسلت لها إيميلاً فقط.

لورين: «إذًا سأراك مساء السبت».

- «مساء السبت؟ أوه، بالطبع، ليلة المسابقة»، تحدثت مادلين بحرارة للتعويض عن حدتها السابقة، «أتطلع شوقًا لتلك الليلة. لقد اشتريت فستانًا جديدًا».

لورين: «أراهن أنّك فعلت. أنا ذاهبةٌ مثل ألفيس. لا توجد قواعد تنص على أن النساء يجب أن يذهبن مثل أودي والرجال مثل ألفيس».

ضحكت مادلين ضحكةً تحمل مودّة للورين، ستمهّد ضحكتها العالية الصاخبة هذه الطريق لليلة ممتعة.

قالت لورين: «سأراك حينها. أوه، مهلاً! ما هو الشيء الخيري الذي تقوم به أبيغيل؟».

مادلين: «لست متأكدةً بالضبط. إنها تجمع المال لمنظمة العفو الدولية لفعل شيءٍ ما. ربما يانصيب. في الواقع، عليّ أن أخبرها أنها بحاجة إلى تصريح من أجل إدارة اليانصيب».

لورين: «امم».

مادلين: «ماذا؟».

- «امم».

- «ماذا؟»، أدارت مادلين كرسيها الدوار فأصاب مرفقها مجلد مانيلا في زاوية مكتبها لكنها أمسكته في الوقت المناسب، «ماذا يجري؟».

أجابت لورين: «لا أعرف. لقد ذكرت بيترا شيئًا عن هذا المشروع الذي تقوم به أبيغيل، وشعرت أن هناك شيئًا ما، لا أعرف سوى القليل عنه. كانت بيترا تقهقه، لأنها تعتبره سخيفًا، وتلمّح تلميحات غامضة عن بعض

الفتيات اللواتي لا يوافقن على ما كانت تقوم به أبيغيل، لكن بيترا وافقتها، لكن ليس كثيرًا. آسفة. أنا غامضةٌ بعض الشيء. لكن غرائز الأمومة لدي تحركت قليلا، كما تعلمين: واه واه واه». أصدرت صوتًا مثل إنذار السيارة.

تذكرت مادلين لحظتها ذلك التعليق الذي وضعه أحدهم على صفحة أبيغيل على الفيس بوك. لقد نسيت كل شيء عنه لأن تركيزها تشتت نتيجة غضبها من إلغاء درس الرياضيات.

قالت: «سأعرف. شكرًا على التنويه».

- «لا شيء يذكر. إلى اللقاء يا عزيزتي». ثم أنهت لورين المكالمة.

التقطت مادلين الهاتف وأرسلت رسالةً نصيةً إلى أبيغيل: «**اتصلي بي حالما تصلك هذه الرسالة. أمك**».

ستكون داخل قاعة الدرس الآن ومن المفترض ألا يُسمح للأولاد بالنظر إلى هواتفهم المحمولة حتى انتهاء الدوام المدرسي.

الصبر، قالت في سريرتها، وهي تضع يدها على لوحة المفاتيح. حسنًا. ماذا بعد. الملصقات المطلوبة للترويج لمسرحية **الملك لير** الشهر القادم. لا أحد في بيريوي يرغب برؤية الملك لير يتمايل بجنونٍ على الخشبة. أرادوا كوميديا معاصرة. كانوا قد حضروا الكثير من الدراما الشكسبيرية في حياتهم في باحة المدرسة وفي ملعب كرة القدم. لكن مديرة مادلين أصرّت على ذلك. سيكون مبيع البطاقات بطيئًا وسوف يقع اللوم على مهارة مادلين بالتسويق. يحدث هذا كل عام.

نظرت إلى الهاتف مرةً أُخرى. ربما ستتركها أبيغيل تنتظر حتى وقت متأخر هذه الليلة قبل أن تتصل في نهاية المطاف.

خاطبت الهاتف الصامت: «كم هو أمضى من غدر الثعبان إنجاب طفلٍ ناكرٍ للجميل يا أبيغيل». (كان بإمكانها اقتباس أجزاء كبيرة من مسرحيةَ **الملك لير**، نظرًا لاضطرارها للاستماع إلى الممثلين الذين يتدربون كثيرًا). رن هاتفها مما جعلها تقفز. لقد كان ناثان.

قال: «لا تنزعجِي».

الفصل السادس والخمسون

تميل العلاقات العنيفة لأن تصبح أكثر عنفًا بمرور الوقت.

هل قرأته سيليست في مجلّد ما، أم أنه شيء قالته سوزي بصوتها الرخيم الرائع والحيادي؟

استلقت سيليست بشكلٍ جانبي على سريرها، واحتضنت وسادتها، تنظر من النافذة حيث سحب بيري الستارة كي تتمكن من رؤية البحر.

- «سنتمكن من الاستلقاء على السرير ورؤية المحيط!»، صرخ بيري عندما تفحّصا المنزل للمرة الأولى، فعلّق الوكيل العقاري على كلامه بذكاءٍ: «سأترككما تنظران إلى المحيط لوحدكما». لأن المنزل يتحدث عن نفسه بالطبع.

كان بيري مثل طفلٍ في ذلك اليوم، طفلٌ يملأه الفرح يتراكض في البيت الجديد جيئةً وذهابًا، وليس كرجلٍ على وشك أن ينفق الملايين على «عقارٍ يطل على المحيط».

كاد انفعاله يرعبها؛ بدا غِرًّا ومتفائلاً لدرجة كبيرة. كان معها الحق في أن تؤمن بالخرافات. كانا يتجهان للفشل في علاقتهما. وكانت حاملاً في الأسبوع الرابع عشر آنذاك، وتعاني من الغثيان والانتفاخ، ومن طعمٍ غريبٍ دائمًا في فمها، وكانت ترفض تصديق هذا الحمل ... لكن بيري كان

مفعمًا بالأمل، وكأن المنزل الجديد سيضمن بطريقةٍ ما سلامة الحمل، لأنه «يا لروعة الحياة! ويا لحلاوة الحياة هنا بالنسبة للأطفال، وأن يعيشوا بهذا القرب من الشاطئ!» كان ذلك قبل أن يرفع صوته عليها، وعندما كانت فكرة ضربه لها مضحكة ومستحيلةً ولا يمكن حتى تصوّرها.

كانت لا تزال مصدومةً.

لقد كانت مفاجأةً من العيار الثقيل ... جدًا جدًا.

حاولت جاهدة أن تنقل لسوزي عمق صدمتها، لكن شيئًا ما أوحى أن جميع زبائن سوزي كانوا يشعرون بنفس الشعور. («لكن لا، كما تعلمين، بالنسبة لنا، هذا أمرٌ مدهشٌ حقًا!» هذا ما أرادت قوله).

- «مزيدًا من الشاي؟».

وقف بيري على باب غرفة النوم. كان لا يزال في ثياب العمل، لكنه خلع جاكيته وربطة العنق، وطوى أكمام قميصه حتى مرفقيه. «على أن أذهب إلى المكتب بعد الظهر، لكنني سأعمل من المنزل هذا الصباح للتأكد من أنّكِ بخير». قال بعد أن ساعدها على النهوض من على أرض الرواق وكأنها انزلقت وأذت نفسها، أو غلبتها نوبة دوار مفاجئة. اتصل بمادلين، دون أن يسأل سيليست، وسألها فيما إذا كانت تمانع باصطحاب الأولاد من المدرسة اليوم. «سيليست مريضة»، سمعته يقول، كان القلق والتعاطف باديين بشكلٍ واضحٍ في صوته، وكأنه يظنّ أنها أصيبت فجأةً بمرضٍ خطير. ربما صدقَ الأمر بالفعل.

أجابته: «لا شكرًا».

حدّقت بوجهه الوسيم الذي يبدو عليه الاهتمام، أغمضت عينيها للحظة واسترجعت صورة وجهه عندما كان قريبًا من وجهها، تذكرته وهو يقول ساخرًا: «هذا لا يكفي» قبل أن يضرب رأسها بالحائط.

مدهشٌ جدًا.

الدكتور جيكل والسيد هايد. (شخصيتين من رواية مثيرة للجدل لروبرت ستيفنسون)

أيٍ منهما كان الشرير؟ لم تكن تعرف. أغمضت عينيها. ساعدها كيس الثلج على الاسترخاء، لكن الألم استقر عند مستوىً محدد وبقي كذلك، وكأنه سيظلّ جاثمًا: لقد توضّع على شكل دائرةٍ ناعمةٍ نابضة بالحياة. عندما وضعت أطراف أصابعها عليها، شعرت وكأنها تلمس طماطم مجوفة.

- «أوك، حسنًا. ناديني إن احتجتِ شيئًا».

كادت تضحك. قالت: «سأفعل».

تركها، فأغلقت عينيها. لقد أحرجته بالفعل. هل كان سيشعر بالحرج لو أنها غادرت بالفعل؟ هل سيشعر بالإهانة إذا عرف العالم أن مشاركاته على الفيس بوك لا تروي الحقيقة كاملة؟

- «أنتِ بحاجة لأخذ احتياطاتكِ. فأخطر الأوقات بالنسبة للمرأة التي تعرّضت للضرب هو بعد إنهاء العلاقة». هذا ما قالته سوزي لسيليست، أكثر من مرةٍ خلال الجلسة الأخيرة، وكأنها تبحث عن جوابٍ شافٍ لم تقدمه لها سيليست.

لم تأخذ سيليست الأمر على محمل الجدّ. بالنسبة لها كان الأمر يتعلق دائمًا باتخاذ قرار الانفصال نهائيًا أو البقاء أو المغادرة، وكأن المغادرة ستكون نهاية القصة.

كانت متوهّمة. كانت حمقاء.

لو تأجج غضبه بدرجةٍ أعلى اليوم، لضرب رأسها بالحائط مرارًا. كان ضربها بعنفٍ أكبر. ومن الممكن أن يقتلها، ثم يجثم على ركبتيه محتضنًا جسدها، وهو ينوح ويندب، يعتصره الأسف والندم على ما اقترفته يداه ...

ولكن ماذا حينها. ستكون ميتةً. لن يستطيع تعويضها أبدًا. لن يكون لولديها أم، صحيحٌ أن بيري أبٌ رائع، لكنه لن يمنحهما الرعاية الكافية. لن يقدم لهما ما هم بحاجةٍ إليه من الخضر والفواكه، وسينسى دائمًا تذكيرهما بتنظيف أسنانهما. كانت تتوق دائمًا لرؤيتهما يكبران.

قد يقتلها إن غادرت.

وإن بقيت، وبقيا على هذا المنوال معًا، فقد يجد في النهاية شيئًا يُغضبه بالقدر الكافي الذي يجعله يقتلها.

ما من مفرّ. شقةٌ تحوي أسرّةً مرتبةً بعنايةٍ ليست خطة للهروب. بل مجرد دعابة.

أمرٌ مبالغ فيه أن يقوم هذا الرجل الوسيم والقلق بشأنها، والذي عرض عليها للتو فنجانًا من الشاي، وكان يعمل حتى هذه اللحظة على حاسوبه الخاص في الردهة، والذي سيأتي إليها راكضًا عندما تناديه، والذي أحبها بكل جوارحه رغم تصرفاته الغريبة، في يومٍ من الأيام بقتلها.

الفصل السابع والخمسون

قال ناثان: «لقد أنشأت أبيغيل موقعًا على شبكة الإنترنت».

مادلين: «حسنًا». نهضت من على مقعدها، وكأن عليها أن تغادر إلى مكانٍ ما في هذه اللحظة، إلى المدرسة؟ إلى المشفى؟ إلى السجن؟ ما الأمر الخطير في موقع الويب هذا؟

ناثان: «إنه من أجل جمع التبرعات لمنظمة العفو الدولية. وقد تم تصميمه بحرفيّة عالية. كنت أساعدها في دورة تصميم الويب التي تقوم بها في المدرسة، لكن من الواضح، أنني لم ... امم ... نعم، حسنًا لم أتوقع أن تفعل هذا الأمر».

قالت مادلين بحدةٍ: «لم أفهم. ما هي المشكلة؟». لم تكن مثل ناثان الذي كان يرى وجود مشكلة عندما لا يكون هناك مشكلةً. وكان على الأرجح أن تفوته المشكلة عندما تكون واضحة كوضوح الشمس.

نظف ناثان حنجرته، ثم قال بصوتٍ مخنوق: «إنها ليست نهاية العالم، لكنه ليس بالتأكيد أمرًا مقبولاً».

-«ناثان!». خبطت مادلين الأرض بقدمها بإحباط.

ناثان: «حسنًا»، تحدّث باندفاع: «ستقوم أبيغيل ببيع عذريتها بالمزاد لمن يدفع أعلى سعر كوسيلةٍ لرفع الوعي حول مسألة زواج القاصرات والعبودية الجنسية. وهي تقول، حسنًا: إن كان العالم بأسره يقف مكتوف الأيدي بينما

تُباع فتاةٌ في السابعة من عمرها من أجل الجنس، فلن يُرِفَّ له جفن إن قامت فتاةٌ بيضاء في الرابعة عشرة من عمرها وتتمتع بامتيازاتٍ معيّنة ببيع نفسها من أجل الجنس. وتقول إن جميع الأموال التي يتم جمعها ستذهب لمنظمة العفو الدولية. وهي لا تستطيع توضيح معنى كلمة ذات امتيازاتٍ معيّنة».

غاصت مادلين في كرسيها. أوه يا للمصيبة.

مادلين: «أعطني عنوان الموقع. هل هو نَشِط؟ هل تقول إن الموقع نَشِط بالفعل الآن؟».

ناثان: «نعم. أعتقد أن ذلك قد حدث صباح أمس. لا تفتحي عليه. أرجوكِ ألا تفتحي عليه. المشكلة هي أنها لم تقم بإعداده كي تتمكن من التحكم بالتعليقات والتخفيف من حدّتها، وبطبيعة الحال، فإن متصيّدو الإنترنت في حالة جنونٍ».

– «أعطني العنوان الآن فورًا».

– «لا».

– «ناثان، أعطني العنوان الآن!». خبطت قدمها على الأرض، وهي تبكي من الإحباط.

– «حسنًا إنه: www.buymyvirginitytostopchildmarriageand sexslavery.com».

مادلين: «أمر لا يصدق»، قالت ذلك وهي تكتب العنوان بأصابع مرتعشة، «سيجذب هذا فئةً رائعةً من الأشخاص الخيّرين. ابنتنا معتوهةٌ. لقد ربينا معتوهةً. أوه، انتظرْ، أنت لم تربِّها. أنا التي ربيتها. لقد ربيت معتوهةً»، توقفت وتابعت: «أوه، يا إلهي».

ناثان: «هل وجدته؟».

– مادلين: «نعم». كان يبدو موقعًا مصمّمًا باحترافية عالية. ومما زاد الطين بلّة أنّه ولسببٍ ما بدا أكثر واقعيةً ورسميةً، وكأن الحق بشراء عذرية أبيغيل من قبل شخص غريب قد تم إقراره رسميًا. ظهرت على الصفحة الرئيسية صورة أبيغيل وهي تتخذ إحدى وضعيات اليوغا التي سبق أن رأتها مادلين

على صفحتها على الفيس بوك. وبالنظر إليها في السياق، أخذت الصورة المعنونة بـ «اشترِي عذريتي» وضعيّةً جنسيةً خبيثة؛ شعرٌ منسدل فوق كتفها، ساقان نحيلتان وثديّان صغيران مكتملا النضوج. مؤكّد أن الرجال سيحدقون بصورة ابنتها على شاشات حواسيبهم ويتخيلوا ممارسة الجنس معها.

مادلين: «أعتقد أنني سأمرض».

رد ناثان: «أعرف».

أخذت مادلين نفسًا عميقًا ونقرت على الموقع معتمدة على مهارتها بالتسويق الاحترافي والعلاقات العامة. إلى جانب صورة أبيغيل، كانت هناك صورًا مأخوذة من موقع منظمة العفو الدولية حول زواج القاصرات والعبودية الجنسية؛ على ما يبدو أن أبيغيل ساعدت نفسها دون طلب إذن. كان الإنشاء جيدًا، صريحًا، مباشرًا، ومقنعًا، تجده يثير العواطف والوجدان دون أن يكون فيه مبالغة. بصرف النظر عن الخطأ المطبعي في كلمة «امتيازات»، وحقيقة أن الموضوع برمّته معيب إلى حدٍ بعيد، لكنه كان شيئًا يثير الإعجاب بالنسبة لفتاةٍ في الرابعة عشرة من عمرها.

- «هل ما تقوم به قانونيٌ حتى؟»، قالت بعد برهة. وأردفت: «لا بد أنه من غير القانوني لفتاةٍ قاصرة أن تبيع عذريتها».

ناثان: «بل من غير القانوني أن يشتريها أي شخص».

استطاعت أن تلاحظ أنه كان يتحدث بحنقٍ.

شعرت مادلين بالارتباك للحظةٍ عندما أدركت أنها كانت تتحدث مع ناثان. ربما لأنها أحست لاشعوريًا بأنها تتعامل مع إد، كونها لم تُضطر لمناقشة مسائل مستعصية لها علاقة بالتربية مع ناثان. كانت تسنّ هي القوانين وكان ناثان يتبعها. لم يعملا كفريقٍ أبدًا.

لكن خطر على بالها فجأة بأنه لو حصل الأمر مع إد، فلن تكون ردة فعله نفسها. سيشعر إد بالرعب من فكرة شراء رجلٍ لعذرية أبيغيل، بالطبع سيخاف، لكنه لن يعاني من الألم العميق الذي يشعر به ناثان الآن. لو كانت

كلوي، فالأمر مختلف، بالطبع سيحزن كثيرًا. لكن كان هناك تباعدًا خفيًّا في علاقة إد مع أبيغيل: تباعدًا كانت مادلين تنكر وجوده، لكن لطالما شعرت به أبيغيل.

نقرت على الجزء المخصص لـ «الهبات والتبرعات». كانت أبيغيل قد أنشأته كي يتمكن زوار الموقع من ترك تعليقاتهم وتسجيل «عروضهم».

انسدلت الكلمات أمامها:

كم تبلغ تكلفة حفلة جنسية أو مضاجعة جماعية؟

يمكنك مصّ قضيبي مقابل $20 في أي زمان أو مكانٍ تختارين.

هيه، أيتها الفتاة الصغيرة الجميلة، سأضاجع هذا العضو التناسلي الضيق مجانًا.

دفعت مادلين نفسها بعيدًا عن مكتبها، وطعم المرارة في فمها. «كيف نغلق هذا الموقع الآن؟ هل تعرف كيف نغلقه؟»".

كانت مسرورةً كونها لم تفقد السيطرة على أعصابها، تعاملت مع الموضوع وكأنه أزمة عمل: كمنشورٍ يحتاج إعادة الطباعة، أو كخطأٌ وقع على موقع المسرح على الشبكة. كان ناثان خبيرًا في التكنولوجيا. مؤكد أن يعرف ما يجب فعله. لكن ما أن أغلقت صفحة التعليقات ورأت مرةً أُخرى صورة ابنتها أبيغيل البريئة والسخيفة والمضللة - كان رجالٌ تافهون ووقحون يقولون أشياء حقيرة عن ابنتها الصغيرة - تصاعد غضبها كالبركان من أسفل بطنها ليندفع من فمها.

- «أوه، يا إلهي كيف حدث هذا بحق الجحيم؟ لماذا أنت وبوني لم تشاهدا ما كانت تفعله؟ أصلح الأمر الآن! عليك بإصلاح ما حدث الآن!».

هاربر: هل سمعتم عن المسرحية الصغيرة التي قامت بها ابنة مادلين؟ أعني، أكره أن أقول ذلك، لكن كما قلت لريناتا حينها عندما كانت في منزلي

لتناول العشاء على ما أعتقد، قلت: «لا يحدث ذلك في المدارس الخاصة. أنا لا أقول أنّه ثمّة مشكلة في المدارس الثانوية العامة بحد ذاتها، أعتقد فقط أن الأطفال يتعاملون، كما تعرفون، مع فئةٍ أفضل من الناس.

سامانثا: تبدو هاربر معتدّة جدًا بنفسها وبآرائها. بالطبع يمكن أن يحدث هذا في المدارس الخاصة. كانت نوايا أبيغيل نبيلةً جدًا! فالفتيات في سن الرابعة عشرة يتصرفن بسذاجة. المسكينة مادلين. ألقت باللوم على ناثان وبوني، رغم أنني لا أعرف إن كانت على حق في ذلك.

بوني: نعم، مادلين تلقي باللوم علينا. أقبل ذلك. كانت أبيغيل في رعايتي في ذلك الوقت. لكن هذا ليس له أي علاقة بـ... بتلك المأساة على الإطلاق. لا شيء على الإطلاق.

الفصل الثامن والخمسون

بعد زيارتها للطبيبة النفسية، اقتادت جين زيغي بسيارتها إلى الشاطئ لتناول بعض الشاي في مقهى بلو بلوز قبل أن تعيده إلى المدرسة.

قال توم: «الشيء المميز اليوم هو شطائر التفاح مع زبدة الليمون. أعتقد أنّ عليكِ أن تجربي بعضها. على حساب المكان/ المقهى».

- «على حساب المكان/ المقهى؟؟». عبس زيغي.

-«مجانًا»، أوضحت جين، ثم نظرت إلى توم: «لكن أعتقد أنه علينا دفع ثمنها».

كان توم يقدّم لها دائمًا طعامًا مجانيًا. بدأ ذلك يسبب لها الإحراج. تساءلت إن كان قد كوّن انطباعًا عنها بأنها تعاني من الفقر.

قال توم بإيماءة صغيرةٍ من يده: «سنعمل على حل ذلك في وقتٍ لاحق». مما يعني أنه لن يقبل منها أية أموال، مهما حاولت جاهدةً.

اختفى في المطبخ.

أدارت هي وزيغي وجهيهما للنظر إلى المحيط. كانت تهبّ نسائم منعشة ويبدو البحر هادئ بينما تتراقص أمواجٌ بيضاء في الأفق. استنشقت جين عبير بلو بلوز الرائع؛ وشعرت بفيض حنين للماضي وكأن القرار قد اتُّخذ بالفعل، وأنها هي وزيغي على وشك الانتقال.

كان عقد إيجار شقتها بحاجة للتجديد في غضون أسبوعين. يمكنهما الانتقال إلى مكانٍ جديد تمامًا، وإلحاق زيغي بمدرسة جديدة، والبدء من جديد بسمعةٍ عطرة لا تشوبها شائبة. إذا كانت الطبيبة النفسية على حق، وكان زيغي هو نفسه يعاني من التنمر، فما من طريقةٍ يمكن أن تتبعها جين لتجعل المدرسة تأخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار. سيكون الانتقال بمثابة خطوةٍ استراتيجيةٍ، وكأنها كانت ترفع دعوى قضائية مضادة لرد الاعتبار. على كل حال، كيف بإمكانهما البقاء في مدرسةٍ يقوم فيها أولياء الأمور بتوقيع عريضةٍ تجبرهما على مغادرتها؟ أصبح كل شيءٍ معقدًا للغاية حاليًا. ربما اعتقد الناس أنها تهجّمت على هاربر في الباحة الرملية وتنمّرت على أمابيلا. لقد جعلت أمابيلا تبكي، وشعرت بالخوف من ذلك. وبالتالي، الحل الوحيد أمامها هو الابتعاد. ذلك هو الشيء الصحيح الذي عليها فعله. الشيء الصحيح لكليهما.

ربما كانت انقضاء فترة وجودها في بيريوي هو أمرٌ لا مفرّ منه. كانت أسباب مجيئها الحقيقية غير المعلنة إلى هنا غامضة جدًا، عبثيةً وعجيبة لدرجة أنها لم تستطع السماح لنفسها بالإفصاح عنها بالشكل الانسب.

لكن ربما كان المجيء إلى هنا خطوةَ ضروريةً وغريبة من ناحيةٍ ما، لأن شيئًا قد تعافى في نفسيتها خلال الأشهر القليلة الماضية. في الوقت الذي كانت تعاني من الارتباك والقلق بشأن زيغي والأمهات الأخريات، تغيّرت مشاعرها تجاه ساكسون بانكس بشكلٍ طفيف. شعرت أنها تستطيع أن تراه بشكلٍ أوضح. لم يكن ساكسون بانكس وحشًا. كان مجرد رجلٍ. مجرد بلطجي كريه لا أكثر ولا أقل. وكانت هي فتاةٌ رخيصة. كان من الأفضل عدم مضاجعته. لكنها فعلت. وحدث ما حدث. وجاء زيغي. ربما كان ساكسون بانكس هو الوحيد الذي لديه حيوانات منوية كافية للتغلب على مشاكل الخصوبة لديها. ربما كان الرجل الوحيد في العالم الذي كان بإمكانه أن يمنحها طفلاً، وربما تستطيع الآن أن تجد طريقةً عادلةً ومتوازنةً للحديث عنه حتى يتوقف زيغي عن التفكير بأن والده كان من الأشرار الخارقين.

قالت: «زيغي، هل ترغب في أن ننتقل إلى مدرسةٍ أُخرى حيث يمكنك تكوين علاقات صداقةٍ جديدة؟».

أجاب زيغي: «كلا». بدا في مزاجٍ فظٍّ وغريبٍ الآن. لم يبدو عليه القلق على الإطلاق. هل تعرف تلك الطبيبةَ النفسية عما كانت تتحدث؟

ماذا كانت تقول مادلين دائمًا؟ «عادةً ما يكون الأطفال غريبي الأطوار وعشوائيين».

جين: «أوه، لماذا لا تريد؟ لقد كنت مستاءً للغاية ذلك اليوم عندما قال الأولاد بأنه غير ...كما تعلم ... مسموحٍ لهم أن يلعبوا معك».

ردّ زيغي بمرحٍ: «نعم، لكن لدي أصدقاء آخرين يُسمح لهم أن يلعبوا معي، مثل كلويٍ وفريد، رغم أن فريد في الصف الثاني، لكنه ما يزال صديقي، لأن كلانا يحب حروب النجوم. ولدي أصدقاءٌ آخرين أيضًا. مثل هاريسون وأمابيلا وهنري».

جين: «هل قلت أمابيلا؟». لم يذكر اللعب مع أمابيلا من قبل، وهذا كان جزءً من السبب الذي يجعل التنمّر عليها أمرًا بعيد الاحتمال. اعتقدت أنهما كانا يتجولان في دوائر مختلفةً، إذا جاز التعبير.

قال زيغي: «أمابيلا تحب حرب النجوم أيضًا. تعرف كل هذه الأشياء لأنها قارئةٌ جيدة جدًا. لِذلك لا نلعب سويةً، لكن أحيانًا عندما أتعب من الجري، نجلس معًا تحت شجرة تنين البحر ونتحدث عن أشياء تخص حرب النجوم».

قالت جين مستفسرةً: «أمابيلا كلاين؟ أمابيلا التي في روضة الأطفال؟».

تنهد زيغي قائلاً: «نعم، أمابيلا! إلا أن المعلمين لا يسمحوا لنا بالحديث بعد الآن».

قالت جين بمسحةٍ من الغضب: «حسنًا، هذا لأن والدي أمابيلا يعتقدان أنك كنت تؤذيها».

قال زيغي وهو نصف منزلق عن كرسيه بتلك الطريقة المزعجة جدًا التي يقوم بها الأطفال الصغار: «ليس أنا من آذاها». (شعرت بالارتياح لرؤية فريد يفعل نفس الشيء).

قالت جين بحدةٍ: «اجلس».

جلس وتنهد. «أنا جائعٌ. هل تعتقدين أن الفطائر ستأتي بسرعة؟». مد رقبته للنظر إلى الوراء نحو المطبخ.

عاينته جين بدقّة. فالكلمات التي نطق بها للتو جاءت بشكلٍ صحيح. لست أنا من آذاها.

قالت: «زيغي».

هل سبق لها أن سألته هذا السؤال؟ هل سأله أحدهم هذا السؤال؟ أم هل قالوا له جميعًا، مرارًا وتكرارًا: «هل أنت من فعلها، زيغي؟ هل كنت أنت؟».

قال: «ماذا؟».

- «هل تعرف من الذي يؤذي أمابيلا؟».

حدث ذلك بسرعة. تجهّم وجهه: «لا أريد الحديث عن الموضوع». ارتجفت شفته السفلى.

- «لكن فقط أخبرني، حبيبي، هل تعرف من فعلها؟».

قال زيغي بهدوء: «لقد قطعت وعدًا».

انحنت جين نحو الأمام قائلةً: «قطعت وعدًا بماذا؟».

- «وعدت أمابيلا أنني لن أخبر أي أحدٍ أبدًا. قالت لي إن أخبرت أي أحد فربما يتم قتلي».

كررت جين: «يتم قتلها!!!».

قال زيغي بانفعال: «نعم!». واغرورقت عيناه بالدموع.

حرّكت جين أصابعها. عرفت أنه يريد إخبارها. قالت بهدوء وتروٍ: «ماذا لو... ماذا لو كتبت اسمه؟».

قطب زيغي حاجبيه. رفّ بعينيه ثمّ مسح دموعه.

- «لأنك حينها لا تكون قد أخلفت وعدك لأمابيلا. هذا مختلف عن إخباري. وأعدك أن أمابيلا لن تموت».

مكتبة
t.me/t_pdf

فكر زيغي بالأمر: «اممم».

سحبت جين دفترًا وقلمًا من حقيبتها ودفعتهما نحوه. «هل تستطيع تهجئته؟ أو حاول تهجئته فقط».

هذا ما تعلموه في المدرسة: «محاولة الكتابة».

أخذ زيغي القلم، ثم استدار مبتعدًا، لكن انتباهه تشتت حين فُتح باب المقهى. دخل شخصان إلى الداخل: امرأة شقراء ورجل أعمالٍ عادي. (كانت تشعر جين أن الرجال في منتصف العمر والذين يرتدون بدلاتٍ وشعرهم أشيب متشابهين إلى حدٍ كبير).

قال زيغي: «هذه والدة إيميلي».

هاربر. شعرت جين وكأن الدم تدفق إلى وجهها عندما تذكرت الحادث المروع في الباحة الرملية، عندما اتهمتها هاربر بـ «الاعتداء» على أمابيلا. تلقت جين تلك الليلة اتصالاً هاتفيًا محمومًا من السيدة ليبمان تخبرها بأن أحد أولياء الأمور قد تقدّم بشكوى رسمية ضدها، واقترحت عليها «أن تغيب عن الأنظار لفترة، إذا جاز التعبير، حتى يتم حل هذه المسألة المعقدة».

حدقت بها هاربر مباشرةً، فشعرت جين بتسارع دقات قلبها، وانتابها خوفٌ رهيب. بحق السماء، هي لن تقتلك، أخذت تفكر. من الغريب أن تكون في صراعٍ مع شخصٍ بالكاد تعرفه. قضت جين معظم حياتها وهي تحاول تجنب المواجهات. كان يحيرها أن تستمتع مادلين بهذا النوع من الأشياء بل وتبحث عنها بالفعل. كان الأمر فظيعًا: محرجًا وغريبًا ومحزنًا. نقر زوج هاربر بأصبعه على الجرس الموجود على الطاولة ببراعة لاستدعاء توم من المطبخ. لم يكن المقهى مزدحمًا. كانت هناك امرأة مع طفلٍ صغير في أقصى الزاوية اليمنى، ورجلين يرتديان سترتين زرقاوين ملطختين بالطلاء، ويأكلان البيض ولفائف اللحم المقدد.

لاحظت جين أن هاربر تقوم بوكز زوجها بكوعها وتهمس في أذنه ثم نظر إلى جين وزيغي.

يا إلهي. إنه قادم.

كان لديه واحدة من تلك البطون المنتفخة الكبيرة التي يحملها بفخرٍ وكأنها وسام شرفٍ.

خاطب جين وهو يمد يده: «مرحبًا، هل أنتِ جين؟ أنا غرايم. والد إيميلي».

صافحته جين. ضغط على يدها بقوةٍ كافيةٍ لإعلامها أنه كان يتخذ قرارًا بعدم الضغط بقوةٍ أكبر.

قالت: «مرحبا، هذا زيغي».

- «يوم سعيد يا صاح». ومضت عينا غرايم وهو ينظر إلى زيغي ثم أشاح بصره مجددًا.

قالت هاربر التي جاءت للوقوف بجواره: «دعك من الأمر يا غرايم، أرجوك». واستمرت في تجاهل جين وزيغي عن قصد؛ تمامًا مثلما فعلت في

المدرسة في الباحة الرملية عندما لعبت تلك اللعبة الفظيعة «تجنب التواصل المباشر بالعينين بأي ثمن».

قال غرايم: «اسمعِي يا جين، بالتأكيد لا أريد قول الكثير أمام ابنك الآن، لكنني أفهم أنك متورطةً في نوع من الخلاف مع المدرسة ولا أعرف تفاصيل الموضوع وحيثياته، وبصراحة لا يهمّني كثيرًا، لكن دعيني أخبرك شيئًا يا جين».

وضع كلتا يديه على الطاولة وانحنى فوقها. كانت حركةً محسوبةً ومخيفةً وكادت تكون هزلية نوعًا ما. رفعت جين ذقنها. كانت بحاجة لبلع ريقها لكنها لم تكن ترغب أن يراها تفعل ذلك بعصبيةٍ. استطاعت رؤية الخطوط العميقة حول عينيه، وشامةٌ صغيرةٌ بجانب أنفه. كان يفعل ذلك الشيء القبيح بأن يكشّر عن أسنانه والذي قام به أحد الرجال العراة ذو الوشم عندما كان يصرخ على المراسلين على شاشة التلفزيون الشعبي.

- «قررنا عدم إشراك الشرطة هذه المرة، ولكن إن سمعت أنّك اقتربتِ من زوجتي مرةً أُخرى فسوف أستصدر أمر اعتقال بحقّك، أيتها الذكية جين، لأنني لن أقف مكتوف اليدين حينها. أنا شريكٌ في شركةٍ قانونيةً وسأضع ثقل القانون بالكامل على ...».

- «عليك أن تغادر الآن».

لقد كان توم، يحمل طبقًا من الفطائر. وضع الطبق على طاولة جين ولفّ إحدى يديه برفقٍ على مؤخرة رأس زيغي.

- «أوه، توم، أنا آسفة نحن فقط ...». قالت هاربر بارتباك. كانت الأمهات في بيريوي مدمناتٍ على قهوة توم ويعاملنه كتاجر مخدراتٍ محبوب.

استقام غرايم، وشد ربطة عنقه: «كل شيءٍ على ما يُرام يا صديقي».

قال توم: «لا. ليس على ما يُرام. لا أسمح لك أن تضايق زبائني. أريد منك أن تغادر الآن».

لم تكن أسنان توم بارزةً، لكن فكه كان مشدودًا.

خبط غرايم بقبضته على طاولة جين. «اسمع يا صديقي، قانونيًا، أعتقد أنك لا تملك الحق في أن ...».

توم: «لا أريد نصيحةً قانونيةً. أنا أطلب منك المغادرة».

هاربر: «توم، أنا آسفةٌ جدًا، نحن بالتأكيد لم نقصد ...».

توم: «أنا متأكدٌ أنني سأراكما مرةً أُخرى»، اتجه إلى الباب وتركه مفتوحًا، «لكن ليس اليوم».

قال غرايم: «حسنًا»، استدار وأشار بإصبعه على بعد إنش من أنف جين: «تذكري ما قلته، أيتها السيدة الشابة، لأنني ...».

قال توم بهدوء خطير: «اخرج قبل أن أطردك».

استقام غرايم. نظر إلى توم. قال وهو يتبع زوجته خارجًا من الباب: «لقد جعلت نفسك تخسر زبونًا».

قال توم: «آمل ذلك بالتأكيد».

ترك الباب يُغلق واستدار ونظر إلى زبائنه. «آسف لما حصل»، صفّق أحد الرجلين اللذين يرتديان ملابس العمل الزرقاء «جيد يا صديقي!». حدّقت المرأة التي معها الطفل بفضولٍ بجين. استدار زيغي وهو على كرسيه لينظر من النافذة الزجاجية إلى هاربر وغرايم وهما يحثّان الخطى على الممر الخشبي، ثم هز كتفه والتقط شوكته وبدأ يأكل فطائره بنهمٍ.

عاد توم إلى جين وانحنى إلى جانبها، وذراعه على ظهر كرسيها: «هل أنت بخير؟».

أخذت جين نفسًا عميقًا ومرتعشًا. كانت رائحة توم حلوةً ونظيفةً. فهو يتمتع دومًا بتلك الرائحة الزكية لأنه كان يمارس رياضة ركوب الأمواج

مرتين يوميًا، ثم يتبعها بحمام ساخن طويل. (كانت تعرف ذلك لأنه أخبرها مرةً بأنه عندما يقف تحت الماء الساخن يشعر أنه يستعيد أجمل الموجات التي كان يواجهها في المحيط). أحسّت جين أنها أحبت توم، تمامًا كما أحبت مادلين وسيليست، وأن تركها لبيريوي سيحطّم قلبها، لكن كان يستحيل البقاء بعد ما جرى. لقد كوّنت صداقاتٍ حقيقيةٍ هنا لكنها ورثت كذلك عداوات حقيقية. ما من مستقبلٍ لها هنا.

ردّت: «أنا بخير. شكرًا لك. شكرًا لك على كل شيء».

- «عفوًا! أوه، يا عزيزتي أنا آسف!». بدأ الطفل الصغير الذي سكب فنجان الكابتشينو الخاص به على الأرض بالبكاء.

وضع توم يده على ذراع جين قائلاً: «لا تتركي زيغي يأكل كل تلك الفطائر»، استقام وذهب لمساعدة المرأة وهو يقول: «لا بأس، يا صديقي الصغير، سأصنع لك واحدًا جديدًا».

التقطت جين شوكتها وأخذت لقمةً من فطيرة التفاح المتبّل. أغمضت عينيها: «ممم». في أحد الأيام سيجعل توم رجلاً محظوظًا ما في قمّة السعادة.

قال زيغي: «لقد كتبته».

- «كتبت ماذا؟». استخدمت جين شوكتها لقطع قطعةٍ أُخرى من الفطيرة. كانت تحاول ألاّ تفكر بزوج هاربر. والطريقة التي انحنى بها أمامها. كانت تكتيكاته لترهيبها سخيفةً لكنها أجدت نوعًا ما. لقد شعرت بالخوف حقًا. وتشعر الآن بالخجل. هل تستحق ما جرى؟ كل هذا لأنها ركلت الرمل أمام هاربر في الباحة الرملية؟ مع أنها في الواقع لم تضرب هاربر! كانت متأكدةً أنها لم تقم بأي احتكاك مع هاربر. ومع ذلك فقد حدث ما حدث. كانت ترغب أن تترك انفعالها يُخرج أفضل ما لديها. لكنها تصرفت بشكلٍ

سيء، وعادت هاربر إلى منزلها منزعجةً، وزوجها المحب والمفرط في حمايته لها شعر بالغضب نيابةً عنها.

أجاب زيغي: «الاسم»، ودفع بالمفكرة إليها، «اسم الولد الذي أذى أمابيلا».

سامانثا: بالتأكيد لن يسمح زوج هاربر لها بارتياد مقهى بلو بلوز بعد الآن. قلت لها: «هاربر، نحن لسنا في العام 1950! لا يستطيع زوجك أن يمنعك من ارتياد المقهى»، لكنها قالت إنه سيعتبر الأمر خيانة. ما هذا الهراء. سأخون ستو من أجل قهوة توم. رباه. سأرتكب جريمة من أجل ذلك! مع أنني لست بقاتلة إن كان ذلك ما تفكرون به. باعتقادي أنه ليس للقهوة علاقة بالخلاف.

وضعت جين شوكتها وسحبت دفتر الملاحظات نحوها.

كتب زيغي أربعة أحرفٍ على الصفحة. بعض الأحرف كانت كبيرةً وبعضها الآخر صغيرًا M. a. K. s.

قالت جين: «Maks». «ليس هناك من يدعى ...»، توقفت. أوه، يا للمصيبة، «هل تقصد Max؟».

هز زيغي رأسه: «نعم، أحد التوأمين وهو لئيم».

الفصل التاسع والخمسون

قال بيري: «إنّها الثانية. أنا ذاهبٌ للاجتماع الآن. مادلين ستحضر الولدين. سأعود قرابة الساعة الرابعة، دعيهما يتسمّران أمام التلفاز حتى عودتي. كيف تشعرين؟».

نظرت سيليست إليه.

كان ضربًا من الجنون واختلال العقل حقًا ما يفعله. الطريقة التي يتصرف بها هكذا ببساطة. وكأنها طريحة الفراش لأنها تعاني من صداعٍ نصفي شديد. كأن ما حصل لا علاقة له به. كلما مر الوقت، كلما خفّ انزعاجه. وبدأ شعوره بالذنب يتلاشى رويدًا رويدا. لقد أيّضه جسده، مثل الكحول. وتواطأت هي مع جنونه، بل وانسجمت معه. كانت تتصرف وكأنها مريضةً. بل وسمحت له بالاعتناء بها.

كان كلاهما مجنونين.

قالت: «أنا بخير».

لقد أعطاها للتو مسكّن ألم قوي. كانت تقاوم المسكنات عادةً لأنها كانت شديدة التأثر بها لكن الألم في رأسها أصبح لا يُحتمل. وفي غضون دقائق بدأ الألم يتلاشى، وتلاشى معه كل شيءٍ آخر أيضًا. شعرت بثقل أطرافها والنعاس المفاجئ. بدت جدران الغرفة رخوةً، تتمايل يمنةً ويسرة، وأصبحت لا تقوى حتى على التفكير، وكأنها تتشمّس تحت الشمس الحادة في يومٍ صيفيٍ حارٍ.

قالت: «عندما كنتَ صغيرًا ...».

- «نعم؟». جلس بيري قربها وأمسك بيدها.

تابعت: «في ذلك العام. في ذلك العام عندما تعرضتَ للتنمر».

ابتسم وقال: «عندما كنتُ طفلاً صغيرًا بدينًا أرتدي النظارات».

قالت: «كان الأمر سيئًا، أليس كذلك؟ أنت تهزأ من هذا، لكنها كانت سنةً سيئةً حقًا».

ضغط على يدها. «نعم، لقد كان أمرًا سيئًا. وسيئًا للغاية».

ماذا كانت ترمي من وراء هذا السؤال؟ لم تستطيع التعبير عنه بكلماتٍ. شيءٌ ما يتعلق بسخطٍ فظيع من طفلٍ في الثامنة من عمره كان يتعرض للترهيب، وكيف كانت تتساءل دائمًا إنْ كان هذا كل ما حدث.

في كل مرةٍ كان يشعر فيها بيري بعدم الاحترام أو الإهانة، تتحمل سيليست القسط الأكبر من غضبٍ عنيفٍ ومكبوت لطفلٍ صغيرٍ بدينٍ. إلا أنه أصبح الآن رجلاً بطول ستة أقدام.

قالت: «لقد كان ساكسون هو من ساعدك في النهاية، أليس كذلك؟». كانت كلماتها تتلاشى أيضًا. كانت تستطيع سماعها.

قال بيري مقهقهًا: «اقتلع ساكسون السن الأمامي لزعيم العصابة. ولم يتم اختياره زعيمًا مرةً أُخرى».

سيليست: «تمامًا».

ساكسون بانكس. بطل بيري، جلاّد جين، ووالد زيغي. منذ ليلة نادي الكتاب، كان ساكسون حاضرًا في تفكيرها. كان لديها شيئًا مشتركًا مع جين. لقد تعرضت كلتاهما للأذى من هذين الرجلين. هذين القريبين القاسيين الوسيمين والناجحين. شعرت سيليست بالمسؤولية عما فعله ساكسون بجين. كانت صغيرةً جدًا وضعيفةً. فقط لو كانت سيليست موجودة لحمايتها. كان لديها الخبرة والتجربة. تستطيع أن تضرب وتخدش إن لزم الأمر.

كانت تحاول تكوين ترابطٍ معين. فكرةً عابرة لم تستطع التقاطها مثل شيءٍ لمحته نصف لمحةٍ في رؤيتها المحيطية، وكانت تضايقها لفترةٍ من الوقت.

ماذا كان عذر ساكسون للتصرف على هذا النحو؟ لم يتعرض للتنمّر عندما كان طفلاً حسب معلومات سيليست. فهل يعني ذلك أنه ليس لسلوك بيري أي علاقةٍ بما تعرض له من تنمر؟ لقد كانت سمةً عائليةً يتشاركان بها.

تمتمت: «لكنك لست سيئًا مثله». ألم يكن ذلك ما ترمي إليه؟ نعم. كان ذلك هو الأساس. الأساس بكل شيءٍ.

- «ماذا؟». بدا بيري مرتبكًا.

سيليست: «أنت لن تفعل ذلك».

- «لن أفعل ماذا؟».

سيليست: «أنا نعسانة كثيرًا».

بيري: «أعرف. اذهبي إلى النوم الآن يا عزيزتي»، سحب الأغطية حتى أسفل ذقنها ودفع بشعرها عن وجهها، «سأعود بأقصى سرعة».

وعندما استسلمت للنوم اعتقدت أنها سمعته يهمس في أذنها: «أنا آسفٌ جدًا». لكنها ربما كانت تحلم بالفعل.

الفصل الستون

قال ناثان: «لا أستطيع إغلاق هذا الموقع اللعين. لو كان بإمكاني لأغلقته، ألا تعتقدين أنّي كنت أغلقته قبل أن أتصل بك؟ إنه موقع ويب عام يتم تحميله على المخدمٍ وليس داخل المنزل. لا يمكنني النقر على المفتاح فقط. أحتاج إلى تفاصيل تسجيل الدخول وأحتاج إلى كلمة المرور».

صرخت مادلين: «لدى الآنسة بولي دميةً! تلك هي كلمة المرور. لديها نفس كلمة المرور لكل شيءٍ. اذهب واغلقه مباشرةً!».

كانت تعرف دومًا كل كلمات مرور أبيغيل لحساباتها على وسائل التواصل الاجتماعي. هذا هو الاتفاق، حيث بإمكان مادلين أن تراقب وتدقق ما تكتبه أبيغيل وتطّلع عليه متى تشاء، إضافةً إلى التفاهم فيما بينهما بأنه يُسمح لمادلين التسلل بصمتٍ إلى غرفة نوم أبيغيل في لحظاتٍ عشوائيةٍ مثل اللص والنظر خلسةً من فوق كتفيها إلى شاشة حاسوبها طالما لم تلحظ أبيغيل وجودها.

وعادة ما يستغرق ذلك وقتًا حتى تنتبه أبيغيل أخيرًا لوقوف أمها ورائها، لأن لمادلين مهارةً خاصةً بالتسلل. فتقفز مذعورةً كمن أصابه مس كلّما اكتشفت وجود مادلين وتلصصها عليها، لكن لم تكن مادلين تأبه بذلك، كانت تلك، حسب اعتقادها، التربية الجيدة هذه الأيام وهذا العصر، التلصص والتجسس على أطفالك، ولهذا ما كان ليحدث ما حدث لو بقيت أبيغيل في المنزل الذي نشأت وترعرت فيه.

قال ناثان بحدّة: «لقد جربت عبارة لدى الآنسة بولي دمية. إنها ليست هي».

- «مؤكد أنك لا تكتبها بشكلٍ صحيح. جميعها أحرف صغيرة، ودون مسافات. إنها دائمًا ...».

ناثان: «أخبرتها قبل أيامٍ فقط أنه لا ينبغي عليها أن تستخدم نفس كلمة المرور لكل شيءٍ لديها. لا بدَّ أنها استمعت إلي».

مادلين: «حسنًا»، بدأ غضبها يفتر ويتصلّب إلى شيءٍ ضخم وجليدي، «كلام جميل. نصيحة رائعة. أبوة عظيمة».

- «هذا بسبب انتحال الشخصية ...».

- «مهما يكن! اهدأ، دعني أفكر»، نقرت بأصبعين على فمها بسرعةٍ، «هل لديك قلم؟».

- «بالطبع لدي قلم».

- «جرب هكل بيري».

- «لماذا هكل بيري؟».

- «كان أول حيوانٍ أليف تملكه. جروٌ صغير. بقي لدينا لمدة أسبوعين. ثم دُهس. كانت أبيغيل محطمةً. وكنت أنت ... أين كنت يا ترى؟ في بالي؟ أو في فانوتوا؟ من يعرف؟ لا تطرح أسئلةً. استمع فقط».

أدرجت قائمةً من عشرين كلمة مرورٍ محتملةٍ في تتابع سريع: فرق موسيقية، وشخصيات تلفزيونية، ومؤلفين، وأشياء عشوائية مثل «شوكولاتة» و «أكره ماما».

ناثان: «لن تكون تلك».

تجاهلته مادلين. كانت مليئةً باليأس من استحالة المهمّة. يمكن أن تكون أي شيءٍ: أية مجموعةٍ من الأحرف والأرقام.

سألته: «هل أنت متأكد أنه ما من طريقةٍ أُخرى للقيام بذلك؟».

ناثان: «كنت أفكر إن كان بإمكاني المحاولة من خلال إعادة توجيه اسم النطاق أو المقاطعة. لكن مع ذلك ما زلت بحاجة إلى تسجيل الدخول إلى حسابها. يتمحور الكون بأسره حول عمليات تسجيل الدخول. أعتقد أن عبقريًا في تكنولوجيا المعلومات يستطيع أن يخترق الموقع، إنه مجرد حساب استضافة على غوغل، لكن قد يستغرق هذا بعض الوقت لكننا سننجح في النهاية، لكن بالتأكيد الطريقة الأسرع هي أن تقوم بها بنفسها».

مادلين: «نعم»، سحبت مفاتيح سيارتها من حقيبتها، «سأذهب لإحضارها من المدرسة قبل انتهاء الدوام».

- «أنت، أعني، نحن علينا فقط أن نطلب منها إزالته»، استطاعت مادلين سماع صوت طقطقة لوحة المفاتيح وهو يجرب كلمات مرورٍ مختلفةٍ، «نحن والداها. وعلينا إخبارها أنه سيكون هناك عواقب وخيمة إن لم تستمع إلينا».

كان من المضحك سماع ناثان وهو يستخدم مصطلحات تتعلق بالتربية الحديثة مثل «عواقب».

مادلين: «حسنًا، وسيكون ذلك سهلاً جدًا حسب رأيك، هاه. إنها في الرابعة عشر، وهي تعتقد أنها تنقذ العالم. إنها عنيدةٌ مثل بغلٍ».

قال ناثان بحماسةٍ: «سنخبرها بأنها معاقبة!». من الواضح أنه تذكر أن هذا ما يقوله الآباء للمراهقين في المسلسلات الكوميدية الأمريكية.

- «سيروقها ذلك. سترى نفسها شهيدة قضية».

ناثان: «لكنني، أقصد، بحق السماء، بالتأكيد هي ليست جادةً، وهي لا تخطط بالفعل للاستمرار في ذلك. لممارسة الجنس مع شخصٍ غريب؟ أنا لا أستطيع أن أصدق ... لم يكن لديها حتى صديقٌ، أليس كذلك؟».

- «على حدّ علمي، لم تُقبّل حتى ولدًا في حياتها». قالت مادلين وهي تغالب نوبة بكاءٍ، لأنها تعرف بالضبط ما ستقوله أبيغيل رداً على ذلك: **تلك الفتيات الصغيرات القاصرات لم يُقبلن أي فتيةٍ أيضًا.**

ضغطت على المفاتيح في يدها بقوةٍ. من «الأفضل أن أسرع. لدي بعض الوقت قبل إحضار الصغار».

تذكرت حينها أن بيري اتصل في وقتٍ سابق ليسأل إن كان بمقدورها اصطحاب التوأم أيضًا لأن سيليست مريضةٌ جدًا. بدأ جفنها الأيسر يرتعش.

ناثان: «مادلين. لا تصرخي في وجهها. اتفقنا؟ لأنها قد ...».

صرخت مادلين: «هل تمزح؟ بالطبع سوف أصرخ عليها. إنها تبيع عذريتها على الإنترنت!».

الفصل الواحد والستون

اصطحبت جين زيغي إلى المدرسة بعد أن تناولا شاي الصباح في مقهى بلو بلوز.

- «هل ستقولين لماكس أن يتوقف عن إيذاء أمابيلا». قال لها بينما كانت تركن السيارة.

- «سيتحدث معه شخصٌ بالغٌ»، قالت وهي تطفئ السيارة، «ربما لست أنا. ربما الآنسة بارنز».

كانت تحاول إيجاد أفضل طريقةٍ للتعامل مع الموضوع. هل عليها أن تتجه الآن مباشرةً إلى مكتب المديرة؟ كانت تفضّل الحديث مع الآنسة بارنز، التي من المرجح أن تصدق أنها لم تكن ببساطة حجّة زيغي كي يبعد الشبهات عنه ويوجّه أصابع الاتهام نحو شخصٍ آخر. كانت الآنسة بارنز تعرف أيضًا أن جين وسيليست كانتا صديقتين حميمتين. وتعلم كذلك أن هذا قد يسبب حرجًا لها.

لكن الآنسة بارنز كانت تقوم بالتدريس الآن. لا يمكن إخراجها من الصف. عليها إذًا أن ترسل لها إيميلاً وتطلب منها الاتصال بها. لكنها تريد أن تخبر أي أحدٍ الآن. ربما عليها الذهاب مباشرةً إلى السيدة ليبمان؟

لا يبدو أن أمابيلا في خطرٍ محدق. من الواضح أن مساعدة المعلمة لم ترفع عينيها عنها. لقد انعكس نفاذ صبر جين ببساطة من خلال رغبتها بالثرثرة.

لم يكن ابني! كان ابنها!

ماذا عن المسكينة سيليست؟ هل عليها أن تتصل بها أولاً وتقوم بتحذيرها؟ هل هذا ما يفعله الصديق المخلص؟ ربما عليها فعل ذلك. إنه أمرٌ فظيع ويعتبر نوعًا من الخيانة إن تصرّفت دون علمها؟ لا تستطيع تحمّل الأمر إن كان سيؤثّر على صداقتهما.

قال زيغي وقد نفذ صبره: «هيا يا أمي. لماذا تجلسين شاردة؟».

خلعت جين حزام الأمان واستدارت لمواجهة زيغي: «لقد فعلت خيرًا بإخباري ما فعله ماكس يا زيغي».

- «لم أخبرك!». زيغي الذي فك حزامه للتو ووضع يده على قبضة باب السيارة استعدادًا للقفز خارجًا، عاد وسحب نفسه ليواجهها، كان غاضبًا ومذعورًا.

قالت جين: «آسفة. آسفة! لا، بالطبع لم تخبرني. بالطبع لا».

- «لأنني وعدت أمابيلا ألاّ أخبر أحدًا أبدًا». دفع زيغي بجسده بين مقعد السائق والمقعد المجاور بحيث أصبح وجهه الصغير القلق قرب وجهها تمامًا. استطاعت أن تلمح آثار الصلصة اللزجة من فطائر توم فوق شفته.

- «هذا صحيح. لقد وفيت بعهدك». لعقت جين أصبعها وحاولت استخدامه لتنظيف وجهه.

- «لقد وفيت بوعدي»، ابتعد زيغي عن أصبعها، «أنا جيد في الوفاء بالوعود».

- «هل تتذكر يوم التوجيه؟»، أقلعت جين عن تنظيف فمه، «عندما قالت أمابيلا أنك أنت من آذيتها؟ لماذا قالت أمابيلا ذلك؟».

قال زيغي: «أخبرها ماكس أنه إن أقرّت عليه فسيفعلها مرةً أُخرى في غفلةٍ عن الكبار. لِذلك أشارت أمابيلا إلي». هز كتفيه بنفاذ صبرٍ وكأنه سئم الموضوع برمّته. «اعتذرت لي عن اتهامها، وأجبتها أنه لا بأس».

جين: «أنت ولدٌ رائعٌ جدًا». وأنت لست مختلاً عقليًا! (ماكس هو المختل).

-«نعم».

- «وأنا أحبك».

- «هل يمكننا الدخول إلى المدرسة الآن؟». وضع زيغي يده على مقبض باب السيارة.

-«بالتأكيد».

أثناء سيرهما في الطريق المؤدي إلى المدرسة، كان زيغي يقفز إلى الأمام، والحقيبة تتراقص فوق ظهره، وكأنه لا يأبه بالعالم بأسره.

قفز قلب جين من مكانه لرؤيته سعيدًا وحثّت الخطى كي تلحقه. لم يكن قلقًا لأنه كان يتعرض للتنمر. بل كان قلقًا لأنه كان يحمل سِرًّا بشجاعةٍ وبسذاجة طفلٍ. حتى عندما استجوبته السيدة ليبمان، لم يجزع جنديها الصغير الشجاع. بقي ثابتًا لأجل أمابيلا. لم يكن زيغي متنمرًا. لقد كان بطلاً.

لقد كان غبيًا جدًا كذلك لأنه لم يُبلغ عن ماكس مباشرةً، ولأنه كان يعتقد جادًا أن كتابة الاسم لا تُعدُّ إخبارًا عنه، لكنه كان في الخامسة من عمره، وكان طفلاً وبحاجةٍ ماسّةٍ إلى مخرج.

التقط زيغي عصا ملقاةً على الرصيف ولوح بها فوق رأسه.

نادت: «دع العصا يا زيغي!». ألقى بالعصا وانعطف بشكلٍ حادٍ نحو اليمين إلى الزقاق المعشوشب الذي يمرّ بمنزل السيدة بوندر ويؤدي إلى المدرسة.

ركلت جين العصا برجلها كي تزيحه عن الطريق وتبعته. ما الذي قد قاله ماكس ليجعل فتاة ذكيةً مثل أمابيلا تعتقد أن عليها إبقاء سلوكه سِرًّا؟

هل قال لها فعلاً بأنها «ستُقتل؟» وهل اعتقدت أمابيلا بالفعل أن ذلك ممكن؟ فكّرت بما تعرفه عن ماكس. بغض النظر عن وحمة ماكس، لم تكن تستطيع التفريق بين ولدي سيليست. كانت تظنّ أن شخصياتهما متطابقةٌ أيضًا.

بالنسبة لها كان ماكس وجوش مثل جروين صغيرين جميلين ومشاغبين. بفضل طاقتهما اللامحدودة وابتسامتهما الكبيرة المخادعة كانا يبدوان طفلين غير معقدين، على عكس زيغي، الذي كان أغلب أوقاته طفلاً مُبهمًا يملؤه الحزن. كان يبدو ولدا سيليست مثل أولئك الأطفال الذين هم بحاجة فقط للطعام والاستحمام واللعب: كانا مُرهقين جسديًا، لكن ليس عقليًا، ليس بالطريقة التي يتصرف بها الصبي الصغير الغامض زيغي.

كيف سيكون رد فعل سيليست عندما تكتشف ما فعله ماكس؟ لم تستطع جين أن تتخيل. كانت تعرف تمامًا كيف سيكون ردّ فعل مادلين (بجنونٍ وصراخ محموم) لكنها لم ترَ سيليست غاضبة من ولديها أبدًا؛ بالطبع كانت تشعر أحيانًا بالإحباط ونفاذ الصبر منهما لكنها لم تكن تصرخ في وجههما أبدًا. غالبًا ما كانت تبدو سيليست متوترةً ومشغولة البال، وتتفاجأ بطفليها عندما يركضان نحوها فجأةً.

- «صباح الخير! هل تأخرتِ في النوم هذا الصباح؟». لقد كانت السيدة بوندر، تنادي من الباحة الأمامية لمنزلها حيث كانت تسقي نباتات الحديقة.

أوضحت جين: «كان لدينا موعد».

- «إذًا قولي لي عزيزتي، هل سترتدين ملابس مثل أودري أو إلفيس ليلة الغد؟». رمقتها السيدة بوندر بنظرةٍ مشرقةٍ وابتسامةٍ عريضة.

لدقيقةٍ لم تعرف جين عمَّ كانت تتحدث: «أودري أو إلفيس؟ أوه ليلة المسابقة»، لقد نسيتْ الأمر كليًّا. كانت مادلين قد نظمت طاولةً لليلة المسابقة منذ فترةٍ لكن ذلك قبل الأحداث الأخيرة: قبل العريضة، والإهانة، والحادثة في الباحة الرملية، «لست متأكدةً إن ...».

- «أوه، كنت أمزح، عزيزتي! بالطبع سترتدين مثل أودري. لديكِ المظهر المناسب لِذلك. في الواقع ستبدين جميلةً بإحدى قصّات الشعر القصيرة الصبيانية. ماذا يسمونها؟ تسريحة الشعر العابثة!».

جين: «أوه»، شدت تسريحة شعرها التي على شكل ذيل حصان وعقّبت: «شكرًا».

- «بمعرض الحديث عن الشَّعر يا عزيزتي»، انحنت السيدة بوندر إلى الأمام بثقةٍ وأردفت: «زيغي يقوم بحك رأسه بشدَّة هناك».

نطقت السيدة بوندر اسم «زيغي» كما لو أنه كان لقبًا مضحكًا. نظرت جين إلى زيغي. كان يحكّ رأسه بقوةٍ بإحدى يديه بينما انحنى لفحص شيءٍ مهمّ رآه على العشب.

- «نعم»، قالت بشكلٍ مهذب، «وماذا في ذلك؟».

السيدة بوندر: «هل فتّشته؟».

- «فتشته من أجل ماذا؟». تساءلت جين كونها كانت بطيئة الفهم جدًا اليوم.

السيدة بوندر: «الصئبان. تعرفين قمل الرأس».

- «أوه!»، وضعت جين يدها على فمها، «لا! هل تعتقدين ... أوه! أنا لا أعرف ... لا أستطيع ... أوه!».

ضحكت السيدة بوندر: «ألم يكن لديك وأنت صغيرةً؟ إنه موجودٌ منذ آلاف السنين».

- «لا! أتذكر أنه قد تفشى مرةً في مدرستنا ولكن لا بدّ أنه فاتني ذلك. أنا لا أحب الحشرات المقرفة»، ارتجفت، «يا إلهي!».

- «حسنًا، لديّ خبرةً طويلةً مع الحشرات الصغيرة. نحن الممرضات حصلنا عليها خلال فترة الحرب. لا علاقة لِذلك على الإطلاق بالنظافة أو العادات الصحيّة إذا كان هذا ما تفكرين به. إنه مزعجٌ بصراحة، هذا كل شيء. تعال إلى هنا، زيغي!».

استجاب زيغي وهو يسير الهوينا. كسرت السيدة بوندر غُصنًا صغيرًا من شجيرة الورد واستخدمتها لتفتيش شعر زيغي. «صئبان!» قالت بارتياح وبصوتٍ عالٍ وواضح، في نفس اللحظة التي جاءت فيها ثيا وهي تحمل صندوق طعام. «إنه مليءٌ به».

ثيا: لقد نسيت هاريت صندوق طعامها، وكنت أحثُّ الخطى إلى المدرسة لتسليمه لها، وكان لديّ ملايين الأشياء التي عليّ إنجازها ذلك اليوم. عندما ... أوه ماذا أسمع؟ زيغي مليءٌ بالصئبان! نعم لقد أعادت الصبي إلى المنزل، لكن لولا وجود السيدة بوندر، لكانت أحضرته إلى المدرسة! ولماذا تطلب بالأساس من سيدةٍ عجوز أن تفتش في شعر ابنها؟

الفصل الثاني والستون

قالت أبيغيل: «أيًا كان».

- «لا. لا تقولي أيًا كان. هذا ليس موقفًا يحتاج أن تجيبي عليه بـ «أيًا كان». هذه أشياء جديّة يا أبيغيل. إنه أمرٌ خطير».

كانت مادلين تمسك بعجلة القيادة بقوةٍ لدرجة أنها شعرت بتعرّق راحتيها. كان أمرًا يصعب تصديقه، لكنها مع ذلك أمسكت نفسها ولم تصرخ. لقد ذهبت إلى المدرسة الثانوية وأخبرت مدرّسة أبيغيل للغة الإنكليزية بأن هناك «ظرفًا عائليًا طارئًا» ويتعين عليها اصطحاب أبيغيل إلى البيت. من الواضح أن إدارة المدرسة لم تكتشف الموقع الذي أنشأته أبيغيل بعد. قالت معلمتها بابتسامةٍ لطيفةٍ: «أبيغيل تبلي بلاءً حسنًا في اللغة. إنها مُبدعة للغاية».

- «إنها بالتأكيد كذلك». ردّت مادلين وقد تمكنت من ضبط نفسها وعدم الثرثرة بشكلٍ هستيري مثل عجوزٍ شمطاء.

لقد احتاج منها ذلك جهدًا هائلاً لكنها لم تنبس ببنت شفة عندما استقلتا السيارة. لم تصرخ وتقول: «بماذا كنت تفكرين؟» لقد انتظرت أبيغيل لتتحدث. (بدا صمتها مهمًا من الناحية الاستراتيجية).

عندما تحدثت أبيغيل أخيرًا، وبشكلٍ استباقي، كانت عيناها على لوحة القيادة. «إذًا ما هو هذا الظرف العائلي الطارئ؟».

ردّت مادلين بهدوءٍ وتروٍ شديد مثلما يفعل إد: «حسنًا، أبيغيل، هناك أشخاص يكتبون عن ممارسة الجنس مع ابنتي البالغة من العمر أربعة عشر عامًا على شبكة الإنترنت».

حينها جفلت أبيغيل وتمتمت: «أعرف ذلك».

اعتقدت مادلين أن تلك الحركة اللاإرادية عندما جفلت تعني أن الأمور ستسير على ما يرام؛ ربما ستشعر أبيغيل بالندم على ما فعلته. وأنها تورطت في الأمر أكثر مما هو محسوب، وهي تبحث حاليًا عن مخرجٍ. لربما رغبت أن يطلب منها والداها أن تتخلى عنه.

مادلين: «حبيبتي، أفهم تمامًا ما يدور في خَلدك وما تحاولين القيام به. أنتِ تقومين بحملةٍ دعائية مع «شيء لجذب الانتباه» أو «طُعْم». هذا رائعٌ. بل وذكي. لكن في حالتك هذه فإن ما استخدمته للفت الانتباه هو أمرٌ حساسٌ للغاية، ولن تحققي مُبتغاكِ. في حالتك هذه، لن يفكر الناس في انتهاكات حقوق الإنسان، بل سيكون جُلّ تفكيرهم مُنصبًا على فتاة في الرابعة عشر من عمرها تبيع عذريتها بمزادٍ علني».

أبيغيل: «لا يهمّني، أريد جمع المال. أريد رفع الوعي. أريد القيام بشيءٍ. لا أريد أن أقول فقط «أوه، هذا فظيع» وأقف مكتوفة اليدين».

- «نعم، لكنكِ لن تجمعي المال ولن ترفعي الوعي بهذه الطريقة! بل ستلفتين الانتباه إليكِ! (أبيغيل ماكنزي، ابنة الأربعة عشر تحاول بيع عذريتها بالمزاد العلني) لن يهتم أحدًا أو يتذكر حتى بأنك تفعلين ذلك من أجل جمع المال للأعمال الخيرية. أنت تتركين بصمةً على الإنترنت لجميع المستخدمين وأرباب العمل المستقبليين».

حينها قالت أبيغيل بسخريةٍ: «أيًا كان». وكأن الأمر برمّته لا يتعدى كونه مسألة رأي.

ارتجف صوت مادلين: «إذًا، قولي لي يا أبيغيل. هل تخططين للمضي قدمًا في هذا الأمر؟ هل تعلمين أنك دون سن الرشد؟ أنت في الرابعة عشر من عمرك. أنت أصغر من أن تمارسي الجنس».

قالت أبيغيل وصوتها يرتجف أيضًا: «كذلك هو حال تلك الفتيات الصغيرات القاصرات ماما!».

كان لديها خيالٌ جامح، وتعاطفٌ لا حدود له. هذا ما كانت مادلين تحاول شرحه لبوني في الاجتماع ذلك الصباح. كانت تلك الفتيات القاصرات حقيقيات بالنسبة لأبيغيل ويتعرضن للاضطهاد بالفعل، وهنّ حقيقيات وموجودات بالطبع، كان هناك ألمٌ حقيقي في هذا العالم، وفي هذه اللحظة بالذات هناك بشرٌ يعانون من فظائع لا يمكن تصورها ولا تستطيع تجاهلها أو إغلاق قلبك أمامها، لكن لا يمكنك تركه مفتوحًا على مصراعيه أيضًا، وإلاّ كيف ستعيش حياتك، التي جعلتك الصدفة المحضة تعيش في الجنة مقارنةً معهم؟ عليك أن تُقِرّ بوجود الشرّ في هذا العالم، وأن تفعل ما بمقدورك وإن كان محدودًا، ثم تغلق عقلك وتفكر في حذاءٍ جديد.

قالت مادلين: «لِذلك علينا أن نفعل شيئًا حيال ذلك. سنعمل معًا على القيام بحملات توعيةٍ نوعية. سنشرك إد في ذلك! هو يعرف صحفيين ...».

رفضت أبيغيل الفكرة بشكلٍ قاطع قائلةً: «لا. أنت تقولين ذلك لكنك لا تفعلي شيئًا على أرض الواقع. ستنشغلين ثم ستنسي كل شيء».

بدأت مادلين: «أعدك». كانت تعرف أن هناك شيئًا من الحقيقة فيما قالته.

أبيغيل: «لا».

مادلين: «هذا أمرٌ غير قابلٍ للتفاوض. أنتِ ما زلت طفلةً. وسأطلب تدخل الشرطة إن اقتضى الأمر. والموقع سيغلق يا أبيغيل».

أبيغيل: «حسنًا، لن أغلقه. ولن أعطي بابا كلمة المرور حتى لو قمتما بتعذيبي».

– «أوه، بحق السماء، لا تكوني سخيفةً. تبدين الآن وكأنك في الخامسة من عمرك فقط». شعرت مادلين بالندم على الكلمات وهي تخرج من فمها.

كانتا تتجهان إلى منطقة الانصراف الخاصة بالمدرسة الابتدائية. استطاعت مادلين رؤية سيارة ريناتا الـ BMW السوداء اللامعة أمامها مباشرةً. كانت

النوافذ مظلمةً للغاية بحيث لا يمكن رؤية من كان يقودها-من المفترض أن تكون مربية ريناتا الفرنسية. تخيلت وجه ريناتا إن علمت أن ابنة مادلين كانت تبيع عذريتها بالمزاد. ستشعر بالتعاطف ربما.

لم تكن ريناتا شخصًا سيئًا. لكنها ستشعر أيضًا بشيءٍ من الارتياح، مثلما شعرت مادلين عندما سمعت عن العلاقة الغرامية بين زوج ريناتا والمربيّة.

تتباهى مادلين بنفسها بأنها لا تكترث لرأي الآخرين بها لكنها كانت تهتم برأي ريناتا بشأن ابنتها نوعًا ما.

مادلين: «إذًا أنتِ تخططين للاستمرار في هذا؟ ستنامين مع غريب؟». ثمّ حركت السيارة ببطءٍ إلى الأمام، وحاولت التلويح لكلوي التي لم تَرَها لأنها كانت في نقاشٍ محتدم مع ليلي، والتي بدا عليها الملل قليلاً. كانت كلوي قد علّقت تنورتها بحقيبة ظهرها بحيث تمكن كل ركاب السيارات من رؤية سروالها الداخلي وعليه رسمة لميني ماوس. عادةً ما تجد مادلين ذلك لطيفًا ومضحكًا، لكنه في هذه اللحظة بدا سيئًا وخاطئًا حتى أنها تمنّت لو تقوم إحدى المعلمات بتصحيح الوضع.

قالت أبيغيل وهي تدير وجهها نحو النافذة: «أفضل من النوم مع غلامٍ في الصف الثاني عشر وكلانا ثملان».

لاحظت مادلين أن المعلمة كانت تحاول فصل توأم سيليست عن بعضهما. كان وجهاهما الصغيران حمراوين وغاضبين. تذكرت أن عليها أولاً اصطحابهما إلى المنزل. كانت اليوم مشتتةً للغاية لدرجة أنها تنسى الأشياء بسرعة.

لم يكن صف السيارات يتحرك لأن من كان في المقدمة فتح حديثًا طويلاً مع المعلمة، وكان هذا ممنوع صراحةً في سياسة مدرسة بيريوي وخصوصًا في منطقة الانصراف راجلاً. ربما كانت إحدى الشقراوات ذوات الشعر القصير لأنه كان من الواضح أن القواعد لا تُطبّق عليهن.

- «ولكن، يا إلهي، أبيغيل، هل تفكرين بتفاصيل ذلك؟ بالتخطيط

والتنفيذ؟ وهل سيؤتي ذلك ثماره؟ هل ستقابلين هذا الشخص في الفندق؟ هل ستطلبين مني حينها أن أقلّك إلى هناك؟ ثم تقولين لي أوه، ماما، أنا ذاهبة لفقدان عذريتي لا أكثر ولا أقلّ، من الأفضل التوقف عند الصيدلاني لشراء بعض الواقيات الذكرية».

نظرت إلى أبيغيل. كانت قد طأطأت رأسها وهي تضع إحدى يديها على عينيها. استطاعت مادلين أن ترى شفتها السفلى ترتجف. بالطبع لم تفكر في حيثيات الموضوع. لقد كانت في الرابعة عشرة من عمرها.

- «وهل فكّرتِ كيف ستكون ممارسة الجنس مع غريبٍ؟ أن يلمسك رجلٌ فظيعٌ ...».

أنزلت أبيغيل يدها وأدارت رأسها، ثم صرخت: «توقفي عن ذلك يا أمي!».

- «أنتِ تعيشين في الأحلام، أبيغيل. هل تعتقدين أن شخصًا وسيمًا مثل جورج كلوني سيأخذك إلى الفيلا الخاصة به، ويفضّ عذريتك بلطفٍ وحنان، ثم يكتب شيكًا سخيًّا لمنظمة العفو الدولية؟ لا لن تجري الأمور على هذا النحو. سيكون مؤلمًا وحقيرًا ...».

صرخت أبيغيل والدموع تنهمر على وجهها: «وهو مؤلمٌ وحقير بالنسبة لتلك الفتيات القاصرات!».

- «لكنني لست والدتهم!». صرخت مادلين واصطدمت مباشرةً بمؤخرة سيارة ريناتا الـ BMW.

هاربر: اسمعِوا، لا أريد أن أكون شخصًا يطعن بالظهر ويلقي بالتهم جزافًا، لكن مادلين صدمت سيارة ريناتا عمدًا في اليوم الذي سبق ليلة المسابقة.

الفصل الثالث والستون

- «أريد منكِ فقط ألا تنشري الخبر بأنني أقوم بهذا»، انحنت ابنة السيدة بوندر وهمست في أذن جين تحت غطاء صوت مجففات الشعر الصاخبة، «وإلا ستقصدني جميع الأمهات الميسورات ويطلبن مني أن أزيل القمل من شعر أطفالهم الصغار المدللين».

في البداية طلبت السيدة بوندر من جين أن تذهب إلى الصيدلية وتأتي بدواءٍ للقمل. قالت لها: «إنه أمرٌ سهل. عليكِ فقط أن تمشّطي شعره وأن تنزعي أولئك المتطفلين الصغار ...». لكنها توقفت وهي تفكّر بالتعابير التي ظهرت على وجه جين.

قالت: «سأقول لك شيئًا. سأرى إن كان لدى لوسي وقتًا تخصصه لكِ اليوم».

كانت لوسي، ابنة السيدة بوندر تدير صالونًا لتصفيف الشعر أسمته Hair-way to Heaven، والذي كان يتمتع بشهرة واسعة في بيريوي، ويقع بين محل بيع الجرائد والجزّار. لم تذهب جين إلى الصالون من قبل. يبدو واضحًا أن لوسي وفريقها كانوا مسؤولين عن جميع تسريحات شعر الشقراوات القصير في شبه جزيرة بيريوي.

عندما ربطت لوسي رداءً حول رقبة زيغي، نظرت جين حولها خلسةً بحثًا عن أي أمٍ قد تعرفها لكنها لم تتعرف على أيٍ منهم.

سألت لوسي: «هل أشذب له شعره بما أنني هنا؟».

جين: «بكلّ تأكيد، شكرًا».

نظرت لوسي إلى جين. «تريد مني أمي أن أقص شعرك أيضًا. تريدني أن أقصّ لك تسريحة بيكسي (الشعر العبثي)».

شدت جين تسريحة شعرها ذيل الحصان. «أنا لا أهتمّ بشعري كثيرًا».

لوسي: «يُفضّل على الأقل أن تسمحي لي بفحص شعرك، قد تحتاجين إلى علاجٍ أنت أيضًا. القمل لا يطير، لكنه ينتقل متعلقًا بالشعر من رأسٍ إلى آخرٍ، مثل بهلوان السيرك». استخدمت لكنةً مكسيكية فضحك زيغي معجبًا.

جين: «أوه، يا إلهي». شعرت بالحكة مباشرةً في فروة رأسها.

تأملت لوسي جين وهي تضيّق عينيها وقالت: «هل سبق لك أن شاهدتِ فيلم Sliding Doors؟ حيث تقصّ البطلة غوينيث شعرها بالكامل ويبدو أخّاذًا؟».

جين: «بالتأكيد. جميع الفتيات تحب هذا الجزء».

لوسي: «وكذلك كل مصفف شعر. إنها مهنة الأحلام»، بقيت تحدّق بجين لبضع ثوانٍ أُخرى، ثم استدارت لمواجهة زيغي ووضعت يديها على كتفيه. ابتسمت لردة فعله، «لن تتعرف على والدتك بمجرد أن أنتهي منها».

سامنثا: لم أعرف جين عندما رأيتها في ليلة المسابقة. كان لديها تسريحة مذهلة وكانت ترتدي سروال كابري أسود مع قميصٍ أبيضٍ ذو ياقةٍ عالية وحذاء باليه. أوه يا عزيزتي. جين الصغيرة المسكينة. بدت سعيدةً للغاية في بداية ليلة المسابقة!

الفصل الرابع والستون

تبدو سيليست مريضةً بالفعل، فكّرت مادلين وهي تُدخل التوأم من الباب. كانت ترتدي قميص رجلٍ أزرق وبنطال بيجاما عليه نقوش ومربعات وكان وجهها شاحبًا كالأموات.

خاطبتها مادلين: «يا إلهي، هل هو نوعٌ من الفيروسات برأيك؟ لقد جاء بسرعةٍ كبيرة! كنت تبدين على ما يرام هذا الصباح!».

ضحكت سيليست ضحكةً خفيفة وغريبة ثم وضعت يدها على مؤخرة رأسها. «نعم، لقد جاء من حيث لا أدري».

قالت مادلين: «ما رأيك أن أصطحب الولدين معي إلى منزلي لفترةٍ؟ يستطيع بيري أن يعيدهما في طريق عودته إلى المنزل».

نظرت مرةً أُخرى إلى سيارتها في الممر. أحسّت وكأن الضوء الأمامي المحطم الباهظ الثمن يحدّق بها موبخًا. كانت قد تركت أبيغيل تبكي في المقعد الأمامي وفريد وكلوي يتشاجران في المقعد الخلفي (كما لاحظت أيضًا أن فريد يحك رأسه بشدّة، وهي تعرف من تجربتها المرعبة ما يعنيه ذلك بالضبط؛ سيكون مذهلاً أن تُضطر إلى التعامل مع تفشي الصئبان الآن وكأنه ينقصها أيضًا).

قالت سيليست: «لا. لا هذا لطفٌ منكِ، أنا بخير، سأدعهما يجلسان أمام التلفاز لوقتٍ طويل لأن اليوم هو الجمعة وغدًا عطلة. سوف يتجاهلاني على أي حال. شكرًا جزيلاً لك على التوصيلة».

سألتها مادلين: «هل تعتقدين أنّكِ ستكونين بخير ليلة المسابقة غدًا؟».

سيليست: «أوه، متأكدةٌ أنني سأكون بخير. حتى أن بيري يتطلع شوقًا لتلك الليلة».

مادلين: «حسنًا، من الأفضل أن أذهب. كنت أنا وأبيغيل نصرخ على بعضنا في طابور السيارات أمام المدرسة واصطدمتُ بمؤخرة سيارة ريناتا».

- «أوه، لا!». وضعت سيليست يدها على وجهها.

أكملت مادلين: «نعم، كنت أصرخ، لأن أبيغيل تعرض بيع عذريتها في مزادٍ علني عبر الإنترنت في محاولةٍ منها لوقف زواج القاصرات». كانت سيليست أول شخص تستطيع إخباره؛ لقد كانت يائسةً من الحديث عن الموضوع.

- «هي ماذا؟!».

قالت مادلين بعدم رضا وتهكّم: «كل هذا لسببٍ وجيه. لِذلك أنا بخير طبعًا».

- «أوه، مادلين». وضعت سيليست يدها على ذراع مادلين التي شعرت بدورها أنها على وشك البكاء.

- مادلين: «ألقِ نظرةً هنا. العنوان هو www.buymyvirginitytostop-childmarriageandsexslavery.com وترفض أبيغيل إزالته، رغم الكلام المقزز والمثير للاشمئزاز الذي يكتبه الناس عنها».

جفلت سيليست: «أعتقد أنه أفضل من ممارسة الدعارة لتمويل تعاطي المخدرات؟».

- مادلين: «ذلك صحيح».

فكرت سيليست: «إنها تقوم بمبادرة رمزية كبيرة، أليس كذلك؟»، ضغطت بإحدى يديها على مؤخرة رأسها مرةً أُخرى، وتابعت، «مثلما فعلت

تلك المرأة الأمريكية عندما قامت بعبور مضيق بيرينغ سباحةً بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة».

- «ما الذي تتحدثين عنه؟».

سيليست: «كان ذلك في الثمانينات. كنت في المدرسة آنذاك، أتذكر أنني اعتبرت ذلك سخيفًا جدًا ومن العبث السباحة في المياه الجليدية، لكن على ما يبدو أنه كان له تأثيرٌ كبير، ألا تعلمين؟».

- «إذًا برأيك أنه عليّ أن أدعها تبيع عذريتها؟ هل يجعلك هذا الفيروس تهذين؟».

رفّت سيليست بعينيها. بدت وكأنها تتمايل قليلاً على قدميها فوضعت يدها على الحائط لتسند نفسها: «لا. بالطبع لا». أغمضت عينيها لفترةٍ وجيزة. «أعتقد أن عليكِ أن تفخري بها».

مادلين: «اممم. حسنًا وأنا أعتقد أن عليكِ العودة إلى الفراش». ثم طبعت قبلةً الوداع على خد سيليست البارد. «أمل أن تشعري بالتحسن قريبًا، وعندما تتحسنين، ربما يتعيّن عليكِ تفتيش ولديك من القمل».

الفصل الخامس والستون

ثماني ساعاتٍ قبل ليلة المسابقة

كانت السماء تمطر بلا توقف منذ الصباح، وبينما كانت جين عائدة بسيارتها إلى بيريوي، أصبح المطر أغزر مما اضطرها لرفع صوت الراديو وجعل مسّاحات الزجاج على تعمل بأقصى سرعتها.

كانت في طريق عودتها من توصيل زيغي إلى منزل والديها، حيث من المقرر أن يبقى هناك حتى تتمكن من الذهاب إلى الحفلة. لقد كان ترتيبًا قاموا به قبل شهرين عندما ظهرت الدعوات إلى ليلة المسابقة للمرة الأولى، وكانت مادلين متحمسةً للغاية بشأن التخطيط للأزياء وترتيب طاولةٍ تحوي مزيجًا مناسبًا من الأشخاص وذلك نتيجة معرفتها وخبرتها المتراكمة.

يبدو أن زوجها السابق كان معروفًا بمهاراته في إدارة الألعاب والمسابقات في الحانات (لقد أمضى ناثان الكثير من وقته في الحانات كما تعلمون) وكان من المهم جدًا لمادلين أن تتفوق طاولتهم على طاولة البقية. قالت مادلين: «وبالتأكيد سيكون من الرائع أن تتفوق على طاولة ريناتا، أو على أي شخصٍ لديه طفلٌ موهوبٌ أو عبقري، لأنني أعلم أنهم جميعًا يعتقدون سرًا أن أطفالهم قد ورثوا العقول العبقرية عنهم».

صرّحت مادلين أنها كانت هي نفسها ميؤوسٌ منها في المسابقات، حتى إذ لا يعرف ما حدث بعد عام 1989.

قالت: «ستكون وظيفتي إحضار المشروبات لكم وتدليك أكتافكم».

بسبب جميع الأحداث الدرامية التي حدثت خلال الأسبوع المنصرم، أخبرت جين والديها أنها لن تذهب. لماذا تقحم نفسها في ذلك؟ إضافةً إلى أنه سيكون من اللباقة عدم الذهاب. سيجد منظمو العريضة أن الفرصة سانحة لجمع المزيد من التواقيع. إن ذهبتْ، ربما يجد شخصٌ مسكينٌ نفسه في موقفٍ محرج لدى سؤاله عما إذا كان يرغب في التوقيع على العريضة لتعليق وجود ابنها في المدرسة أم لا.

لكنها استيقظت هذا الصباح، بعد ليلة نومٍ هانئ، على صوت المطر وإحساسٍ غريبٍ بالتفاؤل.

لم تتم تسوية أي شيءٍ حتى الآن، لكنها ستتم.

كانت الآنسة بارنز قد عاودت الردّ عليها بإيميل أيضًا، وقد اتفقتا على موعدٍ للقاء صباح الاثنين قبل المدرسة. بعد خروجها من صالون الحلاقة بالأمس، أرسلت جين رسالةً لسيليست وسألتها إن كانت ترغب أن تلتقيا لشرب القهوة معًا، لكن سيليست ردّت بأنها مريضة وهي طريحة الفراش. كانت جين في حيرةٍ من أمرها حول ما إذا كانت ستخبرها عن ماكس قبل يوم الاثنين. (كانت المسكينة مريضةً. ولا ينقصها سماع أخبارٍ سيئةٍ).ربما لم يكن ذلك ضروريًا.

كانت سيليست لطيفة جدًا ومتفهّمة لدرجة أنها لن تسمح لهذا الأمر بالتأثير على صداقتهما. سيسير كل شيءٍ على ما يُرام. وستختفي العريضة سرًا. وربما، ما أن تنتشر الأخبار حتى يبادر بعض أولياء الأمور للاعتذار من جين. (وستكون رؤوفة). لم يكن ذلك خارج نطاق الاحتمال، أليس كذلك؟ لم تكن ترغب أن ينتقل لقبها بـ «الأم السيئة» إلى سيليست المسكينة لكن الناس سيتصرفون بشكلٍ مختلف عندما يعلمون أن المتنمّر هو ابن سيليست. لن يكون هناك عريضة لتعليق وجود ماكس في المدرسة. لأنه لن يُطلب من الأغنياء الفارهين مغادرة أي مكان. سيكون ذلك مزعجًا جدًا لكل من

سيليست وبيري لكن ماكس سيحصل على المساعدة التي يحتاجها. وينتهي كل شيءٍ. كزوبعةٍ في فنجان.

يمكنها البقاء في بيريوي ومواصلة العمل في بلو بلوز واحتساء قهوة توم الرائعة.

كانت تعلم أنها لطالما كانت عرضةً لموجات التفاؤل المجنون هذه. إن سألها صوتٌ غريبٌ على الهاتف: «الآنسة تشابمان؟»، فأول ما يخطر على بال جين هو شيءٍ سخيف ومستحيل مثل: «ربما ربحتُ سيارةً!» (رغم أنها لم تشارك في منافساتٍ أبدًا). لطالما كانت تحب هذه الغرابة المرتبطة بشخصيتها، حتى عندما يثبت أن تفاؤلها المجنون لا أساس له من الصحة مرةً أُخرى، وكما كان دائمًا.

أخبرت أمها على الهاتف: «أعتقد أنني سأذهب إلى ليلة المسابقات».

ردّت أمها: «هذا جيدٌ بالنسبة لك. فليكن رأسكِ مرفوعًا». (هتفت والدة جين عندما سمعت ما قاله زيغي عن ماكس. «كنت أعلم طوال الوقت أنه لم يكن زيغي!». كانت تبكي بحرقة لكن كان من الواضح أنها تحمل بعض الشكوك السرية).

كان والدا جين سيقضيان فترة ما بعد الظهر في العمل على نوعٍ جديدٍ من ألغاز الصور المقطّعة ومعهما زيغي وتمثل حرب النجوم، على أمل نقل شغف لعبة تركيب الصور إليه أخيرًا. في صباح اليوم التالي كان داين سيأخذ زيغي إلى مركز تسلق صخورٍ داخلي، ويعيده في وقتٍ لاحق بعد ظهر الأحد.

قالت والدة زيغي: «خصصي بعض الوقت لنفسكِ. استرخي. أنتِ تستحقين ذلك».

كانت تخطط جين لإكمال غسل الثياب، وتسديد بعض الفواتير عبر الإنترنت وتنظيف غرفة زيغي في غيابه كي لا يبعثر ما قد رتّبته، لكن مع اقترابها من الشاطئ، قررت التوقف في بلو بلوز. سيكون دافئًا ومريحًا. سيكون توم قد حضّر موقده الصغير. أدركت أنها بدأت تشعر بأن بلو بلوز مثل بيتها.

توقفت في مكانٍ ضيقٍ قرب الممر الخشبي. لم يكن هناك سياراتٌ في الجوار. كان الجميع في بيوتهم. لقد تم إلغاء رياضة السبت الصباحية. نظرت جين إلى أرضية المقعد المجاور لها حيث كانت تحتفظ عادةً بمظلةٍ قابلةٍ للطي وأدركت أنها أعادتها إلى الشقة. كان المطر ينهمر بشدةٍ على الزجاج الأمامي، وكأن أحدًا كان يلقي سطولاً من الماء. بدا المطر غزيرًا وباردًا وقويًا؛ وهو ما جعلها تلهث.

وضعت يدها على رأسها، وهي تفكّر. على الأقل لم يكن لديها الكثير من الشعر ليبتلّ. كان ذلك هو الشيء الآخر المسؤول عن مزاجها الجيد. قصة شعرها الجديدة.

سحبت مرآة الرؤية الخلفية لتتفحّص وجهها. قالت لابنة السيدة بوندر ظهر البارحة: «لقد أحببت هذه التسريحة. نعم أحببتها بالتأكيد».

ردّت عليها لوسي: «قولي لكل شخصٍ تقابليه أنني أنا من قصّ لكِ شعركِ».

لم تصدق جين كيف غيّرت تسريحة الشعر القصيرة هذه شكل وجهها، وأظهرت عظام وجنتيها وعينيها الواسعتين. لقد ناسب لون الشعر الغامق لون بشرتها.

لأول مرّة منذ تلك الليلة في الفندق، عندما شقّت تلك الكلمات المليئة بالخبث والحقد طريقها إلى رأسها، نظرت إلى نفسها في المرآة وشعرت بسعادةٍ غير متوقعةٍ. في الحقيقة لم تستطع التوقف عن النظر إلى نفسها، وهي تبتسم بخجلٍ وتدير رأسها من جانبٍ إلى آخر.

لقد أثار حيرتها مقدار السعادة الحقيقية التي اكتسبتها من شيءٍ سطحي للغاية. لكن ربما كان طبيعيًا؟ وحتى عاديًا؟ ربما كان من الجيّد أن تستمتع بمظهرها. ربما لم تكن بحاجةٍ إلى تحليل الأمور أكثر من اللازم، أو التفكير في هوس ساكسون بانكس والمجتمع بالجمال والشباب والرشاقة وصور العارضات المعدّلة بالفوتوشوب التي تعطي صورًا غير واقعية عن المرأة،

وكيف ينبغي ألا تتوقف القيمة الذاتية للمرأة أو تقديرها لذاتها على مظهرها، بل الأهم ما هو موجودٌ في داخلها وغير ذلك هو محض هراء ... وهذا يكفي. لديها اليوم قصة شعرٍ جديدةٍ تناسبها وتجعلها سعيدةً.

- «أوه!»، قالت أمها عندما رأتها تدخل من الباب واضعةً يدها على فمها وكأنها على وشك أن تنفجر بالبكاء، «ألم يعجبك ذلك؟».

قالت جين وهي تضع يدها بخجلٍ على رأسها، وكأنها تشكّ في نفسها فجأةً، أجابتها والدتها: «جين، أيتها الفتاة المغفّلة، بل تبدين رائعةً».

وضعت جين يدها على المفاتيح في قرص التشغيل. عليها أن تعود من حيث أتت. كان من السخف الخروج تحت المطر.

لكن كان لديها حنينٌ جامحٌ لمقهى بلو بلوز وكل ما فيه: رائحته ودفئه وقهوته. وأرادت كذلك أن يرى توم تسريحتها الجديدة. يهتم الرجال المثليون بتسريحات الشعر.

أخذت نفسًا عميقًا، وفتحت باب السيارة وركضت.

الفصل السادس والستون

استيقظت سيليست متأخرةً على صوت المطر وموسيقى كلاسيكية تصدح في أرجاء البيت. كانت تفوح من المنزل رائحة لحم الخنزير المقدد والبيض. هذا يعني أن بيري كان في الطابق السفلي في المطبخ مع الولدين اللذين يجلسان على مقاعد البار بملابس النوم ويمرجحان رجليهما وتبدو على وجهيهما ملامح السعادة البالغة. كانا يعشقان الطهو مع والدهما.

ذات مرةٍ، قرأتْ مقالةً حول كيف أن لكل علاقةٍ «رصيد حبٍ» خاصٍ بها. فالقيام بشيءٍ لطيف لشريكك هو بمثابة إيداع. أما أي تعليقٍ سلبي يصدر عنك فهو بمثابة عملية سحب. لكن البراعة تكمن في الاحتفاظ برصيدٍ في اعتمادك. ويعتبر ضرب رأس زوجتك بالحائط بمثابة عملية سحبٍ كبيرة. أما النهوض باكرًا مع الأطفال وإعداد الإفطار هو عملية إيداعٍ صغيرة.

ساعدت نفسها على النهوض وتحسست مؤخرة رأسها. لا يزال يبدو طريًا لكن لا بأس. مذهلٌ مدى السرعة التي بدأت بها عملية الشفاء والنسيان مجددًا. كانت كحلقةٍ مفرغة.

الليلة هي ليلة المسابقة المدرسية. سترتدي هي وبيري ملابس مثل أودري هيبورن وإلفيس بريسلي. طلب بيري ملابس ألفيس عبر الإنترنت من مزوّد أزياءٍ ممتاز في لندن. لو أراد الأمير هاري أن يرتدي مثل ألفيس ربما عليه أن يحصل على ملابسه من هناك. في حين سيرتدي الجميع البوليستر ويحملون العصي من متجر الدولارين.

غدًا سيتوجه بيري إلى هاواي. لقد كانت رحلةً، حسب اعترافه. سألها قبل بضعة أشهرٍ إن كانت ترغب بالذهاب معه، للحظةٍ فكرت في الأمر جديًّا، كما لو كان هذا هو الجواب. عطلةً استوائية! الكوكتيلات وعلاج المنتجعات. بعيدًا عن ضغوط الحياة اليومية! ما الذي يمكن أن يحدث؟ (قد تحدث مشاكل. لقد ضربها مرةً في فندق خمس نجوم لأنها سخرت منه بسبب خطأٍ في لفظ كلمة «حقير». لن تنسى أبدًا الإذلال الفظيع الذي بدا على وجهه عندما أدرك أنه كان يخطأ في لفظ كلمةٍ طوال حياته).

أثناء وجوده في هاواي، عليها أن تنتقل مع الأطفال إلى شقة في ماكماهون بوينت. وأن تحدد موعدًا مع محامي العائلة. سيكون ذلك سهلاً. لم يكن عالم القانون مخيفًا بالنسبة لها. كانت تعرف أشخاصًا كُثر. ستسير الأمور على ما يُرام. بالطبع سيكون فظيعًا، لكنه سيمضي. لن يقتلها. لطالما كانت دراماتيكيةً بعد كل جدالٍ. يبدو من السخف استخدام كلمة مثل «قتل» بينما كان «قاتلها» المفترض في الطابق السفلي يقلي البيض مع أطفالها.

سيكون الأمر فظيعًا لبعض الوقت، لكن بعدها سيسير بشكلٍ جيد. لا يزال بإمكان الولدين إعداد طعام الإفطار مع أبيهما عندما يقضيان العطلات الأسبوعية معه.

نهار أمس سيكون آخر مرةً يؤذيها فيها. لقد انتهى ذلك.

– «ماما لقد أعددنا الفطور لك!». جاء الولدين راكضين، وألقيا بنفسيهما قربها على السرير مثل سرطانات البحر الصغيرة المتلهفة.

ظهر بيري عند الباب وهو يرفع عاليًا صحنًا يحمله بأطراف أصابعه مثل نادلٍ في مطعمٍ فاخرٍ.

– سيليست: «يممم».

الفصل السابع والستون

قال إد: «أعرف ما عليّ فعله».

مادلين: «لا، أنت لا تعرف».

كانا يجلسان حول طاولة غرفة الجلوس يستمعان لصوت المطر ويأكلان فطائر جبن والكآبة تلفّهما. (كانت الطريقة التي استمرت فيها في تقديم الكعك لمادلين مروعة، كما لو كانت في مهمّةٍ لتوسيع محيط خصر مادلين بالسرعة القصوى).

كانت أبيغيل في غرفة نومها، مستلقيةً على الأريكة التي وضعوها لها لتحل محل سريرها الجميل ذو القوائم الأربعة. كانت تضع سماعاتٍ وتستلقي بشكلٍ جانبي وقد ثنت ركبتيها حتى كادتا تلامسان صدرها.

كان الموقع لا يزال مفتوحًا. ولا زالت عذرية أبيغيل متاحةً للشراء في أي مكانٍ من العالم.

كانت مادلين في حالة كآبة واضحة للعيان. كانت تشعر وكأن عيون العالم بأسره تسترق النظر من نوافذ منزلها، وكأن رجالاً غرباء يتسللون الآن خلسةً إلى ردهة منزلها ويسخرون من ابنتها.

الليلة الماضية، جاء ناثان وجلس هو ومادلين مع أبيغيل لأكثر من ساعتين: يتوسلان ويعللان ويتزلّفان ويصرخان ويبكيان. لقد كان ناثان هو من بكى في النهاية من الإحباط، وقد بدت على أبيغيل الصدمة لكن الطفلة العنيدة لم تتزحزح عن موقفها قيد أنملة. رفضت إعطاءهما كلمات المرور.

ورفضت إغلاقه أيضًا. قد تمضي قدمًا في المزاد أو قد لا تمضي لكن ذلك في الحقيقة لم يكن هو الهدف الذي تحدثت عنه، كانت تسعى لإيقاف «الهوس بموضوع الجنس». كانت تسعى لترك الموقع مفتوحًا بهدف رفع مستوى الوعي لتلك المسألة ولأنها «كانت الصوت الوحيد الذي يقف إلى جانب تلك الفتيات القاصرات».

تلك كانت أنانية الأطفال، وكأن منظمات الإغاثة الدولية تجلس وتطقطق أصابعها بينما كانت أبيغيل ماكنزي الصغيرة من شبه جزيرة بيريوي هي الوحيدة التي تقوم بإجراءاتٍ فعالة. قالت أبيغيل بأنها لا تهتم بالتعليقات الجنسية المرعبة. لا يعني لها هؤلاء الأشخاص شيئًا. ولا علاقة لِذلك بالموضوع بتاتًا. لطالما كان هناك أشخاص يكتبون أشياء لئيمةً وحقيرة على الإنترنت.

خاطبت مادلين إد: «لا تقترح عليّ الاتصال بالشرطة حاليًا. أنا بالفعل لا ...».

إد: «نتصل بمكتب منظمة العفو الدولية في أستراليا. فهم بالتأكيد لا يرغبون أن يرتبط اسمهم بأشياء من هذا القبيل. إن طلبت منها المنظمة التي تمثل بالفعل حقوق هؤلاء الأطفال إغلاقه، ستصغي إليهم».

أشارت مادلين بإصبعها إليه: «هذا رائع يمكن أن ينجح ذلك بالفعل».

كان هناك ضجيجٌ وفوضى وأصواتٌ تصدر من الأسفل من الرواق. لم يتصرف فريد وكلوي بشكلٍ جيد لكونهما محتجزان في الداخل في يومٍ ماطر.

صرخت كلوي: «أعدها لي».

صاح فريد: «مستحيل».

دخلا يركضان إلى الغرفة ممسكًا كلاً منهما بقصاصة ورقٍ.

قال إد: «من فضلكما لا تقولا لي أنكما تتشاجران على قصاصة الورق تلك».

صرخت كلوي: «هو لا يدعني أشاركه. فالمشاركة تعني الاهتمام!».

صرخ فريد: «احمدي الله على ما لديكِ ولا تنزعجي!».

في الظروف العادية كان من الممكن أن تضحك مادلين.

قال فريد: «إنها طائرتي الورقية. وأنا من رسمت الركاب!».

- «لا، لم ترسمهم».

- «حسنًا، فليطمئن بالكِ الآن». استدارت مادلين لترى أبيغيل متكئةً على عضادة الباب.

مادلين: «ماذا؟».

قالت أبيغيل شيئًا لم تسمعه مادلين بسبب صراخ فريد وكلوي.

- «بحقّ الجحيم!». انتزعت مادلين قطعة الورق من يد فريد ومزّقتها نصفين، وأعطت كلٍ منهما قطعةً.

زأرت: «اغربا عن وجهي الآن!». ففرّا راكضين.

تنهّدت أبيغيل بحسرةٍ وضجر وقالت: «لقد أغلقت الموقع».

- «هل فعلت؟ لماذا؟». قاومت مادلين الرغبة برفع ذراعيها فوق رأسها والركض بشكلٍ دائري والصراخ مثلما يفعل فريد عندما يحرز هدفًا.

سلمتها أبيغيل نسخةً مطبوعةً من إيميل. «حصلت على هذا». قرأها إد ومادلين معًا.

إلى: أبيغيل ماكنزي

من: لاري فيتزجيرالد

الموضوع: المزاد العلني

عزيزتي الآنسة ماكنزي

اسمي لاري فيتزجيرالد ويسعدني أن أتعرّف عليكِ.

ربما لن تسمعي من رجلٍ بلغ 83 عامًا ويعيش في الجانب الآخر من العالم في سيو كس فولز بولاية ساوث داكوتا. أنا وزوجتي الحبيبة زرنا أستراليا منذ سنوات عديدة، عام 1987 أي قبل ولادتك. وكان من دواعي سرورنا أننا رأينا دار أوبرا سيدني. (أنا مهندسٌ معماري ومنذ تقاعدي وأنا أحلم أن أرى دار الأوبرا).

كان الناس في أستراليا لطفاء ومرحبين بنا. لكن للأسف توفيت زوجتي العام الفائت. وأنا أفتقدها كل يومٍ. آنسة ماكنزي، عندما صادفت موقع الويب الخاص بك،

تأثرت بشغفك الواضح ورغبتك في لفت الانتباه إلى محنة تلك الفتيات القاصرات. لا أرغب بشراء عذريتك، ولكن أود تقديم عرضٍ. وإليك الاقتراح. إذا قمتِ بإغلاق هذا المزاد فورًا، فسوف أتبرع على الفور بـ 100 ألف دولار لمنظمة العفو الدولية. (سأرسل لك إيصالاً بالطبع). لقد أمضيت سنوات عديدة في حملة ضد انتهاكات حقوق الإنسان، وأنا معجبٌ بما تحاولين تحقيقه، لكنكِ ما زلتِ طفلةً، يا آنسة ماكنزي، وأنا صاحب الضمير الحي لا أستطيع أن أقف مكتوف اليدين | لأراك تدفعين هذا المشروع إلى نهايته. أتطلع شوقًا لأعرف إن كان عرضي مقبولاً.

المخلص لك، لاري فيتزجيرالد.

نظرت مادلين واد إلى بعضهما البعض ثم إلى أبيغيل.

قالت أبيغيل: «اعتقد أن مبلغ 100 ألف دولار هو تبرعٌ كبير». كانت تقف وباب الثلاجة مفتوحًا وهي تتحدث وتسحب بعض العلب وتفتح الأغطية وتنظر ما بداخلها ثم أكملت: «ربما يمكن لمنظمة العفو الدولية فعل الكثير بهذا المبلغ كما تعلمون».

قال إد بحياد: «أنا متأكدٌ أنهم يستطيعون».

أبيغيل: «لقد راسلته وأخبرته أنني قمت بإغلاقه»، مضيفةً: «إن لم يرسل لي الإيصال، سأعيد فتحه من جديد مباشرةً».

غمغم إد: «أوه، بطبيعة الحال، عليه أن يتابع وينفذ وعده».

ابتسمت مادلين إلى إد ثم إلى أبيغيل. يمكنك أن ترى الارتياح يسري في جسد ابنتها الغض الصغير، كانت قدماها العاريتين ترقصان فرحًا وهي تقف عند الثلاّجة. فقد وضعت أبيغيل نفسها في وضعٍ لا تُحسد عليه ومنحها الرائع لاري من ساوث داكوتا مخرجًا.

- «هل هذه معكرونة بولونيز؟»، قالت أبيغيل وهي تحمل وعاءً ذو غطاء من ماركة تابروير «إنني أتضوّر جوعًا».

قالت مادلين: «كنت أعتقد أنك أصبحت نباتيةً».

ردت أبيغيل وهي تحمل العلبة إلى الميكروويف: «ليس عندما أكون هنا. من الصعب جدًا أن أكون نباتيةً هنا».

مادلين: «إذًا، أخبريني، ما هي كلمة مرورك؟».

أبيغيل: «يمكنني تغيرها مرةّ أُخرى».

مكتبة
t.me/t_pdf

- «أعرف».

- «لن تحزروها أبدًا».

مادلين: «أعرف ذلك، والدك وأنا جربنا كل شيء».

أبيغيل: «لا، تلك هي. أقصد تلك هي كلمة مروري. لن تحزروها أبدًا».

مادلين: «ذكية».

- «شكرًا». غمزتها أبيغيل. أصدر الميكروويف صفيرًا وفتحت أبيغيل الباب وأخرجت الوعاء.

قالت مادلين: «أنتِ تعلمين أن هناك عواقبٌ لكل هذا. عندما نطلب منكِ أنا وأبوك صراحةً فعل شيءٍ، لا يمكنك تجاهلنا كما فعلتِ».

قالت أبيغيل بمرحٍ: «نعم، افعِلي ما عليكِ فعله يا أمّي».

أصدر إد صوت نحنحةٍ لكن مادلين هزت رأسها في وجهه.

- «هل يمكنني تناول هذا في غرفة العائلة وأنا أشاهد التلفاز؟».

رفعت أبيغيل الصحن الساخن الذي يتصاعد منه البخار.

مادلين: «بالتأكيد».

تخطّت أبيغيل الأمر فعليًا.

أسند إد ظهره على الكرسي وشبك يديه وراء رأسه: «تم تفادي كارثة».

التقطت مادلين نسخة الإيميل المطبوعة: «كل الشكر للسيد لاري فيتزجيرالد. كم كانت محظوظةً ...».

توقفت ونقرت بإصبعها على شفتيها. بالفعل كم كانت محظوظة؟

الفصل الثامن والستون

كان هناك لافتة صغيرة على باب مقهى بلو بلوز كُتب عليها «مغلق». ضغطت جين براحتيها على الباب الزجاجي، فشعرت بالانزعاج. لم تتذكر أنها رأت لوحة الإغلاق من قبل في بلو بلوز.

لقد وجدت نفسها غارقةً في المطر تمامًا، وبشكلٍ يبعث على السخرية، من أجل لا شيء.

أنزلت يديها عن الباب وأطلقت شتيمة. حسنًا. جيد. ستعود إلى البيت وتأخذ حمامًا. إن استمرّ الماء فقط في شقتها لأكثر من دقيقتين وسبعٌ وعشرون ثانيةً. دقيقتان وسبعٌ وعشرون ثانيةً ليست كافيةً لتدفئ نفسك، بل هي كافية لجعلك متصلبًا.

استدارت لتعود إلى السيارة.

- «جين!».

فُتح الباب.

كان توم يرتدي قميصًا أبيض بأكمام طويلة وبنطلون جينز. بدا جافًا للغاية ودافئًا وبمنتهى الروعة. (لطالما كان توم مرتبطًا في ذهنها بالقهوة الفاخرة والطعام الشهي، لِذلك كانت تشعر وكأن لديها استجابة بافلوف أو ما يُطلق عليه «المنعكس الشرطي» بمجرد النظر إليه).

قالت جين بلطفٍ: «المقهى مغلق. أنت لم تغلق المقهى من قبل أبدًا».

وضع توم يده الجافة على ذراعها المبللة وسحبها إلى الداخل: «أنا سأفتح المقهى من أجلكِ».

نظرت جين إلى نفسها. كان حذاؤها مملوءً بالماء. كانت تصدر أصواتًا وهي تمشي، وتتدحرج قطرات المطر على وجنيتها كالدموع.

قالت: «أنا آسفة. ليس لديّ مظلةً وظننت أني لو ركضت بسرعةٍ ...».

توم: «لا تقلقِي بشأن ذلك. يحصل هذا دومًا. يغامر الناس في البرد والقيظ قاصدين قهوتي. اخرجي من الباب الخلفي وسأحضر لك ثيابًا جافة. لقد قررت أنه يمكنني الإغلاق ومشاهدة التلفاز. لم يكن لديّ زبائن منذ ساعاتٍ. أين صاحبي زيغي؟».

جين: «أمي وأبي يجالسانه اليوم حتى يمكنني الذهاب إلى الحفلة المدرسية. ليلة عاصفة في الخارج».

توم: «ربما ستكون كذلك. يحب الآباء في بيريوي مشروبًا أو اثنين. أنا ذاهبٌ أيضًا، هل تعلمين؟ لقد وضعتني مادلين على طاولتك».

تبعته جين عبر المقهى، تاركةً خلفها آثار أقدامها المبللة إلى بابٍ كُتب عليه «خاص». كانت تعلم أن توم يعيش في الجزء الخلفي من المقهى لكنها لم تتجاوز سابقًا هذا الباب الخاص.

قالت بينما كان توم يفتح الباب لها: «أوه. رائعة!».

توم: «نعم. أنت فتاة محظوظة حقًا».

نظرت حولها، ورأت أن شقته الصغيرة كانت بمثابة امتداد للمقهى، نفس ألواح الأرضية المصقولة والجدران البيضاء الخشنة، والرفوف المليئة بالكتب المستعملة. كان الفارق الوحيد وجود لوحٍ للتزلج وغيتار متكئين على الجدار، إضافةً إلى مجموعة من الأقراص المدمجة CDs وستيريو.

قالت جين: «لا أصدّق ما أرى».

سألها توم: «ماذا؟».

تنفّست بعمقٍ وهي تشير إلى لعبة ألغازٍ نصف مكتملة على الطاولة: «أنت تحب ألعاب تركيب الصور». نظرت إلى الصندوق. لقد كانت صورةً

تفصيلية (كما اعتاد أخاها أن يقول) للعبة ألغازٍ مؤلفة من ألفي قطعة تمثّل صورةً بالأبيض والأسود لباريس في زمن الحرب.

قالت جين: «نحن من محبي لعب الألغاز. أقصد عائلتي. إنهم مهووسون إن صحّ القول».

توم: «أحب أن يكون معي دائمًا واحدةً خلال السفر. أجد فيها نوعًا من التأمل».

جين: «بالضبط».

توم: «سأقول لكِ شيئًا سأعطيك بعض الثياب، ويمكنك تناول بعض حساء اليقطين معي ومساعدتي في لعبة تركيب الصور».

قام بسحب سروال رياضي وقميص ذو قبعة من خزانةٍ لها أدراج. ثم دخلت إلى الحمامّ وخلعت ثيابها المبللة وحتى الملابس الداخلية ورمتها في الحوض. كانت رائحة الملابس التي أعطاها إياها توم مثل رائحته ورائحة بلو بلوز.

قالت وهي ترفع خصر البيجاما الرياضيّة، بينما تتدلى أكمام القميص: «أشعر وكأنني تشارلي شابلن».

توم: «تعالي إلى هنا». ثم قام بطيّ أكمام القميص بأناقةٍ فوق معصميها. خضعت جين للأوامر كطفلةٍ. شعرت بسعادةٍ لا يمكن تفسيرها، شعرت بالدلال.

جلست على الطاولة وأحضر لها توم زبادي من حساء اليقطين مزيّنة بالقشدة الحامضة وخبز العجين المخمّر بالزبدة.

جين: «أشعر وكأنك تقصد إطعامي دائمًا».

توم: «أنتِ بحاجةٌ إلى إطعام. هيا كُلِي».

تناولت رشفةً كبيرةً من الحساء الحلو اللاذع.

قال توم فجأةً: «عرفت ما الذي تغيّر فيكِ. لقد قصصتِ شعركِ! يبدو رائعًا».

ضحكت جين. «كنت أفكر وأنا في طريقي إلى هنا بأن الرجل المثلي سيلاحظ على الفور أنني قصصت شعري».

التقطت قطعةً من لعبة الصور ووجدت مكانها. شعرت وكأنها في منزلها، تأكل وتساعد في تركيب لعبة الصور: «آسفة. أعرف أنها عبارة مبتذلة كريهة».

توم: «أمم».

جين: «ماذا؟»، نظرت إليه، «هذا هو مكانها الصحيح. انظر. إنها زاوية الخزان. هذا الحساء غير معقول. لماذا لا تدرجه في قائمة الطعام؟».

توم: «أنا لست مثليًّا».

جين بمرحٍ: «أوه، نعم أنت كذلك». افترضت أنه كان يلقي نكتةً سيئة.

توم: «لا. لا أنا لست كذلك».

- «ماذا؟».

- «على حدّ علمي أنني أقوم بتركيب ألعاب الصور وإعداد حساء اليقطين الرائع لكنني في الحقيقة مستقيم غير شاذ».

- جين: «أوه!»، استطاعت أن تشعر بوجهها يتحول إلى اللون القرمزي، «آسفة. ظننت ... لم أفكر، لقد علمت! كيف عرفت؟ أخبرني أحدهم. أخبرتني مادلين بذلك منذ فترةٍ ليست بقصيرة. لكنني لازلت أتذكر! لقد أخبرتني القصة كاملة عن انفصالك عن صديقك وكيف تأثرت بالموضوع كثيرًا وقضيت ساعاتٍ وساعات وأنت تبكي وتعاني و ...».

ابتسم توم قائلاً: «توم أوبراين. هو من كانت تتحدث عنه».

- «توم أوبراين، مصلّح السّيّارات والمركبات المحطمة؟». كان توم أوبراين رجلاً ضخمًا، قوي البنية بلحيةٍ كثيفةٍ سوداء مثل لحية نيد كيلي. حتى أنها لم تلحظ أبدًا حقيقة أنهما كانا يحملان نفس الاسم، لكنهما كانا مختلفين تمامًا.

توم: «الأمر مفهوم تمامًا. يبدو أنه من المحتمل أن يكون توم صانع القهوة مثليا أكثر من توم عامل الصيانة العملاق. بالمناسبة، إنه سعيدٌ الآن، ويعيش حالة حبٍ مع شخصٍ جديد».

قالت جين: «هاه». ثم فكّرت: «كانت تفوح من إيصالاته رائحة لطيفة جدًا».

تنحنح توم.

جين: «أتمنى ألاّ أكون قد أزعجتك».

لم تغلق باب الحمّام بالكامل عندما كانت ترتدي ملابسها. لقد تركته مواربًا، كما كانت ستفعل لو كان توم فتاة، كي يتمكنا من مواصلة الحديث.

لم تكن ترتدي أية ملابس داخلية. لقد تحدثت معه بحريةٍ. لطالما كانت تتصرّف بحريّةٍ معه. لو كانت تعرف أنه غير مثلي لتصرّفت بشكلٍ مختلف وتركت شيئًا من الخصوصية لنفسها. لقد تركت نفسها تشعر بالانجذاب إليه، لأنه كان شاذًا، لِذلك لم تكن تحسب أي حساب.

توم: «بالطبع لا».

التقت عيناهما. شعرت أن وجهه المحبوب واللطيف والذي ألِفته كثيرًا بعد كل هذه الأشهر قد بدا غريبًا فجأةً. احمرّت وجنتاه خجلاً. كلاهما شعرا بالخجل. انقبضت معدتها وكأنها في أعلى قطار ملاهي. أوه يا إلهي.

قال توم: «اعتقد أن تلك القطعة في الزاوية هناك». نظرت جين إلى لوحة الصور ووضعتها في مكانها.

كانت تأمل أن يبدو ارتعاش أصابعها وكأنه نوعٌ من عدم الإتقان ...

قالت: «أنت على حق!».

كارول: رأيت جين منهمكةً بحديثٍ حميم، إن صحّ القول، مع أحد الآباء في ليلة المسابقة. كان وجهاهما قريبين جدًا لدرجة الالتصاق، وأنا متأكدةٌ أنه كان يضع يده على ركبتها. بصراحة، لقد صُدمت قليلاً.

غابرييل: لم يكن والد أحد التلاميذ في المدرسة. لقد كان توم! النادل! وهو شخصٌ مثلي الجنس.

الفصل التاسع والستون

نصف ساعة قبل ليلة المسابقة

قال جوش: «تبدين رائعة يا أمي».

وقف عند باب غرفة النوم وهو يحدق في سيليست. كانت ترتدي فستانًا طويلاً أسود بلا أكمام، وقفازاتٍ بيضاء طويلةٍ وقلادة من اللؤلؤ كان قد اشتراها لها بيري من سويسرا. كما رفعت شعرها على شكل كعكةٍ مثل تسريحة أودري هيبورن، ووجدت في تلك اللحظة مشطًا ماسيًا عتيقًا وضعته. بدت جميلةً جدًا. ستُسَرُّ مادلين بها.

قالت سيليست: «شكرًا لك، جوشي»، وقد تأثّرت بما قاله أكثر من أي إطراءٍ قد سمعته في حياتها، «تعال وعانقني».

ركض نحوها، فجلست على طرف السرير وتركته يحضنها. لم يكن أبدًا دافئًا مثل ماكس، لِذلك عندما كانت ترغب بعناقه، كانت تحرص على أن تأخذ وقتها. ضغطت بشفتيها على شعره. لقد تناولت المزيد من المسكّنات، رغم أنّها لم تكن متأكدة إن كانت بحاجتها بالفعل، كانت تشعر بخفّة وحريّة وبالانفصال عمّا حولها.

قال جوش: «ماما».

- «نعم؟».

- «أريد أن أبوح لكِ بسرٍّ».

- «امم. ما هو؟». أغمضت عينيها وعانقته أكثر.

جوش: «لا أرغب بإخبارك».

قالت سيليست بهدوء: «ليس عليكَ أن تخبرني».

جوش: «لكن ذلك يجعلني أشعر بالحزن».

- «ما الذي يجعلك تشعر بالحزن؟». رفعت سيليست رأسها وهيّأت نفسها لتُركّز أكثر.

جوش: «حسنًا، لم يعد ماكس يؤذي أمابيلا مجددًا؟ ولكن البارحة، دفع سكاي عن الدرج بالقرب من المكتبة مرةً أُخرى، وقلت له أنه لا يجب عليه أن يفعل ذلك، وتعاركنا سويّةً بشدة، لأنني قلت إنني سأخبرك».

دفع ماكس سكاي.

سكاي. ابنة بوني وناثان الصغيرة التي تشبه المتشردين. دفع ماكس سكاي إلى أسفل الدرج مرةً أخرى. جعلتها فكرة أن ابنها يؤذي تلك الفتاة الضعيفة تشعر بالإعياء مباشرةً.

قالت: «لكن لماذا؟ ولماذا يفعل ذلك؟». بدأت مؤخرة رأسها تؤلمها.

هز جوش كتفيه: «لا أعرف. هو يفعل ذلك فقط».

قالت سيليست: «انتظر لحظةً»، كان هاتفها المحمول يرن في مكانٍ ما في الطابق السفلي. ضغطت بأطراف أصابعها على جبينها. شعرت بتشوّش ودوار في رأسها، «هل قلت إن ماكس لم يعد يؤذي أمابيلا مجددًا؟. ما الذي تتحدث عنه؟ ماذا تعني؟».

صاح بيري: «أنا سأجيب عليه!».

رد جوش بنفاذ صبر: «لا، لا، ماما. اسمعِي! لم يعد يقترب من أمابيلا بعد الآن. بل من سكاي. هو قاسٍ ولئيم مع سكاي عندما لا يشاهده أحدٌ سواي».

- «مامي!»، جاء ماكس راكضًا. كان وجهه سعيدًا، «أعتقد أن أحد أسناني متخلخل!». وضع إصبعه على فمه. بدا لطيفًا جدًا. جميلٌ جدًا

وبريء. مازال وجهه يحتفظ بالاستدارة الطفولية. كان توّاقًا ليفقد سنّه لأنه كان مهووسًا بفكرة جنية الأسنان.

عندما أصبح الأولاد في الثالثة طلب جوش لعبة جرّافة وطلب ماكس دمية طفل. كانت تستمتع هي وبيري عندما يشاهدانه يحتضن الدمية ويلاعبها ويغني لها أغاني الأطفال اللطيفة وراقت لها حقيقة أن بيري لم يمانع على الإطلاق في أن ابنهما كان يتصرف بطريقة غير ذكورية. لكن سرعان ما رمى الدمى واستبدلها بالسيوف المضيئة، لكنه ما يزال ابنها المحبب، وأكثر الولدين لطافة.

حاليًا هو يهاجم الفتيات الصغيرات الهادئات في الصف ويؤذيهن. لقد كان ابنها متنمرًا. كانت سوزي (الطبيبة النفسية) قد سألتها: «هل أثّرت الإساءة التي تتعرضين لها على طفليكِ؟» فأجابتها: «لم تؤثّر على حد علمي».

قالت: «أوه، ماكس!».

ماكس: «المسيه لتري! أنا لا أصطنع ذلك! إنه غير ثابت تمامًا!»، نظر إلى والده عندما دخل بيري الغرفة، «تبدو مضحكًا، يا بابا! هيه يا أبي، انظر إلى سنّي! انظر، انظر!».

بالكاد يمكن التعرّف على بيري في شعره المستعار الأسود اللامع، ونظارة أفياتور (ملاّح جوي) ذهبية اللون، وبالطبع بدلة إلفيس البيضاء ذات الأحجار الكريمة المتلألئة. كان يحمل هاتف سيليست المحمول بيده.

قال: «واو! إنها متخلخلة بالفعل هذه المرة؟ دعني أرى!» وضع الهاتف على السرير بجانب سيليست وجوش، وجثى على ركبتيه أمام ماكس، دافعًا نظارته فوق أنفه كي يتمكن من الرؤية.

قال وهو يحدق في سيلسيت: «احمل رسالةً لكِ». وضع إصبعه على شفة ماكس السفلى: «دعني أرى يا صديقي. إنها من ميندي».

- «ميندي؟»، قالت سيليست بحيرةٍ، «لا أعرف أحدًا يُدعى ميندي».

كانت تفكر بجين وزيغي. العريضة التي ينبغي أن يوضع اسم ماكس عليها. كانت بحاجة لإخبار المدرسة. هل ينبغي عليها الاتصال بالآنسة بارنز الآن؟ هل ينبغي عليها أن تتصل بجين؟

قال بيري: «مدير ممتلكاتك».

انقبضت معدة سيليست. تركت جوش يتملص من حضنها.

قال لأخيه: «أراهن أن سنّك ليست متخلخلة!».

قال بيري: «ربما متخلخلة قليلاً».

مسحَ على شعر ماكس ثم عدّل نظارته.

- «إنهم يقومون بتركيب أجهزة إنذارٍ جديدة للحرائق في شُقتك ويريدون أن يعرفوا إن كان بإمكانهم الدخول صباح الاثنين. كان ميندي يسأل إن كانت الساعة التاسعة صباحًا مناسبة لك». أمسك بكلا الولدين من خصريهما ورفعهما على وركيه، فتشبثا مثل قردين والبهجة باديةٌ على وجهيهما. أمال بيري رأسه نحو سيليست: «هل يناسبك ذلك حبيبتي؟».

رن جرس الباب.

الفصل السبعون

ليلة المسابقة

ستو: ما أن تدخل من الباب حتى تُقدّم لك إحدى الكوكتيلات الغازية وردية اللون التي يغلب عليها الطابع الأنثوي.

سامانثا: كانت الكوكتيلات غاية في الروعة. المشكلة الوحيدة هي أن معلمو الصف السادس ارتكبوا خطًا بتقدير الكميات، لِذلك كان كل كأس عن ثلاثة كؤوس. بالمناسبة هؤلاء هم الأشخاص الذين يعلموا أطفالنا الرياضيات.

غابرييل: كنت أتضور جوعًا لأنني كنت أدخر كل السعرات الحرارية لتلك الليلة. لقد شربت نصف الكوكتيل ... وهووي!

جاكي: أشارك دومًا بالعديد من الفعاليات التي تقيمها الشركات، حيث تُقدّم هناك الكثير من المشروبات الكحولية، لكن دعوني أخبركم شيئًا، لم أرَ أشخاصًا يسكرون بهذه السرعة كما حدث في حفلة المسابقات في المدرسة.

ثيا: تأخّر متعهد تقديم الطعام، لِذلك كان الجميع يتضورون جوعًا ويشربون هذه المشروبات الكحولية القوية جدًا. قلت لنفسي، هذه وصفةٌ لكارثة.

الآنسة بارنز: ليس أمرًا محمودًا أن يثمل المعلمون خلال الدوام المدرسي لذا اكتفي دومًا بكأسٍ واحدةٍ، لكن هذا الكوكتيل! فظيع لست متأكدةً بالضبط مما كنت أقوله للناس.

السيدة ليبمان: نقوم حاليًا بإعادة النظر بإجراءاتنا بشأن تقديم الكحول في الفعاليات المدرسية.

-«كوكتيل؟». سألتها إحدى الشقراوات التي ترتدي زي أودري هيبورن وتحمل صينيةً.

أخذت جين كاسًا من الشراب الوردي المقدّم وبدأت تجول بنظرها في قاعة الاجتماعات في المدرسة. من المؤكد أن جميع الشقراوات قد اجتمعن قبلاً للتأكد من أنهنّ جميعهن سيرتدين عقود لؤلؤٍ متشابهة، وفساتين سوداء بسيطة، ويرفعن شعرهن للأعلى. ربما قدّمت ابنة السيدة بوندر خصمًا جماعيًا.

سألت إحدى الشقراوات: «هل أنت جديدةٌ في المدرسة؟ لا أعتقد أنني رأيت وجهكِ من قبل».

ردّت جين: «أنا أمّ طفلٍ في الروضة، وأنا هنا منذ بداية العام. يا للروعة، هذا المشروب لذيذ».

- «نعم، لقد اخترعه معلمو الصف السادس. إنهم يسمونه «ليس في ليلةٍ دراسية» أو شيءٍ من هذا القبيل»، نظرت الشقراء نظرةً متفحّصة مجددًا، «أوه! عرفتك! لقد قصصتِ شعرك. أنتِ جين، أليس كذلك؟».

نعم. هذه أنا. والدة المتنمر. لكنه في الواقع ليس كذلك.

- «أتمنى لكِ ليلة رائعة!». ألقت بكلماتها تلك وكأنها تلقي بطاطا ساخنة. «هناك خطة للجلوس على هذا النحو». لوحت بيدها كيفما اتفق دون تحديد الاتجاه.

تجولت جين بين الحشد، ومرّت بمجموعاتٍ من نساءٍ بزيّ أودري يقهقهن ورجالٍ كإلفيس تملؤهم الحيوية، كان الجميع يتجرّعون بنهم كؤوس الكوكتيل الزهري. جالت ببصرها باحثةً عن توم، لأنها كانت تعلم

أنه سيستمتع بالانضمام إليها في تحليل ما هو موجود بالضبط في الكوكتيل والذي جعل منه شرابًا لذيذًا.

توم شخصٌ عادي وسَويْ. ظلت الفكرة تختفي ثم تلمع في رأسها فجأةً مثل عفريت الصندوق! هكذا فجأة: بووم! توم ليس مثليًا! بوووم. توم ليس مثليًا! بووم!

لقد كانت فكرةً مُفرحةً ورائعةً وفظيعة.

تقابلت وجهًا لوجه مع مادلين، طيفٌ باللون الزهري: فستانٌ زهري وحقيبةٌ زهريةٌ وشرابٌ زهريٌ في يدها.

- «جين!». كان فستان مادلين الحريري الزهري مرصعًا بأجحار الراين الخضراء ومزيّنًا بفيونكة ضخمة من الساتان الوردي ملفوفةً حول خصرها. كانت كل النساء تقريبًا في الغرفة ترتدي الأسود، لكن بالطبع كانت مادلين تعرف تمامًا كيف تبرز وسط الحشد.

قالت جين: «تبدين رائعةً. هل هذا تاج كلوي الذي ترتدينه؟».

لمست مادلين التاج بأحجاره البلاستيكية الوردية.

- «نعم، كان عليّ أن أدفع لها مقابله رسوم استئجار باهظة. لكنك أنتِ من تبدين رائعةً!»، أخذت ذراع جين ولفتها تحت ذراعها بحركةٍ بطيئة، «شعرك! لم تخبريني أبدًا أنك تنوين قصّه! إنّه رائع! هل لوسي بوندر من قصّته لكِ؟ والزي! إنه جذّاب للغاية!».

استدارت جين لتقف قبالتها ولمست بإصبعها شفة جين. «جين، أنت تضعين **أحمر شفاه**! أنا في غاية، في غاية ...»، ارتجف صوتها من المشاعر التي انتابتها، «أنا في غاية **السعادة** لرؤيتك تضعين **أحمر الشفاه**!».

سألتها جين: «كم من تلك المشروبات الوردية الرائعة قد تناولت؟». أخذت رشفةً كبيرة من كأسها.

مادلين: «هذا كأسي الثاني فقط. لدي أعراض رهيبة لما قبل الطمث. قد أقتل أحدهم قبل أن تنتهي هذه الليلة. لكن! كل شيءٍ بخير! كل شيءٍ

على ما يُرام! أغلقت أبيغيل موقعها على الإنترنت. أوه، انتظري، أنتِ لا تعرفي شيئًا عن الموقع، أليس كذلك؟ لقد حدث الكثير! الكثير من المصائب المفجعة! لكن لحظة! كيف كان يوم أمس؟ الموعد مع تلك المرأة، أتعرفين من أقصد؟».

سألتها جين: «ما الموقع الذي أغلقته أبيغيل؟»، أخذت سحبةً طويلةً من قشّتها وهي تراقب اختفاء السائل الزهري. كان السائل يتجه مباشرةً إلى رأسها. شعرت بسعادةٍ وفرحٍ غامرين، «لقد سار الموعد مع الطبيبة النفسية على ما يرام». أخفضت صوتها. «ليس زيغي من كان يتنمّر على أمابيلا».

مادلين: «بالطبع لم يكن هو».

جين: «أعتقد أنني انتهيت من هذا تمامًا!»».

مادلين: «هل تعتقدين أنهم وضعوا الكحول فيها؟ يبدو طعمها كمشروبٍ غازي ولذيذ من الطفولة. طعمها مثل نهارٍ صيفي، مثل القبلة الأولى، مثل ...».

قالت جين: «لدى زيغي صئبان».

قالت مادلين بحزنٍ: «وكذلك لدى كلوي وفريد».

- «أوه، ولدي الكثير لأخبرك به أيضًا. بالأمس، تصرف زوج هاربر معي وكأنه توني سبرانو (بطل مسلسل درامي وبوليسي أمريكي). قال إن اقتربتُ من هاربر مرةً أُخرى، سيستخدم كل ثقل القانون ضدي. يبدو أنه شريكٌ في شركةٍ قانونيةٍ».

مادلين: «مكتب غرايم؟ هو يعمل في نقل الملكيات العقارية. أوه بحق السماء».

- «طردهم توم من المقهى».

بدت مادلين مبتهجةً: «هل أنتِ جادّة؟؟».

- «بيدي العاريتين». واستدارت لترى توم يقف أمامها مرتديًا الجينز وقميصًا منقوشًا بأزرار. كان يحمل واحدًا من المشروبات الوردية الموزعة في كل أرجاء مكان.

- «توم». قالت جين بنشوةٍ كما لو كان جنديًا عائدًا من الحرب. اقتربت منه بخطوةٍ لا إرادية، ثم تراجعت بسرعةٍ عندما لامست ذراعها ذراعه.

قال توم: «كلاكما تبدوان جميلتين». لكن عينيه كانتا متسمّرتين على جين.

قالت مادلين باستنكار: «أنت لا تشبه إلفيس بأي شيء».

توم: «أنا لا أرتدي الأزياء. آسف». كان يرتدي عن قناعة قميصه المكوي بشكلٍ جيد. لكن لم يكن القميص مناسبًا له. كان يبدو أفضل بكثير بالقمصان السوداء التي يرتديها في المقهى. ملأتها فكرة أن يقف توم عاري الصدر في شقته الصغيرة يكوي قميصه البغيض بهدوءٍ بالحنان والشهوة.

خاطب توم جين: «هيه، هل يمكنك تذوق طعم النعناع في هذا الشراب؟».

جين: «هذا هو. إذًا هو مجرد شمبانيا وفراولة مهروسة ...».

توم: «وأنا الذي كنت أحسبه فودكا ...»، أخذ رشفةً أُخرى، «ربما فيها الكثير من الفودكا».

جين: «هل تعتقد ذلك؟». كانت عيناها على شفتيه. لطالما كانت تجد توم وسيمًا لكنها لم تحلل أسباب ذلك أبدًا. ربما كانت شفتيه. كان لديه شفاهًا أنثويةً جميلة. كان هذا يومًا حزينًا جدًا لجماعة المثليين.

- مادلين: «آها!».

توم: «ما الأمر؟».

- «عمتَ مساءً يا صديقي توم». مشى إد حتى أصبح بجوار مادلين ولفّ ذراعه حول خصرها. كان يرتدي زي إلفيس الأسود والذهبي بأكمامٍ فضفاضة وياقةٍ ضخمةٌ. كان من المستحيل أن تنظر إليه دون أن تضحك.

قال: «كيف لا يضطر توم لارتداء ملابس مثل المعتوهين؟»، ابتسم لجين، «توقفِي عن الضحك يا جين. بالمناسبة، تبدين رائعة. هل فعلتِ شيئًا مختلفًا لشعرك؟».

ابتسمت مادلين ببلاهةٍ لجين وتوم، وهي تدير رأسها يمنةً ويسرة وكأنها في مباراة تنس.

قالت مخاطبةً إد: «انظر حبيبي. هنا توم وجين».

إد: «نعم. أراهما. تحدثت إليهما للتو بالفعل».

- «واضحٌ جدًا أنهما ...»، قالت مادلين وكانت عيناها تلمعان، وإحدى يديها فوق قلبها، «لا أستطيع أن أصدق أبدًا أنني لم ...».

شعرت جين بالارتياح حين توقفت، وعيناها تحدّق وراءهم: «انظروا من هنا. ملك وملكة الليلة».

الفصل الواحد والسبعون

لم ينبس بيري ببنت شفة وهما يقطعان المسافة القصيرة نحو المدرسة. كانا لا يزالان مصممين على الذهاب. لم تصدق سيليست أنهما ذاهبين، لكن مرةً أُخرى، كانا ذاهبين. ولم يُلغيا الموعد أبدًا. أحيانًا كان عليها أن تغيّر ما خططت لارتدائه، وأحيانًا كان عليها أن تمتلك عذرًا جاهزًا، لكن العرض يجب أن يستمر.

كان بيري قد نشر منذ حين صورةً لهما على الفيس بوك بتلك الملابس. سيجعلهما ذلك يبدوان شخصين مرحين وسعيدين يعيشان حياةً هنيّةً خاليةً من الهموم ويهتمّان بالمدرسة ومجتمعهما المحلي. سيكمل هذه المنشور بقية منشوراته الباهرة حول رحلاته لما وراء البحار والفعاليات الثقافية المُكلفة. كأن حفلة المسابقات المدرسية هو ما كان ينقصه لاكتمال شهرته.

كانت تنظر للأمام، وتراقب عمل ماسحات الزجاج الأمامي وهي تعمل بخفّة. كان الزجاج الأمامي يشبه ذهنها الذي يعجّ بأفكارٍ لا تنتهي وكأنه يدور في حلقةٍ مفرغة من تشوش ثم وضوحٌ في الرؤية. تشوش. وضوح. تشوش. وضوح. راقبت يديه على عجلة القيادة. يدان قادرتان وقويّتان. يدان حنونتان. يدان آثمتان. لقد كان مجرّد رجلٍ يرتدي زي إلفيس ويصحبها إلى حدثٍ مدرسي.

كان رجلاً اكتشف للتو أن زوجته تخطط لتركه. رجلٌ مجروح. رجلٌ مخدوع. رجلٌ غاضبٌ. لكنّه بكل الأحوال مجرد رجلٍ.

تشوشٌ. وضوح. تشوشٌ. وضوح.

عندما وصلت غوين لرعاية الولدين، كان بيري قد استغلّ موهبته بالإقناع وكأنه شيئًا حيويًا يعتمد عليه. كانت متحفظّة مع بيري في البداية ولكن تبين لاحقًا أن إلفيس هو نقطة ضعفها. بدأت بقصةٍ حول كيف كانت واحدةً من «الفتيات الذهبيات» عندما قام إلفيس بجولةٍ في سيارته الكاديلاك في أستراليا، لكن بيري قاطعها بلطفٍ، مثل رجلٍ نبيلٍ يسرق امرأةً خلال الرقص.

خفّت شدة المطر لدى وصولهما إلى شارع المدرسة. كان الشارع مكتظًا بالسيارات، لكن ثمّة مكانٌ فارغ ينتظر بيري بالقرب من مدخل المدرسة، وكأنه حجزه مسبقًا. كان لديه دائمًا مكانًا لركن السيارة. وكانت تتحول شارات المرور للون الأخضر عند مروره. حتى الدولار يصعد أو ينخفض لأجله وكأنه طوع بنانه. ربما هذا سبب غضبه الشديد عندما لا تسير الأمور وفق هواه.

أطفأ السيارة.

لم يتحرك أيًا منهما أو يتحدث. رأت سيليست إحدى أمهات أطفال الروضة وهي تسرع متجاوزةً السيارة بفستانٍ طويل أجبرها على السير بخطواتٍ صغيرةٍ. كانت تحمل مظلة طفلٍ منقطةٍ. إنها غابرييل، فكّرت سيليست. إنها المرأة التي تتحدّث دون توقفٍ عن وزنها.

التفت سيليست إلى بيري.

- «ماكس كان يتنمر على أمابيلا. ابنة ريناتا الصغيرة».

ظل بيري ينظر إلى الأمام مباشرةً: «كيف عرفتِ؟».

سيليست: «أخبرني جوش. منذ قليل قبل أن نغادر. كان يُلقى اللوم على زيغي في ذلك».

زيغي. ابن ابن عمّك.

تابعت: «إنه الولد الذي يكتب الآباء عريضةً لتعليق دوامه في المدرسة»، أغلقت عينيها قليلاً وهي تتذكر كيف كان بيري يضرب رأسها بالحائط، «ينبغي أن تكون عريضةً ضد ماكس. وليس زيغي».

التفت بيري لينظر إليها. بدا غريبًا في شعره الأسود المستعار. جعل السواد عينيه تظهران زرقاوين لامعتين.

قال: «سنتحدث إلى معلّميه».

سيليست: «أنا سأتحدّث مع معلمته. لن تكون هنا، ألا تتذكر؟».

بيري: «صحيح. حسنًا سأتحدث مع ماكس غدًا، قبل أن أذهب إلى المطار».

سيليست: «ماذا ستقول له؟».

- «لا أعرف».

ثمّة ألمٌ كبيرٌ يرزح على صدرها كالصخرة. هل كانت تلك أعراض أزمةٍ قلبية؟ أم نوبة غضب؟ أم قلبٍ محطّمٍ؟ أم ثقل المسؤولية الملقاة على كاهلها؟

قالت: «هل ستخبره أنها ليست تلك هي الطريقة المناسبة التي عليه أن يعامل بها امرأة؟». كان الأمر أشبه بالقفز من على جرفٍ صخري. لم ينبس ببنت شفة. ليس هكذا. لقد انتهكت قاعدةً غير قابلةٍ للخرق. هل كان ذلك لأنه بدا مثل إلفيس بريسلي ولم يكن شيئًا مما حولها يبدو حقيقيًا، أم لأنه عرف بأمر الشقّة وأصبح كل شيءٍ أكثر واقعيةً من أي وقتٍ مضى؟

تغيّر وجه بيري، بدا مصعوقًا مما سمع. «لم يسمع الولدين أبدًا ما ...».

صرخت سيليست: «بلى. لقد سمعا»، لقد حاولت جاهدةً تلافي ذلك ولفترةٍ طويلةٍ، «في الليلة التي سبقت حفلتهما العام الفائت، نهض ماكس من السرير، وكان يقف على مدخل الباب ...».

بيري: «نعم، حسنًا».

- «وكان هناك حينها، في المطبخ، عندما كنت أنتَ، وكنتُ أنا ...».

مد يده. «حسنًا، حسنًا».

توقفت.

بعد دقيقةٍ قال: «إذًا استأجرتِ شقةً؟».

سيليست: «نعم».

– «متى ستغادرين؟».

قالت: «الأسبوع القادم. أعتقد في الأسبوع القادم».

– «مع الولدين؟؟».

إنه الوقت الذي يجب أن تشعر فيه بالخوف. هكذا اعتقدت. لم تكن تلك الطريقة الأمثل التي قالت سوزي أنّ عليها اتباعها. السيناريوهات. الخطط. طرق الهروب. لم تكن تخطو بحذرٍ، لكنها حاولت المشّي بحذرٍ لسنواتٍ وهي تعلم أن ذلك لم يُحدث أبدًا أي تغيير بكل الأحوال.

– «بالطبع مع الولدين».

أخذ نفسًا حادًا كما لو أنه شعر بألمٍ مفاجئ. ألقى وجهه بين يديه وانحنى نحو الأمام، حتى انضغطت جبهته على عجلة القيادة، وبدأ كامل جسده بالتشنّج والاختلاج.

حدقت به سيليست ولم تتمكن للحظةٍ من معرفة ما كان يفعله. هل شعر بالإعياء؟ هل كان يضحك؟ انقبضت معدتها فوضعت يدها على باب السيارة، لكنه رفع رأسه والتفت نحوها. كان وجهه مبللاً بالدموع وشعر إلفيس المستعار قد انحرف. بدا مختلاً.

قال: «سأحصل على المساعدة. أعدك أنني سأتلقى المساعدة».

قالت بهدوءٍ: «لن تفعل». كان المطر ناعمًا. استطاعت أن ترى بعض الأشخاص الذين يرتدون زي إلفيس وأودري يحثّون الخطى في الشارع ويحتشدون تحت المظلات. كانت تسمع أصوات صراخهم وضحكاتهم.

- «بل سأفعل»، لمعت عيناه، «تلقيت العام الفائت إحالةً من الدكتور هانتر لرؤية طبيبٍ نفسي». كان هناك نبرة انتصارٍ في صوته لأنه استطاع أن يتذكر ذلك.

- «هل أخبرت الدكتور هانتر ... عنا؟». كان طبيب العائلة هو جدٌّ لطيفٌ وودود.

بيري: «أخبرته أنني أعاني من القلق».

رأى تعبيرًا من عدم الرضا على وجهها.

قال مدافعًا: «حسنًا، الدكتور هانتر يعرفنا! لكنني كنت سأرى طبيبًا نفسيًا. وكنت أنوي إخباره. لكن لم يحصل ما كنت أخطط له، وبعد ذلك، بقيت أفكر بأنني أستطيع إصلاح الأمر بنفسي».

لم تستطع التفكير بدناءة بخصوص هذا الأمر. كانت تعرف الطريقة التي يدور فيها التفكير وكأنه في حلقةٍ مفرغة دون أدنى هدف.

- «أعتقد أن الإحالة أصبحت قديمة الآن. لكن سأحصل على واحدةٍ أُخرى. أنا أتصرّف على هذا النحو، عندما أغضب ... لا أعرف ما يحدث لي. أصبح كالمجنون. ولا أستطيع إيقاف ذلك ... ولم أتخذ قرارًا أبدًا أن ... أن يحدث ما يحدث، وفي كل مرةٍ لا أستطيع تصديق ما أفعله، وأعتقد، أنني لن أترك ذلك يحدث مرةً أُخرى أبدًا، ثم بالأمس. سيليست، أشعر بالقرف والإحباط تجاه ما حصل البارحة».

كانت نوافذ السيارة قد غدت ضبابيةً. مررت سيليست راحة كفّها على النافذة الجانبية لترى ما في الخارج بوضوح. كان بيري يتحدث وكأنه يظن بالفعل أنها المرة الأولى التي يقول فيها ذلك، وكأنها كانت معلوماتٍ جديدةٍ تمامًا.

- «لا يمكننا تربية الولدين على هذا النحو».

نظرت إلى الشارع المظلم والماطر الذي كان يضجّ عادةً بالأطفال ذوي القبعات الزرقاء وهم يصرخون ويضحكون كل صباحٍ مدرسي.

لقد أدركت نتيجة صدمةٍ صغيرة أنه لولا كشف جوش الليلة عن سلوك ماكس لما كانت ستغادر على الأرجح. كانت قد أقنعت نفسها بأنها كانت دراميةً أو مبالغة للغاية، وأن الأمس لم يكن بهذا السوء، وأن أي رجلٍ سيغضب إذا تعرّض للإهانة بالطريقة التي أهانت بها بيري أمام مادلين واد.

لطالما كان الولدين سببًا لبقائها، لكنهما الآن ولأول مرةٍ السبب وراء مغادرتها. لقد سمحت للعنف أن يكون جزءً طبيعيًا من حياتهم. على مدار السنوات الخمس الماضية، طورت سيليست هي نفسها نوعًا من الصلادة وقبول العنف لدرجة سمحت بها لنفسها بالردّ بل وأحيانًا هي من كان يبدأ الضرب. كانت تخرمش. وتركل. وتصفع. كما لو كان ذلك أمرًا طبيعيًا. كانت تكره هذا الأسلوب لكنها كانت تمارسه. إن بقيت، سيكون ذلك هو الإرث الذي تورثه لولديها.

أشاحت ببصرها عن النافذة لتخاطب بيري. قالت: «لقد انتهى الأمر. يجب أن تعلم أن الأمر قد انتهى».

لوى فمه. رأته يستعد للقتال، لوضع استراتيجيةٍ ما، ليحقق الفوز. لم يخسر قط.

قال: «سألغي الرحلة القادمة. سأعهد بالعمل لشخصٍ غيري. لن أمارس أي عملٍ خلال الأشهر الستة المقبلة سوى العمل على وضعنا، ليس على وضعنا، بل على وضعي. بحق المسيح يا سيليست!».

عاد بسرعةٍ إلى الوراء، وعيناه على شيءٍ وراء كتف سيليست. التفتت بسرعةٍ. كان هناك وجهٌ مضغوطٌ مثل تمثالٍ غريب على النافذة.

ضغط بيري على أحد الأزرار، فانزلق زجاج نافذة سيليست وانفتح. لقد كانت ريناتا. كانت تبتسم بإشراق، وتنحني إلى السيارة، وإحدى يديها ملفوفةً بالشاش ومعلّقة بأحد كتفيها. وكان زوجها يقف بجانبها ويحميها من المطر بمظلةٍ سوداء كبيرة.

– «آسفة! لم أقصد إخافتكما! هل تريدان مشاركتنا مظلتنا؟ أنتما الاثنان تبدوان رائعين!».

الفصل الثاني والسبعون

يبدو مثل مشهد وصول نجومٍ سينمائيين، فكّرت مادلين. كان ثمّة شيءٌ حول الطريقة التي يمسك بها بيِري وسيليست ببعضهما البعض وكأنهما كانا يسيران على خشبة المسرح، كانت الوضعية التي يتخذانها رائعة، وكأن وجهيهما جاهزان لعدسات الكاميرات. كانا يرتديان ثيابًا تشبه ثياب الكثير من الضيوف لكن في الوقت نفسه بدا وكأنهما لم يكونا متنكرين؛ وكأنّ إلفيس وأودري الحقيقيين قد وصلا. كانت كل امرأةٍ ترتدي فستانًا أسود يشبه ما ارتدته البطلة في فيلم Breakfast at Tiffany تضع يدها على عقد اللؤلؤ بخس الثمن الذي تتزيّن به. وكان كل رجلٍ يرتدي بدلة إلفيس البيضاء يسحب بطنه إلى الداخل. كانت كميات المشروبات الغازية الوردية الفاخرة تنخفض أكثر وأكثر وأكثر.

- «واو. تبدو سيليست جميلةً جدًا».

استدارت مادلين لترى بوني تقف بجوارها.

يبدو أن بوني لم تكن ترتدي الزي مثل توم. كان شعرها في ضفيرةٍ واحدةٍ منسدلة على أحد كتفيها، ودون تبرّج. بدت مثل متشرّدةٍ في ليلةٍ خاصةٍ في الخارج: قميص بأكمامٍ طويلة من قماشٍ رقيقٍ باهت يكشف عن أحد الكتفين (كانت كل ثيابها تتدلى عن أحد الكتفين بتلك الطريقة المزعجة؛ وكانت مادلين تتوق للإمساك بها وشدّ ما ترتديه للأعلى)، وتنورةٍ طويلةٍ لا شكل لها، وحزامٍ جلدي قديم حول خصرها، والعديد من المجوهرات غريبة

الشكل من جماجم وعظام تتزيّن بها فقط الغجرية المجنونة، إذا ما استطعت أن تسمّيها مجوهرات.

لو كانت أبيغيل هنا، ستحدّق بوالدتها وزوجة أبيها، وستجد أن زي بوني هو الذي يستحق الإعجاب، وبالتأكيد ستكون هي من ستختار تقليدها. لا بأس بذلك لأنه ما من مراهقةٍ تريد أن تبدو مثل أمّها، ومادلين تعرف ذلك، لكن لماذا لا تُعجب أبيغيل بأحد المشاهير المدمنين على المخدرات أيًا كان؟ لماذا يجب أن يكون ذلك من نصيب بوني اللعينة؟

قالت: «كيف حالك يا بوني؟».

كانت تراقب توم وجين وهما يتماهيان بين الحشد، كان أحدهم يطلب من توم قهوة الصويا بالحليب بمرحٍ صاخب (يا لتوم المسكين)؟ لكن لم يظهر على توم الانزعاج، ظلت عيناه تعودان للتحديق بجين، وكذلك كان حال جين. جعلت رؤية انجذابهما الواضح لبعضهما البعض مادلين تشعر وكأنها تشهد حدثًا قد يكون يومي لكنه جميل، مثل تفقيس كتكوتٍ صغير. لكنها تتبادل الآن أطراف الحديث مع زوجة زوجها السابق، ورغم أن الكحول قد فعل فعله بها وجعلها تشعر بالخدر الجميل، لكنها استطاعت أن تشعر بذلك الصدى الداخلي لأعراض ما قبل الطمث.

خاطبت بوني: «من يهتم بسكاي؟ أوه. أنا آسفة!»، ضربت على جبهتها، «كان ينبغي أن نعرض عليكِ إحضار سكاي إلى منزلنا! لأن أبيغيل تهتم اليوم بكلوي وفريد من أجلنا. بإمكانها الاعتناء بجميع إخوتها في آنٍ واحد».

ابتسمت بوني بحذرٍ: «سكاي مع أمي».

- «بإمكان أبيغيل أن تعطيهم جميعًا درسًا تعليميًا حول تصميم موقع ويب». قالت مادلين بنفس اللحظة.

اختفت ابتسامة بوني: «مادلين، اسمعي، بالنسبة لِذلك ...».

تابعت مادلين. «أوه، سكاي مع والدتكِ! رائع! لدى أبيغيل «ارتباطٌ خاصٌ» بوالدتك، أليس كذلك؟».

كانت تبدو كالعاهرة. كانت شخصًا مرعبًا وفظيعًا. كانت تبحث عن أحدٍ يدعها تقول كل الأشياء الحقيرة والوقحة دون إطلاق الأحكام عليها بسبب ما تقوله وتمريرها. أين هي سيليست؟ كانت سيليست رائعة لتلك المهمة. شاهدت بوني وهي تفرغ كل ما في كأسها في فمها. مرت شقراء تحمل صينيةً من المشروبات الوردية. تناولت مادلين مشروبين إضافيين لها ولبوني.

قالت مخاطبةً الشقراء ذات الشعر القصير: «متى نبدأ مسابقة الليلة؟ لقد شربنا كثيرًا لدرجة أننا لا نستطيع التركيز».

بدت الشقراء متضايقةً كما هو متوقع: «أعرف! نحن لا نلتزم حاليًا بالجدول الزمني. كان من المفترض أن نكون قد انتهينا من المقبلات الآن، لكن متعهد الطعام عالقٌ في ازدحامٍ مروريٍ خانق على طريق بيريوي»، رفعت خصلةً من شعرها الأشقر عن عينيها، وتابعت: «وبريت لارسون هو مدير الحفلة وهو عالقٌ في نفس الازدحام المروري أيضًا».

قالت مادلين بلامبالاة: «سيتولّى إد إدارة الحفلة. إنه مقدّم برامج رائع». بحثت عن إد وشاهدته يقترب من زوج ريناتا، صافحا بعضهما وكلٌ يربت على ظهر للآخر. **اختيارٌ رائع يا عزيزي. هل تعلم أن زوجتك اصطدمت بسيارة زوجته بعد ظهر أمس فنتج عن ذلك مباراة بالصراخ على الملأ؟** ربما اعتقد إد أنه يتحدث إلى غاريث لاعب الغولف، وليس إلى جيف مراقب الطيور، وكان يسأل جيف عمّا إذا كان قد التحق بدورةٍ تدريبية مؤخرًا.

قالت الفتاة الشقراء: «شكرًا لكن لدى بريت جميع أسئلة المسابقة بكل الأحوال. لقد كان يعمل عليها منذ شهورٍ، وخطط لهذا العرض متعدد الوسائط بالكامل»، وانطلقت بين الحشد، «اصبروا علينا قليلاً!».

قالت بوني: «هذه الكوكتيلات تذهب إلى رأسي مباشرةً».

كانت مادلين نصف مصغية بسبب انشغالها بمراقبة ريناتا وهي تومِئ بهدوءٍ لإد وتلتفت بسرعةٍ للحديث مع شخصٍ آخر. تذكرت فجأةً «الإشاعات المثيرة» التي سمعتها البارحة عن زوج ريناتا وعلاقته الغرامية

مع المربية الفرنسية. لقد غادرت تلك الأخبار رأسها مباشرةً حالما عرفت بالموقع الذي أنشأته أبيغيل على الإنترنت. شعرت بالأسف كونها ردّت في وجه ريناتا صارخة عندما قامت الأخيرة بالصراخ عليها لأنها صدمت سيارتها.

تمايلت بوني قليلاً: «لا أشرب كثيرًا هذه الأيام لِذلك أعتقد أن قدرتي على التحمل منخفضة جدًا ...».

قاطعتها مادلين: «عفوًا، بوني. عليّ الذهاب لإحضار زوجي يبدو أنه في حديثٍ حيويٍ للغاية مع عاهرٍ. لا أريده أن يلتقط أية أفكارٍ منه».

أمالت بوني رأسها لترى مع من كان يتحدث إد.

مادلين: «لا تقلقِي. ليس زوجك هو العاهر! لطالما كان ناثان يكتفي بزوجة واحدة حتى يهجرك الآن من أجل طفلةٍ صغيرة. أوه، لكن انتظرِي، هو لن يهجرك من أجل طفلةٍ صغيرة. أنا التي هجرها فقط!».

يا لهذه الكياسة المقيتة. لقد كان مبالغًا بها. ستندم مادلين غدًا على كل كلمةٍ تفوّهت بها الليلة لكنها الآن مبتهجةً بإزالة كل تلك العوائق المزعجة. كم هو رائع أن تترك تلك الكلمات تنساب من فمها.

مادلين: «أين زوجي السابق الظريف بكل الأحوال؟ لم أره الليلة بعد. لا أستطيع أن أخبرك كم رائعٌ أن آتي إلى مسابقة المدرسة هذه الليلة وأعرف أنني سأقابل ناثان».

عبثت بوني بطرف ضفيرتها ونظرت إلى مادلين بقليلٍ من الاضطراب. قالت: «ناثان ترككِ منذ خمسة عشر عامًا». كان ثمّة شيءٌ في صوتها لم تسمعه مادلين من قبل. فظاظة غير معهودة، وكأن ما تفوّهت به مادلين منذ برهة قد فعل فعله في نفس بوني. كم هو ممتعٌ! نعم، هيا رجاءً أرني جانبًا آخر من نفسك، يا بوني!

قالت بوني: «لقد فعل شيئًا فظيعًا للغاية، ولن يغفر لنفسه أبدًا. لكن قد يكون حان الوقت للتفكير في مسامحته يا مادلين. فالفوائد الصحيّة للتسامح غير عادية».

أدارت مادلين عينيها للداخل. أو ربما فعلت نفس الشيء للخارج أيضًا. لقد اعتقدت لدقيقةٍ أنها على وشك أن ترى الوجه الحقيقي لبوني لكن الأخيرة كانت تتحدث عن أشياء سخيفة عادية لا تدلّ على شيء.

نظرت إليها بوني بجديّة: «لقد كان لديّ تجربةٌ شخصيةً و ...».

وفجأةً عَلَتْ صيحات ابتهاج من مجموعةٍ نسوةٍ وراء بوني. كانت أحداهن تصرخ بانفعالٍ: «أنا سعيدةٌ جدًا لأجلك!». تراجعت امرأة خطوةً للوراء، فاصطدمت ببوني التي ترنّحت نحو الأمام، وانسكب الكأس الذي تحمله على فستان مادلين الوردي.

غابرييل: لقد كان حادثًا عرضيًا. كانت دافينا تعانق روينا، التي أعلنت للتو عن أمرٍ ما. أعتقد أنها وصلت إلى وزنها المطلوب.

جاكي: أعلنت روينا أنها اشترت خلاّط تيرمونكس. أو فيتاميكس. لا أدري. نسيتُ نتيجة مشاغل الحياة. لِذلك بالطبع عانقتها دافينا. **لأنها اشترت جهازًا جديدًا للمطبخ**. أنا لا أختلق هذه الأشياء.

ميليسا: لا، لا، كنا نتحدث عن أحدث تفشٍ للصئبان، وسألت روينا دافينا عمّا إذا كانت قد فتّشت شعرها، ثم تظاهر زوج إحداهن بأنه استطاع أن يرى شيئًا يمشي في شعر دافينا. جُنّ جنون المسكينة واصطدمت ببوني.

هاربر: ماذا؟ لا! قامت بوني برمي شرابها على مادلين. رأيت ذلك بأمّ عيني!

الفصل الثالث والسبعون

كانت ليلة المسابقات قد بدأت منذ أكثر من ساعةٍ دون طعامٍ أو غيره. كانت تشعر جين بحركةٍ موجيّةٍ لطيفةٍ في رأسها وكأنها على متن سفينةٍ. أصبحت القاعة أكثر دفئًا. كان الجو باردًا في وقتٍ سابق وأجهزة التدفئة تعمل بأعلى طاقتها. وبدأت الوجوه تتحول إلى ورديةٍ. وعاد المطر يهطل بقوّةٍ مجددًا على السطح، لِذلك كان على الحضور رفع أصواتهم كي تعلو على صوت هدير المطر. وامتلأت الغرفة بالضحك. سرتْ شائعةٌ بأن شخصًا ما طلب بيتزا. وبدأت النساء بسحب الوجبات الخفيفة من حقائبهن والتي أحضرنها تحسّبًا لأي طارئٍ.

شاهدت جين رجلاً ضخمًا بملابس إلفيس يعرض تقديم خمس مائة دولار للمدرسة مقابل رقائق الشيبس بالملح والخل التي كانت بحوزة سامانثا.

ردّت سامانثا: «بكلّ تأكيد»، لكن زوجها ستو خطف الرقائق من يدها قبل أن يتم إبرام الصفقة، «آسف يا صديقي، لكنني بحاجةٍ لها أكثر من حاجة الأطفال إلى الألواح الذكية».

خاطب إد مادلين: «لِمَ تحضري معك بعض المأكولات الخفيفة في حقيبتك؟ أي نوعٍ من النساء أنت؟».

– «هذه حقيبة يد!»، لوحت مادلين بحقيبتها المطرزة الصغيرة، «توقفِي عن ذلك، بوني. أنا بخير!». صرخت ببوني التي كانت تلاحقها وهي تحاول مسح فستانها بلطف بحفنةٍ من المحارم الورقية.

كانت تتجادل امرأتان ترتديان ملابس أودري مع رجلٍ بملابس إلفيس بصوتٍ عالٍ وانفعالٍ حول الاختبار القياسي.

- «ما من دليلٍ يوحي أن ...».

- «إنهم يقدّمون دروسًا من أجل الاختبار! أعلم حقيقة أنهم يقدمون دروسًا من أجل الاختبار!».

بدأت الشقراوات ذوات الشعر القصير بالركض هنا وهناك وهواتفهن النقالة مضغوطةً على أذانهن: «سيصل متعهد الطعام بعد خمس دقائق!». وبّخت إحداهن ستو عندما رأته يأكل من رقائق البطاطا بالملح وبالخل.

بادر ستو للاعتذار: «آسف»، أمسك بالعبوة، «هل تريدين واحدة؟».

- «أوه، حسنًا». أخذت قطعةً وأسرعت راكضةً.

هزّ ستو رأسه بحزنٍ: «إن الأمور غير منظمة وتفتقر إلى الكفاءة إلى حدّ كبير جدًا».

-«صه». همست سامانثا.

- «هل المسابقات المدرسية دائمًا بهذا ...». يبدو أن توم لم يجد الكلمة المناسبة لوصفها.

- جين: «لا أعرف».

ابتسم توم لها. فابتسمت له بدورها. بدا أنهما يبتسمان لبعضهما البعض كثيرًا هذه الليلة، كما لو كانا يتبادلان خفيةً ذات النكتة.

رجائي إليكَ يا إلهي، لا تجعلني أتخيل هذا.

- «توم! أين فنجاني قهوتي بالحليب الخالي من الدسم! ها ها!». وسعّ توم عينيه قليلاً وهو يحدق بجين ويستغرق في حديثٍ آخر.

- «جين! كنت أبحث عنكِ! كيف حالك؟». ظهرت الآنسة بارنز، تبدو أطول من المعتاد بالكعب العالي. كانت ترتدي قبعةً ضخمةً، ووشاحًا ورديًا ومظلةً. لم تبدو أبدًا مثل أودري هيبورن كما لاحظت جين. كانت تنطق كلماتها ببطءٍ وحذرٍ شديدين كي تتأكد من أن لا أحد يعرف أنها كانت ثملة.

قالت: «كيف تُبلين هذه الأيام؟». وكأنّ جين كانت مكلومة مؤخرًا، وللحظةٍ جاهدت جين لاستحضار محنتها الأخيرة.

أوه، العريضة، بالطبع. كانت المدرسة بأكملها تعتقد أن طفلها هو المتنمر. على كل حال. لا يهم. (توم ليس مثليًا!)

الآنسة بارنز: «سنتقابل قبل المدرسة صباح الاثنين، أهو مناسب؟ أعتقد أنه سيكون حول ...(مسألة)».

وضعت كلمة (مسألة) بين هلالين في الهواء.

جين: «نعم. هناك شيءٌ أريد أن أخبرك به. لا أريد الحديث عنه الآن». ظلّت تنظر إلى سيليست من بعيد مع زوجها لكنها لم تكن مضطرةً لإلقاء التحية عليهما بعد.

قالت الآنسة بارنز باستياء، مشيرةً إلى ملابسها: «بالمناسبة، إنني أرتدي مثل أودري هيبورن في فيلم My Fair Lady. لقد أنتجت أفلامًا أُخرى إلى جانب فيلم Breakfast at Tiffany، كما تعلمين».

جين: «عرفت بالضبط من تكونين».

الآنسة بارنز: «على كل حال، لقد خرج هذا الشيء المتنمر عن السيطرة»، توقفت عن الكلام تاركةً كلماتها تتدفق باندفاعٍ متعثر وغير متقن، «أتلقى كل يوم رسائل بالبريد الإلكتروني من آباء قلقين بشأن التنمر. أعتقد أن هناك قائمةً. والمَطلب واحدٌ للجميع: (نحن بحاجةٍ للتأكد من أنّ أطفالنا في بيئةٍ آمنةٍ)، ثم يصدر عن بعضهم هذا التصريح السلبي والعدائي: (أعلم أنك تعانين من نقص الموارد، آنسة بارنز، فهل تحتاجين إلى المزيد من الآباء المساعدين؟ أنا مستعدةٌ للمجيء الساعة الواحدة ظهرًا كل أربعاء». وعندما لا أجيب على الفور: (آنسة بارنز، لم أتلقَ ردًا منك على عرضي هذا)، وبالطّبع يقومون بإرسال نسخ ملعونة إلى السيّدة ليبمان حول كلّ شيء».

مصّت الآنسة بارنز بالقشة من كأسها الفارغة: «آسفة على الشتائم. ينبغي على المعلمين في رياض الأطفال ألا يطلقوا الشتائم. لا أتلفّظ بكلماتٍ بذيئةٍ أمام الأطفال أبدًا. فقط في حال كنتِ تفكرين بتقديم شكوى رسمية».

قالت جين: «أنتِ خارج أوقات الدوام. تستطيعين أن تقولي ما تشائين». تراجعت خطوةً للوراء لأن قبعة الآنسة بارنز استمرت بضرب رأس جين وهي تتحدث. أين كان توم؟ كان هناك، محاطًا بمجموعةٍ من النسوة العاشقات.

- «خارج أوقات الدوام؟ لم أكن أبدًا خارج العمل. في العام الماضي، ذهبت أنا وصديقي السابق إلى هاواي ودخلنا البهو، وسمعت صوتًا ناعمًا ولطيفًا يقول: (آنسة بارنز! آنسة بارنز!) فغاص قلبي كحجرٍ إلى القاع. كان الطفل الذي سبب لي أكبر قدرٍ من الكآبة على مدار الفصل الدراسي الماضي وكان يقيم في نفس الفندق! وكان عليّ أن أتظاهر بأنني سعيدةٌ لرؤيته! وأن ألعب معه في حمام السباحة اللعين! بينما استلقى والداه على مقعدي الحمام الشمسي يبتسمان بلطفٍ وكأنهما أسديا لي معروفًا كبيرًا! لقد انفصلت أنا وصديقي عن بعضنا في تلك العطلة وأنا ألقي باللوم على ذلك الولد. لا تخبِري أحدًا بما قلته لكِ. هذين الأبوين هنا الليلة. أوه، يا إلهي، عديني أنكِ لن تقولي لأحد ما قلته لكِ».

جين: «أعدك. طوال حياتي».

- «على أي حال، ماذا كنت أقول؟ أوه، نعم الإيميلات. لكن هذا ليس كل شيء. فقد استمرا بالتصعيد هذين!»، ضربت الآنسة بارنز الأرض بمظلتها وتابعت: «الوالدين! وكلما سنحت الفرصة لهما لفعل ذلك! أخذت ريناتا إجازةً من العمل كي تتمكن من إجراء فحوصاتٍ عشوائية لأمابيلا. رغم أننا حصلنا على مساعدة من إحدى المعلمات التي لا تفعل شيئًا سوى مراقبة أمابيلا. أعني، وكي أكون عادلة، لم ألاحظ أبدًا حدوث شيء، وأشعر بالسوء حيال ذلك. لكن الأمر لا يتعلق بريناتا لوحدها! أكون أحيانًا منخرطةً بنشاطٍ معين مع الأولاد وفجأة أنظر للأعلى لأرى أحد أولياء الأمور يقف بالباب، يراقبني فقط. إنه مخيف. أشعر وكأنني مُطاردةٌ».

جين: «يبدو أن هذه تضايقني. عفوًا ... لاحظي فقط. ها أنتِ ذا»، دفعت قبعة الآنسة بارنز بلطفٍ عن وجهها، «هل تريدين كأسًا آخر؟ يبدو أنك قادرةٌ على تناول كأسٍ آخر».

الآنسة بارنز: «بينما كنت في صيدلية بيريوي في عطلة نهاية الأسبوع، لأنني كنت مصابة بعدوى رهيبة في المسالك البولية ... شاهدت شخصًا جديدًا، على أي حال، آسفة على المعلومات الكثيرة ... وأنا أقف منتظرةً على طاولة العدّاد، ويا للمفاجئة كانت تقف ثيا كنينغهام بجانبي، وبصراحةٍ،

لم أسمعها تقول حتى مرحبا، قبل أن تبدأ الخوض بقصةٍ عن مدى انزعاج فيوليت بعد المدرسة في ذلك اليوم لأن كلوي أخبرتها أن دبابيس شعرها غير متطابقةٍ. حسنًا، هي بالفعل غير متطابقةٍ. أعني بحق السماء، ذلك ليس تنمّرًا! فالأطفال هم أطفال! لكن يا للهول، كانت فيوليت مجروحةً جدًا من ذلك، وهل بإمكاني التحدث إلى كامل الصف كي يكونوا لطفاء مع بعضهم البعض ... لكن للأسف، رأيت بعدها السيدة ليبمان تحدق بي بنظراتٍ قاتلةٍ. المعذرة. أعتقد أنه ينبغي عليّ أن أذهب وأرش بعض الماء البارد على وجهي».

استدارت الآنسة بارنز بسرعةٍ كبيرةٍ لدرجة أن وشاحها الوردي صفع وجنتي جين.

التفتت جين لتواجه توم مرةً أُخرى.

قال: «هاتي يدكِ بسرعةٍ».

مدّت يدها، فأعطاها بعض المعجنات.

توم: «ذلك الرجل الضخم ذو المنظر المخيف بملابس إلفيس وجد كيسًا منها في المطبخ». مدّ يده بجانب وجهها وأزال شيئًا زهريًا من شعرها.

قال: «إنها ريشة».

جين: «شكرًا». وتناولت قطعةً من المعجنات.

- «جين». شعرت بيدٍ باردةٍ على ذراعها. لقد كانت سيليست.

قالت جين بسعادةٍ: «مرحبًا بكِ». بدت سيليست جميلةً جدًا الليلة؛ كان من الممتع مجرد إلقاء نظرةٍ عليها.

لماذا كانت جين غريبة الأطوار تجاه الأشخاص الوسيمين؟ لا يمكن مقاومة جمالهم، ومن الممتع النظر إليهم، وكان توم قد أحضر لها لتوّه المعجنات واحمر خجلاً قليلاً عندما أزال الريشة عن شعرها ولم يكن مثليًا وكانت تلك الكوكتيلات الفوارة الوردية رائعةً وقد أحبّت المسابقات في المدرسة، لقد كانت مسلية وممتعةً للغاية.

سيليست: «هل بإمكاني التحدث إليكِ لدقيقةٍ؟».

الفصل الرابع والسبعون

وجّهت سيليست كلامها لجين: «هل نخرج إلى الشرفة؟ لنأخذ بعض الهواء النقي؟».

جين: «بالتأكيد».

تبدو جين الليلة أصغر سنًا ومبتهجة مثل مُراهقةٍ، فكّرت سيليست. بدا الجو في القاعة خانقًا والحرارة مرتفعة. تدحرجت بعض حبات العرق على ظهر سيليست. كانت إحدى فردتي حذائها تحتك بشدة بالجلد فوق منطقة الكعب، تاركةً ندبةٍ صغيرةٍ مؤلمةً تنزف، شعرت وكأنها تقرحات السرير. يبدو أن هذه الليلة لن تنتهي أبدًا. ستبقى موجودة إلى الأبد تلوكها الألسن الخبيثة.

- «لِذلك قلت، هذا غير مقبول ...».
- «إنهم غير أكفاء تمامًا، عليهم واجب الرعاية ...».
- «أطفالٌ فاسدون، لا يأكلون سوى الوجبات السريعة وبالتالي ...».
- «قلت لها، إن لم تستطيعي ضبط طفلك إذًا ...».

لقد تركت سيليست بيري يتحدث مع إد حول لعبة الغولف. كان بيري ساحرًا، وكان يغري الجميع بنظراته اليقظة التي تقول: «لا يمكن لأحد أن يكون أكثر جاذبيةً منك». لكنه كان يشرب أكثر من المعتاد، وكان بإمكانها أن تلاحظ تغيّر اتجاه مزاجه بشكلٍ طفيف، مثل الانعطاف البطيء لخط المحيط. استطاعت أن تلاحظ ذلك من خلال تصلّب فكه وتحديق عينيه.

بحلول موعد مغادرتها الحفلة إلى البيت، سيكون الرجل الحزين المضطرب الذي كان ينتحب في السيارة قد اختفى. كانت تعرف تمامًا كيف تتلوى أفكاره وتلتف مغيّرةً اتجاهها مثل جذور شجرةٍ عتيقة. عادةً، بعد أي «شجارٍ» سيّء كالذي جرى بالأمس، ستكون في مأمنٍ لأسابيع متتاليةً، لكن انكشاف موضوع الشقة المستأجرة كان بمثابة خيانةٍ لبيري. كان فيه قلّة احترام. كان فيه إذلالاً وإهانة. لقد أبقت الأمر سرًّا عنه. وبنهاية هذه الليلة، لن يكون هناك أهمُّ من خِداعها له. سيكون الأمر كما هو عليه لا أكثر ولا أقل، كما لو كانا زوجان سعيدان، وقامت الزوجة بفعل شيءٍ غامضٍ وغريب: نعم، لقد وضعت خطةً سريةً ومتقنةً لتركه. كان أمرًا غامضًا ومحيّرًا. وهي تستحق كل ما سيحصل لها.

لم يكن هناك أحدًا غيرهما على الشرفة الضخمة الممتدة على طول القاعة. كانت لا تزال تمطر، ورغم أنها كانت مغطاة، إلا أن الريح كانت تصفر فيها حاملةً معها ضبابًا خفيفًا، مما جعل البلاط مُبتلاً وزلقًا.

قالت سيليست: «ربما ليس هذا جيدًا».

جين: «لا، بل جيد. لقد أصبح الجو صاخبًا جدًا في الداخل. في صحّتكِ».

نقرت كأسها بكأس سيليست وشربتا معًا.

جين: «هذه الكوكتيلات رائعةٌ للغاية».

- «إنها مثيرة للبهجة». وافقتها سيليست. كانت في كأسها الثالث. كانت كل مشاعرها - حتى خوفها الشديد - مغلفةً بشكلٍ أنيق بغلافٍ رقيق.

تنفست جين بعمقٍ. «أعتقد أن المطر قد توقف أخيرًا. رائحته لطيفةٌ. كل شيءٍ مالح وعذب». انتقلت إلى حافة الشرفة ووضعت يدها على الدرابزين المبلل. نظَرت إلى الليل الماطر. بدت مبتهجةً. كانت رائحة الجو رطبةً تشبه رائحة المستنقعات والسبخ.

سيليست: «عليّ أن أخبرك شيئًا».

رفعت جين حاجبيها. «حسنًا؟». لاحظت سيليست أنها تضع أحمر الشفاه. ستكون مادلين مبتهجةً.

- «قبل أن نأتي إلى هنا الليلة، جاء جوش وأخبرني أن ماكس هو من كان يتنمّر على أمابيلا، وليس زيغي. صُعقت. أنا آسفة. أنا آسفةٌ جدًا». رفعت رأسها فرأت هاربر تخرج إلى الشرفة، تفتّش في حقيبتها. ألقت هاربر نظرةً عليهما وسرعان ما ابتعدت إلى الطرف الآخر خارج مدى السمع، حيث أشعلت سيجارة.

قالت جين: «أعلم».

- «أنت تعلمين؟». تراجعت سيليست خطوةً للوراء حتى كادت تنزلق على البلاط.

جين: «أخبرني زيغي بالأمس. على ما يبدو أن أمابيلا قد أخبرته وطلبت منه أن يُبقي الأمر سرًّا. لا تقلقي بشأن ذلك. كل شيءٍ على ما يُرام».

- «لا، ليس الأمر على ما يرام! ما كان عليكِ أن تتحمِلي تلك العريضة الرهيبة، وأشخاصًا من أمثال تلك ...»، أومأت سيليست برأسها باتجاه هاربر، «والمسكين الصغير زيغي الذي يشير إليه الآباء ويمنعون أبنائهم من اللعب معه. سأخبر ريناتا هذه الليلة وكذلك الآنسة بارنز والسيدة ليبمان. سأخبر الجميع. قد أنهض وأكشف الأمر علانيّةً: **لقد عاقبتم الطفل الخطأ**».

جين: «ليس عليكِ أن تفعلي ذلك. لا بأس، سيتم تسوية الأمر برمّته».

قالت سيليست مرةً أُخرى وصوتها يرتجف: «أنا آسفةٌ للغاية». كانت تفكر في تلك اللحظة بساكسون بانكس.

جين: «اسمعي!»، وضعت يدها على ذراع سيليست، «لا بأس. سيتم تسوية الأمر كله. إنها ليست غلطتك».

سيليست: «لا، لكنه بطريقةٍ ما هو خطأي».

قالت جين بحزمٍ: «لا يمكن أن يكون كذلك».

- «هل بإمكاننا الانضمام إليكما؟».

انفتح الباب الزجاجي. لقد كانا ناثان وبوني. بدت بوني كما عادتها دائمًا، بينما ارتدى ناثان زيًا أقل ثمنًا من زي بيري إلاّ أنه نزع باروكة شعره الأسود المستعار وبدأ يفتلها ويدوّرها حول قبضته وكأنها ألعوبة.

كانت تدرك سيليست أنها مُجبرة على نصب الكره والعداء لناثان وبوني لأجل مادلين، لكن ذلك كان صعبًا في بعض الأحيان. بدا كلاهما لطيفين ومتحمّسين لإرضاء الآخرين وكانت سكاي فتاةٌ صغيرةٌ ولطيفةٌ.

أوه، يا إلهي.

لقد نسيَتْ. قال جوش أن ماكس قام بدفع سكاي عن الدرج «مرةً أُخرى». لقد انتقل إلى ضحيةٍ جديدةٍ. كان عليها أن تقول شيئًا.

ودون أن تمنح نفسها الوقت للتفكير، انطلقت مباشرةً لتقول: «ناثان، بوني، أنا سعيدةٌ لأنكما هنا الليلة، لكن أصغيا إليّ، اكتشفت الليلة أن ابني، ماكس، كان يتنمر على بعض الفتيات الصغيرات في الصف. أعتقد أنه قد دفع ابنتك عن الدرج، أممم، أكثر من مرةً»، كانت تشعر بأن وجنتاها تحترقان. وضعت جين يدها على ذراع سيليست التي تابعت: «أنا آسفة جدًا أنا للتو».

قالت بوني بهدوء: «لا بأس. لقد أخبرتني سكاي بالأمر. وناقشنا بعض الاستراتيجيات لما يجب فعله فيما لو تكرر حدوث هذا النوع من الأشياء».

الاستراتيجيات، فكرت سيليست بكآبة. تبدو مثل سوزي، وكأن سكاي كانت ضحية عنفٍ منزلي. راقبت هاربر وهي تطفأ سيجارتها على درابزين الشرفة المبلل ثم لفّتها بعنايةٍ في منديل، قبل أن تحثّ الخطى نحو الداخل، متحاشيةً النظر حيث كانوا يقفون.

قال ناثان بجديةٍ: «لقد أرسلنا اليوم بالفعل بريدًا إلكترونيًا للآنسة بارنز لإخبارها بذلك. آمل ألاّ تمانعي، لكن سكاي خجولةٌ جدًا وتجد صعوبةً في تأكيد ذلك بنفسها لِذلك أردنا من الآنسة بارنز أن تراقب الوضع. وبالطبع،

الأمر متروك للمعلمة في ترتيب هذه الأشياء. أعتقد أن هذه هي سياسة المدرسة. أي ترك المعلمون يتعاملون مع أي إشكال. لِذلك لم نتواصل معكِ حول هذا الموضوع».

سيليست: «أوه. حسنًا شكرًا لكَ. مرةً أُخرى، أنا آسفة جدًا ...».

ناثان: «لا داعي للأسف! بحق الرب! هم مجرد أطفال! وعليهم أن يتعلموا كل هذه الأشياء. لا تضربْ أصدقاءك. دافعْ عن نفسك. حاول أن تتصرّف كشخصٍ بالغ».

كررت سيليست باضطراب: «حاول أن تتصرّف كشخصٍ بالغ».

ناثان: «ما زلت أتعلم أنا نفسي بالطبع!».

بوني: «كل هذا جزءٌ من نموّهم العاطفي والروحي».

جين: «هناك كتاب يتناول هذه الأسس، أليس كذلك؟».

- «يحتوي على كل شيءٍ يحتاج المرء معرفته وتعلّمه في روضة الأطفال: لا تكن لئيمًا، العب بشكلٍ لطيف، شارك زملاؤك ألعابك».

اقتبس ناثان عبارة كلوي: «المشاركة تعني الاهتمام». وضحكوا جميعًا على هذا القول المشهور.

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: ثمانية أشخاص، من بينهم الضحية، كانوا على الشرفة وقت الحادث. نحن نعرف من هم. وهم يعرفون أنفسهم ويعرفون ما رأوا. قول الحقيقة هو أهم شيءٍ يجب على الشاهد فعله.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الخامس والسبعون

كانت مادلين تخوض حديثًا ساخنًا مع والدي طالب من السنة الثانية حول موضوع ترميم وإصلاح الحمامات. لقد أحبّت هذين الوالدين كثيرًا، وكانت تعلم أنها جعلت الزوج يشعر بالملل وهي تجري مع زوجته حوارًا مكثفًا حول أكثر الفساتين إغراءً ولفتًا للأنظار، لذا فهي مدينةٌ لهذا الرجل المسكين بالبقاء مُصغٍ لهما.

المشكلة أنه لم يكن لديها بالفعل ما تقوله عن موضوع ترميم الحمّامات، ورغم أنها اتفقت معهما أنه كان أمرًا مزعجًا نفاذ كمية البلاط وأنهم كانوا بحاجةٍ فقط الى ثلاث بلاطات أُخرى للانتهاء، لكنها كانت متأكدة من أن كل شيء سينجح في النهاية، وقد استطاعت أن ترى سيليست وجين على الشرفة وهما تضحكان مع بوني وناثان، وهو بالطبع أمرٌ غير مقبول. كانت سيليست وجين صديقتيها. بحثت عن شخصٍ آخر ليحل محلها، فأمسكت بسامانثا. كان زوجها سبّاكًا ومن المؤكد أن لها مصلحةً في ترميم الحمام.

قالت: «يجب أن تسمعي هذه القصة، هل يمكنكِ أن تتخيلي؟ لقد نفذ من عندهم البلاط!».

سامانثا: «أوه، يا ألهي! هذا ما حدث لي بالضبط».

تمام. تركت مادلين سامانثا تستمع باهتمامٍ وتنتظر دورها بشغفٍ لتروي قصتها المروعة عن ترميم حمام منزلها. يا إلهي، كان يحيرها أنه

كيف يمكن لأي شخص أن يجد هذا الموضوع أكثر إثارة للاهتمام من الفساتين المغرية.

بينما كانت تشق طريقها عبر الحشد، مرت بمجموعة من أربعة فتياتٍ شقراوات يلتصقن ببعضهن البعض وكأنهن يتشاركن شيئًا فيه افتراء أو فضيحةٍ. توقفت لتستمع:

- «المربية الفرنسيّة! تلك الفتاة ذات المظهر المضحك».

- «ألم تطردها ريناتا؟».

- «نعم، بالتأكيد لأنه فاتها تمامًا حقيقة أن أمابيلا كانت تتعرض للتنمر من قبل ذلك الطفل زيغي».

- «بالمناسبة ماذا بالنسبة للعريضة؟».

- «سنقدمها للسيدة ليبمان يوم الاثنين».

- «هل رأيت أمّه هذه الليلة؟ لقد قصّت شعرها. إنها تتنقّل وكأنها لا تأبه بأحدٍ أبدًا. لو كان ابني هو المتنمّر لخجلت لن أُظهر وجهي أمام الملأ. سألازم منزلي مع طفلي، وأمنحه الاهتمام الذي يحتاجه».

- «يحتاج الى صفعة قوية، هذا كل ما يحتاجه».

- «سمعتُ أنها أحضرته بالأمس الى المدرسة وهو مليء بالصئبان».

- «أنا مندهشة لكون المدرسة قد سمحت لهذه الحالة بالاستمرار. في هذه الأيام وهذا العصر، حيث هناك معلوماتٍ كثيرة تتعلق بمشكلة التنمّر ...».

- «صحيح، صحيح، ولكن الفكرة أن مربية ريناتا لها علاقةٌ غرامية مع جيف».

- «لماذا تريد أن تكون على علاقة مع جيف؟».

- «أعرف ذلك، بل ومتأكدةٌ منه».

شعرت مادلين بالغضب نيابة عن جين، ومن الغريب بما فيه الكفاية أنها شعرت بالغضب نيابة عن ريناتا أيضًا-رغم أنه من المفترض أن ريناتا وافقت على العريضة.

قالت بصوتٍ مرتفع: «أنتن نسوةٌ فظيعات»، نظرت الشقراوات إليها. بدت عيونهن وأفواههن بيضوية من هول المفاجأة، «أنتنّ فظيعات، فظيعاتٍ جدًا».

واصلت السير دون انتظار سماع ردة فعلهن. وعندما سحبت الباب لتخرج الى الشرفة، وجدت ريناتا خلفها.

قالت ريناتا: «أريد استنشاق بعض الهواء المنعش، أصبح الجو خانقًا في الداخل».

مادلين: «أجل، ويبدو أن المطر قد توقف»، خرجتا معًا تستنشقان هواء الليل المنعش، «تواصلتُ مع شركة التأمين الخاصة بي بالمناسبة، بخصوص سيارتك».

جفلت ريناتا: «أنا آسفة لأنني أحدثت ضجةً كبيرةً بالأمس».

- «حسنًا، وأنا آسفة لأنني اصطدمت بك. كنت مشغولةً بالصراخ على أبيغيل».

ريناتا: «لقد شعرت بالرعب، وعندما أخاف. أهاجم بشراسة، إنه لشيء معيب». سارتا باتجاه المجموعة التي تقف قريبةً من الدرابزين.

مادلين: «حقًا؟ هذا فظيع بالنسبة لك. أما أنا شخصيًا فلديّ شخصية هادئة للغاية في هذه المواقف».

نخرت ريناتا.

قال ناثان: «مادي! لم أرك الليلة بعد، كيف حالك؟ سمعتُ أن زوجتي سكبت كأسها عليكِ».

اعتقدت مادلين أنه لا بد أن يكون مخمورًا أيضًا، لم يكن يشير عادةً إلى بوني على أنها «زوجته» أمامها.

مادلين: «لحسن الحظ كان الشراب ورديًا وتماشى مع لون فستاني».

ناثان: «كنت أحتفل بالنهاية السعيدة لدراما ابنتنا الصغيرة، وهذه كأسٌ في نخب لاري فيتزجيرالد من جنوب داكوتا، هيه؟». ورفع كأسه.

قالت مادلين وعيناها على سيليست: «حسنًا، لدي شعور مضحك أن لاري فيتزجيرالد هذا يعيش في الواقع أقرب مما نعتقد».

ناثان: «إيه؟ ما الذي تتحدثين عنه؟».

سيليست: «هل تقصد موقع أبيغيل الإلكتروني؟ هل أغلقته؟».

كان استفسارها متقنًا، فكرت مادلين، وهذا ما جعل الأمر ينكشف. كانت تبدو سيليست معظم الوقت مراوغة، وكأنها تخفي شيئًا. لكن الآن، بدت متماسكة ومتوازنةً تمامًا، وعيناها لا تحيدان عن مادلين. عندما يكذب معظم الأشخاص، يتجنبوا التواصل البصري، لكن عندما تكذب سيليست، فهي تبقي على هذا التواصل.

قالت مادلين لسيليست: «أنتِ لاري فيتزجيرالد من جنوب داكوتا، أليس كذلك؟، عرفت ذلك!، للصراحة، لم أكن على يقينٍ تام ولكن كان لدي إحساس بذلك، كان كل شيء مقنع للغاية».

وبهدوء قالت سيليست: «ليس لدي أي فكرة عما تتحدثين عنه».

استدار ناثان إلى سيليست وقال: «هل تبرّعت بمئة ألف دولار لمنظمة العفو؟ لمساعدتنا؟ يا إلهي!».

– مادلين: «ما كان عليك فعل ذلك، كيف سنسدد لكِ هذا المبلغ؟».

ريناتا: «بحق الله. عمّ تتحدثون؟».

قالت سيليست لمادلين: «لا أعرف عما تتحدثين. ولكن لا تنسي أنكِ أنقذتِ حياة ماكس في درس السباحة ذلك اليوم، وهو دينٌ علينا لا يمكن سداده».

بدأت أصواتٌ تعلو من داخل القاعة.

ناثان: «أتساءل ما الذي يحدث؟».

قالت ريناتا مع ابتسامة متكلّفةٍ صغيرة: «ربما أشعلتُ بعض الحرائق الصغيرة، ليس زوجي الوحيد الذي يعتقد أنه على علاقةٍ غرامية مع مربيتنا، وجدتْ جولييت الكثير مما يلفت انتباهها هنا في بيريوي، ما الكلمة الفرنسيّة المناسبة لهذا؟ بوليموري (متعددة العلاقات الغرامية)، اكتشفتُ مؤخرًا أن لديها اهتمام بنوع معين من الرجال، أو إن صح القول، نوع معيّن من الحسابات المصرفية».

سيليست: «ريناتا، اكتشفت الليلة أن ...».

قاطعتها جين: «لا تقولي شيئًا».

أكملت سيليست: «ابني ماكس هو من كان يؤذي أمابيلا».

ريناتا: «ابنك؟ لكن هل أنتِ متأكدة؟»، نظرت إلى جين وتابعت: «لأنه في يوم التوجيه كانت أمابيلا ...».

قاطعتها سيليست: «أنا متأكدةٌ تمامًا، اختارت زيغي بشكلٍ عشوائي لأنها كانت خائفة من ماكس».

- «لكن ...»، يبدو أن ريناتا لم تستوعب الأمر. «هل أنت متأكدة؟».

سيليست: «بالتأكيد، وأنا آسفة».

وضعت ريناتا يدها على فمها وقالت: «لم ترغب أمابيلا في دعوة التوأم الى حفلتها، لقد أثارت ضجة كبيرة حول هذا الموضوع، لكنني تجاهلتها، اعتقدت أنها كانت سخيفة».

نظرت الى جين التي كانت تبادلها النظرات بثبات. كانت تبدو رائعة حقًا الليلة، هكذا فكرت مادلين بشعورٍ من الرضا، وأدركت أن عادة مضغ العلكة باستمرار قد توقفت في وقتٍ سابق خلال الأسابيع القليلة المنصرمة دون أن تلاحظ ذلك.

ريناتا: «أنا مدينة لكِ باعتذارٍ كبير».

ردّت جين: «نعم، أنتِ كذلك».

ريناتا: «ولزيغي أيضًا، أنا مدينة لكِ ولابنكِ بالاعتذار، أنا آسفة جدًا، وسوف، حسنًا، لا أعرف ما عليّ فعله».

جين: «لقد قبلت»، ثم رفعت كأسها، «لقد قبلت اعتذارك».

ثم انفتح الباب الزجاجي مرة أُخرى وظهر إد وبيري.

قال إد: «الأمور تخرج عن السيطرة هنا قليلاً»، ثم أمسك ببعض كراسي البار المرتفعة التي كانت مصفوفة بالقرب من الباب وأحضرها. وأكمل حديثه: «هل نستطيع إراحة أنفسنا قليلاً؟ مرحبًا ريناتا. أنا آسف جدًا بخصوص قدم زوجتي الثقيلة على دواسة البنزين البارحة».

أحضر بيري بعض الكراسي أيضًا.

قالت ريناتا: «بيري»، لاحظت مادلين أنها لم تجامل بيري كعادتها بعد أن علمت أن ابنه كان يتنمر على ابنتها. في الواقع كانت هناك حدّة واضحة في صوتها، «جميلٌ أن أراك في البلد».

بيري: «شكرًا ريناتا، سررت لرؤيتكِ أيضًا».

شبّك ناثان يديه ببعضهما وقال: «أنت بيري، أليس كذلك؟ لا أعتقد أننا التقينا من قبل. أنا ناثان. أدرك أننا مدينون لك بالكثير».

بيري: «حقًا؟، كيف ذلك؟»

قالت مادلين في سرها: «أوه يا إلهي، ناثان، اخرس، هو لا يعرف، أراهن أنه لا يعرف».

قاطعته سيليست: «بيري، هذه بوني، وهذه جين والدة زيغي».

التقت عينا مادلين بعينيّ سيليست، كانت تعلم أن كلاهما كانتا تفكّران بابن عم بيري، كان السر معلقًا بينهما في الهواء كسحابةٍ شريرة لا شكل لها.

قال بيري: «سررت بلقائكما». ثم صافحهما، بإيماءات لطيفة عرض عليهما كرسيين.

- «يبدو أنّك وزوجتك تبرعتما بمائة ألف دولار لمنظمة العفو الدولية لمساعدة ابنتنا على الخروج مما وضعت نفسها به»، برر ناثان كلامه السابق. كان يقوم بتدوير باروكة الشعر المستعار التي تشبه شعر إلفيس على يده، ثم طارت فجأةً من فوق الشرفة ووقعت في الظلام، نظر من فوق الشرفة للأسفل وقال: «تبًا! سأفقد العربون الذي أودعته في متجر الأزياء».

خلع بيري باروكة الشعر الأسود المستعار عن رأسه وقال: «إنها تسبب الحكة قليلاً بعد فترة». ثم كشط شعره بأطراف أصابعه فبدا أشعثًا صبياني، ثم انسحب ليجلس على كرسي البار مسندًا ظهره إلى الشرفة. بدى طويلا جدًا وهو جالس على الكرسي، بدت السماء صافيةً من خلفه، والبدر ينشر نوره على الغيوم كقرصٍ فضيٍّ سحري، وشكّلت الغيمات حوله نصف دائرة، وكأنه كان زعيمهم.

قال بيري: «ماذا عن موضوع التبرع بمئة ألف دولار؟ هل هذا سر آخر من أسرار زوجتي؟ إنها امرأةٌ كتومة للغاية، زوجتي العزيزة. كتومة جدًا. انظروا فقط إلى نظرة الموناليزا على وجهها».

نظرت مادلين الى سيليست، كانت تجلس على كرسيّها المرتفع وساقاها الطويلتان متقاطعتين، ويداها مطويتان في حضنها، كانت ساكنة بلا حراك. بدت كمنحوتةٍ من حجر. تمثالٌ لامرأة جميلةٍ، وقد استدارت قليلاً كي تبعد

نظرها عن بيري، هل كانت تتنفّس؟ هل كانت على ما يرام؟ شعرت مادلين بتسارع دقات قلبها.

كانت الأشياء تسقط في مكانها المناسب، كأجزاءٍ الأحجية التي تشكل صورةً، إجاباتٍ عن أسئلة لم تكن تعرف جوابها.

الزواج المثالي، الحياة المثالية، إلا أن سيليست كانت تبدو دائمة الاضطراب، متململة حينًا ومنفعلةً حينًا آخر.

قال بيري: «يبدو أنها تعتقد أيضًا أن لدينا موارد مالية غير محدودة. لا تعرف كيف تكسب سنتًا لكنها تعرف بالتأكيد كيف تنفقه».

- «هيه، ليس الآن». قالت ريناتا بحدةٍ وكأنها تحتج على طفلٍ.

خاطبت جين بيري: «أعتقد أننا التقينا من قبل».

لم يسمعها أحدٌ سوى مادلين. ظلت جين واقفةٌ بينما كان الجميع جالسين على كراسيهم العالية. بدت صغيرةً بينهم، كانت تخاطب بيري كطفلة. كان عليها أن تُرجع رأسها إلى الوراء وهي تحدّثه. بدت عيناها كبيرتان جدًا.

نظفت حنجرتها ثم قالت ثانيةً: «أعتقد أننا التقينا».

حدّق بها بيري جيدًا: «حقًا؟ هل أنتِ متأكدة؟». أمال رأسه بطريقةٍ ساحرة: «أنا آسف. لا أتذكر».

قالت جين: «أنا متأكدةٌ، إلا أنك قلت إن اسمك هو ساكسون بانكس».

الفصل السادس والسبعون

كان يبدو وجهه في البداية حياديًا تمامًا: ودودًا ومؤدبًا وكأنه يقول لا علاقة لي بما تتحدثين عنه. لم يتعرف عليها. لم يسبق لي أن رأيتها في حياتي مطلقًا! طفت هذه العبارة في ذهن جين.

كانت عبارة اعتادت والدتها أن تقولها. ولكن عندما قالت: «ساكسون بانكس» لمحت في عينيه بريق، ليس لأنه عرفها، فهو لا يزال غير مدرك للموضوع، ولا يمكن أن يزعج نفسه حتى ببذل ولو جهدٍ بسيط لاستعادة الذكرى المناسبة، بل لأنه أدرك من يجب أن تكون، وما كانت تمثّله، كانت بالتأكيد إحداهن. لقد كذب بشأن اسمه، لم يخطر ببالها قط أنه سيفعل ذلك. وكأن الاسم هو شيءٌ مقدس لا يجب تزييفه وإن كنت قادرًا على تزييف شخصيتك، وتزييف جاذبيتك.

قالت له: «ظللت أقول باستمرار أنني قد أصادفك يومًا».

- سيليست: «بيري؟».

التفت بيري ليواجه سيليست.

عاد وجهه ليخلو من التعابير ثانية، كما كان في السيارة، وكأن شيئًا قد اقتُلع منه. منذ أن ذكرت مادلين اسم ساكسون لأول مرةٍ تلك الليلة في

نادي الكتاب، كان هناك شيءٌ يزعج سيليست، ثمّة ذكرى معينة قبل ولادة الطفلين، قبل أن يضربها بيري للمرة الأولى.

انزلقت تلك الذكرى لتستقرّ في مكانها الآن. في مكانها المناسب بالضبط. كأنها كانت بانتظارها كي تستعيدها.

كان حفل زفاف ابن عم بيري، وهو الشخص الذي اضطر ساكسون وبيري في حفلته أن يعودا إلى الكنيسة لجلب هاتف إيلين المحمول.

كانوا يجلسون جميعًا حول مائدةٍ مستديرةٍ، عليها غطاءٌ أبيض منشىّ، وأنشوطة كبيرة مربوطةٌ حول كل كرسي. كان الجو من حولهم سرياليًا، وثمّة ضوءٌ خافتٌ يسقط على كؤوس النبيذ عندما بدأ ساكسون وبيري يرويان القصص. قصص طفولتهما المشتركة في الضواحي: عربات بيلي المصنوعة محليًا والوقت التي أنقذ فيه ساكسون بيري من المتنمرين في المدرسة، وكذلك عن اللحظة التي سرق فيها بيري بوقاحةٍ مثلجات الموز من الثلاجة في متجر السمك والشرائح، وعندما أمسك به الرجل اليوناني الضخم المخيف من مؤخرة عنقه بيده القاسية وسأله: «ما اسمك؟»، قال بيري: «ساكسون بانكس».

اتصل صاحب متجر السمك والبطاطا بأم ساكسون وقال: «ابنك سرقني»، فردّت عليه أم ساكسون: «ابني هنا بجانبي». وأقفلت الخط في وجهه.

أمرٌ مضحكٌ جدًا. ووقحةٌ جدًا الطريقة التي كانوا يضحكون بها وهم يحتسون الشمبانيا.

قال بيري لسيليست: «هذا لا يعني شيئًا».

أحسّت بضغطٍ وطنين يصّم أذنيها وكأنها كانت تغوص عميقًا تحت الماء.

راقبت جين بيري وهو يشيح ببصره عنها لينظر إلى زوجته، متجاهلاً وجودها، دون أن يكلف نفسه حتى عناء تذكرها أو الاعتراف بها. لم تكن موجودةً في قاموسه. لم يكن لها أية أهميةٍ في حياته. كان متزوجًا من امرأة جميلةٍ. لكن جين امرأة فاسقة. كانت جين امرأةً خلاعية مأجورة لا تُحتسب ضمن فاتورة الفندق. كانت جين امرأة إباحية على الإنترنت حيث بإمكان كل ذي شهوة تحقيقها معها. هل تشتهي إهانة وإذلال الفتيات البدينات؟ أدخل فاتورة بطاقتك الائتمانية وانقر هنا.

قالت جين: «لهذا السبب انتقلتُ إلى بيريوي، في حال كنت هنا فقط».

لمعت في ذاكرتها صورة المصعد الزجاجي وغرفة الفندق الصامتة ذات الإضاءة الخافتة.

تذكرت كيف كانت تنظر في أرجاء الغرفة-بمتعة وعفوية-لجمع المزيد من الأدلة على نوع الرجل الذي كان عليه، بل وأدلّةٍ أكثر على أمواله ونمط حياته، وأدلة أكثر تشير بأن تلك ستكون علاقة ليلة واحدة سخيّة بامتياز. لم يكن هناك الكثير لرؤيته. كمبيوتر محمول مغلق. حقيبة للرحلات القصيرة موضوعة برتابةٍ في الزاوية. وبجانب الكمبيوتر المحمول كانت هناك نشرة عقارية. **للبيع**. صورةٌ لإطلالة على المحيط. **منزلٌ عائلي فخم يطلُ على شبه جزيرة بيريوي الرائعة.**

سألته حينها: «هل ستشتري هذا المنزل؟».

- «ربما». أجاب وهو يسكب لها الشمبانيا.

سألته باندفاعٍ وغباءٍ: «هل لديك أطفال؟ يبدو منزلاً رائعًا للأطفال». لم تسأل أبدًا عن الزّوجة. لم يكن هناك خاتم زواج.

- «لا أطفال. ذات يومٍ سأنجب أطفال».

رأت شيئًا على وجهه: حزنٌ، ونوعٌ من التوق اليائس، وكانت تعتقد، بكل سذاجتها الحمقاء بأنها تعرف تمامًا ما يشير إليه هذا الحزن. لقد انفصل للتو عن صديقته! بالطبع هذه هي حالته. كان مثلها يعاني من فؤادٍ محطّم. وكان يائسًا من العثور على المرأة المناسبة وتكوين أسرةٍ، وربما كانت غبيّة

وساذجة بما فيه الكفاية لتعتقد، وهو يبتسم ابتسامته الجذابة ويناولها كأس الشامبانيا، أنها قد تكون تلك المرأة. أمور أكثر غرابة من هذا قد حدثت!

وبعد ذلك، أمور أكثر غرابة قد حدثت بالفعل.

على مدار السنوات التي تلت، كانت تتفاعل بشكلٍ غريزي وعميق مع عبارة «شبه جزيرة بيريوي» سواء خلال الحوارات أو الأحاديث المفتوحة أو حتى مع ما هو مكتوب أو مطبوع فتسارع إلى تغيير الموضوع أو قلب الصفحة على الفور.

ذات يوم، ودون سابق إنذار، فعلت العكس. أخبرت زيغي أنّهما ذاهبان إلى الشاطئ واتجها بالسيارة إلى شبه جزيرة بيريوي الرائعة وطوال الطريق إلى هناك كانت تحاول التظاهر بأنها لا تتذكر حتى النشرة العقارية، رغم أنها تذكّرتها مرارًا وتكرارًا.

لعبا على الشاطئ وكانت تنظر من وراء كتف زيغي باحثةً عن رجلٍ يخرج من وسط الأمواج بابتسامةٍ رقيقةٍ بيضاء. وكانت تحاول أن تسمع صوت الزوجة وهي تنادي عليه «ساكسون».

ما الذي كانت تريده؟

الانتقام؟ الاعتراف؟ لتريه أنّها أصبحت نحيفةً الآن؟ كي تضربه، كي تؤذيه، كي تُبلغ عنه؟ كي تقول كل الأشياء التي كان عليها أن تقولها بدلاً من التلفّظ ب»وداعًا! « بصوتٍ كخوار بقرة. لإخباره بطريقةٍ ما أنه لن ينجو من فعلته، رغم أنه نجا؟

أرادته أن يرى زيغي.

أرادته أن يُدهش من ولده الصغير الجميل والرقيق.

هذا غير مفهوم. لقد كانت رغبةٌ غريبةٌ وغبيةٌ وقويةٌ وخاطئة رفضت الاعتراف بها بشكلها الصحيح وأحيانًا نفتها بشكلٍ قاطع.

لأنه كيف يمكن لهذه اللحظة الأبوية العجيبة أن تجدي نفعًا الآن؟ «أوه، مرحبًا يا هذا! هل تذكرني؟ أصبح لديّ ولدٌ منك! ها هو! لا، لا، بالطبع

لا أريد علاقةً معك، لكنني أريدك أن تقف لحظةً وتندهش من ابنك. إنه يحب اليقطين. لطالما كان يحب اليقطين! أليس هذا أمرٌ لا يصدق؟ ما هذا الولد الذي يحب اليقطين؟ إنه خجولٌ وشجاعٌ ومتوازنٌ بشكلٍ يبعث على الدهشة. وها أنت ذا. لقيطٌ ووغدٌ وأنا أكرهك، ابحث فقط للحظةٍ عن ابنك لأنه أغرب شيءٍ حدث في العالم أليس كذلك؟ عشر دقائق من الفسوق خلقت شيئًا مثاليًا ورائعًا».

لقد أقنعت نفسها بأنها أخذت زيغي إلى بيريوي لقضاء يوم هناك فقط ورأت شقةً للإيجار بالصدفة وفي «نزوةٍ» قررت الانتقال إلى هناك. تظاهرت بذلك بشدة لدرجة أنها كادت أن تصدّقه، ومع مرور الأشهر، تضاءل احتمال أن يكون ساكسون بانكس يعيش هناك، وأصبحت كحقيقة واقعة. لِذلك توقفت عن البحث عنه.

عندما أخبرت مادلين قصة الليلة في الفندق مع ساكسون، لم يخطر ببال جين أن تخبرها أن ذلك كان أحد الأسباب التي دفعتها للانتقال إلى بيريوي. كان أمرًا سخيفًا ومحرجًا. كانت ستسألها مادلين وهي تحاول جاهدةً فهم الموضوع: «تريدين أن تلتقيه؟ هل تريدين رؤية ذلك الرجل؟». كيف يمكن لجين أن تشرح لها أنها فعلت ذلك ليس بقصد رؤيته؟ وأنها نسيت كل ما يتعلق بذلك المنشور العقاري! وأنها انتقلت إلى بيريوي لمجرد نزوةٍ.

على ما يبدو أن ساكسون لم يكن هنا.

ولكنه هنا الآن. زوج سيليست. لا بد أنه كان متزوجًا من سيليست في الوقت الذي التقى فيه جين. «لقد مررنا بفترةٍ عصيبة حقًا خلال حملي بالتوأم»، كانت سيليست قد أخبرتها بذلك ذات مرّة في أحد المشاوير. لهذا بدا حزينًا عندما ذكرت الأطفال.

شعرت جين أن وجهها أصبح أحمرًا من الإذلال رغم هواء الليل البارد.

قال بيري لسيليست مرةً أُخرى: «هذا لا يعني شيئًا».

سيليست: «بل يعني شيئًا بالنسبة لها».

كل ما فعله أنه هزّ كتفه، تلك الهزّ الخفيفة التي تعني: «ومن يهتم بشأنها؟». كان يعتقد أن الأمر يتعلق بالخيانة الزوجية، وأنه قد أمسك متلبسًا بعلاقة ليلة واحدة مع إحداهن والتي تعرّف عليها في حفلةٍ بالحديقة مع رجال أعمال ومدراء تنفيذيين خلال رحلة عمل. وأن الأمر لا علاقة له بجين.

- «اعتقدتُ أنّك ...». لم تستطع الكلام.

اعتقدت أنه شخصٌ لطيف. اعتقدت أنه شخصٌ جيد لكن مزاجه سيء. اعتقدت أن عنفه كان شيئًا خاصًا وشخصيًا بينهما. اعتقدت أنه غير قادرٍ على التعامل بقسوةٍ مع أيًا كان. كان يتحدث دائمًا بلطفٍ مع النادلات، حتى مع غير الأكفاء منهن. اعتقدت أنها تعرفه جيدًا.

بيري: «دعينا نتحدث عن هذا الموضوع في البيت. دعينا لا نجعل من أنفسنا أضحوكة الآن».

همست سيليست: «أنت لا تنظر إليها. حتى أنك لا تنظر إليها».

ألقت ما تبقّى في كأسها من كوكتيل الشمبانيا في وجهه.

تناثرت الشمبانيا على وجهه.

ارتفعت يد بيري اليمنى على الفور، وبشكلٍ غريزي ورشيق جدًا. بدا وكأنه لاعبٌ رياضي يمسك كرةً، إلاّ أنه لا يمسك شيئًا.

ضرب سيليست بقفا يده.

انحنت يده في قوسٍ متقنٍ وقاسٍ لدرجة أنه ألقى برأسها للوراء ودفع جسدها ليطير عبر الشرفة حيث سقطت على جانبها بقوة.

شهقت مادلين بشكلٍ بلا إرادي.

قفز إد واقفًا على قدميه بسرعةٍ فانقلب كرسيّه المرتفع وهو يصرخ: «توقف! توقف!».

هرعت مادلين إلى جانب سيليست وركعت على ركبتيها. «يا إلهي، يا إلهي، هل أنت ...؟».

ردت سيليست: «أنا بخير»، ضغطت بيدها على وجهها ونهضت قليلاً: «أنا بخير تمامًا».

نظرت مادلين ثانيةً إلى الأشخاص القلائل الموجودين على الشرفة. كان يقف إد مادًّا ذراعيه، واحدة مثل إشارة التوقف أمام بيري، والأُخرى أمام سيليست لحمايها.

انزلقت كأس جين من بين أصابعها وتحطمت عند قدميها.

بحثت ريناتا في حقيبتها وهي تقول: «سأتصل بالشرطة. سأتصل بالشرطة الآن. هذا اعتداء. لقد شاهدتك للتو تعتدي على زوجتك».

كان ناثان يضع يده على مرفق بوني. وبينما كانت مادلين تراقبها، تحررت من يده. كانت في قمة انفعالها وكأنها تضطرم من الداخل.

خاطبت بيري: «لقد فعلت ذلك من قبل».

تجاهل بيري بوني. كانت عيناه على ريناتا، التي تضع هاتفها على أذنها. وقال: «دعونا لا نستبق الأمور».

قالت بوني: «لهذا السبب كان ابنك يعتدي على الفتيات الصغيرات». لقد كان نفس الصوت القاسي الذي سمعته مادلين في وقتٍ سابق من تلك الليلة، إلا أنه أصبح أكثر وضوحًا الآن. بدت هكذا ... حسنًا، بدت وكأنها جاءت من «الجانب الخطأ من المدينة» كما كانت تقول والدة مادلين.

بدت وكأنها ثملة. مُدَخِّنة. مقاتلة. لقد بدت حقيقيةً. كان من المبهج حقيقةً سماع ذلك الصوت الغاضب العميق الذي يخرج من فم بوني. «لأنه كان يرى ما تفعله. لقد رآك ابنك الصغير وأنت تفعل ذلك، أليس كذلك؟».

زفرّ بيري. «اسمعي، لا أعرف ما تعنين. لم «يرَ» طفليّ شيئًا».

صرخت بوني: «بل رأى طفليك ذلك!»، كان وجهها قبيحًا من الغضب، «نحن نرى! نحن نرى بحق الجحيم!».

دفعته بقوةٍ من صدره بكلتا يديها الصغيرتين.

فوقع.

الفصل السابع والسبعون

لو كان بيري أقصر ببضع بوصاتٍ.
لو كان درابزين الشرفة أعلى ببضع بوصاتٍ.
لو كان كرسي البار في زاويةٍ مختلفةٍ قليلاً.
لو لم تكن تمطر.
لو لم يكن مخمورًا.

لم تستطع مادلين التوقف عن التفكير بكل الطرق التي كانت قد تأخذ فيها الأمور منحىً مختلف.

لكن ما حدث قد حدث.

رأت سيليست التعابير الذي ظهرت على وجه بيري عندما صرخت به بوني. كانت ذات التعابير التي تنم عن متعة والتي ظهرت عليه عندما فقدت سيليست أعصابها أمامه. كان يجب أن تغضب النساء منه. كان يجب أن يتلقى ردة الفعل. كان يعتقد أن ذلك شيئًا رائعًا.

رأت يده تتشبّث بالدرابزين ثم تنزلق. رأته ينقلب إلى الوراء، ورجليه للأعلى، كما كان يلعب وينقلب على السرير مع الولدين.

ثم رحل دون أن يصدر أي صوتٍ. وحلّ فراغٌ أجوف حيث كان.

كل هذا حدث بسرعةٍ كبيرة. أحسّت جين أنها لا تستطيع التفكير من هول الصدمة. بينما كانت تحاول جاهدةً فهم ما يحدث أدركت أن هناك جلبةٌ تحدث داخل القاعة: صراخٌ وقرقعةٌ وارتطام.

– «يا يسوع المسيح القدير!». انحنى إد لينظر من فوق حافة الشرفة، وكلتا يديه تتشبثان بالحافة، كان يحدق في الأسفل، ورداءه الذهبي الشبيه بثياب إلفيس يمتد خلفه مثل أجنحةٍ صغيرةٍ مضحكة. أما بوني فقد جلست القرفصاء، وهي تكوّر جسدها ككرةٍ، ويداها مشبوكتان بقوة خلف رأسها وكأنها تنتظر انفجار قنبلةً.

– «لا، لا، لا، لا». كان ناثان يقوم ببعض الخطوات المضطربة الصغيرة، وهو يتراقص حول زوجته، ينحني ليلمس ظهرها ثم يستقيم ويضغط بيديه على صدغيه.

بدأ إد يدور حول نفسه مضطربًا: «سأذهب لأرى ما إذا كان ...».

صرخت ريناتا: «إد!». وأنزلت يدها التي كانت تمسك بهاتفها المحمول إلى جانبها. وانعكس ضوء الشرفة على نظارتها.

صاح إد: «استدعوا سيارة إسعاف!».

قالت ريناتا: «نعم. أنا سأتصل. لكن أمم ... لم أرَ ما حدث. لم أرَه يسقط».

قال إد: «ماذا؟».

كانت مادلين لا تزال جاثمةً على ركبتيها بجانب سيليست. رأت جين مادلين تنظر إلى زوجها السابق ناثان الذي يقف وراء إد. كان شعر ناثان متعرقًا بسبب الباروكة وملتصقًا على جبينه، ويبادل مادلين النظرات بذهولٍ وتوسّل. عاودت النظر إلى سيليست، التي كانت تحدّق بجمودٍ في المكان الذي كان يجلس فيه بيري.

مادلين: «لا أعتقد أنني رأيت شيئًا أيضًا».

- «مادلين»، قالها إد وهو يسحب زيّه بغضبٍ، وكأنه يتوق إلى تمزيقه إربًا. كان لمعان البدلة ينعكس على يديه، ويحول كفيه إلى لونٍ ذهبي. «لا ...».

مادلين: «كنت أنظر في الاتجاه الاخر»، كان صوتها أكثر بأسًا. انتصبت على قدميها وهي تمسك بحقيبتها الصغيرة وظهرها مستقيم ثم رفعت ذقنها وكأنها على وشك الدخول إلى قاعة الرقص، «كنت أنظر إلى الداخل. لم أرَ شيئًا».

نظفت جين بلعومها. فكرت في الطريقة التي قال بها ساكسون، أو بيري بالأحرى: «هذا لا يعني شيئًا». نظرت إلى بوني التي كانت ترتعش قرب كرسي البار المقلوب. شعرت بأن غضبها العارم المندفع كالحمم قد برد فجأةً وتصلب إلى شيءٍ قوي وصلد.

قالت: «وكذلك أنا. لم أرَ أي شيءٍ أيضًا».

- «أوقفوا هذا»، حدق بها إد ثم عاد للتحديق في مادلين، «أوقفوا هذا جميعكم».

مدت سيليست يدها إلى مادلين لتساعدها على النهوض، ثم سحبت نفسها لتقف برشاقةٍ على قدميها. قامت بتسوية فستانها وضغطت بإحدى يديها على وجهها، حيث ضربها زوجها. نظرت للحظةٍ إلى بوني الملتوية على نفسها.

- «لم أرَ شيئًا»، قالت بصوتٍ خطابيٍ تقريبًا.

- «سيليست». تغضن وجه إد واصفرّ لونه وكأنه في حالة رعبٍ. ضغط بقوةٍ على صدغيه، ثم أنزلها. كان اللون الذهبي ينعكس على جبهته أيضًا.

سارت سيليست نحو حافة الشرفة ووضعت يديها على الدرابزين. نظرت إلى ريناتا مرةً أُخرى وقالت: «اتصلي بالإسعاف حالاً».

ثم بدأت بالصراخ.

كان الأمر سهلاً عليها بعد كل تلك السنوات من التظاهر. كانت سيليست ممثلةً رائعة.

لكنها فكرت لاحقًا بأطفالها ولم تعد مضطرّة للتظاهر أكثر.

ستو: كانت الأمور قد بلغت مداها في هذه المرحلة في الداخل. أولاً، كان رجلان يتشاجران على فتاةٍ فرنسية، ثانيًا أن ذلك المراوغ الذي بطول أربعة أقدام كان يلقي اللوم عليّ عندما علّقت قائلاً لزوجته **بأنك لا تستطيع أن تنظم علاقة شرعية في بيت دعارة**، واعتبر قولي هذا إساءة لشرفها أو شيء من هذا القبيل. أعني، يا إلهي، كان مجرد تعبيرٍ.

ثيا: هذا صحيح. لقد احتدم الجدل حول الاختبارات الموحدة قليلاً. لديّ أربعة أطفالٍ، لذا كنت أطالب ببعض الخبرة في هذه المسألة.

هاربر: كانت ثيا تصرخ مثل بائعة السمك.

جوناثان: كنت مع بعض آباء طلاب من الصف الرابع ودخلنا في جدالٍ حول مدى شرعية وأخلاقية تلك العريضة المشؤومة. وعَلّت بعض الأصوات. ربما حصل بعض التدافع. اسمع، أنا لست فخورًا بأيٍ من هذا.

جاكي: دعوني أتولى أمرهم جميعًا يومًا ما.

غابرييل: كنت أفكر بأكل لحوم البشر في هذه الأثناء. بدت كارول لذيذةً.

كارول: كنت أنظف المطبخ عندما سمعت صرخةً فظيعة تجمد لها الدماء في العروق.

سامانثا: جاء إد راكضًا صوب الدرج وكان يصرخ عن سقوط بيري وايت عن الشرفة. نظرتُ فرأيت والدي طفلين من الصف الخامس يندفعان خارجين من الباب المفتوح.

- «حصل حادثٌ»، كانت تقول ريناتا على هاتفها المحمول. كانت تضع إحدى أصابعها في أذنها الأُخرى كي تستطيع سماع الشخص الذي يتحدث على الطرف الآخر من صوت صراخ سيليست، «لقد سقط رجلٌ من الشرفة».

- «هل كان هو؟»، أمسكت مادلين بذراع جين وقربتها منها، «أكان بيري هو الذي ...».

حدقت جين في قوس كيوبيد الوردي المتقن لأحمر شفاه مادلين. (قوس كيوبيد هو ميزة في الوجه حيث يقال إن المنحنى المزدوج للشفة العليا للإنسان يشبه قوس كيوبيد إله الحب الروماني). قمتان بارزتان مثاليتان وقالت «هل تعتقدين أنه ...».

لم تتمكن من إنهاء جملتها، لأنه في هذه اللحظة كان الرجلان المتصارعان اللذان يرتديان زي إلفيس من الساتان الأبيض، يشبكان ذراعيهما بقوة خلف ظهري بعضهما البعض وكأنهما في عناقٍ حار، اصطدما بمادلين وجين بعنفٍ، مما جعلهما تطيران في اتجاهين متعاكسين.

عندما وقعت جين، مدت إحدى يديها لإنقاذ نفسها، فشعرت بشيءٍ يتهشم نتيجة خطأٍ فظيع في كتفها عندما سقطت على جانبها بقوةٍ. كان بلاط الشرفة مبللاً تحت خد جين. اختلط صراخ سيليست مع أصوات صفارات الإنذار القادمة من بعيد والصوت الخافت لبوني وهي تبكي. استطاعت جين أن تتذوق طعم الدم في فمها. وأغمضت عيناها.

يا للمصيبة.

بوني: امتد الشجار إلى الشرفة وأصيبت المسكينتان مادلين وجين بجروحٍ بالغةٍ. لم أر سقوط بيري وايت. أنا ... هل تسمحون لي بلحظةٍ لأتحدث على الهاتف، أوه، من ساره؟ انتظري، أنتِ سارة، أليس كذلك؟ وليس سوزان. أشعر بفراغٍ في عقلي. آسفة، سارة. سارة. إنه اسمٌ جميل. إنه يعني: «أميرة» على ما اعتقد. اسمعِي يا سارة، أريد أن أمرّ لاصطحاب ابنتي الآن.

الفصل الثامن والسبعون

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: نحن نبحث عن أية لقطاتٍ متوفرة من كاميرات المراقبة والصور الملتقطة ليلاً والصورِ الملتقطة بالهواتف المحمولة أيضًا. بالتأكيد سنقوم بدراسة الأدلة الجنائية عندما تتوفر. ونحن حاليًا بصدد إجراء مقابلات مع 132 شخصًا كلٌ على حدة من أولياء التلاميذ الذين حضروا الحدث. كونوا مطمئنين، سنكتشف حقيقة ما حدث الليلة الماضية وسأوجّه أصابع الاتهام للعديد منهم إن اضطررت.

صباح اليوم التالي من المسابقة

قال إد بهدوءٍ: «لا اعتقد أنني أستطيع فعل ذلك». كان يجلس على كرسي بجوار سرير مادلين في المشفى.

كان لها غرفةً خاصةً لكنه بقي ينظر بعصبيةٍ من حوله. بدا وكأنه مصاب بدوار البحر.

قالت مادلين: «أنا لا أطلب منك فعل شيءٍ. إذا كنت تريد أن تُبلغ عما حدث بالضبط، فافعل».

قلب إد عينيه: «أُبلغ. بالله عليك. هذه ليست وشاية أو نميمة بمعلم! هذا انتهاكٌ للقانون. هذا كذبٌ بذريعة ... هل أنت بخير؟ هل تشعرين بالألم؟».

أغمضت مادلين عيناها ثم جفلت. كان كاحلها مكسورًا. حصل ذلك عندما اصطدم اثنان من آباء طلابٍ في الصف الخامس بها وبجين. في البداية اعتقدت أنها لن تقع، لكن إحدى ساقاها انزلقت خلف الأُخرى على الشرفة المبللة وكأنها كانت تؤدي حركة رقصٍ بارعة. لقد كان كاحلها المعافى أيضًا، وليس ذلك الذي تضرر سابقًا.

اضطرت للاستلقاء على الشرفة المبللة ليلة أمس وهي تعاني من ألم مبرح شعرت وكأنه لساعاتٍ بينما كانت سيليست تصرخ ذلك الصراخ الفظيع الذي لا ينتهي، وكانت بوني تبكي، وناثان يشتم وجين مستلقيةً على جانبها والدماء تغطي وجهها وريناتا تصرخ على الأبوين المتصارعين قائلةً: «متى ستكبران بحق الله!».

كان من المقرر أن تخضع مادلين لعمليةٍ جراحيةٍ بعد ظهر هذا اليوم. ستبقى في الجبس لمدة أربعة إلى ستة أسابيع وبعد ذلك سيكون هناك علاجٌ فيزيائي. سيمرّ وقتٌ طويل قبل أن تستطيع ارتداء كعبها العالي مرةً أُخرى.

لم تكن الوحيدة التي انتهى بها المطاف في المستشفى. كما فهمت مادلين أن الحصيلة النهائية للإصابات في ليلة المسابقة هذا الصباح كانت كسرًا في الكاحل (إصابة مادلين)، وكسر في عظم الترقوة (المسكينة جين)، وكسر في الأنف (زوج ريناتا، جيف، وهو أقل مما يستحق)، وثلاثة أضلعٍ مكسورة (زوج هاربر، غرايم، الذي كان ينام أيضًا مع المربية الفرنسية)، واسوداد حول العينين لثلاثة أشخاص نتيجة الضرب، وجرحان سيئان يحتاجان إلى الخياطة وأربعة وتسعون حالة صداعٍ.

وحالة موت واحدة.

تحوم في رأس مادلين مجموعةً من الصور المتسارعة والعنيفة من الليلة السابقة. جين بأحمر شفاهها اللامع واقفةً أمام بيري وهي تقول: «قلت إن اسمك هو ساكسون بانكس»، في البداية اعتقدت مادلين بأن الأمور قد اختلطت عليها بين الرجلين، لأنه لا بدّ أن بيري يشبه ابن عمه، حتى قال

بيري: «هذا لا يعني شيئًا». النظرة على وجه سيليست بعد أن ضربها بيري. لم تكن متفاجئة على الإطلاق. كانت مُحرجة فقط.

أي نوعٍ من الأصدقاء عديمي الإحساس والأنانيين المهووسين بشؤونهم الخاصة كانت مادلين حتى يفوتها شيء من هذا القبيل؟ فقط لأن سيليست لم تلهث راكضةً لعلاج الكدمات حول عينيها وشفاهها المتشققة فلا يعني ذلك أنها لم تكن أدلةً، لو أنها بذلت أدنى جهد لملاحظتها.

هل حاولت سيليست ذات مرة أن تثق بها؟ ربما كانت مادلين تغوص معها في أحاديث سطحية حول كريم العينين وما شابه ولم تعطها الفرصة. ربما قاطعتها! كان إد يصرخ عليها دائمًا رافعًا يديه وهو يقول: «دعيني أنهي حديثي»، ثلاث كلماتٍ فقط. إن بيري يضربني. لم تمنح مادلين صديقتها الثواني الثلاث التي يستغرقها قول ذلك. في حين كانت سيليست كلها آذانٌ صاغية بينما كانت مادلين تثرثر وتتحدث دون توقّف عن كل شيءٍ دفعةً واحدة بدءً من مدى كرهها لمنسق كرة القدم دون السابعة انتهاءً بمشاعرها حول علاقة أبيغيل بوالدها.

قال إد: «أحضرت لنا اليوم لازانيا نباتية».

تساءلت مادلين: «من؟». كان الندم يجعلها تشعر بالغثيان.

- «بوني! بحق السماء، بوني، المرأة التي نقوم بالتستّر عليها. لقد كانت طبيعيةً إلى حدٍّ غريب، وكأن شيئًا لم يحدث. إنها معتوهة بالفعل. لقد كانت تتحدث هذا الصباح إلى «صحفيةٍ جميلةٍ تُدعى سارة». الله وحده يعلم ماذا كانت تقول لها».

قالت مادلين: «لقد كان حادثًا».

تذكرت وجه بوني المخيف من شدة الغضب وهي تصرخ في وجه بيري. ذلك الصوت الغريب المبحوح. **نحن نرى.** نحن نرى بحق الجحيم.

قال إد: «أعرف أنه كان حادثًا. فلماذا لا نقول الحقيقة فقط؟ أخبري الشرطة عما حدث بالضبط؟ لا أفهم. حتى أنكِ لا تحبينها».

قالت مادلين: «ليس لهذا صلةٌ بالموضوع».

إد: «ريناتا هي من بدأ. ثم انضم البقية. لم أفهم. لم أفهم. حتى أننا لم نعرف فيما إذا كان الرجل حيًا أم ميتًا، ونحن نخطط بالفعل للتستّر على الموضوع! أعني، بحق يسوع، هل ريناتا حتّى تعرف بوني؟».

اعتقدت مادلين بأنها فهمت سبب قول ريناتا ما قالته. كان ذلك لأن بيري قد خدع سيليست، كما خدع جيف ريناتا. رأت مادلين التعابير التي بدت على وجه ريناتا عندما قال بيري: «هذا لا يعني شيئًا». في تلك اللحظة أرادت ريناتا أن تدفع بيري عن الشرفة بنفسها. لكن بوني سبقتها.

لو لم تقل ريناتا: «لم أره يسقط» لما تحرك ذهن مادلين حتى وبالسرعة الكافية للتفكير بالعواقب المترتبة على بوني، لكن بمجرد أن قالت ريناتا ما قالته، فكرت مادلين بابنة بوني. بتلك الحركة السخيفة التي تفعلها سكاي برموشها، بالطريقة التي كانت تختبأ بها دائمًا خلف تنورة أمها. إن كان هناك من طفلٍ يحتاج أمّه في أي وقت فهي سكاي.

قالت مادلين: «لدى بوني طفلةٌ صغيرة».

قال إد: «لدى بيري طفلين صغيرين ... وماذا في ذلك؟»، نظر إلى الفراغ فوق سرير مادلين. بدا وجهه منهكًا في الضوء الوحيد. كان بإمكانها أن ترى الآن ذلك الرجل العجوز الذي سيكون عليه يومًا، «لا أعرف إن كان بإمكاني قضاء بقية حياتي حاملاً معي هذا السر يا مادلين».

كان إد أول من وصل إلى بيري. كان الشخص الذي رأى الجثة المهشّمة والملتوية لرجلٍ كان يتحدث معه ويضحك قبل لحظات حول معوقات لعبة الغولف. كان هذا أكثر مما تستطيع أن تطلب منه. وكانت تعلم هذا.

مادلين: «لم يكن بيري شخصًا جيدًا. إنه الشخص الذي فعل كل هذه الأشياء لجين. هل فهمت ذلك؟ إنه والد زيغي».

إد: «هذا لا صلة له بالموضوع».

مادلين: «الأمر متروكٌ لك». كان إد على حق، بالطبع كان على حق. كان دائمًا على حق. لكن في بعض الأحيان كان فعل الشيء الخطأ صحيحًا أيضًا.

سألت: «هل تعتقد أنها قصدت قتله؟».

إد: «لا أعتقد ذلك. لكن ماذا بعد ذلك؟ أنا لست قاضيًا ولا من هيئة التحكيم. وليس عملي أن ...».

- «هل تعتقد أنها ستفعل ذلك مرةً أُخرى؟ هل تعتقد أنها تشكّل خطرًا على المجتمع؟».

- «لا، لكن مرةً أُخرى ... وإن يكن؟»، رمقها بنظرة ألمٍ حقيقية، «لا أعتقد أنني أستطيع الكذب بذكاءٍ لدى استجواب الشرطة».

- «ألم يحدث هذا بالفعل؟». كانت تعلم أنه تحدّث إلى الشرطة لفترة وجيزة الليلة الماضية قبل وصوله إلى المستشفى، حيث تم نقلها في إحدى سيارات الإسعاف الثلاث التي توقفت في منطقة اصطحاب الطلاب من أمام المدرسة.

قال إد: «ليس بشكلٍ رسمي. قام أحد الضباط بتدوين بعض الملاحظات وقلت ... يا إلهي، لا أتذكر ما قلته بالفعل، لقد كنت مخمورًا. لم أذكر بوني، هذا ما أعرفه، لكنني وافقت على مراجعة مخفر الشرطة في الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم للإدلاء بإفادةٍ رسميةٍ كشاهد. سيقومون بتسجيلها يا مادلين. سيكون هناك ضابطان في الغرفة ينظران إليّ بينما أنا أكذب متعمّدًا. سأضطر للتوقيع على إفادة خطية. هذا سيجعلني شريك في ...».

-«مرحبا». لقد كان ناثان يدخل الغرفة وهو يحمل باقةً كبيرةً من الورد ويبتسم ابتسامةً عريضةً كالمشاهير، كما لو كان مُحاضرًا تحفيزيًا يمشي على خشبة المسرح.

قفز إد: «يا يسوع المسيح، ناثان، لقد أخفتني حتى كاد الدم ينشف في عروقي».

ناثان: «آسف يا صديقي. كيف حالك يا مادي؟».

مادلين: «أنا بخير». أنه أمرٌ يثير الشجون أن يكون زوجك الراهن وزوجك السابق يقفان إلى جانب بعضهما البعض ينظران إليكِ وأنت مستلقية في السرير. كان الأمر غريبًا. كانت تتمنى أن يُغادرا كلاهما.

- «هوّني عليك! أيتها الفتاة المسكينة!»، ألقى ناثان الورود في حِجرها، «سمعت أنك ستكونين على عكازين لفترةٍ طويلة».

- «نعم، حسنًا ...».

- «قالت أبيغيل أنها ستعود إلى المنزل لمساعدتك».

مادلين: «أوه. أوه»، أمسكت بأصابعها بتلات الزهور الوردية، «حسنًا، سأتحدث معها عن ذلك. سأكون بخير تمامًا. ليس مطلوبًا منها الاعتناء بي».

قال ناثان: «لا، لكنني أعتقد أنها تريد العودة إلى البيت. وهي تبحث عن ذريعةٍ لِذلك».

نظرت مادلين واد إلى بعضهما البعض. هز إد كتفيه.

ناثان: «لطالما كنت أعتقد أن روعة الأشياء الجديدة تزول سريعًا. هي تفتقد أمها. ونحن لسنا حياتها الحقيقة».

- «صحيح».

إد: «إذًا، عليّ الذهاب».

ناثان: «هل يمكنك البقاء للحظةً يا صديقي»، كانت ابتسامة التفكير الإيجابي قد ولتّ، وبدا الآن مثل رجلٍ متورطٍ في حادث سيارةٍ، «لا مانع في الحديث معكما قليلاً، أمم، حول ما جرى الليلة الماضية».

تجهّم إد، لكنه سحب كرسيًا قريبًا ووضعه بجانب كرسيه، مشيرًا إلى ناثان للجلوس.

- «أوه، شكرًا، شكرًا، صديقي». بدا ناثان ممتنًا بشكلٍ مضحكٍ عندما جلس.

ساد الصمت لبرهة. نظف إد بلعومه.

- «كان والد بوني عنيفًا»، قال ناثان دون سابق إنذار، «عنيفٌ جدًا. ولا أعتقد أنني أعرف حتى نصف الأشياء التي كان يقوم بها. ليس لبوني. بل لأمها. لكن بوني وأختها الصغيرة كانتا تشاهدان كل شيءٍ. لقد عاشتا طفولةً قاسيةً جدًا».

بدأ إد: «لست متأكدًا أنه ينبغي ...».

تابع ناثان: «لم أقابل والدها أبدًا، مات بأزمةٍ قلبيةٍ قبل أن أقابل بوني. على أي حالٍ، بوني تعاني، حسنًا، لقد شخّص أحد الأطباء النفسيين حالتها بأنها تعاني من إجهاد ما بعد الصدمة النفسية. إنها بخير معظم الوقت لكنها كانت تعاني من كوابيس سيئة جدًا، ومن، أمم، بعض الصعوبات أحيانًا».

شرد في الجدار خلف مادلين، كانت عيناه فارغتان وهو يفكر بكل الأسرارالتي تجعل مادلين تدرك الآن أنه كان زواجًا معقدًا.

مادلين: «لست مضطرًا لإخبارنا بأيٍ من هذا».

قال ناثان يائسًا: «إنها امرأة جيدة، يا مادي».

لم يكن ينظر إلى إد. كانت عيناه مثبتتان على مادلين. كان يناشد تاريخهما سوية. كان يستحضر ذكريات الماضي والحبّ الذي ولّى؛ رغم أنه قد هجرها، كان يطلب منها أن تنسى كل ذلك وأن تتذكر الأيام التي كانا فيها مهووسين ببعضهما البعض، عندما كانا يستيقظان وهما يبتسمان ببلاهةٍ لبعضهما البعض. كان ضربًا من الجنون لكنها عرفت أن ذلك هو ما كان يطلبه. كان يطلب معروفًا من مادلين ذات العشرين عامًا.

ناثان: «إنها أمٌ رائعةٌ. أفضل أم. ويمكنني أن أعدك، لم تقصد أبدًا جعل بيري يسقط، أعتقد أنه حدث ذلك عندما رأته يضرب سيليست على ذلك النحو ...».

قالت مادلين: «شيءٌ ما انفجر في داخلها». لقد رأت يد بيري تعود إلى الخلف في قوسٍ رشيق ومتمرّس. وسمعت صوت بوني النابع من أعماقها.

بدا لها أن هناك مستويات عديدة من الشر في العالم. شرور صغيرة مثل كلماتها الخبيثة. مثل عدم دعوة طفلٍ إلى حفلة. شرورٍ أكبر مثل التخلي عن زوجتك ولديها طفلٌ حديث الولادة وأن تقيم علاقةً جنسية مع مربية طفلك. ثم كان هناك نوعٌ من الشر الذي لم يكن لمادلين أي خبرة فيه: القسوة في غرف الفنادق والعنف في منازل الضواحي والمتاجرة بالقاصرات كالبضائع، وتحطيم القلوب البريئة.

ناثان: «أعلم انكِ لستِ مدينةً لي بشيءٍ. لأنه من الواضح أن ما فعلته لك عندما كانت أبيغيل طفلةً كان أمرًا لا يُغتفر أبدًا و ...».

قاطعته مادلين: «ناثان». كان جنونًا وما منه طائل لأنها لم تسامحه، واختارت ألا تسامحه أبدًا، وقد يدفعها إلى التشتت والحيرة بقية حياتها، ويومًا ما سيصطحب أبيغيل في ممر الكنيسة بينما تكزّ مادلين على أسنانها طوال الطريق، لكنه لا يزال من أفراد العائلة، ولا يزال ينتمي إلى لوحة الورق المقوى التي صنعتها والتي تُظهر شجرة العائلة.

كيف يمكنها أن تفسر لإد بأنها لا تحب بوني بالذات، ولا حتى تفهمها، لكن على ما يبدو أنها كانت مستعدةً للكذب من أجلها بنفس الطريقة التي تكذب فيها تلقائيًا من أجل إد وأطفالها وأمها. لقد تبيّن، ويا للغرابة، أن بوني كانت من العائلة أيضًا.

مادلين: «لن نقول أي شيءٍ للشرطة. نحن لم نرَ ما حدث. لم نرَ أيّ شيء».

نهض إد فجأةً فأصدر كرسيّه صوتًا، ثم غادر الغرفة دون أي التفاتة.

المحقق الرقيب أدريان كوينلان: هناك شخص لا يقول حقيقة ما جرى على تلك الشرفة.

الفصل التاسع والسبعون

كان الشرطي يشبه والد أحد لاعبي كرة القدم، لكن كان هناك شيئًا رائعًا وعميقًا في عينيه الخضراوين المتعبتين. كان يجلس بجوار سرير جين في المستشفى ومعه قلمٌ مثبتٌ فوق مفكرته الصفراء.

- «دعيني أستوضح الأمر. كنتِ تقفين على الشرفة لكنكِ كنتِ تنظرين نحو الداخل؟».

جين: «نعم، بسبب الضجة الكبيرة. كان من في الداخل يرمون بالأشياء جزافًا».

- «ثم سمعتِ صراخ سيليست وايت؟».

جين: «أعتقد كذلك. الأمر كله محيّرٌ للغاية. كل شيءٍ مشوشٌ في ذهني بسبب كوكتيلات الشمبانيا تلك».

-«نعم»، تنهّد الشرطي، «كوكتيلات الشمبانيا تلك. لقد سمعت عنها الكثير».

مكتبة
t.me/t_pdf

جين: «كان الجميع في حالة سكرٍ شديد».

- «أين كنتِ تقفين بالنسبة لبيري وايت؟».

- «أمم، أعتقد نوعًا ما بجانبه».

كانت قد أخبرتها آخر ممرضةٍ رأتها أن عليهم اصطحابها لإجراء صورة أشعةٍ سينيةٍ فورًا. كان والداها في طريقهما إليها مع زيغي. وكانت تنظر إلى باب غرفتها وتتمنّى أن يأتي أحدًا، أيًا كان وينقذها من هذا الحديث.

- «وما طبيعة علاقتك ببيري؟ هل كنتم أصدقاء؟».

فكرت جين باللحظة التي خلع فيها شعره المستعار وأصبح ساكسون بانكس. لم تخبره أبدًا أن لديه ابنًا يُدعى زيغي ويحب اليقطين. لم تحصل على اعتذارٍ أبدًا. أهذا ما جاءت إلى بيريوي من أجله؟ لأنها أرادته أن يشعر بالندم؟ هل ظنّت بالفعل أنها ستعجله يندم على فعلته؟

أغمضت عينيها. «لقد التقيت به أول مرة الليلة الماضية. كنت تعرّفتُ عليه للتو».

قال الشرطي: «أعتقد أنكِ تكذبين». ووضع دفتر ملاحظاته. جفلت جين من التغيير المفاجئ في لهجته. عند سؤالها «هل تكذبين؟». كان صوته قويًا وثقيلاً كصوت المطرقة التي تضرب الحديد بقوةٍ.

الفصل الثمانون

قالت والدة سيليست: «هناك شخصٌ يريد أن يقابلكِ».

نظرت سيليست من السرير حيث كانت تجلس والولدين على جانبيها يشاهدان الرسوم المتحركة. لم تكن ترغب بالحركة من مكانها. كان الولدان يريحان ثقل جسديهما الدافئين عليها.

لم تكن تعرف بماذا يفكر الولدين. لقد بكيا كثيرًا عندما أخبرتهما بما حدث لوالدهما لكنها لم تعرف إن كانا يبكيان لأن بيري قد وعد باصطحابهما للصيد في الحوض الصخري هذا الصباح ولم يعد قادرًا على تنفيذ وعده بعد الآن.

همس جوش: «لماذا لم يحلّق أبي؟ عندما سقط عن الشرفة؟ لماذا لم يطير؟».

قال ماكس بمرارةٍ: «كنت أعرف أنه لا يستطيع الطيران. كنت أعلم أنه كان يختلق ذلك».

كانت تشك الآن في هذه اللحظة بأن عقليهما الصغيرين كانا فارغين ومصعوقين مثل عقلها وأن الألوان الساطعة لشخصيات الرسوم المتحركة هي الشيء الوحيد الذي بدا حقيقيًا.

قالت: «هو ليس صحفيًا آخر، أليس كذلك؟».

قالت والدتها: «اسمها بوني. تقول إنها واحدةٌ من أمهات الأطفال في المدرسة وتود الحديث إليك لبضع دقائق. تقول إنه أمرٌ مهمٌ. وأحضرت

هذا»، رفعت والدتها طبقًا خزفي، «تقول إنها لازانيا نباتية». رفعت والدتها حاجبًا وكأنها تقول رأيها في اللازانيا النباتية.

نهضت سيليست وهي ترفع الصبيين برفق وتركتهما ينزلان على جانبيهما على الاريكة. أصدرا همهمة خفيفة احتجاجًا لكنهما لم يزيحا عينيهما عن التلفاز.

كانت بوني تنتظرها في غرفة الجلوس، تقف بلا حراك وهي تنظر إلى المحيط وضفيرتها الشقراء الطويلة تتدلى وسط ظهرها المستقيم وكأنها في وضعية اليوغا. وقفت سيليست عند المدخل وراقبتها للحظةٍ. كانت هذه المرأة هي المسؤولة عن وفاة زوجها.

استدارت بوني ببطءٍ ثم ابتسمت بحزنٍ وقالت: «سيليست».

لا يمكنك أن تتخيّل منظر هذه المرأة الهادئة ذات البشرة البيضاء اللامعة وهي تصرخ «نحن نرى! نحن نرى بحق الجحيم». لا يمكنك تخيُّل شتائمها.

قالت سيليست: «شكرًا على اللازانيا». وكانت تعنيها. كانت تعلم أن بيتها سيمتلئ قريبًا بأفراد عائلة بيري المكلومة.

- «حسنًا، هذا أقل شيء ...»، لكنّ تعبيرًا من الألم الخالص عكّر صفو وجهها الهادئ مؤقتًا، «لا تكفي كلمة «آسفة» للصفح عما فعلته لكن من الواجب عليّ المجيء إلى هنا لأقولها».

ردّت عليها سيليست بصوتٍ خافت: «لقد كان حادثًا. لم يكن قصدك أن يسقط».

بوني: «طفليكِ الصغيرين. كيف حالهما ...؟».

سيليست: «لا أعتقد أنهما قد فهما أي شيءٍ فعليًا حتى الآن».

بوني: «لا. لن يستوعبا حاليًا الأمر»، أخرجت نفسًا عميقًا وطويلاً من فمها عمدًا وكأنها كانت تمارس تنفس اليوغا. ثم أردفت: «أنا ذاهبةٌ الآن

إلى مخفر الشرطة. سأدلي بإفادتي وأخبرهم بالضبط كيف حدث ذلك. لستِ بحاجةٍ للكذب من أجلي».

- «لقد أخبرتهم الليلة الماضية أنني لم أرَ ...».

رفعت بوني يدها: «سيعودون مرةً أُخرى للحصول على إفادة شهود مناسبة. أخبريهم الحقيقة هذه المرة كما هي»، أخذت نفسًا طويلاً بطيئًا آخر، «كنت سأكذب. لديّ الكثير من الخبرة في ذلك، كما ترين. أنا أجيد الكذب. بينما كنت أترعرع وأكبر كنت أكذب طوال الوقت. على الشرطة. على الأخصائيين الاجتماعيين. كان عليّ الاحتفاظ بالأسرار الكبيرة. حتى أنني سمحت لصحفيةٍ بإجراء مقابلةٍ معي هذا الصباح، وكنت بخير، لكن بعد ذلك، لا أعرف إن كنت سأبقى كذلك. ذهبت لإحضار ابنتي من منزل والدتي، وعندما دخلت من الباب الأمامي، تذكّرت آخر مرةٍ رأيت فيها أبي يضرب أمي. كنت في العشرين من عمري. كنت ناضجةً. لقد ذهبت لزيارتهما، وبدأ الامر. فعلت أمي شيئًا. لا أتذكر ما هو بالضبط. لم تضع ما يكفي من صلصة الطماطم في طبقه. ضحكت بطريقةٍ خاطئة». نظرت بوني بشكلٍ مباشر إلى سيليست. «وأنت تعرفين البقية».

قالت سيليست بصوتٍ أجش: «نعم، أعرف». وضعت يدها على الأريكة حيث أمسك بيري برأسها ذات مرةٍ.

- «هل تعرفين ماذا فعلتُ؟ ركضت إلى غرفة نومي القديمة واختبأت تحت السرير». ضحكت بوني ضحكةً صغيرةً مريرة غير مصدقةٍ، «لأن ذلك ما كنا نفعله أنا وأختي دائمًا. لم أفكر حتى. ركضت فقط. واستلقيت على بطني، وقلبي يخفق بسرعةٍ، أنظر إلى السجادة الصوفية القديمة الخضراء الخشنة، بانتظار أن ينتهي الموقف، ثم فكرت فجأةً، يا إلهي. ماذا أفعل؟ أنا امرأةٌ ناضجةٌ وأختبأ تحت السرير. فخرجت من تحت السرير، واتصلت بالشرطة».

سحبت بوني ضفيرتها من على كتفها وأعادت تعديل ربطة الشعر المطاطية في نهايتها: «لم أعد أختبأ تحت السرير بعدها. ولا أحتفظ بالأسرار. ولا أريد أن يحتفظ الناس بالأسرار من أجلي».

دفعت ضفيرتها فوق كتفها مرةً أُخرى. «على أي حال، لا بد أن تظهر الحقيقة. مادلين وريناتا قادرتين على الكذب على الشرطة. لكن بالتأكيد ليس إد. ولا جين كذلك. ولا حتى زوجي البائس اليائس. من الممكن أن يكون ناثان هو الأسوأ بينهم».

سيليست: «كنت سأكذب من أجلك. أستطيع الكذب».

- «أعرف أنكِ تستطيعين»، كانت عينا بوني تلمعان، «أعتقد أنكِ قد تكونين جيدةً جدًا به أيضًا».

تقدمت نحو الأمام ووضعت يدها على ذراع سيليست.

- «لكن يمكنكِ التوقّف الآن».

الفصل الواحد والثمانون

بوني ستقول الحقيقة.

كانت تلك رسالةً نصيةً من سيليست.

خبطت مادلين الهاتف وهي تتصل برقم إد. بدا فجأةً وكأن مستقبل زواجها يتوقف على وصولها إليه قبل ذهابه إلى المقابلة.

رن جرس الهاتف طويلاً. كان الوقت متأخرًا.

- «ما الأمر؟». كان صوته فظًا.

غمرها الارتياح. «أين أنتِ؟».

- «لقد ركنت السيارة للتو، وأنا على وشك الدخول إلى مخفر الشرطة».

مادلين: «بوني ستعترف. لست بحاجةٍ للكذب من أجلها».

وساد صمتٌ مطبق.

قالت: «إد؟ هل تسمعني؟ يمكنك أن تخبرهم ما رأيته بالضبط. يمكنك أن تقول لهم الحقيقة».

بدا وكأنه كان يبكي. لم يبكي قط.

قال بخشونةٍ: «ما كان يجب أن تطلبي مني ذلك. كان ذلك أكثر بكثير من أن يُطلب مني. كان ذلك من أجله. كنتِ تطلبين مني أن أفعل ذلك من أجل زوجك السابق الفظيع».

مادلين: «أعرف»، كانت تبكي الآن أيضًا، «أنا آسفةٌ. أنا آسفةٌ جدًا».

- «وكنت سأفعل ذلك».

لا، لم تكن كذلك يا عزيزي، فكّرت وهي تمسح دموعها بظهر يدها. لا، لم تكن كذلك.

عزيزي زيغي ...

لا أعرف إن كنت تتذكر الأمر ولكن في السنة الماضية في يوم الأطفال الجدد في الروضة لم أكن لطيفةً جدًا معك. لقد اعتقدت أنك أذيت ابنتي وأنا أعلم الآن أن هذا عارٍ عن الصحّة. أتمنى أن تسامحني وآمل أن تسامحني والدتك أيضًا. لقد تصرّفت بشكلٍ سيءٍ للغاية معكما أنتما الاثنين وأنا الآن أقدّم اعتذاري لكما.

ستقيم أمابيلا حفلة وداع قبل أن ننتقل إلى لندن، ولنا شرف حضوركما كضيفين خاصيّن. موضوع الحفلة «حرب النجوم». تقول أمابيلا أن عليك إحضار سيفك الضوئي.

المخلصة لكم

ريناتا كلاين (والدة أمابيلا)

الفصل الثاني والثمانون

بعد أربعة أسابيع من ليلة المسابقة

خاطبت جين توم: «هل حاولتْ الحديث معك؟ تلك الصحفية التي تجري مقابلاتٍ مع الجميع؟».

كان منتصف نهارٍ شتوي صافٍ ورائع. وقفا معًا على الممر الخشبي خارج مقهى بلو بلوز. ثمّة امرأةٌ تجلس على طاولةٍ بالقرب من النافذة، كانت تقطّب حاجبيها وهي تدون ملاحظاتٍ على حاسوبها المحمول من جهازٍ تسجيلٍ موصولٍ بأذنها بواسطة سماعة أذنيّة مفردة.

أجاب توم: «سارة؟ بلى. قدمت لها فطائر مجانية وأخبرتها أنه ليس لدي ما أقوله. آمل أن تذكر الفطائر في قصّتها».

قالت جين: «كانت تجري مقابلاتٍ مع الناس منذ الصباح بعد ليلة المسابقة. يعتقد إد بأنها تحاول الحصول على عقدٍ لتأليف كتاب. على ما يبدو أنه حتى بوني تحدثت معها قبل توجيه الاتهام إليها. لا بُدّ أنها تملك الكثير من المعلومات الهامّة».

لوّح توم للصحفية، فردت عليه بذات الطريقة وهي ترفع فنجان قهوتها كتحيةٍ.

توم: «دعينا نذهب».

لقد اصطحبا معهما بعض السندويشات إلى الصخرة الشاطئية لتناول غداءٍ مبكّر. كانت جين قد خلعت حمّالة كتفها المكسور بالأمس. وأخبرها الطبيب أنه بإمكانها البدء ببعض التمارين الرياضية الخفيفة.

سألت جين توم في إشارةٍ إلى الموظفة التي تعمل لديه بدوامٍ جزئي: «هل أنت متأكدٌ أن ماجي قادرةٌ على تسيير أمور المقهى؟».

توم: «بالتأكيد. قهوتها أفضل من قهوتي».

قالت جين بإخلاص: «لا، قهوتها ليست أفضل».

صعدا الدرج حيث اعتادت جين مقابلة سيليست للتنزه بعد إيصال الأولاد إلى المدرسة. فكرت في سيليست التي كانت تُسرع للقائها، وهي مرتبكةٌ وقلقةٌ لأنها تأخّرت مرةً أُخرى، متجاهلةً عدّاء في منتصف العمر كان على وشك الاصطدام بشجرةٍ وهو يحاول إلقاء نظرةٍ ثانيةٍ عليها.

بالكاد رأت سيليست منذ الجنازة.

كان أسوأ شيء في الجنازة هذين الصبيين الصغيرين، بشعرهما الأشقر المُسرّح جانبًا، وقميصيهما الأبيضين الرائعين وسرواليهما السوداوين الصغيرين، ووجهيهما الجادين. كان هناك رسالة كتبها ماكس إلى والده ووضعها فوق تابوته. لقد كتب «أبي» بأحرفٍ غير متساوية مع صورةٍ لشخصين ملتصقين.

حاولت المدرسة دعم أولياء أمور الأطفال في مرحلة الروضة في حال قرروا إرسال أبنائهم لحضور الجنازة أم لا. تم إرسال إيميل يحتوي على روابط مفيدة لمقالاتٍ كتبها علماء النفس: **هل ينبغي عليّ أن أترك طفلي يحضر جنازةً؟**

كان يتوقع الآباء الذين لم يرسلوا أبنائهم لحضور الجنازة بأن الأطفال الذين حضروها سيعانون من الكوابيس وقد تترك لديهم انطباعًا سيئًا في حياتهم، أو على الأقل قد تؤثر على نتائج شهادتهم الثانوية. بينما يأمل الآباء الذين سمحوا لأولادهم بحضور الجنازة أن يتعلم أبنائهم دروسًا قيّمةً

حول دورة الحياة البشرية، ويدعموا أصدقائهم وقت الحاجة، وربما يصبحوا أكثر «مرونةً» الأمر الذي يفيدهم في سنوات المراهقة، ويجعلهم أقل عرضةً للانتحار أو الإدمان على المخدرات.

تركت جين زيغي يذهب، لأنه أراد الذهاب، ولأنها كانت جنازة والده أيضًا، مع أنه لم يكن يعرف ذلك، ولن يكون هناك فرصةٌ أُخرى لحضور جنازة والده.

هل ستخبره ذات يوم؟ هل ستقول: **تتذكر عندما كنت صغيرًا أنك ذهبت إلى أول جنازة؟** لكنه سيحاول ربط معنىً ما بها. سيبحث عن شيءٍ أدركت جين أخيرًا أنه لم يعد موجودًا. على مدار السنوات الخمس الماضية، كانت تبحث بلا جدوى عن المغزى من الخيانة الزوجية وهي في حالة سكر لِذلك لم تجد معنى لها.

كانت الكنيسة مكتظةً بأسرة بيري المنكوبة. كانت أخت بيري (وهي عمة زيغي: قالت جين نفسها، حالما جلست في آخر الكنيسة مع أولياء التلاميذ الذين لا يعرفون بيري فعليًا) قد أنتجت فيلمًا قصيرًا لإحياء ذكرى حياة بيري.

كان فيلمًا تم إنتاجه باحترافية عالية لدرجة بدا فيها وكأنه فيلمٌ حقيقي، وكان له تأثيرًا كبيرًا في جعل حياة بيري تبدو أكثر حيويةً وثراءً وأصالةً من الحياة التي يعيشها من حضر القداس الآن. كانت هناك صورٌ واضحةٌ له كطفلٍ ممتلئ ذو شعرٍ أشقر، ثم ولد مكتنز الجسم، وفجأةً يصبح مراهقٌ وسيم، ثم عريس رائع يقبّل زوجته، وأبٌ جديد لتوأمين يتباهى بهما وهو يحمل طفلاً على كل ذراع. وكان هناك مقاطع فيديو له وهو يرقص الراب مع التوأمين، ويطفأ الشموع، ويتزلج وأطفاله بين ساقيه.

كانت الموسيقي التصويرية جميلةً ومتزامنةً تمامًا مع الصور لتحقيق أقصى قدرٍ ممكن من التأثير العاطفي لدرجة أنه في النهاية حتى الآباء الذين بالكاد يعرفون بيري كانوا ينتحبون بشدة وصفّق أحد الرجال عن غير قصد.

منذ تلك الجنازة لم يبرح هذا الفيلم مخيلة جين. لقد بدا وكأنه دليلٌ دامغ على أن بيري كان رجلاً صالحًا. زوجًا وأبًا جيدًا. بدت ذكرياتها عنه في غرفة الفندق وعلى الشرفة - والعنف العرضي الذي كان يعامل به سيليست - بغيضةً وغير محببة. لا يمكن لرجلٍ يُجلس على ركبتيه طفلان ويضحك بحركةٍ بطيئةٍ لشخصٍ ما يلتقط الصورة لهم، أن يفعل تلك الأشياء.

بدا إجبار نفسها على تذكر ما كانت تعرف أنه صحيح عن بيري متحذلقًا ولا طائل منه، بل ومؤذٍ نوعًا ما. كان من الأفضل لها تذكّر ذلك الفيلم الرائع.

لم ترَ جين سيليست تبكي في الجنازة. كانت عيناها منتفختين وحمراوين لكن جين لم ترَها تبكي. بدت وكأنها تكزُّ على أسنانها، وكأنها تنتظر خروج شيء ما، وتجاوز بعض الآلام الرهيبة. المرّة الوحيدة التي بدت وكأنها على وشك أن تجهش بالبكاء عندما رأتها جين خارج الكنيسة تحاول تهدئة رجل وسيمٍ طويل القامة بدا مثقلاً بالحزن وغير قادرٍ على الحراك.

اعتقدت جين أنها سمعت سيليست تقول: «أوه، ساكسون»، عندما كانت تمسك بذراعه، لكن ربما كان عقلها هو من يحاول إيهامها.

سألها توم عندما وصلا أعلى الدرج: «هل ستتحدثين معها؟».

جين: «مع سيليست؟». فهما لم تتحدثا سويةً، أو على الأقل لم تتحدثا كما ينبغي. كانت والدتها تقيم معها، تساعدها على تربية الولدين، وعرفت جين أن عائلة بيري تأخذ الكثير من وقتها. شعرت جين وكأنها لم تتحدث مع سيليست عن بيري أبدًا. من جهةٍ كان هناك الكثير مما يمكن قوله، ومن جهةٍ أُخرى، لم يكن هناك شيء. قالت مادلين بأن سيليست ترتب للانتقال إلى شقةٍ جديدةٍ في منطقة ماكماهون بوينت. كان البيت الكبير الجميل معروضًا للبيع.

- «لا ليس مع سيليست»، رمقها توم بنظرةٍ غريبةٍ، «بل مع تلك الصحفية».

جين: «أوه، يا إلهي، لا، لم أفعل ولن أفعل. قال إد أن عليّ أن أجيب بصوتٍ حازم ومهذب «لا شكرًا» عندما تتصل بي وأغلق الهاتف بسرعةٍ، كما تفعل مع مندوب المبيعات عبر الهاتف. قال إن لدى الناس فكرةً غريبةً مفادها بأنهم ملزمون بالتحدث مع الصحفيين، وبالطبع هم ليسوا ملزمين. فهم ليسوا مثل الشرطة».

لم يكن لديها أدنى رغبةً بالتحدث مع الصحفية. كانت هناك الكثير من الأسرارٌ. كان مجرد التفكير بالشرطي الذي قابلها في المستشفى يجعلها تشعر بضيقٍ في التنفس. الحمد لله أن بوني قررت الاعتراف.

- «هل أنتِ بخير؟»، توقف توم ووضع يده على ذراعها، «لن أمشي بسرعةٍ؟».

- «أنا بخير. لكن لستُ بلياقتي المعتادة».

- «سنعيدك إلى طبيعتك الرياضية المعتادة».

نقرت صدره بأصبعها: «اسكت».

ابتسم. لم تستطع أن ترى عينيه لأنه كان يضع نظاراتٍ شمسية.

كيف هما الآن؟ أهما صديقين حميمين أشبه بالأخوة؟ صديقين مقربين يعرفان أنهما لن يأخذا الأمور أبعد من ذلك؟ بصراحة كانت عاجزة عن التعبير. كان انجذابهما لبعضهما البعض في ليلة المسابقة يشبه برعم زهرةٍ صغير يحتاج إلى رعايةٍ خاصةٍ لينمو ويكبر، أو على الأقل قبلةُ أولى منتشيه على الحائط في موقف سيارات المدرسة. لكن بعد ذلك حدث ما حدث. وسُحقت تلك النبتة الصغيرة بحذاءٍ ضخم أسود: الموت والدم والعظام المحطمة والشرطة وقصّة لم ترويها له بعد عن والد زيغي. يبدو أنهما لا يستطيعان العودة إلى المسار الصحيح مرةٍ أُخرى الآن. فقد توقف إيقاعهما.

الأسبوع الماضي، خرجا معًا في موعدٍ أشبه ما يكون بموعدٍ غرامي للسينما وتناول العشاء. كانت ليلةً مريحةً جدًا وجميلةً جدًا. لقد شعرا أنهما صديقين حميمين أكثر من كل الساعات التي قضياها سويةً عندما كانا يتبادلان أطراف

الحديث وهي تنجز عملها في بلو بلوز. لكن لم يحدث شيء. حتى أنهما لم يقتربا من بعضهما أكثر.

يبدو أنه مُقدّرٌ على توم وجين أن يكونا أصدقاء. كان أمرًا مخيبًا للآمال بعض الشيء، لكنه لم يكن مدمرًا. يمكن للأصدقاء أن يدوموا مدى الحياة. ترجّح الاحصائيات كفّة علاقات الصداقة.

تلقت هذا الصباح رسالةً نصيةً مرّةً أخرى من ابن عم صديقتها، يسألها فيها إذا كانت ترغب أن يلتقيا لتناول الشراب. ردّت بالموافقة مع الشكر.

سارا نحو مقعدٍ في المتنزه يحمل لوحةً مهداة إلى «فيكتور بيرج» الذي كان يحب التجول في هذه البقعة من الأرض. (أن أولئك الذين نحبهم لا يرحلون بعيدًا، فهم يجلسون بجوارنا كل يوم). وهو ما جعل جين تفكر دائمًا بالجدّ بوبي، الذي ولد في نفس العام الذي ولد فيه فيكتور.

سألها توم حالما جلسا ليأكلا شطائرهما: «كيف حال زيغي؟».

جين: «إنه بخير»، نظرت إلى المدى الأزرق، «بل رائع».

أقام زيغي علاقة صداقة مع صبيٍّ جديد عاد لتوه إلى أستراليا بعد أن قضى عامين في سنغافورة. سرعان ما أصبح زيغي ولوكاس صديقان لا ينفصلان.

دعا والدا لوكاس، وهما زوجان في الأربعين من عمرهما، جين وزيغي إلى تناول العشاء لديهما. كانت هناك خططٌ لجمع جين بعم لوكاس.

وضع توم يده فجأةً على ذراع جين. صرخت جين: «يا إلهي. ما الأمر؟». كان ينظر إلى البحر وكأنه رأى شيئًا.

- «أعتقد أنني أتلقى رسالةً»، وضع إصبعه على صدغه، «نعم، نعم، إنه أنا. إنها من فيكتور!».

-«فيكتور؟».

قال توم بحماسة: «فيكتور بيرج، الذي أحب أن يتجول في هذه البقعة من الأرض!»، نقر بإصبعه على اللوحة، «فيكتور، يا صديقي، ما هذا؟».

قالت جين بمودةٍ: «يا إلهي، أنت أحمق».

نظر توم إلى جين. «يقول فيكتور إذا لم أسرع وأقبّل هذه الفتاة فإنني أحمقٌ للغاية».

جين: «أوه!»، شعرت أن معدتها قفزت من مكانها من شدّة الغبطة وكأنها ربحت جائزةً، وبقشعريرةٍ تسري في كامل جسدها. لقد حاولت سابقًا أن تواسي نفسها ببعض الأكاذيب. يا إلهي، بالطبع لقد أصيبت بخيبة أملٍ لعدم حدوث شيءٍ. لقد كانت محبطة، محبطةً للغاية، «حقًا، هل هذا ما ...».

سارع توم إلى تقبيلها بالفعل، كانت إحدى يديه تمسك وجهها، والأُخرى تُبعد السندويشات من حضنها وتضعها على المقعد بجانبه، على ما يبدو أن تلك النبتة الصغيرة لم تمُت رغم كل شيء، وأن أولى القبلات لا تحتاج بالضرورة إلى العتمة والكحول، يمكن أن تحدث في الهواء الطلق، في الهواء البارد والشمس الدافئة التي تداعب وجهك وكل شيءٍ من حولك صادقٌ وحقيقي وواقعي والحمد لله أنها لم تكن تمضغ علكةً لأنه كان عليها أن تبتلعها بسرعةٍ وذكاءٍ وربما ستفوتها حينها حقيقة أن مذاق توم كان بالضبط ما توقعته: مذاق القرفة الحلوة والقهوة والبحر.

قالت عندما توقفا لاستنشاق الهواء: «كنت أظنّ أننا متجهان نحو الصداقة».

رفع توم خصلةٍ من شعرها عن جبينها ووضعها خلف أذنها «لدي ما يكفي من الأصدقاء».

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث والثمانون

سامانثا: هل انتهينا من كل شيء؟ هل حصلتم على كل ما تحتاجونه؟ إنها ملحمةٌ، أليس كذلك؟ لقد عدنا جميعًا إلى طبيعتنا الآن إلا أننا جميعًا نحن أولياء الأمور نتعامل بلطفٍ شديد مع بعضنا البعض. أمرٌ يدعو للضحك.

غابرييل: لقد ألغوا احتفالات الربيع. لكننا متمسكون بأكشاك الكعك حاليًا. هذا هو ما أحتاجه. لقد ازداد وزني خمس كيلو غرامات نتيجة كل هذه الضغوط.

ثيا: ستنتقل ريناتا إلى لندن. وصل زواجها إلى طريقٍ مسدود. ربما لو كنت مكانها لبذلت جهدًا أكبر، لكن هذا رأيي وحسب. ليس باليد حيلة، ويجب أن تكون مصلحة الأولاد قبل كل شيء.

هاربر: من الطبيعي أن نزور ريناتا في لندن العام القادم! بعد أن تستقر بالطبع. تقول إن الأمر قد يستغرق بعض الوقت. نعم، سأعطي غرايم فرصةً أُخرى. لن أسمح لمربيةٍ تافهةٍ وضيعة أن تدمّر زواجي. لا تقلقي. إنه يدفع الثمن. ليس بأضلاعه المحطّمة وحسب. سنخرج جميعًا لمشاهدة فيلم The Lion King هذه الليلة.

ستو: أكثر ما يحيرني ويثير حفيظتي هو التالي: لماذا لم تتجه تلك العصفورة الفرنسية صوبي؟

جوناثان: لقد اتجهت نحوي بصراحة لكن ذلك غير قابلٍ للنشر.

الآنسة بارنز: ليس لديّ أدنى فكرة عما حصل للعريضة. لم يتحدث عنها أحد مرةً أُخرى بعد ليلة المسابقة. نتطلع جميعًا إلى فصل جديدٍ وبدايةٍ جديدةٍ. أعتقد أننا سنشكل وحدة خاصةً لحل النزاع. يبدو الأمر مناسبًا.

جاكي: نأمل أن يُترك الأطفال لوحدهم كي يتعلموا القراءة والكتابة.

السيدة ليبمان: أعتقد أننا ربما تعلمنا جميعًا أن نكون ألطف مع بعضنا البعض. وأن نوثّق كل شيءٍ. **كل شيء**.

كارول: على ما يبدو أن نادي مادلين للكتاب لا يمتّ بصلةٍ للخيال المثير مطلقًا! كانت كلها مزحة! لقد انكشف أولئك المتصنّعون للحياء حينها! ولكن من المضحك أنه بالأمس فقط، ذكرت صديقة من الكنيسة أنها تنتمي إلى نادي Christian Erotic Fiction Club. لدي بالفعل ثلاثة فصول من كتابنا الأول، ولن أبالغ إن قلت إنه ممتع حقًا، حسنًا، ما الكلمة المناسبة له؟ **حامي!**

المحققِ الرقيب أدريان كوينلان: اعتقدتُ أنها كانت الزوجة بصراحة. كانت كل احاسيسي تشير إلى الزوجة. كنت سأراهن على ذلك. يبدو أنه لا يمكنك دائمًا الوثوق بأحاسيسك. نعم تفضّل هذا. وهو المطلوب. يجب أن يكون لديك كل ما تحتاجه الآن، أليس كذلك؟ أنت تقوم بإطفاء ذلك الشيء؟ لأنني كنت أتساءل، لا أعرف إن كان هذا مناسبًا الآن، لكنني أتساءل إن كنتِ ترغب بمشروب ...

الفصل الرابع والثمانون

عام بعد حفلة مسابقات المدرسة

جلست سيليست خلف طاولةٍ طويلةٍ عليها غطاءٌ أبيض بانتظار مناداة اسمها. كان قلبها يخفق بشدّة، وكان فمها جافًا. التقطت كأس الماء الذي بجانبها، فلاحظت أن يدها ترتجف، سرعان ما أعادته الى مكانه؛ لم تكن متأكدة إن كان بإمكانها إيصاله إلى فمها بأمان دون إراقته. لقد تحدّثت مؤخرًا عدة مرات في المحكمة، لكن هذه المرة كانت مختلفة. لم تكن تريد البكاء، رغم أن «سوزي» أخبرتها أن الأمور بخير، وأن الجميع سيتفهّم ذلك ويتعاطف معها.

قالت لها سوزي: «ستتحدثين عن بعض التجارب الشخصية والحساسة والمؤلمة للغاية، وهو شيءٌ كبير أطلبه منكِ».

نظرت سيليست الى الجمهور القليل من الرجال والنساء الذين يرتدون البدلات وربطات العنق. كانت وجوههم خاليةً من المشاعر ويظهر عليها الطابع المهني، لكن بعضهم بدأ يتململ قليلاً.

قال لها بيري ذات مرة عندما كانا يتحدثان عن الخُطب العامة: «أنا أختار دائمًا شخصًا من الجمهور. وجهٌ ودود في مكان ما وسط الحشد، وعندما أقف، أتحدث معه أو معها، كما لو كنّا نحن الاثنين موجودين فقط».

تذكرت أنها فوجئت بسماع أن بيري لم يكن بحاجةٍ إلى أي تقنيات على الإطلاق. كان يبدو دائمًا واثقًا من نفسه ومرتاحًا للغاية عندما يتحدث

في الأماكن العامة؛ بدا مثل نجمٍ هوليودي له كاريزما ساحرة في برنامج حواري. لكن هذا كان بيري. لكن إذا ما عُدنا إلى الماضي، نجد أنه عاش حياته في حالةٍ من الخوف الدائم: الخوف من الإهانة، والخوف من فقدانها، والخوف من كونه ليس محبوبًا.

للحظة، تمنّت لو كان هنا ليراها تتكلّم. لم تستطع التوقف عن التفكير بأنه سيكون فخورًا بها، بغض النظر عن الموضوع المطروح. بيري الحقيقي سيفخر بها.

هل كان محض أوهام؟ على الأرجح، نعم. كان التفكير الوهمي هو تخصصها هذه الأيام، أو ربما تخصصها دائمًا.

كان أصعب شيء عليها خلال العام المنصرم هو التشكيك وعدم الثقة بكل فكرةٍ وعاطفةٍ عابرة. في كل مرةٍ تبكي فيها على وفاة بيري تشعر بالخيانة لجين. كان من الحماقة والضلال والخطأ الحزن على رجلٍ فعل ما فعله. كان من الخطأ البكاء بسبب دموع طفليها، في الوقت الذي كان ثمّة صبيٌّ صغيرٌ آخر لا يعرف حتى أن بيري هو والده. يجب أن تكون المشاعر الصحيحة في مثل هذه الحالة هي الكراهية والغضب والندم. هذا ما عليها أن تشعر به، وكانت سعيدة عندما شعرت بكل تلك الأشياء، وهو ما فعلته غالبًا، لأنها كانت مشاعر عقلانية ومناسبة، ولكن بعد ذلك تجد نفسها تفتقده، وتتطلع شوقًا لمعرفة وقت عودته من رحلته إلى المنزل، وتشعر بالغباء مرةً أُخرى، وتُذكِّر نفسها أن بيري قد خدعها، وربما في مناسبات عدّة.

كانت تصرخ عليه في أحلامها قائلةً: «كيف تجرؤ! كيف تجرؤ!»، وتضربه مرارًا وتكرارًا. ثم تستيقظ والدموع تبلل وجهها.

- «ما زلت أحبه». هذا ما أخبرت به سوزي، وكأنها تعترف بشيءٍ مقرف.

- «بإمكانك أن تظلّي تحبينه».

قالت لها: «سأصاب بالجنون».

- سوزي: «عليكِ أن تعملي على تجاوز الأمر». ثم استمعت بصبرٍ بينما تحدثت سيليست عن كل زلّةٍ كان بيري يعاقبها عليها بما فيها من تفاصيل مؤلمة أعلم أنه كان عليّ أن أجعل الولدين يرتّبان قطع الليغو في ذلك اليوم لكنني كنت متعبةً، ما كان يجب أن أقول ما قلته، ما كان يجب أن أفعل ما فعلته. لسبب ما، كانت تختار بلا توقف حتى أكثر الأحداث تفاهةً في السنوات الخمس الماضية وتحاول تصحيحها في ذهنها.

- «لم يكن ذلك عادلاً، أليس كذلك؟». ظلت تقول لسوزي، وكأن سوزي هي الحَكم، وكأن بيري موجودٌ ويستمع الى هذا المحكّم المستقل.

- «برأيك أن هذا عدلاً؟»، قد تقول سوزي ما يجب على المعالج الجيد أن يقول «وهل تعتقدين أنك تستحقين هذا؟».

رأت سيليست رجلاً يجلس على يمينها يلتقط كأس الماء الذي أمامه. ربما كانت يده ترتجف أكثر من يدها، لكنه ثابر على إيصالها إلى فمه، حتى عندما كانت مكعبات الثلج تصطدم ببعضها واندلقت المياه على يده.

كان رجلاً طويلاً حسن الشكل نحيل الوجه في منتصف الثلاثينات من عمره، يضع ربطة عنق تحت كنزة حمراء لا تبدو مناسبة. مؤكد أنه مستشار آخر، مثل سوزي، لكنه من أولئك الذين يعانون من خوفٍ مرضيٍ من التحدث أمام الجمهور. أرادت سيليست أن تضع يدها على ذراعه لتهدئته لكنها لم ترغب بإحراجه، كونه كان، رغم كل شيء، شخصًا ذو خبرة ومهنية هنا.

نظرت إلى الأسفل وراقبت أين ينتهي سرواله الأسود. كان يرتدي جوارب بنية فاتحة تصل لكاحله وحذاءٍ أسود ملمّع جيدًا. كان هذا الانتقاء المضحك للملابس ذوقًا قد تعتبره مادلين مناسب. سمحت سيليست لمادلين بمساعدتها في اختيار قميصٍ جديدٍ من الحرير الأبيض لارتدائه اليوم مع تنورة ضيّقةٍ وحذاءٍ أسود مناسب للمحكمة. قالت مادلين: «ليس حذاء بإصبع» عندما نسّقت سيليست ملابسها وقامت باختيار صندل. «حذاء بإصبع ليس مناسب لهذا الحدث».

أذعنت سيليست لها. كانت تسمح لمادلين بفعل الكثير من الأشياء لها خلال العام الماضي. ظلّت مادلين تقول: «كان عليّ أن أعرف. كان عليّ أن أعرف ما كنتِ تمرّين به». بغض النظر عن عدد المرات التي أكدت فيها سيليست لها أنه لم يكن هناك طريقة ممكنة يمكن أن تعرّف من خلالها، وأن سيليست ما كانت ستسمح لها أن تعرف، لكن مادلين ظلّت تغالب الشعور بالذنب. كل ما يمكن لسيليست أن تفعله هو السماح لها بأن تكون موجودة من أجلها الآن.

بحثت سيليست عن وجهٍ ودودٍ بين الجمهور، واستقرت على امرأة في الخمسينات من عمرها، ذات وجهٍ مشرق يشبه الطائر، كانت تومئ برأسها مشجّعةً كما فعلت سوزي خلال مقدمتها.

ذكّرت سيليست قليلاً بمعلّمة الولدين الجديدة في الصف الأول في مدرستهما الجديدة على مقربة من الشقة. وقد حددت سيليست موعدًا لرؤيتها قبل أن تبدأ المدرسة. أخبرتها سيليست في أول لقاء: «كانا يؤلّهان والدهما، ومنذ وفاته، واجها بعض المشاكل السلوكية».

قالت السيدة هوبر: «بالطبع سيواجهان مشاكل»، بدت أنها لم تتفاجأ «دعينا نعقد اجتماعًا أسبوعيًا حتى نتمكن من متابعة الأمر».

استطاعت سيليست ضبط نفسها أمامها. كانت تودّ لو ترمي نفسها في حضنها وتجهش بالبكاء على بلوزتها الزهرية الجميلة.

لم يتأقلم التوأمان مع الوضع جيدًا خلال العام الماضي. كانا معتادين على غياب بيري عن المنزل لفترات طويلة لدرجة أنه استغرق منهما طويلاً حتى يفهما أنه لن يعود إلى المنزل أبدًا. كانا يتصرفان مثل والدهما عندما تسوء الأمور: بغضب وعنف. كانا يحاولان كل يومٍ قتل بعضهما البعض لكن ينتهي بهم الحال كل ليلةٍ في نفس السرير ورأسيهما على نفس الوسادة.

كانت رؤية الحزن في عينيهما بمثابة عقاب لسيليست، لكن عقاب على ماذا؟ على البقاء مع والدهما؟ على رغبتها في أن يموت؟

لم يكن على بوني قضاء فترةٍ في السجن. فقد أدينت بارتكابها فعل خطير يعاقب عليه القانون ووجهت لها تهمة القتل غير المتعمّد وحكم عليها بالعمل

200 ساعة لخدمة المجتمع. لكن عند إصدار الحكم، أشار القاضي إلى أن المسؤولية الأخلاقية للمدعى عليه هي آخر ما يتم الأخذ به في هذا النوع من الجرائم. لقد أخذ بعين الاعتبار أن بوني لم يكن لديها أي سجلٍ جنائي، وكانت نادمةً بشكل واضح، رغم أنه كان من المتوقع أن تسقط الضّحية، إلاّ أن هذا لم يكن في نيّتها.

كما أخذ بعين الاعتبار شهادة الخبراء الذين أثبتوا أن درابزين الشرفة كان أخفض من الحد المطلوب للارتفاع في قانون البناء الحالي، وأن كراسي البار كانت غير مناسبة للاستخدام على الشرفة، وأن هناك عوامل مساهمة أُخرى بما فيها الطقس وما نتج عنه من زلاقة السور وحالة الثمل التي كان عليها كل من المدّعى عليه والضحية.

ووفقًا لما ذكرته مادلين، فقد أدّت بوني خدمتها المجتمعية بكل سرور، وكانت أبيغيل بجانبها طوال ذلك الوقت.

كانت هناك مراسلات متبادلة بين شركات التأمين والمحامين، لكن بدا كأن شيئًا يجمعهم جميعًا. أوضحت سيليست أنها لا تريد أي مالٍ أو تعويضاتٍ من المدرسة، وأنها ستعيد التبرّع بأية تعويضات تحصل عليها لتغطية أقساط التأمين المرتفعة نتيجة الحادث.

تم بيع المنزل والممتلكات الأُخرى، ونقلت سيليست الولدين الى شقة صغيرة في ماكماهونز بوينت، وعادت للعمل لثلاثة أيام في الأسبوع في مؤسسة قانونية معنية بالأحوال الشخصية. لقد استمتعت بحقيقة أنها لا تشغل نفسها بالتفكير بأي شيءٍ آخر لساعات متواصلةٍ.

على الرغم أنها قامت بإنشاء صندوقي ائتمان للولدين، ولكنها مصرةً على ألا يعتمدوا على ذلك فقط في حياتهم. كانت مصممةً على أن يعمل ماكس وجوش في المطاعم كنادلين في بداية حياتهم المهنية ويسألون الزبائن، «هل تريدان البطاطا المقلية مع هذا الطبق؟».

كما أنشأت صندوقًا ائتمانيًا بقيمة متساوية لزيغي.

- «ليس عليكِ فعل هذا»، قالت لها جين عندما أخبرتها على الغداء في مقهى قرب شقة سيليست. انتابها الخوف وشعرت بالغثيان، «نحن لا نريد نقوده، أعني نقودك».

قالت لها سيليست: «إنها أموال زيغي. لو علم بيري أن زيغي هو ابنه لرغب أن يعامله تمامًا مثل ماكس وجوش، كان بيري ...».

ولكن بعد ذلك وجدت نفسها غير قادرة على الكلام، لأنه كيف يمكنها أن تقول لجين أن بيري كان سخيًّا عندما يُخطئ، ونزيهًا بشكلٍ صارم. لطالما كان زوجها منصفًا للغاية، إلا أنه احيانًا يكون ظالمًا بشكلٍ فظّيع. لكن جين مدّت يدها على طاولة المقهى وأخذت يدها وقالت: «أعلمُ أنه كان كذلك»، كما لو أنها فهمت تقريبًا كل ما كان عليه بيري وما لم يكن.

وقفت سوزي خلف المنبر، بدت جميلة اليوم، كونها قلّلت من مكياج العيون، والحمد لله.

قالت سوزي: «لا يكون ضحايا العنف المنزلي مطلقًا مثلما تتوقع لهم أن يكونوا. ولا تكون قصصهم دائمًا بالأبيض والأسود مثلما تتوقع أن تكون».

بحثت سيليست عن ذلك الوجه الودود بين جمهور أطباء قسم الطوارئ والممرضات والأطباء العامين والمستشارين.

- «ولهذا السبب طلبت من هذين الشخصين الجميلين المثول هنا اليوم، لقد أعطونا من وقتهما الكثير ليشركونا تجاربهما». هذا ما قالته سوزي رافعةً يدها ثم أشارت إلى سيليست والرجل الجالس بجانبها. كان قد وضع إحدى يديه على فخذه في محاولة لوقف اهتزاز ساقه نتيجة التوتر.

يا إلهي، فكّرت سيليست بينها وبين نفسها. رمشت بعينيها محاولةً منع اندفاعٍ مفاجئٍ لدموعها. إنّه ليس مستشارًا، إنّه شخص مثلي، حدث له شيء أيضًا.

التفتت لتنظر إليه فابتسم لها، وعيناه تتحركان كسمكةٍ صغيرة.

قالت سوزي: «سيليست؟».

وقفت سيليست، ثم نظرت مرّةً أُخرى الى الرجل الذي يرتدي سترةً وربطة عنق، وعادت ونظرت إلى سوزي، التي أومأت برأسها مشجعةً. سارت سيليست بضع خطوات لتقف خلف المنبر الخشبي. بحثت بين الجمهور عن تلك المرأة ذات الوجه اللطيف. أجل، ها هي ذا تبتسم وتومئ برأسها قليلاً.

أخذت سيليست نَفَسًا عميقًا.

لقد وافقت على المجيء إلى هنا اليوم لتسدي خدمةً لسوزي، ولأنها، بالتأكيد، أرادت أن تقوم بواجبها، وتتأكد من أن المهنيين الحق يعرفون متى يطرحون مزيدًا من الأسئلة، ولا يتركون الأمور تمرّ مرور الكرام. لقد كانت تخطط لإعطائهم الحقائق التي يرغبون بسماعها، لكن ألاّ تسرف في اعطائهم إياها. ستحافظ على كرامتها، ستبقي جزءً من نفسها آمنًا.

لكنها امتلأت فجأة برغبةٍ جامحة لمشاركة كل شيء، لقول الحقيقة القبيحة العارية، وعدم التكتّم على شيء، تبًّا للكرامة.

أرادت أن تمنح ذلك الرجل الخائف ذو الكنزة القبيحة الثقة ليشاركهم أيضًا حقائقه القبيحة والعارية. أرادت أن تجعله يعرف أن شخصًا واحدًا هنا على الأقل يفهم الدافع لارتكابه جميع الأخطاء التي اقترفها في حياته: الأوقات التي ردّ فيها الصاع صاعين، الأوقات التي بقي فيها عندما كان يجب أن يغادر، الأوقات التي أعطاها فيها فرصة أُخرى، والأوقات التي كان يعاديها عمدًا، الأوقات التي سمح فيها لأطفاله برؤية أشياء لا يجب عليهم رؤيتها. أرادت أن تخبره أنها تعرف جميع الأكاذيب الصغيرة المثالية التي كان يرويها لنفسه طوال كل تلك السنين، لأنها كانت تعزّي نفسها بمثل كل تلك الأكاذيب. أرادت أن تضع يديه المرتعشتين بين يديها وتقول: «أنا أتفهّمك تمامًا».

أمسكت بجانبي المنبر وانحنت لتقترب من الميكروفون. كان هناك شيءٌ بسيطٌ للغاية لكنه غاية في التعقيد وأرادت من هؤلاء الناس أن يفهموه.

- «يمكن أن يحدث هذا ...». توقفت عن الكلام وابتعدت قليلاً عن الميكروفون، ثمّ نظّفت حنجرتها. رأت سوزي تقف جانبًا وهي تكتم أنفاسها كأم ترى ابنها يخطب أمام العامة لأول مرّة. كانت يديها مشرعتان قليلاً وكأنهاً على أهبة الاستعداد للجري على خشبة المسرح ونقل سيليست إلى بر الأمان.

قرّبت سيليست فمها من الميكروفون وأصبح صوتها الآن مرتفعًا وواضحًا أكثر.

- «يمكن أن يحدث هذا لأيٍ منّا».

شكر وتقدير

كما في كلّ مرّة، أنا في غاية الامتنان لجميع الأشخاص الرائعين والموهوبين في دار بان ماكميلان للنشر، مع شكرٍ خاص لكيت باترسون وسامانثا سينسبري وشارلوت ري.

شكرًا لوكيلة أعمالي، فيونا إنجليس، والناشرين لكتبي حول العالم، وخاصةً إيمي أينهورن وسيلين كيلي وماكسين هيتشكوك.

الشكر الجزيل لشيري بيني، وماريسا فيلا، وماري أتكينز، وإنجريد باون، ومارك ديفيدسون والذين أعطوني من وقتهم الكثير كي أتمكن الاستفادة من خبراتهم المهنية المتنوعة على كافة الصُعد.

لدي عادة فظيعة تتلخص بالبحث والتقصّي والتمحيص في الأحاديث والآراء بحثًا عن موادٍ أقدّمها. شكرًا لكم، ماري هاسال وإميلي كروكر وليز فريزيل على السماح لي باستعارة أجزاء صغيرة من حياتكم لأغراض روائية. لا بدّ لي من التنويه أن أولياء التلاميذ في المدرسة الجميلة التي يرتادها أطفالي حاليًا لا يشبهون الآباء في مدرسة بيريوي العامة بتاتًا، ويتصرفون بشكلٍ جيد خلال النشاطات المدرسية عمومًا.

شكرًا لأمي وأبي وجاسي وكاتي وفيونا وشون ونيكولا، والشكر الموصول لأختي، الكاتبة الرائعة، جاكلين موريارتي، التي كانت وستظل دائمًا أوّل قُرّائي. شكرًا لصهري، ستيف ميناس، على مساعدته في كل الأمور التكنولوجية.

شكرًا لآنا كوبر التي جعلت حياتي أسهل بكثير من نواحٍ عديدةٍ.

شكرًا لزميلتيّ المؤلِّفتين وصديقتيّ، بير كارول وديان بلاك لوك على تحويل جولات ترويج كتابي إلى عطلٍ أسبوعية خاصة للفتيات في الخارج. (حتى أن بير نجحت في جعل التسوّق متعة). نحن نصدر نشرةً إخباريةً مشتركة تسمى «Book Chat». للاشتراك، قم بزيارة موقع الويب الخاص بي على www.lianemoriarty.com

شكرًا لآدم وجورج وآنا لجعل عالمي مكتملاً يحمل صخبًا وجنونًا.

وأخيرًا، كما ستكتشفون وأنتم تغوصون في تفاصيل هذه الرواية أنها قصةٌ عن الصداقة، لذا أهديها لصديقتي، مارغريت باليسي، التي أشاركها أكثر من خمسة وثلاثين عامًا من الذكريات.

المراجع:

استفدت من الكتابين التاليين في كتابة هذه الرواية:

(Not to People Like Us: Hidden Abuse in Upscale Marriages) 2000 **لسوزان ويتسمان**

2004 (Surviving Domestic Violence) **لإلين فايس**

مكتبة #900
t.me/t_pdf

مكتبة | سُر مَن قرأ

لطالما كان مقدرًا لها أن تنتهي بالدموع،
لكن كيف انتهت بجريمة قتل؟

كانت جين، الأم العزباء، قد انتقلت للتو إلى البلدة مصطحبةً معها ابنها الصغير-وسرًا - أثقل كاهلها طوال خمس سنواتٍ.

في اليوم الأول من المدرسة تقابل مادلين - القويّة التي لا يُستهان بها، والتي تتذكر أدق التفاصيل لكنّها لا تغفر لأحد - وسيليست، التي هي من ذلك الصنف من النسوة اللواتي يجعلن العالم بأسره يقف ليحدّق بهنّ، لكنها ولسببٍ مجهول تعاني بصمتٍ. تحاول كل من مادلين وسيليست وضع جين تحت جناحها - في الوقت الذي تحرصان فيه على إبقاء اسرارهما طيّ الكتمان.

ولكن حادثة بسيطة تتعلّق بأطفال النسوة الثلاث تتصاعد بسرعة: وتتحول همسات الملعب البريئة إلى إشاعات حاقدة لدرجة أنّ الجميع يعجز عن تمييز الحقيقة من الكذب.

وعندما تنجلي الغيوم وتتكشّف الأسرار – سيدفع أحدهم حياته ثمنًا لها...

«إنّها قصةٌ محبوكةٌ ببراعةٍ بشخصياتها التي جعلتني أنكبّ على قراءتها بنهمٍ واستحوذت عليّ تمامًا»

مجلة Woman & Home.

«أسلوب سردها غايةٌ في الروعة. لا يمكنك حتى أن تضع الكتاب من يديك. إنّها روايةٌ مقنعةٌ ومسليةٌ وتثير التفكير العميق - بل هي أكثر من رائعة».

مجلّة Heat.

telegram @t_pdf

ISBN: 978-9953-651-27-9
9789953651279
دار الخيال
www.daralkhayal.com